نجران

دراسة تاريخية حضارية

(ق ١ – ق ٤ هـ / ق ٧ – ق ١٠ م)

الجزء الأول

تأليف :

أ . د . غيثان بن علي بن جريس

أستاذ التاريخ - جامعة الملك خالد

(١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣م)

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بن جريس، غيثان بن علي
نجران، دراسة تاريخية حضارية الجزء الأول ./ غيثان بن علي
بن جريس -ط٢ .- ابها ، ١٤٣٣هـ
ص ٥٦٤ ؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ٥ - ١١٤٣ - ٠١ - ٦٠٣-٩٧٨
١- نجران (السعودية) - تاريخ أ.العنوان
ديوي ٩٥٣،١٥٣ ١٤٣٣/٩٢٩٠

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٩٢٩٠
ردمك: ٥ - ١١٤٣ - ٠١ - ٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)
الطبعة الثانية (١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م)

(١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)
الرياض : مطابع الحميضي

Email :jrais2009@hotmail.com
تلفاكس ٠٧/٢٣١٣٩٢ (السعودية ــ أبها)

شكر وتقدير
للذين دعموا طباعة الكتاب ونشره

هناك أخوة كرام من أعيان منطقة عسير ساهموا في دعم وطباعة ونشر هذا الكتاب فلهم منا جزيل الشكر والعرفان ، فنسأل الله – عز وجل – أن لا يحرمهم أجر ما قدموا من أجل نشر العلم والثقافة بين الناس ، وهم [١] :

١ - الأستاذ / عبد العزيز بن سعيد بن مشيط.

٢ - الأستاذ / سليمان بن محمد بن عبد الله بن حبتر .

٣ - الأستاذ / عبد الرحمن بن علي بن مبارك القحطاني .

٤ - الأستاذ / سفر بن عبدالله بن محمد آل برقان .

(٣٠ / ٣ / ١٤٣٤ هـ) .

---

(١) هؤلاء الأعلام ممن لهم جهود تذكر فتشكر في خدمة أهلهم وذويهم وبني جلدتهم ، ومن يدرس اسهامات كل منهم يجدها متنوعة في ميادين الحياة العامة والخاصة ، وبخاصة في إطار منطقة عسير وما جاورها .




بسم الله الرحمن الرحيم
الفهرس العام
لمحتويات الكتاب

فهرس محتويات الكتاب

تابع فهرس محتويات الكتاب

تابع فهرس محتويات الكتاب

تابع فهرس محتويات الكتاب

تابع فهرس محتويات الكتاب

تابع فهرس محتويات الكتاب




مقدمة الطبعة الثانية

(١٤٣٤هـ / ٢٠١٣ م)

مرت عشر سنوات منذ صدور الطبعة الأولى من هذا السفر الذي يؤرخ لبلاد نجران منذ فجر الإسلام حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) . وقد أشرنا في الطبعة الأولى عزمنا على إصدار أجزاء أخرى تؤرخ لهذه الديار العريقة بتاريخها وحضارتها ، ولازلنا عند وعدنا فنحن نعمل منذ سنوات على الجزء الثاني من القرن الخامس إلى العاشر الهجريين (الحادي عشر إلى السادس عشر الميلاديين)، ونأمل أن يصدر ويرى النور قريباً . أما أسباب إعادة طباعة هذا الجزء فنذكرها في النقاط التالية :

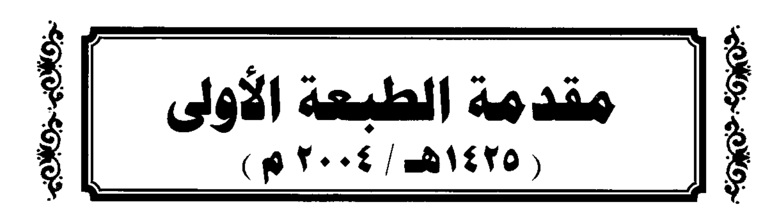
١ – ظهور بعض الأخطاء الإملائية والنحوية والعلمية في الطبعة الأولى ، وقد اجتهدنا في إصلاحها في هذه الطبعة .

٢ – نفاد النسخ المطبوعة من الطبعة الأولى ، وسؤال المتخصصين في التاريخ الإسلامي وطلابنا وطالباتنا عن هذا الكتاب وكيفية العثور عليه ، كل هذا دفعنا إلى إعادة طبعه .

٣ – عدم معرفتنا متى سوف يصدر الجزء الثاني من هذا الكتاب جعلنا نسارع في إخراج هذه الطبعة الثانية ، وقد نخرج منه طبعة ثالثة (بإذن الله تعالى) عند إصدار الطبعة الأولى من الجزء الثاني . وأخيراً نشكر الاستاذين الكريمين ناصر بن حاسن بن محمد العمري ، وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن الزيداني على مراجعتهما مسودة هذا الكتاب قبل الدفع به إلى المطابع . والله من وراء القصد .

غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الجبيري

الشهري حي المنسك - مدينة أبها الجميلة (غرة شهر ربيع الثاني عام ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م) .



مقدمة الطبعة الأولى
(١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ م)

الحمد لله وحده خالق السماوات والأرض وما بينهما والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وبعد :

فإن الحديث عن تاريخ وسيرة وأخبار الأمم السابقة في غاية الأهمية ، حتى نرى سيرة الأقوام السابقة كيف كانت ، وبالتالي نستطيع أن نستخلص من تلك الأخبار العبر والدروس التي تفيدنا في حياتنا الحاضرة والمستقبلية ، بل وتجنبنا الزلات والأخطاء التي وقع فيها من قبلنا . وقد أمدنا القرآن الكريم بروايات كثيرة من القصص التي تروي تاريخ أمم بادت وانقرضت ، بل أفراد وجماعات ومنهم من كان على المنهج القويم ، ومنهم من كان متمادياً في غيه وضلاله . وهذه سنة كونية أن جعل الله - عز وجل - ، كتلتي الحق والباطل ، وهاتان الكتلتان في صراع دائم منذ خلق الله السماوات والأرض إلى أن تقوم القيامة . هكذا هي طبيعة التاريخ ، فيه السلب والإيجاب ، وفيه الخطأ والصواب ، والمهم هنا هو استذكار التاريخ بشكل عام ثم الاستفادة من دروسه وعبره .

إن التاريخ يختلف من فرد لآخر ، ومن بيئة لأخرى، ومن جيل إلى جيل ، فعندما تكون البيئات والأجيال والأفراد الذين يدرسهم التاريخ ، ذات صولات وجولات ، وذات أهمية في صنع القرارات السياسية والحضارية ، فإن تاريخهم قد يكون أكثر حساسية وأهمية من أي بيئة أو جيل أو فرد يأتون في مراتب متأخرة من حيث الأهمية وصنع الأحداث . وهذا ما حصل لشبه الجزيرة العربية عندما

كانت موطن حضارات قديمة ، سواءٌ في الجنوب حيث اليمن أو الشمال حيث بلاد الشام أو في الحجاز ، فكانت ذات أهمية كبرى حيث دُوِّنت عنها الأسفار التي اهتمت بسرد وقائع الأحداث التي مرت بهذه المناطق في العهود القديمة من حروب وحضارات متنوعة الأشكال ، والمظاهر . وقُبيل ظهور الإسلام فقد ساد الجهل والتخلف أجزاء عديدة من جزيرة العرب ، فحدث هناك إهمال في تدوين تاريخها ، وغفل أولو الأمر ومدونو التاريخ عن حفظ تراثها . ثم ظهر نور الإسلام في الحجاز ، وانتشرت العقيدة الإسلامية في أرجاء الجزيرة العربية ، فعادت إليها الأضواء ، وبدأ الاهتمام بها مرة أخرى ، وبخاصة بعد أن صارت الموطن الرئيس لدولة الإسلام ، وصارت المدينة المنورة عاصمة العالم الإسلامي . وهذا البروز من الناحية التاريخية والحضارية لم يدم طويلاً ، لأن العاصمة السياسية ، وثقل السلطة وصنع القرار سرعان ما انتقل إلى الكوفة في العراق ، ثم استقر به القرار في بلاد الشام حوالي قرن من الزمان ، ثم عاد مرة أخرى إلى العراق واستمرت الخلافة الإسلامية هناك لقرون عديدة . وهذه التحولات أثرت على مجريات الأحداث في الجزيرة العربية ، فصارت ولاية ضمن ولايات الدولة الإسلامية بعد أن كانت حاضرة الدولة الإسلامية لعدة عقود . كما أثرت على أوضاع الجزيرة العربية السياسية والحضارية ، فأسدل عليها النسيان فيما عدا بعض حواضرها الكبرى نظراً للأهمية الدينية والسياسية ومنها الحجاز على سبيل المثال حيث بقي محط أنظار المسلمين ، وضمن اهتمامات الخلافة الإسلامية سواءٌ في الشام أو العراق ، أما بقية أجزاء الجزيرة العربية ، فقد سادها كثير من الفوضى والنسيان ، وبالتالي ضاع الكثير من تاريخها فلم تصلنا إلا نتف يسيرة لا تعطي الصورة الواضحة لتاريخ وحضارة تلك الأجزاء البعيدة والمترامية في الجزيرة العربية .

وبلاد نجران من الأجزاء التي لم تنل حظها من الدراسة والتمحيص ، بل تكاد تكون من أكثر أجزاء الجزيرة العربية التي تجاهلها مدونو التاريخ قديماً ووسيطاً وحديثاً ، وبالتالي فقد اخترناها لتكون عنواناً لهذا الكتاب خلال القرون الإسلامية الأولى .

وهناك أسباب عديدة جعلتني أضعها في دائرة اهتماماتي الفكرية والتاريخية والأدبية، ومن هذه الأسباب ما يلي :

١ - تجاهل المؤرخين لبلاد نجران – كما سبق القول – جعلنا نتساءل عن الأسباب التي جعلتهم لم يولوها اهتماماتهم ، وبخاصة في العصر الإسلامي ، مع أننا لا نعرف السبب الرئيس ، ولكن من باب الاعتقاد أنه سادها النسيان كما ساد غيرها من أجزاء الجزيرة العربية ، وخصوصاً بعد خروج العاصمة الإسلامي من المدينة المنورة . ولهذا السبب عزمت على دراسة هذه المنطقة منذ فجر الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري (السابع الميلادي حتى العاشر وأوائل الحادي عشر الميلادي) ، على أن يكون هذا الجزء هو الأول ، وسوف يليه – بإذن الله – أجزاء أخرى تغطي تاريخ نجران حتى الفترة الحديثة والمعاصرة . وتركيزنا على هذه المنطقة تزايد بعدما وصلت إلى قناعة أنه لا يوجد دراسة علمية أكاديمية لا باللغة العربية ولا بأي لغة أخرى تناقش تاريخ نجران السياسي والحضاري، اللهم إلا عدة بحوث ودراسات مختصره في مادتها العلمية ، وغالباً تكون غير موثقة في جمع وتدوين معلوماتها ، ومن هذه الدراسات التي أوردناها في قائمة المصادر والمراجع ، ونذكرها هنا من باب العلم والاطلاع ، وهي :

أ - **نجران في أطوار التاريخ** ، **للأستاذ / محمد بن أحمد العقيلي** ، وهو كتيب من القطع الصغير في (١٣٥) صفحة ناقش المؤلف فيه معلومات مختصرة غير موثقة تعرضت لها بلاد نجران منذ العهد اليوناني حتى عام (١٣٥٣ هـ /١٩٣٤ م) عندما أصبحت نجران جزءاً من المملكة العربية السعودية بموجب معاهدة الطائف المؤرخة في ١٣٥٣/٢/٦ هـ (١٩٣٤ م) . وهذا الكتاب هو جهد مشكور للمؤلف ، ولكن الاختصار الشديد وعدم التوثيق هما من السلبيات التي طغت على هذه الدراسة .

ب - **بين مكة وحضرموت (رحلات ومشاهدات ، للأستاذ / عاتق بن غيث البلادي** ، وهذا الكتاب عبارة عن مشاهدات ورحلات للمؤلف ناقش فيه ما شاهده في البلاد الممتدة من الحجاز حتى حضرموت عبر بلاد السروات ، وقد أفرد جزئية في نهاية الكتاب تقع في حوالي (١٣٣) صفحة من القطع المتوسط ، ناقش فيها قضايا عديدة عن بلاد نجران منذ العهود السابقة للإسلام حتى أصبحت جزءاً من أجزاء المملكة العربية السعودية . وهذه المعلومات لا تبعد كثيراً عن منهج الأستاذ العقيلي فهي تخلو من التوثيق العلمي المنهجي ، مع العلم أنه يوجد بها معلومات جيدة وجديرة بالاهتمام .

ج - **نجران ودورها السياسي والاقتصادي للدكتور/ حسين بن علي المسري** ، وهذه الدراسة تقع في (٥١) صفحة ، بالإضافة إلى ست صفحات تحتوي على قائمة المصادر والمراجع التي استخدمها الباحث في هذه الدراسة المنشورة في **مجلة المؤرخ المصري** ، الصادرة من قسم التاريخ ، كلية الآداب . جامعة القاهرة (العدد التاسع / يوليو/

١٩٩٢ م) وهذه الدراسة وإن كانت مختصرة ، وبخاصة في الجوانب الاقتصادية ، وجزء من النواحي السياسية إلا أنها أفضل الدراسات العلمية التي أطلعنا عليها واستفدنا منها .

د - **نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة ، للدكتورة / فاطمة مصطفى عامر**، وهي دراسة مختصرة تقع في بضع وعشرين صفحة ناقشت فيها المؤلفة بعض المعلومات الخاصة بنجران منذ العهد الجاهلي حتى عصر الرسول ﷺ ، وقد استفدنا من هذه الدراسة ، وبخاصة ما يتعلق بعصر الرسالة ، مع العلم أن اعتمادنا في هذه الفترة كان مركزاً على المصادر الإسلامية الأولى .

هـ - كتاب باللغة الإنجليزية للدكتور / عرفان شهيد تحت عنوان :
The martyrs at Najran New Documents
وهذا الكتاب يتكلم عن تاريخ نجران قبل الإسلام ، ويقع في حوالي (٣٠٤) صفحة ، مع أنه لا يفيدنا كثيراً في الفترة التي يعالجها هذا الكتاب ، إلا أنه لا يخلو من بعض المعلومات والإشارات التي أفادتنا في جوانب عديدة ، وبخاصة في النواحي الحضارية .

و - **نجران، كتيب صغير للأستاذ/ صالح بن محمد بن جابر آل مريح**، وقد تمَّ نشره ضمن سلسلة هذه بلادنا التي تشرف عليه الرئاسة العامة لرعاية الشباب في المملكة العربية السعودية. وهذا الكتيب، لا يخدمنا كثيراً في الفترة التي نعالجها ، لكن توجد به معلومات ، وبخاصة جغرافية وحضارية استفدنا منها خلال البحث والاطلاع .

٢ - أهمية نجران التاريخية والحضارية منذ العهود السابقة للإسلام ، حيث تتفرَّد بموقع استراتيجي يربط ما بين اليمن ، واليمامة ، والسروات ، والحجاز ، كما تفردت بأسواق تجارية تكاد تمتد في نشاطاتها إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، ثم مركزها الحضاري الديني فقد وصلت إليها كثير من الديانات السماوية والوضعية ، فالنصرانية ، واليهودية ، ومن كان على ملة الحنفية سيدنا إبراهيم ، ثم الإسلام جميعها عرفت بلاد نجران ، واعتنق كثير من النجرانيين هذه الديانات السماوية ، كما وصلت المجوسية إلى نجران . وبلاد اشتملت على مثل هذه التشكيلات العقدية جديرة بالدراسة ، لأنها موطن حضارات وثقافات متنوعة المشارب والاتجاهات .

والخوض في دراسة مثل هذا الموضوع الذي أسميناه : **نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق ١ – ق ٤ هـ / ق ٧ – ق ١٠ م) الجزء الأول** . لا يخلو من بعض المشكلات التي تواجه الباحث ، وبعضها – ولله الحمد – تغلبنا عليها ، والبعض الآخر لا يزال شائكاً وصعباً تذليله ، ومن أهم المصاعب التي واجهنا ، ما يلي :

١ - أن اختيار هذا الموضوع ودراسته لا يعني أنه تم استكمال جميع جوانبه ، وإنما نحن مجتهدون ، ولا ندعي الكمال ، فالكمال لله – عز وجل – والعصمة لرسوله ﷺ، وأرجو من الإخوة القراء ألاَّ يبخلوا علينا بالتوجيه والنقد البناء ، خدمة للعلم واستجلاءً للغموض الذي لا يزال يكتنف تاريخ وحضارة الكثير من أجزاء بلادنا الحبيبة .

٢ - تناثر المادة العلمية في بطون المصادر الإسلامية الأولى وضآلتها جعلتنا نقضي ساعات وأوقات طويلة للبحث عن أي معلومة تدلنا على أهمية نجران التاريخية والحضارية ، وأحياناً قد نوفق فنجد ما نبحث عنه وأحياناً

أخرى نستغرق الوقت الطويل ثم نخرج بخفي حنين ، فلا نجد ما نسعى إليه . وبخاصة بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين فإننا نجد صعوبة واضحة في محاولة التعرف على تاريخ نجران المحلي ، وأوضاعها السياسية والإدارية ونظمها المالية ، بالإضافة إلى علاقاتها الخارجية ، ولهذا ففي كثير من الأحيان نطالع الجوانب المتشابهة في المناطق المجاورة وبخاصة في الأجزاء الجبلية من بلاد اليمن، والسروات ، والحجاز ، ثم نستنتج مما وجدنا في تلك المواطن فنطبقها على بلاد نجران من باب المقارنة والتشابه والاستنتاج .

٣ - بلاد نجران غنية بآثارها الجاهلية والإسلامية ، ولكنها تفتقر إلى وجود دراسات علمية أكاديمية ، ولو بذل الجهد من قبل الأثريين المتخصصين ، وبخاصة في فترة العصر الإسلامي ، فإننا متأكدون من خروجهم بمعلومات ثرية تفيد الباحثين في دراساتهم التاريخية والحضارية عن هذه البلاد ، وتجلي الكثير من الغموض وتوضح كثيراً من الحقائق الغائبة .

٤ - عدم العثور حتى الآن على أية مخطوطات تناقش تاريخ نجران خلال العصور الإسلامية الأولى ، مع العلم أنها لم تكن تخلو من العلماء والأدباء الذين ربما دونوا علومهم في كتب قد تكون موجودة عند بعض البيوتات في نجران ، أو قد انتقلت إلى حواضر العالم الإسلامي الأخرى سواء في الجزيرة العربية أو خارجها ، وأرجو أن نجد أو يجد غيرنا من الباحثين ما نتطلع إليه عن هذه البلاد .

أما عن محتويات هذا الدراسة ، فهي تتكون من مقدمة ، وستة فصول تلحقها خاتمة وعدة ملاحق في نهاية الكتاب ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها أثناء البحث والدراسة . أما فصول الكتاب فهي على النحو التالي :

الفصل الأول : ويعالج بلاد نجران جغرافياً وبشرياً ، وقد ناقشنا في هذا الفصل التركيبة الجغرافية لبلاد نجران ، مع التعرض لسبب تسمية نجران بهذا الاسم ، كما درسنا تركيبة المجتمع السكانية ، والتي كانت غالبية السكان يغلب عليهم التكتلات القبلية ، وهذا ما كان سائداً في بلاد العرب قبل وأثناء العهود الإسلامية المختلفة .

الفصل الثاني : ويتناول الأوضاع الدينية والسياسية في نجران خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة ، وتعرضنا للحديث عن الحياة الدينية والسياسية والإدارية في نجران قبل الإسلام ثم درسنا أوضاع نجران الدينية والسياسية خلال عهود الرسالة ، والخلفاء الراشدين ، وخلفاء بني أمية وبني العباس .

الفصل الثالث : ويعالج الأوضاع الإدارية والنظم المالية في نجران ، وقد درسنا أهم المؤسسات الإدارية في بلاد نجران مثل : الولاية ، والقضاء ، والشرطة ، وصاحب البريد ، والمحتسب . كما فصّل الباحث الحديث عن بعض النظم المالية كالإيرادات والمصروفات التي تدخل وتنفق من خلال بيت مال المسلمين في نجران .

الفصل الرابع : وخصصناه لدراسة الحياة الاجتماعية في نجران ، وتناولنا فيه بالدراسة ما يتصل بعناصر السكان والمرأة ودورها في المجتمع النجراني ، ودور الأسرة في هذا المجتمع بوصفها الخلية الأولى فيه، ثم عرجنا على دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة من أطعمة وأشربة ، وألبسة وأدوات الزينة ، والأعياد والاحتفالات والعادات والتقاليد والأعراف السائدة في مجتمع نجران في العصر موضوع الدراسة وكذلك فنون العمارة .

الفصل الخامس : ويتناول الحياة الاقتصادية ، وناقشنا فيه جوانب اقتصادية عديدة مثل : الجمع والالتقاط ، والصيد، والرعي ، والزراعة وسبل ممارستها ،

وكذلك الحرف والصناعات التقليدية التي كان يمارسها النجرانيون، ثم أحوال التجارة في بلاد نجران سواءً كانت داخلية أو خارجية .

الفصل السادس والأخير : وهو بعنوان ملامح الحياة العلمية والفكرية في نجران ، وقد حاولنا في هذا الفصل رغم ضآلة وندرة المادة العلمية المتصلة به التعرف على مظاهر الحياة الفكرية والتعليمية في نجران ، والإشارة إلى أهم العلوم والمعارف التي عرفتها بلاد نجران ، ونبغ فيها غير واحد من أهلها أو من ينتمون إليها بالمولد والنشأة والأصل ، والإشارة إلى أهم هؤلاء العلماء والشعراء والأدباء وذكر بعض من إنتاجهم الفكري .

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر المولى عز وجل الذي أعانني على إنجاز هذا العمل الفكري ، كما انتهز الفرصة لأثني الشكر على كل من قدم لي يد العون والمساعدة حتى خرجت هذه الدراسة ، وأخص بالذكر ، **صاحب السمو الملكي الأمير / مشعل بن سعود بن عبد العزيز ، أمير منطقة نجران** الذي استقبلني في مكتبه العامر وقدم لي التوجيهات الموفقة والسديدة لإخراج هذا الدراسة ولما سوف يخرج – بإذن الله تعالى – من أجزاء قادمة . كما أشكر أعيان ووجهاء ومسؤولي منطقة نجران، وبخاصة الذين التقيت بهم ، وهم كثر ، والذين كان لهم نصائح وتوجيهات سديدة كان لها أثرها الواضح في إخراج هذه الدراسة . كما أشكر إخواني وزملائي في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية ، وغيرهم من الزملاء الأفاضل في الكليات الأخرى بجامعة الملك خالد الذين ساعدوني فقدموا لي نصائح وتوجيهات مسددة وموفقة ، حتى خرجت هذه الدراسة وأذكر منهم على وجه الخصوص الأخوة الآتية أسماؤهم :

١ - د . أسامة أحمد حماد ، أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بقسم العلوم الاجتماعية ، الذي راجع معي جميع مسودات الكتاب وجنبني الوقوع في الكثير من الأخطاء العلمية والمنهجية ، فله مني جزيل الشكر والعرفان على ما قدم لنا من عون ومساعدة .

٢ - د . عبد الله بن محمد بن حمِّيد ، أستاذ الأدب المساعد في قسم اللغة العربية ، بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية ، الذي قام على المراجعة اللغوية لمسودات الكتاب ، وضبط الأشعار الواردة بالبحث بالإضافة إلى ملاحظاته العلمية القيّمة فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء .

٣ - الأخوة الفضلاء د . عبد المنعم علي إبراهيم ، د . علاء الدين حسين عزت شلبي ، والأستاذ / ناصر محمد خلبان ناسخ هذا الكتاب ، وغيرهم إخوة كرام آخرون لم نذكر أسماءهم فلهم منا الشكر والتقدير ، كما لا يفوتني توجيه الشكر وآيات العرفان لأفراد أسرتي الذين صبروا علي ووقفوا إلى جانبي حتى خرجت هذه الدراسة فللجميع مني الشكر والتقدير، وأسأل الله العلي القدير أن لا يحرم كل من قدم لي يد العون من الأجر والمثوبة إنه على كل شيء قدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين والسلام .

جمعه ثم كتبه وانتهى منه

أبو المثنى

غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الجبيري الشهري بمنزله في حي المنسك بمدينة أبها في شهر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم



الفصل الأول

نجــران
جغرافياً وبشرياً



أولا : جغرافية نجران وأصل تسميتها :



١ – جغرافيتها :

ينقسم جنوب شبه الجزيرة العربية من الناحية الجغرافيـة الى قـسمين :
القسم الأول : ويشمل الأجزاء المطلة على ساحل البحر الأحمر وتسمى غـور، واصطلح على تسميتها "تهامة" ، ومن مدنها عدن ، وزبيد ، ومعقـر ، وكـدرة، ومور، وعطنة ، والشرجة ، ودويمة ، والحمضة ، وغلافق ، والعشيرة ، والساعد، والمهجم، وعثر ، وبيش ، وحلي ، والسرين (١) .
القسم الثاني : فيضمُّ الأجزاء الجبلية ، واصطلح على تسميتها بـ " الـسروات " أو " الجبال " وأحياناً " نجد " فكل ما ارتفع عن الأرض يسمى نجداً (٢) ، ومن أشهر مـدن هذا الجزء من الجنوب تجاه الشمال : صنعاء ، وصعدة (٣) ، ونجران ، وسراة عبيـدة ، وجرش (٤) ، والجهوة ببلاد الحجر ، ومدن وسروات أخرى عديدة تمتد شمـالاً حـتى حدود مدينة الطائف (٥) . ويمتاز هذا الجزء الجبلي بتنوع مناخه ، وكثافة غطائه النباتي،

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذه المدن ، انظر الهمداني ، صـفة ، ص ٧٠– ٧٧ ، ٢٥٨ ، المقدسـي ، أحـسن ، ص ٦٩–٧٠ .

(٢) يقول إبن منظور : " النجد من الأرض ... ماغلظ منها وأشرف وارتفع ..." ويذكر ايضاً أن " النجد " هو ما ارتفع عن تهامة ، انظر لسان العرب ، جـ ١٤، ص ٤٥–٤٩ .

(٣) انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٧٧ وما بعدها ، المقدسي ، أحسن ، ص ٧٠، الوهيبي ، ص ٥٣ وما بعدها .

(٤) مخلاف جرش قديماً يشمل جزء كبيراً من منطقة عسير الحالية ، وخاصة مدينتا أبها وخميس مشيط وما حولهما . انظر ، إبن جريس . دراسات ، ج ١ ، ص ٩٣–١٢٦ ، إبن جريس ، " مخلاف " ص ٦٣–٧٨ .

(٥) ولمزيد من التوضيحات عن هذه المدن والسروات انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٦٠، ٢٦٠–٢٦٣ ، إبن جـريس " بلاد السراة " ص ٧٦–١١١ ، للمؤلف نفسه . دراسات، ج ١ ، ص ١٢٧–١٦٤ المسري ، ص ٤٢ وما بعدها ، ايضاً انظر ، كحالة ، ص ٨٥ ، الأكوع ، اليمن ص ٧٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

فدرجة الحرارة في هذه النواحي منخفضة لارتفاعها عن سطح البحـــر ، وبـــلاد نجـــران حسب هذا التحديد تقع ضمن القسم الجبلي أو النجدي وموقعها بين مـــدينتي صـــنعاء وصعدة وأجزاء من بلاد اليمن من الناحية الجنوبية وبلاد نجد (منطقة الريـــاض حاليـــاً) وأجزاء من مخلاف جرش (منطقة عسير الحالية)من الشمال ، والمنطقة الشرقية وصحارى الربع الخالي من الشرق ، ومنطقة عسير وأجزاء من بلاد اليمن من الغرب (١) .

وقد تحدث بعض الجغرافيين والمؤرخين والرحالة المسلمين الأوائل عن نجران فأشادوا بثرائها الاقتصادي ، ونشاطها الاجتماعي ، وكذلك موقعها الاستراتيجي لكونها تقع على الطريق التجاري الذي يربطها باليمن ، والحجاز ، واليمامة ، والبحرين (٢).كما أن عدداً مـــن مدوني التراث الإسلامي أعطوا تفصيلات عن طبيعة نجران الجغرافية ، وأوديتها ، وموقعهـــا في بلاد السروات الواقعة بين اليمن والحجاز ، فالهمداني من أهل القرن الرابع الهجري (العاشـــر الميلادي) ذكر طول نجران من المشرق فقال : ((**وطولها من الشرق مائة وسبع عشرة درجة وخمسة أسداس درجة وتشرق عليها الشمس قبل مطلعها على صعدة نحـــو مـــن اثـــنين وعشرين جزءاً ونصف من الساعة ، وعرضها ست عشرة درجة**)) (٣)، ويستطرد ذاكراً ما يضمه مخلاف نجران من أودية تميز معظمها بكثرة موارده المائية مما ساعد على ثرائها الزراعـــي ووفرة غطائها النباتي مشيراً إلى أن مخلاف نجران يضم عدة أودية منها واد فحل هو : (وادي

---

(١) تقع منطقة نجران في الجزء الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية حالياً ، أي في الأطراف الشرقية لمنطقة الـــدرع العربي التي تمتد عبر المنطقة الواسعة حتى أقصى جنوب الجزيرة ، وذلك على خط الطول (٥٢،٤٣) شرقاً وخـــط العرض (٢٠،١٧) شمالاً تقريباً. وتبلغ مساحتها حوالي (٣٦،٥٠٠) كم٢، تغطي الصحراء جزء كبير من هـــذه المساحة ، وهو الجزء الذي تمثله محافظة شرورة التابعة إدارياً لمنطقة نجران . ويتراوح منسوب المرتفعات في منطقـــة نجران بين (٩٠٠ و ١٨٠٠ م) عن سطح البحر ، ويحيط بمنطقة نجران جبال من الشمال ومن الجنوب بارتفاعات شاهقة تقل كلما اتجهنا شرقاً إلى أن تغور في رمال الربع الخالي . لمزيد من التفصيلات انظـــر ، الأطلـــس التـــاريخي للمملكة العربية السعودية (منشورات دارة الملك عبد العزيز ، ١٤١٩ هـــ / ١٩٩٩م) ص ٢١٦ وما بعدها ، آل مريح ، ص ١٥ ، السعيد ، ص ١٠ ، الغباري ، ص ٥ ، آل زمانان ، ص ٤ ، المسري ، ص ٤٢ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٥٣ ، العقيلي ، ص ٤٧ .

نجران) ، وفروعه من ثلاثة أماكن ، الفرع الأول : يخرج من بلد بن حيف من وادعة [١] ، والثاني : من بلد بن جماعة من خولان ، والثالث : من بلد شاكر [٢]، وهناك أيضاً : واديا العرض ودماج، وهما يصبان بدورهما في وادي نجران [٣]، فيبدو منظر المياه بوادي نجران جميلاً لا سيما في الربيع حيث وفرة الأمطار ، فكان من المنتزهات التي يرتادها أهل نجران [٤].

ووادي نجران يخترق البلاد من الغرب إلى الشرق ، وتتخلله بعض الانحناءات والتعاريخ [٥] ، ويمتد في أرض منبسطة ، وفي وسطها يجري الوادي ، بينما القرى تتناثر على جانبي ضفتي الوادي ، وقد بلغ عددها ما يقارب (٣٥) قرية أو يزيد قليلاً ، ومعظمها آهلة بالسكان عامرة البناء ، وكان عدد القرى في الجانب الأيسر من الوادي يفوق الجانب الأيمن وجدير بالذكر أن الحفائر والتنقيبات الأثرية قد أسفرت عن كشف عديد من الأطلال الأثرية في هذا الوادي وهي عبارة عن عدد كبير من القرى بعضها لا يزال مطموراً تحت الرمال ، ومن جملة هذه الأطلال قرية " الأخدود " ، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم[٦]. وهي من آثار قرى نجران القديمة ،

---

(١) ومن يزور نجران حالياً يلاحظ أن وادي نجران يأخذ أعلى مساقط مياهه من السراة الواقعة شرق جازان ، حيث يتقاسم الوأديان (نجران و جازان) الماء ، ويأخذ مياه ما بين صعدة في الجنوب إلى قمة جبل الريث في الشمال وهي سراة خولان : سحار وبني مالك ، وبعض وادعة ، ولـه روافد عظيمة من أهمها : وادي العرض ، ووأدي الفرع ويسير (تقريباً) (٣٠٠) كيلاً من رأس السراة إلى السد ، وعند سد نجران تجتمع فيه ثلاثة أودية عظام هي : ١- وادي مروان . ٢- وادي العرض ٣- وادي كرا . البلادي ، ص ١٩١-١٩٢ ، أنظر الهمداني ، صفة ، ص ٤٥ ، ١٦٣ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ١٦٣ ، المسري ، ص ٤٥ .

(٣) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٠ ، كحالة ، ص ٨٥ .

(٤) المراجع نفسها .

(٥) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٠ ، المسري ، ص ٤٤ .

(٦) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٠ ، والأخدود الشق العظيم في الأرض ، وقد وردت قصة أصحاب الأخدود في القرآن الكريم، وتقول القصة أن نفراً من أهل نجران آمنوا بدين عيسى عليه السلام ، وكان ملكهم يوسف ابن ذي نواس بن شرحبيل بن تبع الحميري ، فأمرهم بالعودة عن عبادتهم ولكنهم رفضوا وتمسكوا بدينهم الجديد ، فعمل لهم الأخاديد وأضرم فيها النيران ورماهم فيها . وذكروا أن أصحاب الأخدود كانوا في ثلاثة مواضع ، واحد بنجران والثاني بالشام والآخر بفارس ولم ينزل القرآن الا بأخدود نجران فقط . وقد نسبوا بعض الكرامات لأصحاب أخدود نجران ، من ذلك أنهم رووا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله : ((أن القرى المحفوظة أربع : مكة ، والمدينة ، وإيلياء ، ونجران ، وما من ليلة إلا وينزل على //

التي لم يبق منها إلا مسجدها الذي يرجع إلى عصر الخلافة الراشدة حيث أشارت بعض المصادر إلى أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد أصدر أمراً بإنشائه [١] . وقد عثر المنقبون بقرية الأخدود على آثار ذات قيمة تاريخية عالية .

ومن القرى الأثرية التي يضمها هذا الوادي أيضاً قرية " رعاش " وكانت مقراً للنصارى [٢]، وقرية " بولس " نسبة إلى المبشر النصراني بولس [٣] ، ومن هذه القرى أيضاً "شوكان " وغيرها [٤] .

وقد وضع الجغرافيون الأوائل تقديراً لطول وادي نجران الذي نحن بصدد الحديث عنه فذكروا أنه يبدأ من قرية (الموفجة) وينتهي عند المذنب ، المعروفة ببلاد ابن منجم ، وأن هذه المسافة يقطعها المسافر بأكثر من يوم للمسافر المستعجل ، وهو تقدير غير دقيق [٥] ، ويمتد بعد ذلك مسافة يوم آخر في مواضع خالية من المياه، إلاّ في موضعين أو ثلاثة فيها آبار يستقي منها الرعاة إلى أن ينتهي مجرى الوادي عند عروق رملية تسمى (عروق المهرة) بقرب النقع ، المكان الذي تجتمع فيه فضلات السيول بين الرمال الكثيفة [٦]، وقد قدرت هذه المسافة أنها تساوي المسافة الأولى ، ويرتفع وادي نجران عن سطح البحر بحوالي (٨٠٠٠) قدم [٧] .

// نجران سبعون ألف ملك ، يسلمون على أصحاب الأخدود ثم لا يعودون إليها أبداً)) انظر الطبري ، جـ٢ ، ص٨٨ ، إبن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ص ٢٥٠ ياقوت ، جـ٥ ص ٢٦٨ ، القزويني ص ٦٥ ، ١٢٦ .

(١) انظر البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ٢ ، ص ١٢١ ، المسري ص ٤٥ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣١٨ ، ٣٦٠ ، البكري معجم ، مج ١ ، جـ ٢ ، ٦٦٠ ، حميد الله ، ص ١٩٢

(٣) الأكوع ، اليمن ، ص ١٤٠ ، المسري ، ص ٤٥ .

(٤) الهمداني ، صفة ١٦٦ ، ١٨٣ ، ١٩٨ ، ٣١٨ ، الأكوع ، اليمن ، ص ١٤٠ .

(٥) المسري ، ص ٤٥ ، حمزة ، ص ١٨٢ .

(٦) الأكوع ، اليمن ، ص ١٤٠ وما بعدها ، العقيلي ص ٤٦-٥٠ ، المسري ، ٤٤-٤٥ ، حمزة ، ص ١٨٢ .

(٧) المراجع نفسها للمزيد انظر ، الشريف ، جـ ٢ ، ص ٤٠٠ -٤٠٦ .

ويتحدث أحد المؤرخين المحدثين عن بلاد نجران فيقول ((**تقع نجران في منبسط من الأرض السهلة المرتفعة التي يخترقها في وسطها مجرى الوادي المعروف بوادي نجران من أعلاه إلى أسفله حيث يغور في رمال الربع الخالي**)) [(١)] . ويحيط بنجران من الجنوب والشمال سلسلتان من الجبال والهضاب تفصل السلسلة الجنوبية بينه وبين بلاد الفرع ووائلة، وهي متفرقة من جبال السراة ويقل ارتفاعها كلما اتجهت إلى الشرق إلى أن تغور في رمال الربع الخالي، وأهم جبال هذه السلسلة جبال همدان وهو مرتفع عن سائر أقسام السلسلة التي تسمى باسم جبال نجران. وأما السلسلة الشمالية فهي أقل ارتفاعاً من سابقتها وفي أعلاها مرتفعات منبسطة تصلح مرعى الماشية، ولذلك سميت " الصحن "[(٢)]، وهذه السلسلة تفصل ما بين نجران وحبونة [(٣)]، ويتصل بنجران من الشمال الغربي بأعلى حبونة المسمى (القرن) أو (الخانق) [(٤)] ، وأول القرى علواً وادي نجران بعد تشكيلة من مضيق مروان وعقبة رفاده ، قرية تعرف بالموفجة أو قرية ابن الزين [(٥)] ، وإذا كان وادي نجران يُعَدُّ شرياناً حيوياً ، فإن وادي حبونة يُعد ثاني الأودية الرئيسة التي تغذي بلاد نجران وما حولها بالمياه . وهذا الوادي يأخذ أعلا مساقط مياهه من السراة الواقعة إلى الشمال الغربي من بلدة نجران ، وإلى الغرب من ظهران الجنوب ، ومياه وادي حبونة تتجه شرقاً حتى تلتقي مع مصب مياه وادي نجران في صحراء الربع الخالي [(٦)].

---

(١) حمزة ، ص ١٨١ ، انظر أيضاً العقيلي ، ص ، ٤٨ .

(٢) حمزة ، ص ١٨١ .

(٣) حبونة أو (حبونا): واسمها القديم حَبَوْنَ ، هكذا ذكرها الهمداني بفتحتين، فقال: " ليام وطن بنجران نصف مامع همدان منها ، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زُبيد ونهد من ناحية حارة وما يليها ، وهي حارة ، وملاح ، وسمنان فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حبونن، وبخليف دكم قتل عبدالله بن الصمة ، أخو دريد ، والحظيرة ، وبدر ، وصيحان ، وقابل نجران ، وهدادة ، والحظيرة بأعلى حبونن " وفي مكان آخر يقول " وأما محجتها (حضرموت) السفلى فمن العبر في شيئز صيهد إلى نجران شبه من ثمانية أيام ، ثم من نجران حبونن ، وهو واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان ، وهو كثير الأرطى ، وبه بئر زياد الحارثي ..." ، الهمداني ، صفة ، ص ١٦٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٣٤٢ ، البلادي ، ص ١٩٩ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ١٦٣ ، ٢٤٩ ، ٤١٦ ، العقيلي ، ص ٤٩ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ٣١٨ حاشية (٣) ، حمزة ، ص ، ١٨٢ .

(٦) الهمداني ، ص ٢٠٠ – ٢٠١، الشريف، جـ ٢، ص ٤٠٧ وما بعدها، philby , pp . 338 ff .

وأما عن أهمية مخلاف نجران أحد المخاليف المهمة في شبه الجزيرة العربية ، فقد أفاض في ذلك عدد من الرحالة الجغرافيين المسلمين الأوائل عند حديثهم عن جغرافية شبه الجزيرة العربية فورد ذكر مخلاف نجران باعتباره واحداً من النواحي المهمة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومنهم من عدَّه واحداً من مخاليف اليمن ، وآخرين أشاروا إلى أنه من مخاليف مكة المكرمة . فاليعقوبي أحصى مخاليف اليمن فوجدها أربعة وثمانين مخلافاً [١] ، وكانت نجران ضمن تلك المخاليف من ناحية مكة المكرمة . كذلك أبو الفداء ذكر أن نجران من بلاد همدان من اليمن ، ثم أشار إلى أن المسافة من مكة المكرمة إلى نجران تقدر بعشرين مرحلة ، ومن صنعاء إلى نجران بعشر مراحل ، فهي إلى صنعاء أقرب من مكة [٢] ، كما نهج كل من الهمداني وياقوت الحموي والقزويني نفس منهج اليعقوبي ، وأبي الفداء [٣] .

وهناك أراء أخرى تذكر أن نجران ليست من اليمن ، وعدَّ أصحاب هذه الأراء أنها وجرش آخر حدود الحجاز من جهة اليمن . فابن خرداذبه ، أشار إلى عنوان جانبي سماه ((**مخاليف مكة ونجد**)) وذكر منها الطائف ونجران [٤] ، كما اتفق البكري مع ابن خرداذبه ، وذكر أن نجران مدينة بالحجاز من شق اليمن [٥] ، ويورد ابن الفقيه في كتابه : **البلدان** بعض التوضيحات عن بلاد السراة ، فذكر أن السروات تنقسم إلى ثلاث سروات ما بين تهامة ونجد ، وأشار إلى أن أدناها بالطائف وأقصاها قرب صنعاء وبالتالي فلم يذكر نجران ضمن اليمن أو مكة المكرمة ، وإنما أوردها ضمن بلاد السراة الممتدة من اليمن إلى الحجاز [٦] ، أما ابن سعيد في كتابه

---

(١) اليعقوبي ، ص ٩٢ ، ٩٣ .
(٢) ابو الفداء ، البلدان ، ص ٣١٧ .
(٣) انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ ، القزويني ، ص ١٢٦
(٤) ابن خرداذبه ، ص ١٣٣ .
(٥) البكري ، مج ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٢٩٨ .
(٦) إبن الفقيه ، ص ٣١ .

((**المغرب في حلي المغرب**)) فذكر أن نجران صقع منفرد عن اليمن [١] ، أما ابن رسته ، والأدريسي فذهبا إلى ما ذهب إليه كل من ابن خرداذبه والبكري ، وذكرا مخاليف مكة من نواحي تهامة ونجد [٢] ، وأوردا نجران ضمن مخاليف مكة النجدية أو (السروية) [٣] ، والادريسي أشار إلى كلمة " مخاليف " أي أماكن ، أو نواحٍ [٤] ، وأطلق عليها أيضاً اسم حصون ، فقال : " ولمكة مخاليف هي : الحصون فمنها بنجد : الطائف ، ونجران ، وقرن المنازل ، والعقيق ، وعكاظ ، وتربة ، وبيشة ، وكتنه ، وجرش ، والسراة . ومن حصونها بتهامة : ضنكان، والسرين، وعشم، وبيش، وعلك ... " [٥] .

وهذا الاختلاف في وجهات النظر بين من ذكر أن نجران ضمن مخاليف اليمن ، أو مخاليف مكة المكرمة يعود إلى عدة أسباب عدّة منها :-

١ - أن معظم الرحالة والجغرافيين الذين أشرنا إليهم في السطور السابقة عاشوا ما بين القرنين الثالث والثامن الهجري (التاسع والرابع عشر الميلادي) ، ثم إنهم لم يرتادوا بأنفسهم بلاد اليمن الواقعة جنوب مكة المكرمة ، وانما اقتصر ما دونوه في مصنفاتهم عن تلك البلاد على ما قرأوه أو سمعوه من الرواة في مصادر سابقة عليهم .سواء في الحجاز أو بعض الحواضر الإسلامية الكبرى في شرق العالم الإسلامي أو غربه ، وبالتالي فحكمهم على أن نجران تقع ضمن

---

(١) انظر العقيلي ، ص ٥٤ ، كما ذكر ذلك كل من القلقشندي ، وعمارة الحكمي اليمني نقلاً عن صاحب " الكمائم " انظر دلال ، ص ٢٦ .

(٢) والمقصود بنجد هنا : أي السروات أو الأجزاء المرتفعة عن بلاد مكة المكرمة .

(٣) إبن رسته ، ص ١٨٤ ، الأدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٤) وقد عرفت المخاليف أو الأماكن خلال العهود الإسلامية البكرة ، والوسيطة بأسماء عديدة ليس في شبه الجزيرة العربية فحسب ولكن في بعض أجزاء العالم الإسلامي ، فذكرت باسم (مخلاف) أو (كورة) أو (رستاق) وغيرها .

(٥) الأدريسي جـ ١ ، ص ١٤٥ ، للمزيد ، انظر دلال ، ص ١١- ١٦ .

مخاليف اليمن يصدر بحكم قرب نجران الجغرافي لبلاد اليمن ، أو بحكم أن بلاد نجران تأتي في الأجزاء الواقعة إلى جنوب مكة المكرمة، وعند كثير من مدوني التراث كانوا يطلقون كلمة "اليمن" على كل الأجزاء الواقعة في الجنوب من الكعبة المشرفة .

٢ - أن بعض أولئك الجغرافيين ربما تأثروا بالعامل الإداري والسياسي معاً ، ففي الوقت الذي دونوا فيه مدوناتهم كانت شبه الجزيرة العربية مضطربة إدارياً وسياسياً ، وبالتالي فهناك قوى سياسية في اليمن (صنعاء وما حولها) أو في الحجاز (مكة المكرمة وما حولها) وبالتالي حددوا موقعها ضمن الإطار الإداري لليمن أو للحجاز تبعاً للقوة المسيطرة وامتداد نفوذها إلى نجران سواء كانت هذه القوة من اليمن أو الحجاز .

٣ - في الفترة الزمنية التي يعالجها هذا الكتاب كانت جميع بلاد الحجاز واليمن وأحياناً اليمامة والبحرين تابعة إدارياً لوالي الحجاز الذي كان مقره في الغالب مكة المكرمة وأحياناًيتخذ من المدينة المنورة أو الطائف مقراً له ، ثم يرسل من قبله أمراءً أو جباة للزكاة إلى كل البلدان والأعمال الممتدة من الحجاز إلى اليمن ، وبالتالي فان نجران تتبع إدارياً وسياسياً لوالي مكة المكرمة الذي هو الآخر يستمد قوته من خليفة المسلمين سواء كان في المدينة المنورة في فترة الخلافة الراشدة أو من دمشق، ايام خلفاء بني أمية، أو من بغداد، أيام خلفاء بني العباس (١) .

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر العلي " ادارة " ص ٣- ٥٧ ، Husain,pp.16 ، أيضاً انظر الفصلين الثاني والثالث من هذا الكتاب .

٢ - أصل تسميتها :

إن تسمية بلاد نجران تعود إلى شقين : شق لغوي ، وآخر نسبي . فـالنّجْرُ في اللغة هو القطع فيقال :- نجر النجار ، أي قطع العود ونجره . ويقال : النَّجْـرُ عمـل النجار ونحته ، والنَّجْرُ أيضاً هو نحت الخشبة ، ونجارة العود ، ما انتجت منه عند النجر، والنجار صاحب النجر وحرفته النجارة [١] .

والنجـران : هو الخشبة التي تدور فيها رجل الباب [٢] فيقول الشاعر :

وصَبَبْتُ الماء في النَّجْرانِ صَبّاً ... تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ [٣]

ويذكر ياقوت الحموي أن النجران : هو خشبة يدور عليها رتـاج البـاب [٤] ويدلل على ذلك شعراً فذكر البيت التالي :

وصَبْتُ الباب في النَّجْرانِ حتى ... تَرَكْتُ البابَ ليس له صريرُ [٥]

والمقصود بالرتاج ، أي الإغلاق ، فيقول ارتج الباب أي أغلقه إغلاقاً وثيقـاً ، وأنشد الشاعر قوله :

ألم تَرَيْ عاهدْتُ ربي وإنني ... لَبيْن رِتاجٍ مُقْفَلٍ ومَقام [٦]

وفي الحديث : إن أبواب السماء تفتح ولا تُرْتَجُ ، أي تغلق ، وفي الحديث أيـضاً: جعل ماله في رتاج الكعبة، أي فيها فكني عنها بالباب، لأن منه يُدخل إليها [٧].

---

(١) انظر إبن منظور ، فعل " نجر " جـ ١٤ ، ص ٥١ .
(٢) إبن منظور ، جـ ١٤ ، ص ٥١ .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) إبن منظور ، فعل " رتج " جـ ٥ ص ١٣٠ .
(٧) المصدر نفسه .

أما تسمية نجران النسبية فتعود إلى نجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلهـا ، وإنمـا صـار إلى موضع نجران لأنه رأى رؤيا فهالته فخرج حتى انتهى إلى وادٍ فنزل به فسمي نجران به [١] ، وفي رواية أخرى ورد اسم نجران بن زيد بن سبأ [٢] . وهكذا نجد أن تسمية نجران سواء لغوياً أو نسبياً تكاد تكون مكملة لبعضها البعض ، فاذا قلنا إن النجران خشبة تدور (أو) يدور عليها رجل (أو) رتاج البـاب ، فهذا صحيح لأن موقع نجران تُعدُّ فعلاً شبيهة بالخشبة التى تدور عليها رجل الباب ، وذلك لأهمية موقعها الذي تحتله ، وهذا الذي أكسبها ميزة مهمـة جعلتها محط التقاء القوافل التجارية بين اليمن والحجاز وأطراف شبه الجزيرة العربية الأخرى ، كما أن موقعها أيضاً أكسبها قوة اقتصادية نتيجة لتنـوع محاصيلها الزراعية ، ولأن سوقها التجاري يأتي ضمن الأسواق النشطة والمهمة في شبه الجزيرة ، وإذا نظرنا إلى الشق النسبي من الاسم نجده جاء أيضاً مكملاً للشق اللغوي حيث صارت المنطقة ملتقى للعديد من القبائل العربية التي نزلتها واستقرت بها منذ أن انتجعها نجران بن زيد (زيدان) بن سبأ المهـاجر مـن اليمن ، فعرفت المنطقة باسمه لكونه ساهم باسـتقراره في هـذا الـوادي في اجتماع هذه القبائل هناك وبالتالي في نهضتها العمرانية .

---

(١) ياقوت ، حـ ٥ ص ٢٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ولمزيد من التفصيلات عن فروع قبائل اليمن قبل الإسلام بما فيهم أولاد زيد بن سـبأ بـن يشجب بن يعرب ، انظر الأصمعي ، ص ٥٦ وما بعدها .



ثانياً : التركيبة السكانية لمجتمع نجران :

تشير المصادر إلى أن التركيبة السكانية لمجتمع نجران في معظمها تقوم على العرب الخُلّص ، وكانت قبيلة مذحج هي أشهر قبائل نجران ، وإن سبقهم في الإقامة هناك قبائل جرهم الأولى (١) ، ويؤكد ذلك ما أورده ابن حبيب من أن العاقب ، والسيد ، والأسقف وغيرهم الذين وفدوا على النبي ﷺ كانوا من بني الأفعى سكان نجران الأولين من جرهم الأولى (٢) . وقد جاء في تاريخ الطبري من أنه وصل خبر وفاة الرسول ﷺ إلى نجران وأن من بها من بني الأفعى أربعون ألفاً (٣) . وتتابع كتب التراث حديثها عن سكان نجران فتشير إلى أنه قد انتجعها بنو الحارث وهم من مذحج بالإضافة إلى أقوام من الأزد وكانت السيادة لبني عبد المدان من مذحج في فترة من الفترات ، وإن كانت هناك إشارات تذكر أن الأزد كانت لهم السيطرة لبعض الوقت ، ثم سرعان ما اندمجوا في بني الحارث (٤) .

وليس هناك من شك أن تكون السيادة في قوم وهناك الأكثرية التي تُحكم ، فبنوا الحارث تستمد قوتها وتفرض سيادتها للتفوق الأدبي الذي يتسم به بنو عبد المدان ، أولاً من عصبيتها المذحجية القبيلة القوية المعروفة والتي تنحدر من زيد بن كهلان (٥) . أما الأكثرية

---

(١) إبن حبيب ، المحبر ، ص ٣٢ ، جواد علي ، جـ ٥ ، ص ٦٣٩ ، دلال ، ص ٢٥ ، وقد وردت أسماء العديد من قبائل العرب البائدة التي سكنت شبه الجزيرة العربية ، وبعضهم ربما سكن بلاد نجران ، ومن تلك الأقوام : عاد ، والأنباط ، وحضور ، وثمود ، والعماليق ، وثابر ، ولحيان ، وطسم ، وعبد ضخم ، وجديس ، وقيتبان ، انظر العقيلي ، ص ٣٧ .

(٢) إبن حبيب ، المحبر ، ص ٢٣٢ للمزيد انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها ، الأصمعي ، ص ٥٧ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢، ص ٣٠٦ .

(٣) انظر العقيلي ، ص ٤١ (نقلاً عن الطبري) .

(٤) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ ، المسعودي ، مروج ، مج١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ ، الهمداني ، صفة ، ص ١٨١ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٧ .

(٥) لمزيد من التفصيلات انظر ، إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٤١٦ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ جـ ٢ ص ، ٣٠٦-٣٠٧ .

فهم جرهم التي ضعفت عصبيتها ، وإن احتفظت بجوهر عنصرها العربي الجرهمي [١] . وتُعَدُّ قبيلة مذحج [٢] من القبائل العربية الأولى التي سكنت نجران و لم نعثر فيما كتبه المؤرخون وأهل النسب على ما يحدد الفترة الزمنية التي استوطنت فيها هذه القبيلة مدينة نجران ، ويمكننا القول إن وجودها بنجران يعود إلى ما قبل حادث سيل العرم الذي أصاب مأرب وتصدع فيه سدها [٣] . وينهض دليل على ذلك ما ورد في بعض المصادر من أن القبائل اليمانية التي هاجرت في حدود سنة ١١٨م [٤] ، إثر حادث السيل المذكور قد مرت في طريق هجرتها بنجران ، وكانت تقطنها وتسيطر عليها مذحج ، ولمذحج بطون كثيرة ، منها بنو الحارث بن كعب وكانت لهم السيادة بنجران ، والقبائل اليمانية ، التي هاجرت جميعها تنسب إلى جدها الأعلى قحطان [٥] ، فاتجهت نحو الشمال الشرقي من مدينة مأرب ، وعند خروجهم كانوا يريدون أرضاً تجمعهم لأنهم تفرقوا [٦] ، فقسم ذهب إلى السواحل الغربية للخليج العربي ، واستقر أكثرهم في عمان ، أما القسم الأكبر فقد ذهب إلى تهامة اليمن ، موطن قبائل عك وأشعر ، حيث استقروا على مقربة من مستنقع غسان

---

(١) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٣٠٦

(٢) مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان . انظر إبن حزم ، ص ٤٨٥ . ومذحج أحدى القبائل الكهلانية الكبرى، ومواطنها الأصلية في المنطقة الشرقية من اليمن وفي بلاد السراة وغيرها مثل: سعد العشيرة بتهامة ، بنو عبد المدان بنجران ، الرها ، شمران ، الحكم بن سعد العشيرة ، صعب ، حرب التي نزلت (في القرن الثالث الهجري) بين مكة والمدينة ، جعفي شمال صعدة ، أنيس ، اسعد ، زُبيد ، أود ، مازن ، مراد ، عنس ، بنو الحرث بن كعب ، بنو مسلية ، لمزيد من التفصيلات انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ وما بعدها . المقحفي ، ص ١٧– ١٨ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٤٥٤– ٤٤٥ .

(٣) انظر الأصمعي ، ص ٨١ و ما بعدها ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٧٠–٣٧٤ ، إبن حزم ، ص ٣٣١ ، المقدسي ، البدء جـ٣ ، ص ١٩٥ ، جـ ٤ ، ص ١١٧–١١٨ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ ، القلقشندي ، صبح ، جـ ١ ، ص ٢٢٨–٢٢٩ ، البغدادي ، ص ٢٨–٣١ .

(٤) الحكمي ، تاريخ اليمن ، ص ١٨١ .

(٥) إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، ٣٦١ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٣٢٩ .

(٦) المسعودي ، مروج ، مج١ ، جـ٢، ص١٧٠ وما بعدها ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ص ٢٨٥ وما بعدها.

بين نهري زبيد وريمة [١] . ولعل أكبر هذه القبائل التي هاجرت من اليمن قبيلة الأزد [٢] ، بزعامة عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف وأبنائه ، وهم: وادعة، وذهل ، وعمران، وحارثة [٣] ، وقد ذهب وادعة إلى بلاد همدان واستقر بها ، وأما ذهل فقسم من أبنائه اتجه إلى نجران واستقر بها حتى إن أحدهم وهو ، إيليا أصبح أسقفاً عليها [٤] ، أما حارثة ويسميه المسعودي أبو حارثه والصواب حارثة بدون أبو ، وربما كانت " أبو " تصحيفاً من الناسخ للمسعودي [٥] ، فقد ذهب هو وعشيرته من الأزد إلى نجران واستقروا بها إلى جوار قبيلة مذحج ، وبمرور الوقت انتسبوا في مذحج ، وانصهروا فيها ، وتلاشت قبيلتهم [٦] ، ويضيف المسعودي أيضاً أن حارثة هذا هو جد الحارث بن

---

(١) الحكمي ، تاريخ ، ص ١٨١ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ وما بعدها ، إبن خلدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥-٢٨٦ ، وللمزيد من التفصيلات عن تفرع قبائل الأزد انظر الأصمعي ، ص٧٥ وما بعدها ، الهمداني ، صفة ، ٣٧٠ – ٣٧٤ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٣ ، ص ١٩٥ ، الجرافي ، ص ٧٣-٧٤ ، المقحفي ، ص ١٨ وما بعدها ، الخطيب ، ص ٢٨-٣١ .

(٢) الأزد : من القبائل العربية اليمنية الكبيرة المشهورة ، وتنسب إلى أزد بن يغوث بن النبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان . انظر الأشعري القرطبي ، ص ١٧٣ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٣٢٩ ، ٤٨٤ . المسعودي ، مروج مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٦١ ، المقحفي ، ص ١٩ . والأزد أربعة أقسام ، منهم : أزد شنؤه (مخلاف باليمن ينسب إلى هذا الفرع) ، ونسبتهم إلى كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد . وكانت منازلهم ببلاد السراة . وبطون الأزد كثيرة منها الأوس والخزرج ، وخزاعة ، ومازن ، وبارق ، والمع ، والحجر ، وراسب ، وغامد ، وزهران ، وعك ، ودوس ، وغسان وغيرهم . انظر المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ص ١٧٠ وما بعدها ، المقحفي ، ص ١٩ ، المسري ، ص ٤٨ .

(٣) إبن حزم ، ص ٣٢٩ وما بعدها ، وللمزيد من التفصيلات عن قبائل الأزد قبل وبعد انهدام سد مأرب انظر ، الأصمعي ، ص ٧٧ وما بعدها ، الخطيب ، ص ٢٨-٣١ .

(٤) إبن حزم ، ص ٣٣١ .

(٥) إبن حزم ، ٣٣١ ، ٣٦٧ .

(٦) المسعودي ، مروج ، مج ١ جـ ٢ ، ص ١٧٢-١٧٣ .

كعب [١] ، والتي أصبح لعشيرته السيادة في نجران وأعمالها [٢] ، حتى إن وادي نجران الكبير الذي يخترق المدينة من الشمال إلى الجنوب صار ضمن ممتلكات بنو الحارث [٣]، بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد [٤]، ويضيف ابن خلدون إلى أن بعض فخوذ الأزد نزلت نجران وشاركت المذحجيين في حكم نجران [٥]. وفي اعتقادي أن رواية المسعودي [٦]، التي تقول إن بعض الأزديين قد جاوروا المذحجيين في نجران ثم انصهروا بمرور الوقت في قبيلة مذحج، ربما تكون أقرب للصحة من رواية ابن خلدون [٧] ، يؤيدنا في ذلك استمرار السيادة في بني الحارث على نجران ، إلى أن انتقلت الرئاسة إلى أسرة جديدة تنتمي لنفس القبيلة عرفت ببني ديان أو (زيان) من سلالة يزيد الملقب بديان ، ومن أبنائه عبد المدان ، وكان أب أو جد يزيد بن عبد المدان الذي قابل رسول الله ﷺ واعتنق الإسلام في السنة العاشرة للهجرة [٨] وقد اشتهر آل عبدالمدان

---

(١) المصدر نفسه ، لمزيد من التفصيلات عن نسب الحارث بن كعب ، انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ وما بعدها .

(٢) المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٤ ، الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٣ ، المسري ، ص ٤٨ .

(٤) ولد الحارث بن كعب ، كعب ، وربيعة ، فولد كعب بن الحارث بن كعب ، ربيعة ، ومالك ، ومن بني مالك ابن كعب بن الحارث بن كعب : بنو عبد المدان ، وأسمه عمرو بن الديان ، واسم الديان يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب ، وهم بيت مذحج وأخوال الخليفة العباسي (أبو العباس السفاح) انظر ، إبن حزم ، ص ٤١٦-٤١٧ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٣٠٧ .

(٥) إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٦) المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢-١٧٣ .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) لمزيد من التفصيلات عن بني الحارث وبني الديان المذحجيين وعن قوة نفوذهم الإداري والسياسي في نجران ، انظر : إبن حزم ، ص ٤١٦-٤١٧ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦-٣٠٧ ، الحكمي ، تاريخ اليمن ، ص ٢٩٨ ، العقيلي ، ص ٤٤ .

بن الحارث ابن كعب المذحجيون ، واتخذوا من مدينة نجران حاضرة لهم منذ العصر الجاهلي [١] ، وذاع صيتهم في أنحاء شبه الجزيرة ، لما عرفوا به من الشجاعة ، والقوة وامتداد النفوذ ، وقد بلغ إعجاب العرب بهم حد مدحهم في أشعار شعرائهم ، فأنشد أحدهم قائلاً عنهم :

تَلُوثُ عِمَامَةً وَتَجرُّ رُمْحَاً كَأَنَّكَ مَنْ بَنِي عَبْدِ المَدَانِ

ونهض بنو عبد المدان بنجران فعرفوا بحبهم للتشييد والبناء ، فأقاموا في نجران بناءاً عُرف باسم (كعبة نجران) [٢] ، وقد بلغ بنو الحارث حدّاً من الشهرة والاستقلالية حتى صارت كلمة بني الحارث لا تقال إلا لهم ، ولا تنصرف إلا اليهم عند الإطلاق ولا يقال لهم مذحج لشهرتهم التي فاقت القبيلة الأم [٣] .

وكان تحصن ملوك بني الحارث آل عبد المدان في قريتهم (هجر) بنجران ، والتي تتوسط ديار مذحج ، فكانت من المناعة بحيث استعصى غزوهم ، وصارت بلادهم مقصداً للشعراء والأدباء الذين مدحوهم طمعاً في أعطياتهم ومنهم أعشى قيس الذي قال فيهم :

---

(١) إن قبيلة مذحج ذات فروع متعددة وديار واسعة ، فكانت تمتد ديارهم من الجنوب الشرقي لمدينة صنعاء إلى ما جاوز تثليث شمالاً وتميل إلى جازان غرباً ، وكانت ذات بأس ومنعة ، فكانت تغير على أواسط نجد ، فخشيتها القبائل وهابتها ، وكان الشرف والمنعة والرئاسة فيها في بني الحارث بن كعب ، ثم يليها مراد ، وشوكة مراد كانت زُبيد ، ومن زُبيد عمر بن معد يكرب الزُبيدي ، صاحب الصمصامة . ومن فروع مذحج الأخرى والتي كانت موجودة في بلاد السراة أثناء ظهور الإسلام، العنسيون، وسعد العشيرة، والمراديون ، والجعفيون ، والرهاويون ، والنخعيون ، وغيرهم كثير. وكتب السير والتاريخ العامة مليئة بالتفصيلات عن هذه العشائر المذحجية وكيفية دخولها في الإسلام، وكيف برز منها رجال كثيرون شاركوا في بناء الحضارة الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها . لمزيد من التفصيلات انظر : إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ص ٢٦٧ وما بعدها ، المقحفي ، ص ١٧-١٨ الفقي ، ص ١١-١٨ الحديثي ، ص ٩٩-٢٠٧ ، الشجاع ، ص ٧٧ وما بعدها ، دلال ٢٠٩ وما بعدها .

(٢) للمزيد انظر ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ٢ ، ص ٦٠٢ ، ياقوت ، جـ ٥ ص ٢٦٨ .

(٣) للمزيد انظر ، البكري ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْــ ـكَ حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوَابِــهَا
تَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ المَسِيحِ وَقَيْساً هُمُ خَيْرُ أَرْبَابِهَا [(١)]
إِذَا الحِبَرَاتُ تَلُوَّثْ بِهِــم وَجَرُّوا أَسَافِــلَ هُدَّابِهَــا
لَهُمْ مَشْرَبَاتٌ لَهَا بَهْجَةٌ تَرُوقُ العُيونَ بِتَعْجَابِهَا [(٢)]

وقبيلة مذحج التي ينتسب اليها بنو الحارث قبيلة عظيمة شملت تحت مظلتــها عشائر وقبائل أخرى عديدة ، وكانت هي المسيطرة على معظم المناطق الممتدة من شمال صنعاء إلى بلاد تثليث وجرش (منطقة عسير الحالية) وقد استمرت السيادة والرئاسة فيها على هذه النواحي منذ عهود سابقة للإسلام حتى العصور الإسلامية الوسيطة ثم تلاشت وكان آل عبد المدان بن الحارث بنجران ضمن عشائر مذحج التي لم نجد لها ذكراً بعــد القرنيين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلادي) [(٣)] . والسؤال الذي يفرض نفسه هو : هل اختفت واندثرت هذه القبيلة الكبيرة ؟ والجواب : أن القبيلة العربية لا تندثر وقد لا تغادر ديارها بأجمعها ، غير أن الظروف وطول الزمن يدخل على تشكيلها القبلي تغيرات، فقد يحدث بين بطونها نزاع فتلحق كل قبيلة بقبيلة مجاورة قوية،

---

(١) هؤلاء من بني عبد المدان بن الديان من بني الحارث ، وكــان يزيــد هــذا رأس القــوم . انظــر : إبن حزم ، ص ٤١٦ ، إبــن خلــدون ، تــاريخ ، جـــ ٢ ، ص ٣٠٦ ، يــاقوت ، جـــ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٢) ياقوت ، جــ ٥ ، ص ٢٦٨ ، كان القوم نصارى ، فاعدوا لهم غرفاً خاصة بشرب الخمر ، فلما دخل بعضهم الإسلام اذهب الله عنهم ذلك ، واندثرت كعبة نجران .

(٣) يقول إبن خلدون : " ولم يزل الملك بنجران في بني عبد المدان ، ثم في بني أبي الجواد منــهم ، وكــان منهم في المائة السادسة عبد القيس بن أبي الجواد ، ثم صار الأمر لهذا العهد (يقصد ابــن خلــدون في عصره هو خلال القرن الثامن الهجري) إلى الأعاجم شــأن النــواحي كلــها بالــشرق " تــاريخ ، جــ ٢ ، ص ٣٠٧ .

مثلما حدث مع بجيلة وعدوان [(١)]. وقد يتغير اسم القبيلة نتيجة عوامل لم نستطع معرفتها، مثل هوازن التي تنطوي جل فروعها اليوم تحت اسم عتيبة . وبالتالي فقبيلة مذحج انضوت فروع عديدة منها تحت اسم " قحطان " المعروفة في وقتنا الحالي ، كما بقيت لها فروع كثيرة مستقلة مثل : مراد ، وعنس ، وهي موجودة في جمهورية اليمن العربية إلى وقتنا الحاضر [(٢)] .

وإذا كانت بعض عشائر الأزد - كما أسلفنا - قد جاورت ثم انصهرت مع بني الحارث المذحجيين في نجران [(٣)]، فربما أنه حصل لهم ما حصل لقبائل مذحج التي انضوت تحت مسمى قبائل وعشائر قحطان الحالية [(٤)] ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه ما الأصول التاريخية التي ترجع إليها العشائر والقبائل الساكنة لنجران في عصرنا الحالي ؟ [(٥)] وبخاصة أن بعضها بالتأكيد ترجع جذورها في منطقة نجران للفترة الزمنية التي يعالجها هذا الكتاب مثل : الياميون ، والصيعريون ، والنهديون وغيرهم ،

---

(١) للمزيد عن قبائل بجيلة وعدوان ، انظر ، إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ٣٤٣ ، الأشعري ، القرطبي ص ٩٦ ، إبن جريس ، دراسات ، ج ١ ، ص ٦٧ ، ٨٧ .

(٢) نجد الهمداني يشير إلى عدد من العشائر والبطون الموجودة إلى يومنا هذا ضمن قبيلة قحطان مثل : جنب ، وسنحان ، وعبيده ، وبنو بشر ، وبنو شريف ، ووادعة ، وبنو هاجر ، وغيرهم ، ومعظم هذه العشائر من بقايا قبيلة مذحج القديمة وقبيلة قحطان المعروفة اليوم تنقسم إلى قسمين قحطان الجنوب ، وقحطان نجد ، فاما قحطان الجنوب فتمتد ديارها من قرب ظهران الجنوب جنوباً ، آخذة شمالاً على راحة وسراة عبيدة مائلة غرباً على سراة جنب ، ثم شمالاً إلى قرب خميس مشيط ، وأما الثانية (قحطان نجد) فتمتد ديارها من الشمال الشرقي لخميس مشيط وتكون قاعدتها تثليث ، ثم تتوغل شمالاً إلى الحصاة وشرقها في اقليم اليمامة . لمزيد من التفصيلات انظر : الهمداني ، صفة ، ص ١٦٦ ، ١٨١ وما بعدها ، البلادي ، ص ٦٨-٧٢ . انظر أيضاً شجرة مذحج القديمة في نهاية هذا الكتاب ، ملحق رقم (١) .

(٣) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ص ٢٦٨ ، إبن حزم ، ص ٣٣١ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ١ ، ص ١٧٠ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٦ .

(٤) الهمداني ، صفة ١٦٦ ، ١٨١ ، البلادي ، ٦٨ - ٧٢ .

(٥) من يزور نجران اليوم يجد أن معظم سكان نجران من اليامين والصيعريين ، والنهديين وغيرهم ، بل سيجد اسماء كثيرة من العشائر ، والأفخاذ ، والبطون ، لكن لو بحثنا في كتب النسب نجد أن معظمهم لا يخرج عن نسب هذه القبائل الكبيرة الآنفة الذكر .

ولهـــذا سوف نلقي الضوء عليهم في الصفحات التالية في محاولة لمعالجة الجـــذور التاريخية لهم لكونهم من سكان نجران خلال القرون الإسلامية الأولـــى .

فقبيلة يام تنحدر أساساً من القبيلة الكبيرة (همدان) ونسب همدان هو : همدان ابن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان [١] ، وهمدان ذات فروع كثيرة في الجاهلية وصدر الإسلام ، حتى أصبحت من أعظم قبائل شبه الجزيرة العربية بين مكة المكرمة والبحر العربي ، وكان منها الملوك والأقيال ، ثم إنها اندمجت في فرعين عظيمين من فروعها هما : حاشد بن جُشم بن حبران بن نوف بـــن همدان ، وبكيل أخو حاشد ، وبالتالي صار اسم (حاشد وبكيل) يعني همدان والعكس يؤدِّي المعنى نفسه [٢] .

ومنذ صدر الإسلام أصبحت حاشد وبكيل جيشاً قويـــاً ومرهـــوب الجانب ، وفي أواخـــر القرن الثالـــث الهجـــري (التاسع المـــيلادي) جاء الإمام " الهادي إلى الحق" [٣] إلى صعدة فناصره من ناصره من همدان،

---

(١) انظر إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ٢ ص ٥٠٩ وما بعـــدها ، إبـــن حـــزم ، ص ٣٩٢–٣٩٥ ، ٤٧٥–٤٧٦ ، الأشعري القرطبي ، ص ١٨٩–١٩٥ ، جواد علي جـ ٤ ، ص ١٨٦ البلادي ، ص ١٢٥ وما بعدها . وراجـــع شجرة هذه القبيلة في نهاية هذا الكتاب تحت ملحق رقم (٢)

(٢) المصادر نفسها، ولمزيد من التفصيلات، انظر الأشعري القرطبي، ص ١٨٩–١٩٥ إبن حـــزم، ص ٣٩٢–٣٩٥ ، ٤٧٥–٧٤٦ ، البلادي ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٣) هو الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الحسني العلوي الرسي – نسبة إلى الرّس أحد جبال قرب المدينة – ولد بالمدينة سنة (٢٢٠ هـــ) وكان يسكن الفرع شمال المدينة مع بعض عمومته وأقربائه . وكان فقيهاً عالماً ورعـــاً عادلاً شجاعاً مغواراً، وقد ألف كثيراً من الكتب في العقيدة. دعته همدان إلى اليمن – وهمدان نصرت آل البيت من أيام الإمام علي– فتوجه إلى اليمن ونزل صعدة واتخذها قاعدة له، وعاضدته همدان وناصبته بنو الحارث بن كعـــب العداء، وملك معظم اليمن، وفتح نجران، وقاتلها مراراً وخطب له في مكة سبع سنين، وضـــربت الـــسكة باسمـــه، وخوطب بأمير المؤمنين، ولقب بالهادي إلى الحق. ظهر في عهـــده أبو الفضل القرمطي الذي تغلب على كثير مــــن بلاد اليمن، وتوجه إلى الكعبة ليهدمها سنة (٢٩٨هـــ) فقاتله الهادي إلى الحق. وعاجلته الوفاة ودفن في جامع صعدة سنة (٢٩٨ هـــ) كان ذا قوة خارقة يمسك حبة الحنطة بيده فيطحنها، وكان اسم فرسه الذي يقاتل عليه (أبـــو الجماجم). انظر: شرف الدين، اليمن، ص ٢٤٥–٢٦٢ ، للمؤلف نفسه، تاريخ الفكر ، ص ١٠٥ وما بعدها .

وعارضه من عارضه ، إلا أن النتيجة كانت اعتناق همدان المذهب الزيدي [١] .

ونسب يام هو : يام بن أصبي بن دافع بن مالك بن جُشم بن حاشد [٢] ، فهي بذلك فرع من حاشد بن همدان ، وقد أولد يام بن أصبي جُشم ومذكراً ، وهما فرعا يام إلى يومنا الحاضر ، وكان من يام رجال معدودون قادة وشعراء وعلماء في الجاهلية والإسلام ، وكانت يام تدعى في الجاهلية (قتلة جبالها) وفي الإسلام (يام القرى) وذلك أنهم كانوا يقتلون الرجل الجبان منهم حتى لا يولد له فيهم فيتفشى الجبن بينهم [٣] .

ولمعرفة مواطن قبائل يام في القرون الإسلامية الأولى ، فإننا نجد الهمداني خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) يذكر يام في موضعين متباعدين أحدهما قرب مأرب [٤] والآخر في نجران وحبونة (حبونن)[٥] ، ثم يشير إلى الموطن الثاني ، وهو يصف سيل نجران : " **ويتقدم في شوكان [٦] ، من أعلى نجران ، فيسقيه وينتهي في الغائط، ثم يعترض بين نجران وتثليث أودية مثل حبونن وغيره من بلاد وادعة، وبلد يام، وزُبيد ، وبلد سنحان ، وبلد حنب** " [٧] .

---

(١) وقد أصبح معظم جيش الأئمة الزيدية في اليمن من حاشد وبكيل الهمدانية ، كما أن قبيلة همدان لها تاريخ طويل في التاريخ الإسلامي سوءاً أن كان في شبه الحزيرة العربية ، أو خارجها اثناء الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين (رضوان الله عليهم) أو حتى في عهود خلفاء بني أمية وبني العباس .

(٢) الهمداني ، الإكليل ، جـ ١٠ ص ٦٨ – ٧٤ ، الوزير المغربي ، ص ٢٧٧ انظر أيضاً ، البلادي ، ص ١٢٥ ، philby,pp.245–7 .

(٣) انظر ، البلادي ، ص ١٢٥ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ١٥١ ، البلادي ، ص ١٣٠ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ١٦٦ ، ٢٥١ .

(٦) انظر الهمداني ، صفة ص ١٦٦ ، حاشية (٢) .

(٧) الهمداني ، صفة ، ص ١٦٦ .

وفي مكان آخر يتحدث عن وادي المنبج [١] فيقول : " **إن فروعه من بلد يام القديمة ، وبلد مرهبة ، وكلاهما من همدان** ..." ثم نجد الهمداني يذكر بوضوح وجود يام في نجران ويشير إلى أنهم لا يمثلون أغلبية عددية بين سكانها [٢] فيقول : " **ليام وطن بنجران نصف ما مع همدان منها ، ثم بلدهم يطرد عليها ناحية الحجاز إلى حدود زُبيد ونهد من ناحية حارة وما يليها ، وهي حارة ، وملاح ، وسمنان ، فإلى ما يصالي خليف دكم من أعالي حبونن ... والحظيرة ، وبدر ، وصيحان ، وقابل نجران ، وهدادة** " [٣] .

ونستخلص من النص السابق للرحالة اليمني الهمداني قِدَم ديار يام الحالية ، فكل من بدر ، وهدادة ، وسنحان روافد لوادي حبونة (حبونن) كما أننا نجد هذا الرحالة يشير في مكان آخر من كتابه إلى طريق الحج من حضرموت إلى الحجاز فيقول : " **أما محجتها (يقصد حضرموت) السفلى فمن العبر في شيئز** [٤] **، صيهد إلى نجران شبه من ثمانية أيام من نجران حبونن ، وهو واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان وهي كثيرة الأراطي** ..." [٥] .

وفي مكان آخر يذكر الهمداني أن ليام زرع في نجران فيقول : " **من ذلك الذرة بنجران في قابل يام من ناحية رعاش ، وراحة يكون في قصب الذرة مطوان وثلاثة وأكثر**..." [٦] .

---

(١) المنبج بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء الموحدة آخره جيم ، اسم لموضع معروف سمي بذلك لما نبج منه الماء أي : نبع ، انظر الهمداني ، الأكليل ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، للمؤلف نفسه ، صفة ، ص ١٦٢ حاشية (٣)

(٢) لأن السيادة والأغلبية كانت آنذاك في بني الحارث بن كعب المذحجيون كما أسلفنا .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥١ .

(٤) الشيئز : هو المائل عن الجهة ، يقال هذا شيئز هذا ، أي غير مقابل له بل يميل عنه إلى جهة أخرى ويقال فلان يجزع شيئزاً ، أي منحرفاً عن الجادة ، وهي لهجة يمنية مستعملة . انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٢ حاشية (٢) .

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ .

ومع مرور السنين تمكنت يام من نجران حتى أصبح ملازماً لاسمها ، فلا يذكر نجران إلا وتذكر معه [(١)]. وبالتالي صارت ديار يام ، حتى وان امتدت شرقاً وشمالاً مسافات بعيدة ، فإن عاصمتها نجران ، التي كانت عاصمة بنو الحارث المذحجيون من قبلها ، وما عداه صحراء جرداء تتخللها بعض الواحات أو الأودية مثل حبونن ويدمة [(٢)] .

ويورد عاتق البلادي وصفاً مبسطاً لمواطن يام في وقتنا الحالي فيقول : " ولا تبعد ديار يام جنوب نجران ، إذ يحدها الجبل المشرف على نجران من الجنوب على شعوف جبل (رير) وعقبة نهوقة ، ولا تبعد كثيراً شمالاً إذ تقف قبل ظهران الجنوب الذي يبعد عن نجران (١٠٠) كيلاً في الشمال الغربي ، وتقف عند بدر أو وراءها بقليل ، حيث تبدأ ديار قحطان ، ولكنها تمتد شرقاً إلى ما وراء شرورى [(٣)]، أي ما

---

(١) البلادي ، ص ١٣٢ ، كما أن الباحث ذهب إلى نجران خلال العام الدراسي (١٤٢٣/١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢/٢٠٠٣م) وشاهد الكثير من معالم ومواطن نجران ، وسوف نواصل دراستنا (باذن الله تعالى) عن نجران لنخرج في المستقبل القريب دراسة تاريخية حضارية شاملة عن نجران في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة حتى العصر الحديث .

(٢) ويدمة : تقع إلى الشرق تماماً من خميس مشيط ، في منطقة عسير، وتبعد عنه قرابة (١٣٠-١٤٠) كيلاً بالمسافة الأفقية ، وبالتالي فأرضها وعرة المسالك ، وهي آخر ديار يام مما يلي الشمال ، بل وهي آخر حدود إمارة نجران . أشار اليها الهمداني عند حديثه عن موارد بني الحارث بن كعب في نجران فقال : " عداد مياه بالحارث مما يصلي الهجيرة حمى ماء بأطراف جبال غاذ بين مربع والغائط ، ومربع وعبالم وقد ينقطع ، وقلت يقال له يدمات ، والملحات والوزة ... " ثم واصل حديثه بعد أن ذكر موارد مياهاً كثيرة من حبونه (حبونن) ويدمة ، فقال : (و) " ... هذه اعداد شمالي بلاد بني الحارث ... " ، وهي اليوم — كما ذكرنا آنفاً — شمالي نجران بل شمالي بلاد يام ، وبنو الحارث المذحجيون انضم معظمهم إلى قبائل يام الهمدانية ، ولا يزال فخذ كبير منهم يعرف باسمه الصريح (بنو الحارث) (أو) بالحارث) . لمزيد من التفصيلات ، انظر : الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٤ ، البلادي ، ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٣) شرورى : وأحياناً يطلق عليها (شرورة) أو (شرورا) ، لم نجد لها ذكر في كتب التاريخ والجغرافيا القديمة ، وخاصة عند الهمداني فلم نجده يذكرها البته ، مع أنه أشار إلى فلاه " صيهد " وهي واسعة ، تقع شرورى في أجزاء منها اليوم . وشرورى أحد محافظات نجران الرئيسة وتبعد عن مدينة نجران حوالي ((٣٦٠)) كيلاً نحو الشرق ، ويسكنها اليوم أربع قبائل عربية كبار هي : يام من الشمال والشمال الشرقي ، وآل (ابا العبيد) ، ومنهم الكربيون من الجنوب والجنوب الشرقي ، وعشائر الصيعريه من الجنوب الغربي ، ونهد من الغرب . ومعظم هذه العشائر وبخاصة (يام ، والصيعر ، والنهديون) كانت تعيش في بلاد نجران خلال القرون الإسلامية الأولى ، وقد أشرنا إلى بعضها مثل يام وسوف نلق الضوء في الصفحات التالية على الصيعر والنهديون . انظر الهمداني ، صفة ، ص ١٥٠ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ، ٣٤٢ ، والبلادي ، ص ١٣٢-١٣٣

يقارب (٤٠٠) كيلاً من نجران ، ويأتي امتدادها اللامتناهي في الشمال الشرقي حيث تاخذ على جنبات الربع الخالي من الشمال وتتوغل فيه حسب الحاجة ، وتأخذ على السفوح الشرقية من جبل العرض ، ثم تأخذ في الأمتداد إلى ما وراء الخرج وربما أحاطت بالرياض من الشرق والشمال الشرقي ولكن ببعد في صحاري الدهناء وتعرف هناك ببني مرة والعجمان ، وتكاد قبيلة العجمان اليوم تعد منفصلة عن يام في نظر بعض الناس، ولكنها ترفض ذلك " (١) .

ومن يزور نجران في يومنا هذا يجد أن منطقة شروری إحدى محافظات نجران الرئيسة ، يوجد بها بعض قبائل يام إلى جانب عشائر أخرى ليست يامية ، وإنما أصولها كِندية أو قضاعية ، مثل قبائل الصيعر ونهد (٢) .

فأما الصيعر، ومفردهم "صيعري" فقد ذكر نسبهم الهمداني بقوله : " **الصيعر ابن أشموس بن مالك بن حُريم بن مالك (الصدف)** " (٣) ومالك أو (الصدف) يعرف أيضاً في كتب النسب بـ " ثور " أو " كندة " ، قال الهمداني (٤) قال " **علماء الصعديين** " (٥)، **وأصحاب السجل القديم ابن أبان أن مرتع بن معاوية بن كِندة بن عفير أولد ثوراً وهو كِندة ومالكاً (الصدف)** " (٦) . وقال الهمداني في مكان آخر

---

(١) البلادي ، ص ١١٠-١١٢ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن أنساب قبائل كِندة وقضاعة ، وفروعها التي تفرعت منها امثال : الصيعريون والنهديون انظر : إبن الكلبي ، نسب معد ، ص ١٣٦ وما بعدها ، جـ ٢ ص ٥٥١ وما بعدها ، إبن حزم ، ص ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٥٥١ ، ٤٧٧ ، ٤٧٩ الأشعري القرطبي ، ص ٢٥٨ ، ٢٧٢ ، ٣٠٥ .

(٣) انظر الهمداني ، الأكليل ، جـ ٢ ص ٢٥ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤ ، ولمزيد من التفصيل عن نسب كندة انظر إبن الكلبي ، نسب معد جـ١ ص ١٣٦ وما بعدها ، الأشعري ، القرطبي ، ص ٢٧٢ .

(٥) أي : أهل صعدة .

(٦) الهمداني، الإكليل، جـ٢ ص ١٤، وكندة قبيلة من كهلان في اليمن بحضرموت، ثم نزح منهم فخذ كبير إلى الحجاز فنزلوا نخلة الشامية، حيث أحد روافد نخلة باسمهم (عمر ذي كنده) ويسمى اليوم وادي كندة، وهذا الذي ذكره عمر بن ابي ربيعة في شعر فقال:

اذا سلكت عمر ذي كندة   مع الركب قصد لها الفرقد

ثم دارت حروب بين العدنانيين وفرع كندة الذي استوطن الحجاز فنزح إلى نجد وتكونت مملكة كندة هناك ، وكان من اشهر ملوكها حجر بن عمرو الملقب (بآكل المرار). لمزيد من التفصيلات عن تاريخ كندة في اليمن ، //

من كتابه صفة جزيرة العرب ، وهو يعدد فرق كندة وجيرانها فيقول : " ... **وفرقة من همدان يقال لهم المحاتل من ذي الجراب بن نشق وهم من كندة ، وفرقة من بالحارث بن كعب بريدة الصيعر ، وإليها تنسب الأبل الصيعرية والأشلة الصيعرية** " [١].

ولازال الصيعر أو (الصيعريون) يعيشون في منطقة نجران ، وبخاصة في أجزاء من محافظة شرورى إلى يومنا الحاضر ، وهم ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما : آل محمد بلّليث ، وعلي بلّليث ، وهذان القسمان ينقسمون إلى فخوذ وعشائر عديدة [٢] .

أما عشيرة نهد فهي من العشائر العربية التي تسكن اليوم أجزاء من منطقة شرورة يام ، والصيعر ، وعشائر أخرى من أصول عربية [٣] ، ومعظم المعلومات المتواترة في كتب التاريخ والأنساب تشير إلى أن قبيلة نهد تعود في أصولها إلى قضاعة [٤] ، التي كانت تسكن منطقة تهامة الحجاز وذلك عند القائلين بأن نسبها ينتهي إلى

// أو الحجاز ، أو نجد ، انظر : إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ١٣٦ و ما بعدها ، الأشعري القرطبي ، ص ٢٥٨-٢٧٣ .

(١) انظر الهمداني ، صفة ص ١٦٨-١٦٩. ولتعريف بعض المصطلحات التي وردت في نصوص الهمداني ، انظر تعريفها في حواشي كتابه ، الصفة ، حيث أورد المحقق تفصيلات عنها ص ١٦٨-١٦٩ .

(٢) البلادي ، ص ١٤٦-١٤٩ .

(٣) يذكر أن قبيلة الكرب تجاور قبيلة الصيعر في منطقة شرورة ، ولم نجد في كتب الأنساب تفصيلاً عن هذه القبيلة ، لكن يذكر أنها تنسب إلى قبيلة بلعبيد أو (بني العبيد) التي سكنت حضرموت منذ عهود قديمة ، ويذكر بعض النسابه إلى أن بلعبيد هم اساساً من الصدف أو (كندة). لمزيد من التفصيلات انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ١٦٨ ، حاشية (٧) ، للمؤلف نفسه ، الإكليل ، جـ ٢ ، ص ١٤ ، إبن الكلبي ، نسب معد ، جـ١ ص ١٣٦وما بعدها، الأشعري القرطبي ، ص٢٧٢، إبن حزم، ص٤٤٦ ، البلادي ص١٥٠-١٦٠ .

(٤) وقد اختلف في نسب قضاعة فقائل يقول هي من حمير ، وآخر يقول هي من معد بن عدنان ، وقال آخرون تزوج معد أم قضاعة وهو في حجرها ، فنشأ في بيت معد فعد من ولده . قال القلقشندي في "نهاية الأرب" هم بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ، وهذا هو المشهور فيهم ، وعليه سار إبن الكلبي وإبن اسحاق وغيرهما ، انظر القلقشندي ، نهاية الأرب ، ص ٣٦٦ ، ولمزيد من التفصيلات انظر الأشعري القرطبي ،//

معد بن عدنان [(١)] ، ويذكر البكري أنها سارت " **قبائل جرم ونهد إلى بلاد اليمن: مالك ، وحزيمة ، وصباح ، وزيد ، ومعاوية ، وكعب ، وأبوسود ، وبنو نهد ، فجاوروا مذحج في منازلها من نجران وتثليث وما والاها ، فترلوا منها أرضاً تلي السراة ، يقال لها " أُديم " وأمرهم يؤمئذ جميع ، وكلمتهم واحدة ، وغلبوا على بعض تلك البلاد ، وناكرهم طوائف من مذحج ، وطمعوا فيهم، فقال : عبدالله بن دهشم النهدي في ذلك** " [(٢)] .

لأُخْرِجَنّ صُرِيماً مِــنْ مَسَاكِنهَا والُمرَّتَين وَهَمّــامَ بــن سَــيَّارِ
لم أدْرِ ما يَمنٌ أو أرضُ ذي يَمَنٍ حَتَّى نَزَلْتُ أُديماً أفْسَحَ الــدَّارِ [(٣)]

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدي :

لَقَدْ كَانَ الحَواضِرُ مَاءَ قَومي فَأَصْبَحتِ الحَواضِرُ مَاءَ نَهْدِ [(٤)]

وقال هبيرة بن عمرو النهدي ، وهو يذكر قبائل مذحج وخثعم وتنمرهم لهم ، وتوعدهم إياهم .

وكِنْدَةُ تَهْذِي بالوعيد ومذحِجٌ شَهران من أهل الحجاز وَوَاهِب [(٥)] .

// ص ٣٣٢ ، إبن حزم ، ص ٤٤٦-٤٤٧ ، إبن الكلبي ، جـ ٢ ، ص ٥٦٥ ، ٧١٧ وقضاعه قبيلة عربية متعددة الفروع والبطون، ذهب بعض بطونها إلى كل من بلاد الشام، والبحرين، ونجد ، ومنهم من بقي في الحجاز ، وتهامة واليمن ، والأجزاء الشرقية من بلاد السروات القريبة من نجران وجرش وغيرها ، للمزيد انظر ، مقدمة ، معجم ما استعجم ، للبكري ، مج ١ ، جـ ١ ص ١٧-٥٣ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٤١٩ وما بعدها .

(١) انظر ، البكري المصدر نفسه ، مج ١ ، جـ ١ ص ١٧ ، إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٢٩٦ وما بعدها .

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٤٠ ، إبن حزم ، ص ٢٢٩ ، ٣٠٣ ، ولمزيد من التفصيلات انظر إبن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٩ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٤ ص ٤٣٠-٤٣١ ، دلال ، ص ٣٤ .

(٣) وصريم ، وهمام ، والمرتان : أي مرة بن مالك بن نهد ، واخ له آخر ، كل هذه اسماء اشخاص من عشيرة نهد ، انظر البكري ، المصدر نفسه ، مج ١ جـ ١ ص ٤٠-٤١ ، دلال ، ص ٣٤-٣٥ .

(٤) البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ٤٠ وما بعدها .

(٥) البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ٤١ .

ومن النصوص والأبيات الشعرية السابقة نستخلص أن نهداً قد تزايدت أعدادها هناك وقويت شوكتها حتى صارت تنازع قبائل كباراً من مذحج كزبيد وغيرها ، وكانت مذحج تغطي مساحة هائلة من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وأصبحت قبائل نهد وجرم مهابة الجانب ، لكن هذه الهيبة لم تعمر طويلاً وإنما حصل بينهم الشقاق ودارت الحروب بين بعضهم بعضاً فتفرقوا وتشتتوا [(١)] . فلحقت نهد بن زيد ببني الحارث بن كعب في نجران فحالفوهم واختلطوا بهم ، ولحقت جرم ربان، أبناء عمومة نهد، ببني زُبيد، فحالفوهم وصاروا معهم فنسبت كل قبيلة مع حلفائها يغزون معهم، ويحاربون من حاربهم، حتى تحاربت بنو الحارث وبنو زُبيد ، كلاهما من مذحج ، فالتقوا على بني الحارث عبدالله بن عبد المدان ، وعلى زُبيد عمرو بن معد يكرب الزُبيدي [(٢)] ويذكر أحد المؤرخين المحدثين بعض التفصيلات عن قبيلة نهد عند ظهور الإسلام، فقال إنهم كانوا " **بديار بني الحارث بن كعب شرق نجران وحبونن ، ولا تبعد ديارهم اليوم – يقصد في منطقة شرورة – عن تلك الديار (في حدود ٣٠٠ كيلاً) إذا اعتبرنا الزمن وما حدث في اليمن من حروب ، خاصة تلك التي شنها الهادي على بني الحارث [(٣)] ، وتفرقها وشتات أمرها فكان لا بد لقبيلة تريد التمسك ، ولا بد من إزاحتها تندفع إلى أضعف البلاد ، فكانت صيهد القفر فلاة لا منازع عليها ، ومنها يمكن التمدد حسب الظروف ، فكان تمدد نهد بعد ذلك إلى أطراف حضرموت حيث المياه والظل ...**" [(٤)]، ويمدنا الهمداني بتفصيلات

---

(١) المصدر نفسه . ويؤكد ذلك قول الشاعر الجاهلي ، أبو ليلى النهدي ، وهو خالد بن الصقعب ، عندما قال :

أتعـرِف الدارَ قَفْرا أم تُحَيِّيها ... أم تسالُ الدارَ عن أخبارِ أهليها
دارٌ لنهدٍ وجَرْم إذ هُمُ خُلُطُ ... إذ العشيرةُ لم تَشمتْ أعاديها
حتى رأيتُ سَرَاةَ الحيّ قد جَنَحَتْ ... تحت الضّبابة ترمينا ونرْميها
وأصبَحَ الودُّ والأرحـام بينهُمُ ... زُرقَ الأسنة مَجلُوزاً واحيها
إذ لا تشايعني نفسي لقتلهم ... ولا لأخْذِ نساءِ الهُوْن أسبيها

انظر البكري ، المصدر نفسه ، مج ١ جـ ١ ص ٤١ .

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ٤١-٤٢ .

(٣) يقصد الإمام الهادي إلى الحق الذي استقر في صعدة في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) .

(٤) انظر البلادي ، ص ١٥٩-١٦٠.

هامة عن منازل قبيلة نهد في عصره فيقول ((**بلد بني نهد: طريب ومصابة من ذوات القصص وكتنة، وأراك ... وتثليث وكان لعمرو بن معد يكرب والقرارة ، والريان ، وجاش ، ومريع ، وعبالم ... والعشتان ، والبردان، والبردان بئر بتبالة وبالعرض من نجران ، وذات إلاه ، وهي قرية الدبيل وعُشر ، وعشر بواد من ناحية صنعاء ، وعاربان وسَقُم وقريتهم الهجيرة ، والذي يسكن هذه البلاد من قبائل نهد مُعَّرف ، وحرام ، وهي أكثر نهد ، وبنو يربوع وبنوقيس وبنو ظبيان**)) [١] .

ونلاحظ مما سبق أنه ما زال لهذه الأسماء الواردة عند الهمداني ذكر حتى اليوم في بقايا مذحج (بمنطقتي نجران وعسير المعروفة في وقتنا الحاضر) ولكن الأسماء مشتركة بين الناس ، ويستطرد الهمداني في ذكر ديار نهد فيقول في موضع آخر من كتابه : ((**ثم بلد نهد من جرش إلى كتنة الهجيرة ...**)) [٢] .

وفرع عشائر نهد الموجودة في نجران وما حولها في عصرنا الحاضر تنقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي : بنو كليب ، وبنو يزيد ، واليميني (تصغير يمني) في منطقة شرورة ببلاد نجران والبعض الآخر يعيش في اجزاء متفرقة من بلاد اليمن [٣] .

هذه أهم القبائل والعشائر العربية الرئيسة التي كانت تعيش في بلاد نجران خلال العصر الجاهل، وأثناء العهود الإسلامية البكرة والوسيطة، ولازال بعضهم يعيش في البلاد المعنية بالدراسة حتى يومنا الحالي (كما أسلفنا)[٤]. كما أن نجران لم تخل من وجود عناصر أخرى ضمن سكانها ، وبخاصة إذا عرفنا تاريخها القديم قبل الإسلام ، حيث وصلت إليها عدد من الديانات قبل الإسلام ، مثل اليهودية ، النصرانية ، بل وصل إليها بعض العناصر اليونانية ،

---

(١) الهمداني ، صفة ص ٢٥٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٧-٢٥٨ . والهجيرة : كانت قرية نهد الرئيسة وقاعدهم ، وتمثل المحطة الأولى قبل تثليث مما يلي اليمن ، في شرقي جرش ، انظر ، البلادي ، ص ١٦٠ .

(٣) انظر البلادي ، ص ١٦١-١٦٢ .

(٤) يظهر أن قبائل نجران الآنفة الذكر ، والتي عاشت هناك خلال العهد الجاهلي ، وكذلك العصر الإسلامي ، لازالت هي نفس القبائل، وربما لم يختلط بها قبائل خارجية ، وذلك بسبب العزلة التي عاشتها تلك القبائل ، ثم بسبب قوتها وبطشها، بإستثناء آل المكرمي الذين انتقلوا إلى نجران بزعامتهم قبل ثلاثة قرون تقريباً من تاريخنا الحالي انظر ، دلال ، ص ٢٥ .

والرومية ، والمصرية ، والحبشية ، والفارسية ، وغيرها في هيئة جيوش عسكرية كانت قد غزت شبه الجزيرة العربية بما فيها نجران [(١)]، وأحياناً وصلتها مثل هذه العناصر في هيئة تجار وقوافل تجارية ، لأهميتها التجارية وموقعها على طريق البخور القديم بين الشرق والغرب ، ولوجود أسواق تجارية نشطة بها ، إلى جانب ثراء أرضها الزراعية ، وما يتوفر في بلادها من موارد اقتصادية متنوعة [(٢)] . كل هذه العوامل جعلت مجتمع نجران لا يقتصر على القبائل العربية فقط، وإنما إلى جانب العنصر العربي كان يوجد بين السكان عناصر أخرى عديدة مثل: الفرس، والأفارقة، والأحباش، والروم، والصقالية، وغيرهم، وكان منهم من يعيش في أرض نجران على هيئة موالي لبعض العشائر والقبائل والأسر العربية ، ومنهم من كان يعيش على هيئة عبيد أرقاء يعملون في جميع أنواع المهن والحرف الموجودة في المجتمع النجراني [(٣)] .

وهذه العناصر وجدت في المجتمع النجراني من قبل الإسلام ، واستمرت طيلة العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وقد تمكن الإسلام بعد انتشاره في نجران من تهذيب وتنظيم المجتمع النجراني ووضع الأسس والقواعد الشرعية فأصبح لكل الفئات والطبقات الإجتماعية في نجران حقوق وعليها واجبات لا بد من الالتزام بها . فالمسلمون لهم نظام يسيرون عليه يستمد تعاليمه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كذلك أهل الكتاب أو (أهل الذمة) كان لهم أيضاً نظام حياة في المجتمع النجراني يقوم على العهود والمواثيق المكتوبة بينهم وبين المسلمين في نجران [(٤)] .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن وصول بعض العناصر الأخرى ، غير العربية إلى نجران ، انظر ابن هشام جـ٢ ، ص ٢٢٢ ، جواد علي ، جـ ٢ ص ٤٣ وما بعدها ، جـ ٣ ، ٤٥٣ وما بعدها ، جـ ٦ ، ص ٦٥٩ ، الشجاع ، ص ٩٧-٩٩ ، عامر ، ص ٢٤ وما بعدها ، عابدين ، ص ٤٩ ، الفقي ، ص ٢٦ ، العقيلي ، ص ١٥-٤٤ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٥٧-١٧٠ .

(٢) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب .

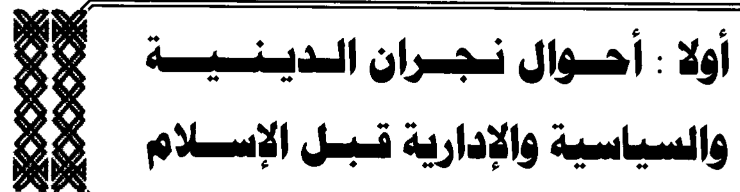
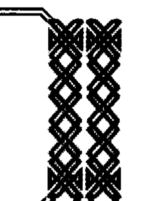
(٣) انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٤) للمزيد عن أهل الذمة في نجران انظر تفصيلات أكثر في فصول الكتاب القادمة .



الفصل الثاني

الأوضاع الدينية والسياسية في نجران خلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة

أولا : أحوال نجران الدينية والسياسية والإدارية قبل الإسلام

١ – الأحوال الدينية :

ورد ذكر لنجران في المصادر التاريخية في ثنايا القصة التي أوردها المسعودي وتدور حول أبناء نزار بن معد بن عدنان عندما أوصاهم والدهم قبل موته بأن يذهبوا إلى الأفعى بن الأفعى الجرهمي ملك نجران ليحل ما قد يقع بينهم من شقاق بعد موته ، حول الإرث بعد وفاته [١]، وبالفعل اختلف هؤلاء الأبناء على تقسيم الإرث ، الأمر الذي دعاهم إلى تنفيذ وصية والدهم ، والرحيل إلى الأفعى ملك نجران ، ليحكموه بينهم ، وبعد مداولات طويلة ، اتضح لملك نجران من خلالها أنهم أصحاب حكمة ورأي ، وأخيراً حكم بينهم فرضوا بحكمه ، لما امتاز به هو الآخر من حكمة وبعد نظر ، ومعرفة واسعة بأحوال الناس وأوضاعهم [٢] .

والذي يهمنا من ملخص القصة التي أوردها المسعودي ، وما ورد منها بشأن نجران ، وأنها كانت مملكة ذائعة الصيت على رأسها الأفعى الجرهمي في الفترة التي تلت موت نزار بن معد بن عدنان ، والتي تعود على وجه التقريب إلى القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد ، حيث تشير مصادر أخرى إلى أن عدنان كان حياً في القرن السادس (ق . م) ، وبالتالي نرجح أن أحفاده الوارد ذكرهم في رواية

---

(١) القصة مدونة بشكل مطول في كتاب المسعودي ، مروج ، مج ١ جـ ٢ ، ص ٩٠ – ٩٤ ، وللمزيد من التفصيلات انظر ، ابن حزم ، ص ٨ وما بعدها ، البكري ، معجم ، مج١ جـ ١، ص١٧ وما بعدها ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٤٤٢ .

(٢) انظر تفصيلات لقاء أبناء نزار مع الأفعى الجرهمي ملك نجران ، وما حكم بينه به من توزيع إرث والدهم ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٩٠ وما بعدها .

المسعودي (أبناء نزار بن معد) ربما عاشوا فيما بين القرنين ٥ ، ٤ (ق ، م) [١] . ثم يتواتر بعد ذلك ذكر نجران وأهلها في بطون المصادر وخاصة فيما يتصل بالناحية الدينية والمعتقدات التي كانوا عليها ، فنرى أنهم كانوا على الوثنية مثلهم في ذلك مثل سائر قبائل اليمن ، فعلى سبيل المثال كان لهم نخلة طويلة ، يقيمون لها عيد في كل عام ، فيقصدونها في موعد محدد منه، ويقيمون حولها احتفالاً عظيماً ، ويعلقون عليها كل ثوب حسن وجديد ، كما يقومون على تزيينها بحلي النساء ومجوهراتهن [٢]، وقد ظلوا على هذه السيرة يعبدون الأصنام ويتبركون بها حتى وصلت النصرانية إلى بلادهم فاعتنقوها .

وقد أفاضت المصادر الإسلامية على اختلافها في الحديث عن كيفية وصول النصرانية إلى بلاد العرب وبخاصة نجران [٣] ، وفي اعتقادنا أن النصرانية قد وصلت إلى شبه الجزيرة العربية ، وانتشرت في نجران ، في فترة سابقة للقصة التي أوردتها مصادر التاريخ الإسلامي ، والتي سوف نوردها في الصفحات التالية ، ولكن قبل الخوض في تفاصيل ما ورد في المصادر العربية في هذا الشأن نرى الإشارة إلى ما ورد في المصادر الكلاسيكية بخصوص دور الإمبراطورية البيزنطية في نشر تلك الديانة السماوية في أرجاء العالم القديم ومن بينها جزيرة العرب ، فتشير تلك المصادر إلى أن النصرانية نشطت في أجزاء عديدة من العالم يوم اعتنقها الإمبراطور (قسطنطين) سنة ٣١٣م [٤]، وبالتالي فإن الإمبراطورية البيزنطية بقيادة هذا القيصر بدأت تعمل جاهدةً لنشر المسيحية في مواطن عديدة بهدف التوسع السياسي على حساب نشر العقيدة النصرانية ، فسعى هذا الإمبراطور إلى إرسال

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد ، جـ١ ، ص ١١٨ وما بعدها ، ابن حزم ، ص ٨ – ٩، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ص ١٧ وما بعدها، دلال ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ياقوت ، جـ٥ ، ص٢٦٦ وما بعدها ، المسري ، ص٥٠ ، الأكوع ، اليمن، ص١٥١، البلادي ، ص ٢٢٧ .

(٣) للمزيد انظر ، ابن هشام ، جـ ١ ص ٣٢ وما بعدها ، ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ وما بعدها .

(٤) جواد علي ، جـ٢ ، ص٦٠٢ وما بعدها ، جـ ٣ ، ص٤٥٣ ، ٥٣٨ ، عابدين ، ص ٤٨ ، عامر ، ص ١٧، دلال ، ص ٢٣ – ٢٤ ، العقيلي ، ص ٢٥ – ٢٧ .

الدعاة والمبشرين إلى شبه الجزيرة فنجحوا في تأسيس عدة كنائس في جهات (مختلفة) منها مثل: عدن ، وظفار ، ونجران ، وجزر فرسان ، ودهلك ، وكمران [١] .

وعندما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية البيزنطية ، وأصبح الإمبراطور حاميها وراعيهـــا في سنة ٣٥٦م [٢] ، تمكن المبشرون بمساعدة الإمبراطورية من تأسيس أسقفية رئيسة مقرها (ظُفار) لتكون المرجع المباشر لشؤون النصرانية في عدن ، وسقطرى ،ونجران ،والحيرة، وهرمز ، فاستطاعت تلك الأسقفية توطيد العقيدة النصرية في تلك الجهات وأعمالها [٣].

أما المصادر التاريخية العربية فإنها ذكرت قصة دخول النصرانية إلى نجران مع الاختلاف والتباين في تفاصيل القصة [٤] ، ولكنها تتفق وجوهر الموضوع إذ جاء الإسلام والنصرانية موجودة في بلاد نجران [٥].

فابن هشام وياقوت الحموي على سبيل المثال أشارا فيما دوناه عن كيفية انتشار النصرانية في نجران إلى أنه كان هناك رجلٌ يدعى (فيمون) أو (قيمون) بالقاف ، كان من حواري سيدنا عيسى عليه السلام، وكان يعيش في بلاد الشام، وكان صالحا مستجاب الدعوة ، وفي ذات مرة خرج من بلاد الشام حتى وطئ بعض أرض العرب ، فاختطفتة ســـيارة من بعض العرب وذهبوا به حتى باعوه لأحد أشراف نجران ، وأثناء إقامتة عند سيده بنجران ،

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) هناك مصادر عديدة ذكرت قصة دخول النصرانية إلى نجران مع وجود اختلافات بسيطة في سرد القصة ، انظـــر ابـــن هشام ، جـــ ١ ، ص ٣٢-٣٧ ، للمزيد انظر جواد علي ، جـــ ٢ ، ص ٤٣ وما بعدها ، العقيلي ، ص ٢٥ – ٣٢ .

(٥) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـــ ٢ ، ص ٨١ ، ابن سعد ، جـــ ١ ص ٣٥٧ ، المسعودي، التنبيه ، ص ٢٥٥، الذهبي ، تاريخ ، جـــ ١ ، ص ٥٧٨ .

فاذا جاء الليل أحياه بالصلاة والتهجد ، فعندما شاهد سيده ذلك أعجبه عمله وسأل عن دينه فأخبره به ، ثم قال فيمون : إنما أنتم في باطل ، وذكر أن تلك النخلة وبقية الأوثان التي يعبدونها لاتضر ولاتنفع ، ثم دعا الله (سبحانهُ وتعالى) على نخلتهم التي كانوا يعبدونها فأهلكها الله، وعندما رأى سيده وأهل نجران ما حل بالشجرة التي كانوا يقدسونها ، وعلموا أنها فعلا لا تضر ولا تنفع تركوا عندئذ عبادة الأصنام واتبعوا دين فيمون فدخلوا دين النصرانية [١] ، ومن هنا دخلت النصرانية نجران . قال ابن إسحاق ((**فهذا حديث وهب بن منبة عن أهل نجران**)) [٢].

بينما يورد ابن هشام نقلا عن ابن(اسحاق) وتبعهما الطبري وغيره ذات القصة مع تفصيلات مختلفة فيذكرون أن بعض أهل نجران كانوا على ملة الشرك وعبادة الأوثان ، وكان عندهم ساحر يعلم أبناءهم السحر ، وكان منهم رجل يدعى الثامر وله ابن يدعى عبد الله ، فكان والده يبعثه مع غلمان أهل نجران لتعلم السحر عند ذلك الساحر، وكان الداعية فيمون قد أقام خيمته على الطريق الواصلة ما بين الساحر ومترل الغلام عبد الله الثامر، وكلما مر ابن الثامر بصاحب الخيمة (فيمون) أعجبه ما يرى من عبادته وقيامه وصلاته ، فعزم على الجلوس إليه والسماع منه حتى اعتنق دينه (المسيحية) ودخل فيه ، ثم أصبح داعية للنصرانية في جميع أرجاء نجران ، وقد نجح في نشر النصرانية بين أهل نجران [٣].

---

(١) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢ – ٣٦ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ ، للمزيد انظر ، الحكمي ، تاريخ ، ص ١٥٨ ، البلادي ، ص ٢٢٥ – ٢٢٧ .

(٢) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(٣) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢ وما بعدها ، الطبري ، جـ ٢ ، ص ١١٩ وما بعدها .

ولما علم ذو نواس الحميري ملك اليمن ، باعتناق بعض أهل نجران للنصرانية [١] بعث بدعاته إليهم يدعوهم إلى ما يدين به ، وهي ديانة اليهوديه ، فامتنعوا، فغزاهم وانتصر عليهم ، ثم خيرهم بين القتل أو الدخول في اليهودية فاختاروا القتل ، فخد لهم الأخدود [٢] ، ثم حَرَّق بالنار كثيراً منهم ، وآخرين أرداهم بالسيف ومثَّل بهم حتى يقال إنه قتل منهم حوالي عشرين ألفاً ، فنزل القرآن الكريم في ذي نواس وجنده قال تعالى ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدودِ ، النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [٣] .

(*) **كعبة نجران** :

وكما أسلفنا القول – فيما سبق – أن بني الحارث بن كعب المذحجيين قد استولوا على نجران وتملكوها قبل ظهور الإسلام بقرون ثم ظهرت فيهم أسرة آل (عبد المدان) بن الديان الحارثي ، وهم من سادات بني الحارث بن كعب ، فصاروا أصحاب الحل والعقد في بلاد نجران ، وذاع صيتهم ، وهابتهم العرب حتى قال شاعرهم :

تَلُوثُ عِمَامَةً وتَجرُّ رُمْحاً كَأَنَّكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ المَدَانِ

---

(١) يقال أن " ذو نواس " كان على دين اليهودية ، وكان آخر ملوك حمير ، وقد تسمى باسم " يوسف " وهو صاحب الأخدود . انظر ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، الطبري ، جـ ٢ ، ص ١٢٢-١٢٣ ، الشجاع ، ص ٦١ ، دلال ص ٥٤ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .

(٢) الأخدود : حفرة بشكل مستطيل كالخندق ، ولا تزال آثارها واضحة حتى اليوم ونطالب علماء الآثار بأن يجروا دراسات اثرية جادة ليس على الأخدود في نجران فحسب وإنما على مواطن عديدة بها ، وان فعلوا ذلك فإنهم بالتأكيد سوف يخرجون لنا (بإذن الله) دراسات علمية أكاديمية جادة .

(٣) سورة البروج ، آية : (٤ – ٨) انظر ابن كثير ، التفسير ، جـ ٤ ، ص ٥٢٤ – ٥٢٥ ، الطبري ، جـ ٢ ، ص١٢٣ وما بعدها ، ياقوت ، جـ٥ ، ص ٢٦٦ وما بعدها ، الشجاع ، ص٦٠ –٦١ ، دلال ، ص٥٤ – ٥٦

وفي هذا دلالة على ما تمتعوا به من شجاعة وفروسية ، بل بلغ بهم الاعتداد بأنفسهم أن شيدوا كعبة ، أطلقوا عليها " كعبة نجران "، وكان الذي بناها عبد المدان ابن الديان الحارثي (١)، وتأسيسها كان على شكل مربع متساوي الأضلاع والأقطار ، مرتفعة عن الأرض فلا يصعد إلى سطحها إلا بدرج ، وكان الغرض من بنائها منافسة الكعبة الشريفة بمكة المكرمة (٢) . وتذكر المصادر أن آل عبد المدان قد بالغوا في تشييدها فجاءت على هيئة قبة من أدم من ثلاث مئة جلد (٣)، وكانت جدرانها وسقفها مطعمة بالفسيفساء والذهب ، كما أنهم اختاروا لبنائها موقعا متميزاً على وادٍ يغص بالأشجار والرياض (٤)، ورتبوا أساقفة مقيمون وهم الذين وفدوا على النبي ﷺ في المدينة (٥)، وكان أهل نجران يعظمونها ، وكذلك بعض الطوائف من قبائل العرب المجاورة لمذحج مثل خثعم وهمدان وغيرها ، فكانوا يشدون إليها الرحال في الأشهر الحرم ولا يقصدون الكعبة في مكة المكرمة (٦). وقد اصطنع آل عبد المدان لبنائهم هذا هيبة ومنزلة رفيعة فأطلقوا عليها اسم " **كعبة نجران** " ثم جعلوا لا يأتي إليها الخائف إلاّ ويعطى الأمان ، أو طالب حاجة إلا وتقضى حاجته ، أو مسترفد إلا ويرفد ويعطى (٧).

---

(١) وكان أول من سكن نجران من بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان، يزيد بن عبد المدان، وكان عبد المسيح ، المعروف بـ (العاقب) زوجه ابنته دهيمة فولدت له عبدالله بن يزيد، ومات عبدالله بن يزيد فانتقل ماله إلى يزيد فكان أول حارثي حل في نجران، وبقي نسله في سلطة البلاد حتى جاء الإسلام، ابن هشام، جـ٢، ص٢٢٢، ياقوت، جـ٥، ص٢٦٩.

(٢) البكري ، معجم ، مج ١ جـ ٢ ، ص ٦٠٣ . وقد ذكر الهمداني بعض مواطن العبادة في عهده مثل : مكة ، وإيلياء ، واللات بأعلى نخلة ، وذو الخلصة بناحية تبالة ، وكعبة نجران ، وريام في بلد همدان ، وكنيسة الباغوته بالحيرة . انظر الصفة ، ص ٢٦٨ .

(٣) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، القزويني ، ص ١٢٦ .

(٤) البكري ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٢ وما بعدها ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٥) القزويني ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٦) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٣ .

(٧) الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٨ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨

وللشاعر الأعشى صلة بآل عبد المدان ، فكان يزورهم في كل سنة مرة أو مرتين فيقيم عندهم بعض الوقت ويجالسهم ويثني عليهم ويمدحهم ويمدح كعبتهم ، ومن شعره :

وَكَعْبَةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عَلَيْك حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوابِهَا
تَزُورُ يَزْيداً وَعَبْدَ المَسيحِ وَقَيْساً هُمُ خيرُ أَرْبَابِهَا
وَشَاهِدُنَا الْوَرْد وَالْيَاسَمِينَ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا
وَبُرْبُطُنا دَائِمٌ مُعْمِلٌ فَأَيُّ الثَّلاثة أَزْرَى بِهَا ؟
إِذَا الْحِبَراتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَا [(١)]

ومما ينهض دليلاً على كرم آل عبد المدان ، وكذلك التزامهم بتلبية طلب من يلجأ إليهم وإلى كعبتهم ، ما ذكرته بعض المصادر ، من أن رجلاً من ثمامة قد جاور عبد الله بن الصمة ، فهلك عبد الله ، وأقام الرجل في جوار أخيه دريد [(٢)]وأغار أنس بن مدركة الخثعمي على بني جشم فأصاب مال الثمالي وجيرانٍ لدريد آخرين ، فتراخى دريد عن طلب القوم ، لاشتغاله بحرب من يليه ، ولما ألح عليه جاره قال : أمهلني عامي هذا [(٣)]، وخرج ليلة فسمع الثمالي يترنم بشعر فأنصت فإذا هو يقول :

---

(١) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، العقيلي، ص٦٧- ٦٨، وفي اعتقادنا أن أهل نجران لم يكونوا كلهم متبعين الديانة المسيحية ، فقد كان وادي نجران يضم العديد من القرى على جانبيه ، بالإضافة إلى القرى الأخرى الواقعة في حيز نجران ، وإنما كان أهل قرية أو قريتين في غالب الظن هم الذين اتبعوا المسيحية منها قرية الحصن ، أو (نجران) قاعدة المنطقة والتي سميت باسم واديها الشهير، وخد الأخدود بجوارها ، وأطلق فيما بعد على هذا الموضع : قرية الأخدود ، ثم هجرت واندثرت وتحولت إلى آثار ، أما بقية سكان القرى الأخرى فربما كانوا على دين الوثنية شأنهم شأن معظم العرب في ذلك الوقت ، وكما ذكر الطبري ((كان الأخدود في قرية من قرى نجران ، ونجران القرية العظيمة التي اليها جماع أهل تلك البلاد))الطبري،جـ ٢، ص١٢١ ، وللمزيد من التفصيلات انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣١٨ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ وما بعدها ، حمزة ، ١٧١ .

(٢) الأصفهاني (مطبعة بولاق)جـ ٩ ، ص ٢ .

(٣) المصدر نفسه ، بدوي ، ص ٥٣ ، العقيلي ، ص ٦٩ .

كَسَاكَ دُرَيْدُ الدَهْرَ ثَوْبَ خَزَايَةٍ وَجدَّعَــكَ الحَامــي حَقِيقَةَ انس
دَعِ الخَيْلَ وَالسُمْرَ الطِّوالَ لخَثْعَمٍ فَمَا أَنْتَ والرُّمْحُ الطَّوِيلُ وَمَا الفَرْسُ
وَمَا أَنْتَ وَالغَزْوُ المُتَابِعُ للعدَا وَهَمُّكَ سَوْقُ العَوذِ وَالدَّلوِ وَالمُرْسُ
فَلَو كَــانَ عَبْدُ اللهِ حَيَّاً لَرَدَّهَا وَمَا أَصْبَحَتْ إبِلي بنَجْرَانَ تُحْتَبَسُ
ولَأَصْبَحَتْ عِرْسِي بِأَشقَى مَعْيشَةٍ وَشَيْخٌ كَبِيْــرٌ مِنْ ثُمَالَةَ فِي تَعْسِ
يُرَاعِي نُجُومَ اللَّيلِ مِنْ بَعْدِ هَجْعَةٍ إلى الصُبْحِ مَحْزُوناً يُطَاوِله النَّفْسُ
وَكُنْتُ وَعَبْدُ اللهِ حَيَّاً وَمَا أَرَى أُبَالي مِنَ الأَحْيَاءِ مَنْ قَامَ أَو جَلَسْ
فَأَصْبَحْتُ مَحْزُونَاً هَظِيماً لِفَقْدِهِ وَهَلْ مِنْ نَكيرٍ بَعْدَ حَوْلَينِ تُلْتَمَسْ [١]

فلم ينته دريد من سماع هذه الأبيات الا وأصبح قلقاً لا يهدأ له بال حتى يسترد ما سلب من جاره ، ثم شاور ذوي الرأي من قومه فقالوا له : ارحل إلى يزيد ابن عبد المدان ، واطلبه في رد ما سلب أنس بن مدرك الخثعمي ، لأن أنس قد ترك جميع المال والعيال بنجران ، فقال دريد : سأبعث إليه بمدحه ثم أنظر مكانتي من الرجل ، ثم أنشأ هذه الأبيات وبعثها إلى يزيد :

بَنِي الدَّيَّانِ رُدُّوا مَال جَارِي وَأَسْرى في كُبُولهِمُ الثِّقَالِي
وَرُدُّوا السَّبْيَ إنْ شِئتُمْ بِمَنٍّ وَإنْ شِئْتُمْ مُفَادَاتٍ بِمَالِ
فَأَنْتُمْ أَهْلُ عَائِذَةٍ وَفَضْلٍ وَأَيْدٍ فــي مَوَاهِبِكمْ طِوَالِ
مَتَى مَا تَمْنَعُوا شَيئاً فَلَيْسَتْ حَبَائِلُ أَخْذِهِ غَيرُ السُّؤَالِ
فَأَوْلُونِي بَنِي الدَّيَّانِ خَيرَاً أُقِرُّ لَكُمْ بِهِ أُخْرَى اللَّيَالي [٢]

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، العقيلي ، ص ٦٩ – ٧٠ .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، الهاشمي ، ص ٢٥٧ ، العقيلي ، ص ٧٠ – ٧١ .

فلما بلغ يزيد شعره قال : وجب حق الرجل ، فسار إليه دريد فأكرمه يزيد، وأحسن مثواه ، وأعطاه مطلبه [١] .

وهذا أنموذجٌ من بعض القيم والمثاليات التي كان يتصف بها أهل نجران ، وعلى رأسهم حكامهم آل عبد المدان المذحجيون .

٢ - الأحوال السياسية :

حفظت لنا الروايات التاريخية الكثير من أخبار العصر الجاهلي ، وأطلعتنا على النقط المشرقة من أحوال القبائل العربية وحروبها مع بعضها وغاراتها وغزواتها وعاداتها وقيمها وتقاليدها ، ونمط حياتها اليومية [٢] . ومن تلك الروايات أقوال مطولة عن نجران وقبائلها ، وحروبها مع جيرانها ، وبعض العادات والتقاليد ، ومن أشهر الوقائع والأحداث السياسية ما يلي :

أ- يوم الكلاب الثاني : وقع هذا اليوم عقب يوم الصفقة [٣] ، وكان بين بني تميم وأحلافهم وبين مذحج ومن التف حولهم من قبائل العرب ، وذلك أن مذحج وأحلافها طمعوا في أموال وذراري بني تميم بعد هزيمتهم أمام جيش كسرى الفارسي في يوم الصفقة ، فرغبوا في غزوهم ، ونادوا في أحلافهم قائلين اغتنموا بني تميم ، وقد سألت قبائل مذحج كاهنها المأمور الحارثي فنهاهم عن ذلك قائلاً :

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) للمزيد انظر جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، في (عدة مجلدات) .

(٣) يوم الصفقة : هو يوم حرب وقع بين كسرى ملك الفرس وبني تميم ، وذلك بسبب أن بني تميم أغاروا على قافلة لكسرى ملك الفرس كانت تحمل المسك والعنبر والجوهر ، فأوقع بهم كسرى وأخذ الأموال وسبى الذراري . انظر ، ابن عبد ربه ، جـ ٦ ، ص ٧٩ ، جواد علي جـ ٥ ، ص ٣٥٢ . وللمزيد انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ وما بعدها .

لا تغزوا بني تميم فإنهم يسيرون أقتاباً ، ويردون جباباً ، فتكون غنيمتكم تراباً ، ولكنهم لم يأخذوا برأيه ، بل سارت تلك القبائل طامعة في تميم وقد جمعت اثني عشر الف مقاتل من مذحج وكندة وهمدان ، وهو أعظم جيش أخرجته العرب كما ذهب الإخباريون (١) ، وكان من رجال مذحج يزيد بن عبد المدان، ويزيد ابن المخرم، ويزيد بن الكيثم (٢) ، بن المأمون ، ويزيد بن هوبر كلهم حارثيون (٣) . وكان رئيسهم عبد يغوث بن صلاة الحارثي ، وساروا جميعاً إلى بني تميم ، وبلغ ذلك سعد والرباب (أحلاف بني تميم) فانطلق قوم من أشرافهم إلى أكثم بن صيفي وهو قاضي العرب فاستشاروه ، فقال لهم : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، يا قوم اثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين ، فلما انصرفوا من عنده تهيئوا واستعدوا للحرب ، وأغار عدوهم فاستاق بعض النعم ، فأقبلت سعد والرباب لاستنقاذها ، ودارت المعركة فهزمت مذحج وحلفاؤها ، وصاح قيس بن عاصم المنقري ، قائد تميم :((**يا آل تميم لا تقتلوا إلا فارساً فإن الرجالة لكم**)) فما زالت تميم في آثارهم يقتلون ويأسرون حتى أسر عبد يغوث بن صلاة قائد مذحج وحلفاؤها (٤) . وعندما أسروا عبد يغوث الحارثي عمدوا إلى إهانته ، وكان شاعراً ، فربطوا لسانه خشية أن يهجوهم ، فقال إنكم قاتلي ولا بد ، وعرف ذلك من سلوكياتهم ، ثم وعدهم بأن لا يهجوهم ويفكوا لسانه كي ينوح على نفسه ويذم أصحابه ففعلوا ذلك ، فقال شعراً :

---

(١) ابن عبد ربه ، جـ ٦ ، ص ٧٩ - ٨٦ .

(٢) ويطلق عليه (الكيسم) وقيل (اليكسم) .

(٣) ابن عبد ربه ، جـ ٦ ، ص ٧٩ وما بعدها ، العقيلي ، ٦١- ٦٣ .

(٤) ابن عبد ربه ، جـ٦، ص٧٩- ٨٠ ، البكري ، معجم ، مج ٢ ، جـ٣ ، ص١١٣٢، ابن الأثير ، الكامل جـ١، ص ٣٧٨- ٣٧٩، ابن حزم ، ص٤١٧ ، جواد علي، جـ٥ ، ص ٣٥٣، العقيلي ، ص٦١-٦٢ .

أَلاَ لاَ تَلُومَانِي كَفَى اللَّومَ مَا بِيا فَمَا لَكُمَا فِي اللَّومِ نَفْعٌ وَلاَ لِيَا
أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ المَلاَمَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لَومٌ أَخِي مِنْ شِمَالِيَا
فَيَا رَاكِبَاً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا
أَبَا كَرِبٍ وَالأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا وَقَيْسَاً بِأَعْلَى حَضْرَمَوتَ اليَمَانِيَا
أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ مَعَاشِرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسَانِيَا [١]

وهي قصيدة طويلة يلوم فيها أصحابه على تقاعسهم عنه حتى وقع في الأسر ، ثم ينوح على ما كان فيه من قوة وشجاعة ومجد ورفعة في بلاده وبين أهله وقومه [٢] .

ب - يوم فيف الريح [٣] : هذا اليوم كان في الزمن الذي بعث فيه الرسول ﷺ بمكة المكرمة وسببه أن قبائل مذحج، وأكثرها بنو الحارث بن كعب في نجران ، وقبائل أخرى مجاورة لهم مثل : مراد ، وجعفي ، وزبيد ، وختعم وعليهم أنس بن مدركة الختعمي ، وعلى بني الحارث الحصين بن يزيد الحارثي كانوا قد أغاروا على بني عامر بن صعصعة بأعلى نجد ، وعلى العامرين عامر بن الطفيل وعامر بن مالك ملاعب الأسنة [٤] ، وقد تصدّى العامريون لمذحج وأحلافها ودار بينهم قتال شديد ، وتساوى الفريقان ، فلم ينتصر أحدهما على الآخر نصراً مبيناً ، إذ وقع القتل في الفريقين ، ولكن في تلك الوقعة أصيبت عين عامر بن الطفيل [٥] ، وكان مسهر بن يزيد الحارثي هو الذي أصابه [٦]. فقال عامر بن الطفيل في ذلك شعراً :

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ١ ، ص٣٨٠-٣٨٢ ، كما انظر قصيدته كاملة ، ابن عبد ربه ، جـ٦ ص٨٤- ٨٥.
(٢) المصادر نفسها .
(٣) يذكر أنه موضع بأعلى نجد ، انظر ، جواد علي ، جـ ٥ ، ص ٣٥٣ .
(٤) انظر لمعلومات أكثر عن (عامر بن مالك ملاعب الأسنة) ابن حزم ، ص٢٠٣، ٢٠٥، ٢٥٨، ٤١٧ .
(٥) جواد علي ، جـ ٥ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، العقيلي ، ص ٦١ .
(٦) مسهر الحارثي عاش في العهد الجاهلي ، بقي حتى ادرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ابن حزم ، ص ٤١٧ .

لَعمْري وَمَا عَمْري عَلَيَّ بهَيِّنٍ لَقَدْ شَانَ حُرُّ الوَجْه طَعْنةُ مُسْهِرِ
أَعَاذلُ لَو كَانَ البدَاد لقُوتلُوا وَلكنْ نَزَوْناً بالعْدَيد الجُمْهرِ
وَلو كَانَ جَمْــعٌ مثْلَنا لم يَبزّنا وَلكنْ أَتتْناَ أُسْرَةٌ ذَاتُ مَفْخَرِ
أَتَوْنا بِبَهْرَاءٍ ومَذْحِـــجَ كلِّهَـــا وَأَكْلُبَ طُراً في جِنانِ السِّنَوَّرِ [١]

جـ – **يوم نجران** : وكان للأقرع بن حابس في قومه من بني تميم مع قبائل نجران وحلفائهـــا، وقد وقع قتال مرير بين الفريقين انتهى بفوز الأقرع وقومه على قبائل نجران [٢] .

وقد عرف عن سادة نجران وحكامها حماية من كان يقصدهم سواء كان طالباً النصرة منهم أو لاجئاً إليهم هرباً من قومه وأهله وعشيرته ، وقد امدتنا كتب الـــسيرة بعدد من الأمثلة على ذلك ، أوضحها ما ورد أثناء فتح مكة في السنة الثامنة للـــهجرة ، فقد هرب إلى نجران عبدالله بن الزِّبَعْري السهمي ، وهو ممن كانوا يهجـــون رســـول الله ﷺ ويحرضون عليه المشركين ، فأصبح وضعه حرجاً عندما فتحت مكة فهـــرب إلى نجران ، وكان برفقته هبيرة بن أبي وهب المخزومي ، زوج أم هانئ [٣] ، وقـــد كـــان احتمى الزبعري ببني الحارث بن كعب ، أصحاب السيادة والأمر والنـــهي بنجـــران ، فسألوه عن أخبار قريش ، وأخبار المسلمين ، فأخبرهم أن رسول الله ﷺ قد فتح مكة، وأن قريشاً قد خضعت ودانت له بالسمع والطاعة، وأن رسول الله ﷺ قادمٌ إليهم [٤] .

---

(١) ابن عبد ربه ، جـــ ٦ ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن هذا اليوم ، وعن تلك المعارك التي حدثت بين الطرفين، انظـــر، جـــواد علي، جـــ ٥، ص ٣٤٥ وما بعدها ، العقيلي ، ص ٦١ –٦٢ ، وللمزيد عن صـــراعات قبيلـــة مذحج مع غيرها من القبائل المجاورة لها مثل : قبائل حمير ، وخولان ، وهمدان ، وغيرهـــم انظـــر الشجاع ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٣) أم هانئ بنت أبي طالب ، التي بقيت في مكة المكرمة حتى جاء الإسلام فأسلمت ، وبقي زوجها بنجران حتى مات على الشرك . انظر ، الواقدي ، جـــ ٢ ، ص ٨٤٧ – ٨٤٩ .

(٤) انظر ، الواقدي ، جـــ ٢ ص ٨٤٧ – ٨٤٩ ، الطبرى ، جـــ ٣ ص ٦٤ .

وهذه الأخبار التي نقلها ابن الزبعري وهبيرة المخزومي إلى المسؤولين بنجران من بني الحارث بن كعب دفعتهم إلى الاستعداد والتهيؤ بترميم حصونهم ، وإصلاح ما تهدم منها، وجهزوا أنفسهم بالمؤن والعدد والعدة [(١)]. أما ابن الزبعري فلم يمكث طويلاً بنجران، وإنما عاد إلى الحجاز، وقابل الرسول ﷺ معتذراً نادماً على ما صدر منه، وأعلن إسلامه، فقبل الرسول ﷺ منه العذر [(٢)] .

٣ - الأوضاع الإدارية :

كان نظام القبيلة هو السائد في نجران وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية ، وشيخ القبيلة هو صاحب الحل والعقد في قبيلته ، ومنه وأهل الرأي من حوله تستمد الأوامر التي يسير عليها أفراد القبيلة ، فلا يعقد أمر أو تحل قضية ، أو تقوم حرب ، أو تعقد هدنة ، أو أي أمر يخص شؤون القبيلة داخلياً أو خارجياً ، إلا بأمره ونظره ، ويؤكد مع ذلك الرحالة ابن المجاور ، من أهل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، في حديثه عن أهل نجران وغيرهم من أهل البلاد الممتدة من صنعاء جنوباً إلى مكة المكرمة شمالاً ، فيقول : " **يحكم على كل قرية [عندهم] شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ، ويحكم فيهم ...** " [(٣)] .

فهكذا كانت القبيلة تمثل قمة الهرم الإداري والسياسي المحلي عند نجران وغيرها من بلدان شبه الجزيرة العربية خلال العصر الجاهلي ، وقد استمرت الحياة الإدارية بهذه الصورة

---

(١) الواقدي ، جـ ٢ ص ٨٤٧ وما بعدها ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، ابن حزم ، ص ١٤١ ، ١٦٥ .

(٢) الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٩ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، ابن حزم ، ص ١٦٥ ، ويذكر الطبري أن حسان بن ثابت كتب شعراً شديد اللهجة إلى ابن الزبعري ويحثه فيه على القدوم إلى مكة والدخول في الإسلام ، فعاد وأسلم . راجع هذه الأبيات في : تاريخ الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ .

(٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

عند بعض القبائل والعشائر البعيدة عن السلطة الإدارية الموجودة في المدن والحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية مثل : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وصنعاء وغيرها [١] .

ورغم تمسك نجران بمثاليتها العربية ، وتقاليدها القبلية ، ووجود من يدين باليهودية ، أو ما زال على الوثنية من أهلها ، إلا أن انتشار النصرانية في نجران ووجود بني الحارث حماتها وأصحاب السيادة السياسية والروحية في البلاد ، جعل لنجران نظامها الكهنوتي وشرعتها الدينية ولأهلها نهجهم الخاص في الأحوال الشخصية فكان لهم هيئة دينية عليا تدبر أمرهم وتتألف من :

أ - شخص يطلق عليه لقب " السيد " يتولى الشؤون المالية من جمع الإعانات والهبات للكنيسة و النذور وغير ذلك ، ويقوم بمشورته رجال معروفون بصرف المساعدات والديات الملزمة بها القبيلة أو المعسر ، وما يلزم لإصلاح الكنائس وحياة رجال الدين والضيافات وغيرها ، كما أنه مسؤول عن تسيير قوافلهم التجارية ، وتنظيمها والإشراف على علاقة جاليته بالقبائل العربية الأخرى [٢] .

ب - شخص يطلق عليه لقب " العاقب " وعمله رئاستهم وتدبير أمورهم ، والإشراف على السياسة الداخلية والخارجية ومباشرتها [٣] .

جـ - الأسقف : وهو المرجع الديني ، وعالمهم وحبرهم ، يشارك في السياسة الداخلية والخارجية للجالية ، ولا يصدر حكماً ، ولا تنفذ سياسة داخلية أو خارجية إلا بموافقته [٤] .

وبما أن الإنسان صورة حية لمعتقده ، وتجسيد لدينه ، فقد كان لأهل نجران مع تقاليدهم العربية نظامهم الديني الذي يحكم سلوكهم ، ويضبط تصرفاتهم ، ويحدد واجباتهم ، ودور الفرد تجاه أسرته ومجتمعه .

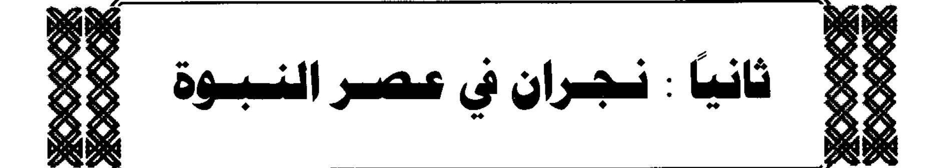
---

(١) وخاصة عندما خرجت الخلافة الإسلامية من الحجاز ، وأصبحت في بلاد الشام ثم العراق ، فالكثير من أجزاء شبه الجزيرة العربية النائية سادتها الفوضى والإهمال ، وأصبح شيوخ القبائل هم الآمرين الناهين في أوطانهم ، وذلك لغياب السلطة الإدارية الرسمية وانحسارها في المراكز الحضارية الكبرى .

(٢) ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .



ثانياً : نجران في عصر النبوة

١ - موقف أهل نجران من الدعوة الإسلامية

خلصنا مما سبق إلى أن النصرانية قد انتشرت بين طوائف من أهل نجران ، وأقبل على اعتناقها أبناء الطبقة العليا وأصحاب السلطة في البلاد ، ورغم ذلك فقد ظل من بين سكان نجران من تمسك بوثنيته واستمر على شركه وعبادته للأوثان ويتضح لنا ذلك من خلال ما سطرته المصادر عن بداية دعوة الرسول ﷺ لأهل نجران للدخول في الإسلام ، فتشير إلى أن النجرانيين كانوا آنذاك فريقين نصارى ومشركين . ففي أعقاب صلح الحديبية [١] ، الذي عقد بين المسلمين ومشركي قريش بدأ الرسول ﷺ في إنفاذ رسله وسفرائه وكتبه إلى الأمصار الإسلامية في شتى أنحاء الجزيرة العربية وخارجها في البلاد المحيطة بها [٢] . ومن تلك الأمصار التي بعث إليها مدينة نجران [٣]، ففي سنة (١٠هـ/٦٣١م) أرسل إلى نجران سرية بقيادة خالد بن الوليد قوامها أربعمائة رجل ، وكانت السيادة بنجران – كما ذكرنا سابقاً – بيد بني الحارث بن كعب المذحجيين [٤] .

---

(١) للمزيد عن صلح الحديبية ، انظر ، ابن هشام ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ – ٣٢٩ ، الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٥٧١ وما بعدها .

(٢) عن سفارات الرسول ﷺ وكتبه إلى ملوك وأمراء الأمصار والمناطق المجاورة ، انظر حميد الله ، ص ١٣٥ وما بعدها .

(٣) جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

(٤) ابن خياط ، ص ٩٤ ، البلاذري ، انساب ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ . للؤلف نفسه ، فتوح ، ص ٧٥ وما بعدها ، عبد البر ، جـ٢ ، ص٤٢٩، الواقدي ، جـ٣ ، ص ٨٨٣ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٢٩ ، الطبري ، جـ٢، ص ١٢٦ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ وما بعدها .

وقد أمر الرسول ﷺ خالداً بأن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام ، فإن استجابوا له فليقم بينهم ليعلمهم ويفهمهم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم ، كالتوحيد ، والصلاة ، والصيام وغير ذلك من أركان وقواعد الإسلام وإن لم يستجيبوا فليحاربهم [١] .

وعندما وصلت سرية خالد إلى نجران ، بعث الركبان يضربون في كل وجه ، يدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يأيها الناس اسلموا تسلموا ، فأسلموا ، لاسيما بعض بني الحارث بن كعب ، ولحقت بهم القبائل والعشائر النجرانية الأخرى ، إلا النصارى فانهم ظلوا على ديانتهم [٢] ، ثم قام خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين بينهم يعلمونهم شرائع الإسلام ، بل اخذوا الصدقات من أغنيائمهم وردوها على فقرائهم [٣] .

وبنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام ، وقد كانوا قبل ذلك عازمين على القتال ، وأعدوا لذلك العدة والعتاد ، لكن مالذي جعلهم يُغَيّرون موقفهم ويقبلون على اعتناق الإسلام في فترة وجيزة جداً ، وبدون قتال ، وربما يرجع ذلك لعدة أسباب منها :

أ - عدم قدرتهم على مواجهة جيوش المسلمين التي استطاعت القضاء على قبيلة قريش ، المرهوبة الجانب ونجاحهم في مكة المكرمة التي كانت بمثابة المرحلة الأولى في رحلة الجيش الإسلامي المتجه إلى بلاد السراة ونجران وأرض اليمن لنشر العقيدة الإسلامية وبالتالي نظروا للأمور بنظرة حكمة وتعقل فدخلوا الإسلام بدون حرب إدراكاً منهم أنه الدين الذي ستؤول له السيادة على جزيرة العرب .

---

(١) انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ .

(٢) سوف نناقش وضع النصارى بعد الحديث عن النجرانيين الذين دخلوا الإسلام .

(٣) البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ص ٣٨٤ ، الطبري جـ ٣ ص ١٢٦ وما بعدها .

ب - أن الصراعات والحروب القبلية ربما تكون قد أنهكت قبيلة مذحج ، التي ينتسب إليها بنو الحارث بن كعب ، ومعظم سكان نجران ، فرأوا أن دخولهم في الإسلام قد ينقذهم من عناء الحروب وشظف العيش ، وبخاصَّة أن خالد بن الوليد عندما جاء إليهم وضح ما يجب لهم وما عليهم فوجدوا في الإسلام ضالتهم المنشودة .

ج - أن غالبية الذين استجابوا لخالد بن الوليد واعتنقوا الإسلام كانوا من الوثنيين ، وبالتالي فالعامل الديني لعب دوره في سرعة دخولهم للديانة السماوية الجديدة ، خاصة وأن الديانتين اليهودية والنصرانية كان لا يزال هناك من يدين بهما في نجران، والوثنيون بالتالي ربما لاحظوا مدى تخلفهم العقدي مقارنة بأصحاب الديانات السماوية السابقة فرأوا في الإسلام فرصة ثمينة فاغتنموها عند ما جاءتهم الدعوة الإسلامية الداعية إلى وحدانية الله ، فاستجابوا لها ودخلوا الإسلام في أيام معدودة ليكونوا بدورهم أصحاب رسالة سماوية فيتماثلون هم ويهود ومسيحي نجران .

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعاً لأهل نجران بالدخول في الإسلام بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام ، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ [١]، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يعلمه من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة ، وبصحبته وفد من مسلمي نجران [٢] .

فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ بمقابلة وفدهم فشكلوا الوفد من أشرافهم ، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد نجران [٣] ، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٤ ص ٢٣٩ وما بعدها . انظر نص الرسالة التي أرسلها الرسول ﷺ إلى خالد بن الوليد في ملحق رقم (٣) في نهاية هذا الكتاب .

(٢) ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٣٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ – ١٢٧ . انظر نص الكتاب في الملحق رقم (٣) .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ .

عددهم ستة أشخاص هم : قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة [١] ، ويزيد ابن عبد المدان الحارثي ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قريظ الزيادي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي [٢] ، فلما رآهم الرسول ﷺ قال : ((**من هؤلاء القوم الذين كأهم رجال الهند ، قيل يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب**)) [٣] ، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي يرتدوها ، أو بهما معاً .

وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه ، ثم قالوا : ((**نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ! فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد** [٤])) ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات ، وهم لا يردون عليه ، وفي الرابعة قال يزيد بن عبد المدان : ((**نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا**)) [٥] . قالها أربع مرات فقال رسول الله ﷺ : ((**لو أن خالد ابن الوليد لم يكتب إلى فيكم أنكم أسلمتم ، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم**)) [٦] .

---

(١) سمي بذي الغصة ، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم ، وكان فارساً من ذوي الرباع ، أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها. انظر ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، دلال، ص ١٢٥ ، حاشية (٢) .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ص ١٢٧ ، وللمزيد انظر ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٣٩ ، المسري ، ص ٥٤ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ص ١٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ .

(٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، انظر ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ – ٢٤٠ .

(٥) انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ . ويقصد بالزجر هنا ، أي نوع من الكهانة والعيافة ، والزجر للطير هو التيمن والتطير فيها والتفاؤل بها . انظر ، ابن منظور ، جـ ٦ ، ص ٢١ ، فعل " زجر " . وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام ، ويتضح من سياق الحديث إنها كانت موجودة عند أهل نجران.

(٦) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران ، ومن العبارات التي دارت بينهما بأن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة . ولا ندري ما هو السبب ، فان كان غضب الرسول ﷺ بأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة ، فهذا لم يكن غريباً على الرسول ﷺ وإنما كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام ، وإن كان غضبه بأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة ، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات ، ثم ردوا عليه إجابتهم أربع مرات أيضاً ، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول ، والرسول ﷺ كان ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك [١] .

ونجد ابن هشام ، والطبري ، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران ، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ [٢] ، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن ، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ ، وربما أن هذه المصادر شكت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو إنها تحاشت ذكره ، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية ، وذلك اللقاء ، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران [٣] . كذلك ابن سعد في الطبقات

---

(١) ونجد القرآن يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين ، أثناء قيامه بالدعوة قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ سورة آل عمران ، آية (١٥٩) .

(٢) ابن هشام ، جـ ٤، ص٢٤٠ – ٢٤١، الطبري ، جـ٣ ، ص ١٢٧– ١٢٨، ابن كثير ، البداية مج ٣ ، جـ٥، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، ابن خلدون ، تاريخ جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

لم يشر إلى هذا الحوار ، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز ، فأعطى كل واحد منهم عشر أواقٍ ، ما عدا قيس بن الحصين فأعطاه اثني عشر أوقية ، وجعله أميراً عليهم [(١)]. وابن الأثير ، الذي يعتمد في نقله على الطبري ، تجنب أيضاً ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد [(٢)] .

وإذا كان الطبري ، وابن هشام ، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار بين الرسول ﷺ ووفد نجران [(٣)] ، فنجد أنهم يواصلون بقية الحوار ، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ رداً فيه عنف وحدة ، فقال يزيد بن عبد المدان : ((**أما والله يا رسول الله، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم ؟ فقالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم**)) [(٤)].

وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام ، وشدة البأس ، والصبر في الحروب ، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه ، كذلك اشتهروا بالكرم ، والعدالة ، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم ، والرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصارهم في الحروب ، فواصل الحديث معهم بقوله ((**بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً فقال رسول الله ﷺ بل**

---

(١) انظر ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، مـج٣ ، جـ ٥ ص ٨٩ .

(٤) المصادر نفسها .

قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : يا رسول الله، كنا نغلب من قاتلنا ، أنا كنا بني عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم)) (٥).

ومن هذه العبارات التي قالها وفد نجران للرسول ﷺ تتضح لنا عدة دروس منها :

أ - علم الرسول ﷺ بما كان يتصف به أهل نجران من صفات حميدة حث عليها الإسلام ، لهذا أصر على سؤالهم واشتد معهم في القول حتى يتأكد من تواتر هذه الصفات فيهم ، وبخاصة في انتصاراتهم ضد أعدائهم .

ب - أراد الرسول ﷺ أن يسمع المسلمون إجابة هؤلاء القوم ، الذين كانوا عصبة واحدة فلا يتفرقون ، بل يتغلبون على مشاكلهم الداخلية من أجل الوحدة والتكاتف فيما بينهم حتى يتصدوا لأعدائهم ، ومن يتربص بهم الدوائر ، ثم إنهم كانوا أصحاب عدل واستقامة ، فلا يسعون إلى ظلم أحد ، وهذه قيم رفيعة اتصفوا بها في الجاهلية فسادوا ، وعندما جاء الإسلام نادى بها وحث جميع المسلمين على الاتحاد والتكاتف فيما بينهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما حذر الإسلام من الظلم ، وأخذ حقوق الناس بالباطل وحث المسلم على العدل والاستقامة في أموره كلها .

---

(٥) المصادر نفسها .

٢ - عمال الرسول ﷺ في نجران

وقد عاد وفد نجران إلى بلاده بعد زيارته للمدينة المنورة ومقابلة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، واختلفت المصادر بدورها في تحديد زمن المغادرة فنجد بعض المؤرخين أشاروا بأنهم غادروا أواخر شهر شوال ، بينما نجد آخرين ذكروا عودهم في أوائل ذي القعدة من السنة العاشرة للهجرة [(١)] .

وكعادة الرسول ﷺ مع الوفود التي قابلته كان يعين عليهم أميراً منهم يقوم على أمر البلاد بعد دخولها الإسلام فأمّر – كما أسلفنا – على الوفد النجراني قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة [(٢)] ، ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك فقد كان يعلم مدى حاجة النجرانيين إلى من يبصرهم بدينهم ويفقههم في تعاليمه ويفسر لهم ما جاء في الكتاب والسنة من التعاليم ، وكيفية أخذ الصدقات ، وإقامة الحدود بين الناس ، فندب لهذه المهمة أحد صحابته (رضوان الله عنهم) وهو عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري ، ويرافقه شخص آخر من بني النجار ، وأرسلهما إلى نجران ، وكان سن عمرو بن حزم عند إرساله لهذه المهمة سبع عشرة سنة، وكان يتمتع بالذكاء والفطنة، وسعة العلم بأمور الدين والتفقه فيه[(٣)].
وقد زوده رسول الله ﷺ بكتاب إلـى أهل نجران ، قال فيه ((**بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا بيان من الله ورسوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ عقدٌ من محمد النبيّ لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره**

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، ص ٥ ، ص ٨٩ .
(٢) المصادر نفسها .
(٣) البلاذري ، انساب ، جـ ١ ، ص ٥٣٨ – ٥٣٩ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٨ .

كله ، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحقّ كما أمر به الله وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلّم الناس القرآن، ويفقّههم في الدين ، وينهى الناس ولا يمسّ أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ، وبالذي عليهم ، ويلين للناس في الحقّ ، ويشتدّ عليهم في الظلم ، فإنّ الله عزّ وجلّ كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ويبشِّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنذر بالنار وبعملها ، ويستألف الناس حتى يتفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالمَ الحجّ وسنَّته وفريضته ، وما أمر الله به في الحج الأكبر والحج الأصغر ، وهو العُمْرة ، وينهَى الناس أن يصلي أحدٌ في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً واحداً يثني طَرَفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبي أحد في ثوب واحد يُفضي بفرجه إلى السماء ، وينهى ألا يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْجُ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطَّعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برؤسهم كما أمرهم الله عزّ وجلّ ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويغلس بالفجر ، ويهجر بالهاجرة حين تَميل الشمس ، وصلاة العصر والشمسُ في الأرض مدبرة ، والمغرب حينَ يقبل الليل ، ولا تؤخَّر حتى تبدوَ النجوم في السماء ، والعشاء أوّل الليل . ويأمر بالسَّعي إلى الجمعة إذا نودي لها ، والغسل عند الرّواح اليها ، وأمره أن يأخذ من الغنائم خُمسَ الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عُشْر ما سقى البعل وما سقت السماء ومما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كلّ عشر

من الإبل شاتان ، وفي كلّ عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كلّ أربعين من البقر بقرة ، وفي كلّ ثلاثين من البقر تبيع جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ ، وفي كلّ أربعين من الغنم سائمةٌ شاةٌ ، فإنها فريضة الله التي افترض الله عزّ وجلّ على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، وأنه مَنْ أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودانَ دين الإسلام فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهمْ وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيّته أو يهوديّته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عَرْضه ثياباً ، فمن أدى ذلك ، فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومَن منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً)) [1] .

ونستخلص من هذا الكتاب عدة أمور مهمة كان الرسول ﷺ يقصد تحقيقها من وراء إرساله هذا الكتاب لعامله في نجران نذكر منها :

أ - رسم خطة عمل واضحة لمبعوثه إلى نجران ، عمرو بن حزم رضي الله عنه كي يسير عليها ، فيحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ب - أدرك الرسول ﷺ أن الفترة التي قضاها الوفد النجراني في ضيافته بالمدينة المنورة لم تكن كافية لكي يلموا تماماً بشرائع الإسلام ويضطلعوا بدورهم الجديد ألا وهو نشر العقيدة الإسلامية بين أهلهم وذويهم ، فكان لا بد من رسالة تفصيلية لعامله بنجران عمرو بن حزم تساعده على إرساء التشريعات والتنظيمات الإسلامية الواجب اتباعها ليسير أهل نجران في حياتهم على ضوئها.

---

(١) انظر نص هذا الكتاب ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ – ٤٧٤ . حميد الله ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

ج - حرص الرسول ﷺ على إقامة العدل بين أفراد المجتمع النجراني ، بصرف النظر عن مللهم ، فمن اعتنق منهم الإسلام لا بد أن يسير على ما هم عليه المسلمون في دينهم ودنياهم ، أما أهل الديانات الأخرى ، كالنصارى واليهود فما داموا ملتزمين بالعهود المعقودة مع المسلمين فإن لهم ذمة الله وذمة رسوله ، وعندما ينحرفون عن المواثيق التي لهم وعليهم ، فإنهم يصبحون أعداء لله ولرسوله وللمؤمنين .

وكان عمرو بن حزم على صلة وثيقة بالرسول ﷺ فيخبره بسير الأمور في نجران ، بل يستمد من الرسول ﷺ التشريعات والتوجيهات التي تنير له سبيله ، بل إنه كان يطلعه على أحواله الخاصة ، فيذكر أنه بعث إليه ذات مرت رسالة يخبر رسول الله ﷺ أنه رزق بمولود ذكر سماه " محمد " تيمناً برسول الله ﷺ، وكناه بأبي سليمان ، فرد عليه رسول الله ، وقال له : بل كنه بأبي عبد الملك ، وظل عمرو بن حزم عاملاً على نجران إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو لا يزال عليها [(١)] .

ولم يقتصر الرسول ﷺ في دعوة أهل نجران ومن حولهم من قبائل اليمن على تلك السرية التي أرسلها تحت قيادة خالد بن الوليد [(٢)] وإنما حث خالد بن الوليد أن يتوغل في أرض اليمن الواقعة إلى الجنوب من بلاد نجران ، وقد فعل ذلك ، واستمر يدعوهم إلى الإسلام لمدة ستة أشهر، لكنهم لم يتجاوبوا معه، وبقوا على وثنيتهم [(٣)]، فأرسل الرسول ﷺ سرية أخرى بقيادة علي بن أبي

---

(١) انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، البلاذري ، انساب ، جـ ١ ، ص ٥٣٨ – ٥٣٩ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٩١ .حميد الله ، ص ٢١١ .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ ، ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٣٩ ، ابن هشام ، ج٤ ، ص ٢٣٩ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٥ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٩ وما بعدها .

طالب إلى اليمن ، وأمره أن يعود خالد بن الوليد ومن معه إلى المدينة ، وإن أراد أحد من رجال خالد بن الوليد البقاء مع سريته – يقصد علي بن أبـي طالب – فليتركه [١] . وعندما سمعت قبائل اليمن بمسيرة علي بن أبي طالب نحوها استعدت لقتاله ، وعند وصوله أوائل بلاد اليمن ، جمع رجاله فصلى بهم ، ثم حثهم على قتال المشركين ، ومن يحارب الله ورسوله من أهل اليمن ، ثم واجه بعض القبائل اليمنية ، فأنذرها ، وقرأ عليهم كتاب النبي ﷺ فأسلمت همدان كلها في ذلك اليوم [٢] ، فكتب علي بن أبي طالب إلى النبي ﷺ يخبره بإسلام همدان ، فحمد النبي ﷺ الله وأثنى عليه ، وخر ساجداً شكراً لله ، ثم جلس وقال : السلام على همدان ثلاث مرات [٣] .

ويتضح لنا من ذلك أن الرسول ﷺ كان حريصاً على أن يتوغل الإسلام في أرض اليمن وغيرها وصولاً لتحقيق عالمية الإسلام ، فلم يقتصر على دخول أهل نجران في الإسلام ، وإنما كان ذلك بمثابة مرحلة أولى في طريق دخول الإسلام إلى كل أصقاع اليمن حيث نراه يعقب على سرية خالد بسرية جديدة على رأسها علي بن أبي طالب بعد أن تعسر على خالد إقناع اليمنيين في جنوب نجران بالدخول في الإسلام ، فنجحت هذه الدماء الإسلامية الجديدة في إدخال همدان سلماً في الإسلام .

---

(١) الطبري،جـ٣، ص١٣٢،ابن الأثير، الكامل جـ٢، ص٢٠٥، قال الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب: ((مر أصحاب خالد من شاء منهم يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل ...)) ابن كثير، البداية ، مج ٣، جـ٥، ص٩٣

(٢) للمزيد عن قبيلة همدان ، انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ وما بعدها ، ابن حزم ، ص ٣٩٢– ٣٩٥ ، ٤٧٥ وما بعدها ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٠ وما بعدها ، الهمداني ، صفة ٩٦ – ١٠٥ ، ٢١١ – ٢١٤ ، ٢٤٦ – ٢٤٩ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٥ . للمزيد ، انظر ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، ص ٩٤ .

كما أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في مهمة أخرى بالسنة العاشرة أيضاً ، وكانت إلى أهل نجران [١] ليجمع الصدقات من المسلمين ، ويأخذ الجزية من أهل الذمة وتذكر بعض المصادر أن النصارى هم أول من دفع الجزية من أهل الذمة في بلاد العرب [٢] .

وبعد أن أتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مهمته في بلاد نجران ومن بينها جمع الصدقات من مسلمي نجران وكذلك الجزية من أهل الذمة عاد بجيشه إلى المدينة ، وكان قد وصله الخبر بقدوم الرسول ﷺ إلى مكة لأداء فريضة الحج ، وهي حجة الوداع ، قال ابن هشام والطبري [٣] : ((**لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقي رسول الله ﷺ بمكة ، تعجل إلى رسول الله ﷺ واستخلف**

---

(١) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ ، ابن خياط ، ص ٩٧ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ . ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص٢١٩ . وكان الرسول ﷺ حريصاً على تزويد عماله بالتعليمات الشرعية الأساسية التي يسيرون عليها ، فنجده يزود معاذ بن جبل ببعض تلك النصائح والتعليمات عندما أختاره عاملاً على اليمن ، فيقول له : " إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعو لك بذلك ، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعو لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم اطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإن ليس بينها وبين الله حجاب " ، انظر ابن كثير ، البداية ، مج٣ ، جـ ٥، ص٩٠ . وللمزيد عن رحلة معاذ بن جبل من حاضرة الدولة الإسلامية (المدينة المنورة) إلى الطائف ثم بلاد السراة إلى نجران حتى دخل صنعاء ، انظر ابن سمرة الجعدي ، ص ١٧ ، ١٨ ، عمارة الحكمي ، اليمن (تحقيق الأكوع) (القاهرة) (١٣٩٦هـ/١٩٧٦ م) ص ٧٢ ، الأشرف الرسولي ، ص١٢ ، الجندي ، جـ١، ٢٥ ، ٢٧ ، الهمداني ، صفة ، ص ١٤٤ .

(٢) ثم جاء بعدهم في دفع الجزية نصارى أيلة وأذرح ببلاد الشام أثناء غزوة تبوك في السنة العاشرة للهجرة، للمزيد انظر ، ياقوت ، جـ١ ، ص ١٢٩ ، ٢٩٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٩ . كما يتحدث الهمداني عن المذاهب الدينية التي ظهرت في اليمن بعد ظهور الإسلام فيذكر أن أهله ينقسمون إلى ثلاث ملل : ثلث يهود، وثلث نصارى، وثلث مسلمين . والمسلمون منهم ينقسمون بدورهم إلى ثلاثة مذاهب : ثلث شافعية، وثلث زيدية ، وثلث مالكية ، انظر ، المسري ، ص ٥٩ (نقلاً عن الهمداني) .

(٣) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٤٩ .

على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي ﷺ فلما دنى جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل [(١)] ، قال : ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس ، قال : ويلك انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ قال فانتزع الحلل من الناس فردها في البز [(٢)])) ثم قال إن هذا العمل لا يرضاه رسول الله ﷺ ، وعندما التقى الجيش برسول الله ﷺ اشتكوا له علياً وما صنع معهم ، فقام الرسول ﷺ في الناس خطيباً ثم قال : ((**أيها الناس ، لا تشتكوا علياً ، فوالله إنه لأخشن في ذات الله ، أو في سبيل الله ، من أن يُشكى [(٣)]))** وبهـذا فقد شهد الرسول ﷺ لعلي ابن أبي طالب بالعدل والاستقامة في دينه ، وأن ما قام به من عمل يرضي الله ورسوله .

---

(١) الحلل ، جمع "حلة " ويقال : الحلة رداء وقميص وتمامها العمامة ، كما أن الثوب الجيد يقال لـه في الثياب حلة ، ويقال أيضاً الحلـل : الوشـي ، والحـبرة ، والخـز ، والقـز ، والقـوهي ، والمروي ، والحرير ، كما أن الحلة كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو رقيق ، ولا يكون إلا ذا ثوبين ، ويقصد بالحلة أيضاً القميص و الإزار ، والرداء فلا تكون أقل من هذه الثلاثة . ويذكر أن الحلل برود اليمن ولا تسمى حلة حتى تكون من ثوبين ، وقيل ثوبين من جنس واحد ، وبالتالي فالحلل التي لبسها جيش علي بن أبي طالب من برد اليمن وهي تحتوي على ثـوبين ، يقول الشاعر :

لَيْسَ الفتَىَ بِالُمسَمَّنِ الُمخْتَالِ وَلاَ الذَّي يَرْفُلُ فِي الْحُلَلْ

انظر ، ابن منظور ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .

(٢) ابن هشام ، جـ٤ ، ص٢٥٠ ، كما أن الطبري أورد هذه الرواية مـع اخـتلاف بـسيط في العبارات ، جـ٣ ، ص١٤٩

(٣) المصادر نفسها ، وللمزيد انظر ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص٩٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٢، ص ٢٠٥ .

وتذكر المصادر أن علي بن أبي طالب قد قدم مبعوثاً من الرسول ﷺ إلى اليمن ثلاث مرات [١] ، الأولى كانت إلى نجران لجمع الصدقات من المسلمين ، والجزية من أهل الذمة ، وكان برفقته بعض الصحابة : أمثال البراء بن عازب الأنصاري ، وخالد بن الوليد ، وبريدة بن الخصيب الأسلمي [٢] ، أما السفارة الثانية فكانت في السنة العاشرة قبل حجة الوداع ووصل فيها إلى نجران وصعدة ثم صنعاء وقد شيد هناك مسجداً عرف باسمه [٣] ، والسفارة الثالثة والأخيرة وصل فيها إلى عدن أبين ، وقد خطب على منبرها خطبة بليغة [٤] . وقد ترك تردد علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) على اليمن ، وما نتج عن ذلك من انتشار الإسلام بين قبائل اليمن لا سيما همدان ، وما بذله في سبيل نشر العقيدة الإسلامية السمحاء بين ربوعها ، كل ذلك ترك انطباعاً جيداً في نفوس أهل اليمن ، فقد أحبوه وارتبطوا به ارتباطاً معنوياً عميقاً ، وقد استمر هذا الحب والولاء لعلي بن أبي طالب وأهل بيته من بعده ، ولعل ذلك من الأسباب التي ساعدة على سهولة دخول المذهب الزيدي وانتشاره في أنحاء اليمن ، وبخاصة في المناطق الشمالية والوسطى منه ، والتي تردد عليها عليّ وأقام فيها أثناء مقامه باليمن ، وهذا ينهض دليلاً قوياً على حب أهل اليمن وولائهم للعلويين [٥] .

---

(١) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٥٠ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٥ . ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ جـ ٥ ، ص ٩٤ وما بعدها ، حميد الله ، ص ١٦٧، وللمزيد انظر ، الحرازي ، ص ١٣ ، المسري ، ص ٦٠ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها ، وللمزيد انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٤ .

(٣) الحرازي ، ص ١٤ ، المسري ، ص ٦٠ .

(٤) المصادر نفسها .

(٥) العلويون : نسبة إلى أحد أحفاد على بن أبي طالب ، ويدعى زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، وللمزيد عن انتشار المذهب الزيدي في اليمن ، انظر شرف الدين ، اليمن ، ص ٢٤٥ – ٢٦٢ ، للمؤلف نفسه ، تاريخ الفكر ، ص ١٠٥ – ١٣٤ .



٣ – نصارى نجران وأوضاعهم في عصر النبوة :

أما نصارى نجران ، الذين ظلوا على مسيحيتهم [1] ، ولم يدخلوا في الإسلام مع من دخل من أهل نجران ، فقد بعث إليهم الرسول ﷺ كتاباً موجهاً إلى أساقفتهم ، قال فيه : ((**باسم الله ، من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران : باسم الله ، فإني أحمد إليكم إله إبراهيم ، وإسماعيل، وإسحاق ، ويعقوب ، أما بعد: ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أنتم أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام**)) [2] .

ويتضح من هذا الكتاب أن الرسول ﷺ بين لهم ما يجب عمله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه ، فإن لم يرضوا بهذا المطلب النبيل فإن عليهم دفع الجزية عن يد وهم صاغرون ، فإن امتنعوا عن هذا أيضاً فليس بينهم وبينن المسلمين إلا الحرب حتى يذعنوا لواحد من هذين الشرطين .

وبعد وصول كتاب رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران ، وعلموا وتأكدوا جدية الرسول ﷺ في مطلبه ، وبالتالي اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم ، ووصلوا في نهاية اجتماعهم إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة الأمور منه بشكل مباشر [3] .

---

(١) يذكر أن المسيحية لم تنتشر في أهل نجران خاصة ، وأهل اليمن عامة إلا في قلة من الناس ، والدليل على ذلك أن الكتاب المقدس لم يترجم إلى العربية في عصر ما قبل الإسلام ، بينما ترجم إلى لغات البلاد التي انتشرت فيها المسيحية انتشاراً واسعاً ، وهذا مما يؤكد على أن كنيسة نجران وغيرها من الكنائس في اليمن استخدمت اللغة العربية ، وربما أنها استخدمت السريانية أو العبرية . انظر الفقي ، ص ٢٥٣، عابدين ، ص ٩٤ – ٩٧ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨١ ، الفقي ، ص ٢٥٤ ، الشجاع ، ص ١٣٦ – ١٣٨ .

(٣) ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٥ . ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٧٧ .

وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد وفد نصارى نجران ، فمنهم من قال إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم [١] ومنهم من قال بأن عددهم ستون [٢] ، وآخرون قالوا أربعون [٣]، وابن خلدون يشير إلى أن عددهم سبعون نصرانياً [٤] .

والاختلاف الذي وقع فيه المؤرخون حول عدد أفراد هذا الوفد ، غير ذات أهمية ، والمهم أنهم جميعاً أجمعوا على خروج وفد نجران النصراني إلى المدينة لأجل مقابلة الرسول ﷺ ، بل إنهم قد ذكروا بعض أسماء الوفد ، مثل أميرهم العاقب ، واسمه عبد المسيح من قبيلة كندة ، وأسقفهم وزعيمهم الروحي أبو الحارث بن علقمة [٥]، واخيه كرز بن علقمة من قبيلة بني الحارث [٦]، وصاحب إدارة شؤونهم المالية ، السيد بن الحارث [٧] وأخيه أوس ، وعدد آخر ورد ذكرهم في بعض المصادر التي أشارت إلي هذا الوفد [٨] .

ويبدوا أن بعض أفراد هذا الوفد كان عالماً بصحة نبوة الرسول ﷺ فهذا هو زعيمهم الروحي أبو الحارث بن علقمة يعترف لأخيه كرز بن علقمة بشكل واضح وصريح بذلك ، يترجم له ابن سعد في طبقاته فيقول عنه : ((**كان أسقفهم وإمامهم ،**

---

(١) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، انظر أيضاً ، ابن حجر ، الاصابه ، جـ ٤ ، ص ٣٠٩ .

(٢) الذهبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٧٨ .

(٣) حميدالله ، ص١٨٣، انظر أيضاً ابن كثير، التفسير، جـ١، ص٣٧٦ وما بعدها، الغامدي ، ص٢٢٤-٢٣٩

(٤) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ ، للمزيد انظر الغامدي ، ص ٢٢٤ وما بعدها .

(٥) ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، ويذكر ابن خلدون في تاريخه ، أن اسمه أبو حارثة بن بكر بن وائل ، جـ٢ ، ص ٤٤٧ ، العقيلي ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٦) المصادر والمراجع نفسها .

(٧) ابن سعد، جـ١، ص٣٥٧، ويذكر ابن خلدون، أن اسمه أيضاً الأيهم، والسيد معاً، تاريخ ، جـ٢، ص ٤٧٧.

(٨) انظر ابن سعد ، الطبقات ، جـ١ ، ص ٣٥٧ ، الذهبي ، تاريخ ، جـ١ ، ص ٥٧٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢، ص٤٧٧ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ١ ، ص ٣٧٦.

وصاحب مدارسهم ، وله فيهم قدر ، فعثرت به بغلته [١] ، فقال أخوه : تعس الأبعد ، يريد رسول الله ﷺ فقال أبو الحارث بل تعست أنت ، أتشتم رجلاً من المرسلين ؟ إنه الذي بشر به عيسى ، وإنه لفي التوراة ، قال : فما يمنعك من دينه ؟ قال : شرفنا هؤلاء القوم ، وأكرمونا ، ومولونا وقد أبو إلا خلافه [٢] ، فحلف أخوه (كرز) ألا يثني له صعراً حتى يقدم المدينة فيؤمن به [٣] ومضى يضرب راحلته ويقول :

اَلَيْكَ يَغْدو قَلِقاً وضِينُها — مُعْتَرِضاً في بَطْنِهَا جَنينُها

مُخالِفاً دِينَ النّصَارى دينُها [٤]))

ويتضح لنا من النص السابق أن أهل العلم من نصارى نجران يعلمون صحة ما ورد في كتبهم حول صدق نبوة الرسول محمد ﷺ ورغم ذلك لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام ، وذلك لما لهم من صلات سياسية ، وعقدية واقتصادية مع إمبراطورية الروم التي نشرت المسيحية في بلاد اليمن عامة ، وفي بلاد نجران خاصة ، وبالتالي فإنهم جعلوا نصارى نجران مسؤولين عن الدفاع عن النصرانية في بلادهم وما حولها ، ومقابل ذلك فإنهم كانوا يغدقون عليهم العطايا والمنح المتنوعة من أجل الحصول على ولائهم ، والبقاء تابعين لهم سياسياً وعقدياً ، وذلك يتضح في عبارة أبي الحارث، عندما قال عن الروم : ((**شرفنا هؤلاء القوم ، وأكرمونا ، وقد أبو إلا خلافه** [٥])) .

---

(١) وهم في طريقهم مع بقية الوفد متجهين إلى الحجاز لمقابلة الرسول ﷺ ، انظر ابن سعد جـ١ ، ص ١٦٥ .

(٢) يقصد الروم ، وللمزيد انظر ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٣) انظر ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٤– ١٦٥ ، وللمزيد انظر الذهبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٨٧ .

(٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٥ .

(٥) ابن سعد جـ ١ ، ص ١٦٥ وللمزيد عن علاقة نصارى نجران بالروم ، انظر ، عابدين ، ص ٤٩ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٣ ، ص ٤٤٩ وما بعدها ، عامر ، ص ٢٦ .

ونجد كرز بن علقمة يطلع على ضلال أخيه ، أبي الحارث ، ومخالفته للفطرة السليمة ، فيتركه ويسبقه ووفده إلى الرسول ﷺ فيدخل الإسلام ، وربما اكتشف بعض أعضاء الوفد وغيرهم من نصارى نجران تلك الحقيقة التي كان يعرفها أبو الحارث بن علقمة ، فنجدهم يتركون دين النصرانية ويدخلون دين الإسلام ، وأكبر دليل على ذلك ما فعله العاقب والسيد اللذان دخلا الإسلام بعد مقابلتهما للرسول ﷺ في المدينة المنورة .

وصل وفد نصارى نجران إلى المدينة بعد صلاة العصر والرسول ﷺ في المسجد ، وكان عليهم ثياب الحبرة [(١)] ، وأردية مكفوفة بالحرير ، وفي أعناقهم وأيديهم الصليب ، ثم أقاموا في المسجد يصلون نحو المشرق ، فعزم بعض أصحاب رسول الله ﷺ على منعهم ، فقال الرسول ﷺ دعوهم [(٢)] . ويذكر ابن سعد أنهم جاءوا إلى الرسول ﷺ بهيئتهم الآنفة الذكر فأعرض عنهم و لم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان : ((**ذلك من أجل زيكم هذا**)) فانصرفوا ذلك اليوم ، وجاءوا اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان [(٣)] .

وكانوا قد اتصلوا ببيت المدارس لليهود ، والتقوا ببعض زعمائهم ، مثل : الكاهن اليهودي ، المسمى بن صوريا ، وكعب بن الأشرف ، وقالوا لهم : هذا الرجل — يقصدون الرسول ﷺ — عندكم منذ كذا وكذا قد غلبكم ، احضروا امتحاناً له غداً . معتقدين أن ائتلافهم مع اليهود قد يجعلهم أصحاب الرياده والتفوق عندما يغلبون الرسول ﷺ .

وعند مقابلتهم الرسول ﷺ دارت بينهم مناقشات عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وحول الإسلام ، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام فقال السيد والعاقب : ((**إنا قد أسلمنا قبلك ، فقال : كذبتما يمنعكما من الإسلام**

---

(١) الحبرة : يقال أنها ضرب من برد اليمن منمر الشكل ، وهي نوع من الألبسة الجيدة والغالية الثمن . ابـن منظـور ، جـ ٣ ، ص ١٦ — ١٧ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .

(٣) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨ .

ثلاث ، أكلكما الخنزير ، وعبادتكما الصليب ، وقولكما لله ولد ، قالا فمن أبو عيسى، وكان الرسول ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربه)) [١] ،ثم قال : هو عبد الله ورسوله، فقال أسقفهم أبو الحارث: ((تعالى الله عما قلت ، وهل رأيت ولد من غير ذكر [٢])) . ويورد ابن كثير بعض التفصيلات عن هذا اللقاء ، ويشير إلى أن الرسول ﷺ صمت و لم يجبهم عندما سألوه من هو أبو عيسى ، ويستطرد ابن كثير قائلاً : ((فأنزل الله في ذلك قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ...)) [٣] حيث رد الله عز وجل سؤالهم للرسول ﷺ بقوله تعالى :﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ . إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [٤] . إلى قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [٥]، يذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات، فلما أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله والفصل بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من المباهلة [٦] ،

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ ، وللمزيد ، انظر ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ . كما أن هناك بعض الإختلافات البسيطة في ذكر الرواية ، انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ –٣٧٧ .

(٢) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، الطبري ، مجمع البيان ، جـ ٢ ، ص ٩٩ ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ١٧٧ وما بعدها .

(٣) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٤) سورة آل عمران ، الآيتان (٥٨ ، ٥٩) .

(٥) سور آل عمران آية (٦١) . انظر ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

(٦) المباهلة ، جاءت من فعل (بهل) البهل هو اللعن ، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه ، وعليه بهلة الله أي لعنته ، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق ﷺ أنه قال : من ولي من امور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله ، فعليه بهلة الله " أي لعنته . والمباهلة هي الملاعنة ، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا . ابن منظور ، جـ ١ ، ص ٥٢٢ .

وملاعنتهم ، فقالوا للرسول ﷺ : ((**يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه ، ثم انصرفوا عنه** " [(١)] .

وتذكر بعض المصادر التاريخية إلى أن اليهود في المدينة كانوا يراقبون ويشاهدون تلك المناقشات التي دارت مع الرسول ﷺ ، عندما طلب نصارى نجران من الرسول ﷺ بعض الوقت ليفكروا في قبول المباهلة أو تركها ، بل كانوا فرحين بما وصل اليه الأمر ، ويودون هلاك الطائفتين ، وفي ذلك يقولون : ((**والله ما نبالي أيهما أهلك الله الحنفية أو النصرانية**)) .ومن هذا يتضح خبث اليهود ومكرهم لذاتهم ، فلا يرغبون الحياة والعزة إلا لهم دون سواهم [(٢)] .

وبعد ذهاب نصارى نجران من عند رسول الله ﷺ اجتمعوا بالعاقب ، وكان صاحب رأي قاطع بينهم فقال : ((**يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم – يقصد عيسى** عليه السلام **– ولقد علمتم أنه ما لاعن نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم أن فعلتم، فان كنتم أبيتم إلا ألف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعدوا الرجل ، وانصرفوا إلى بلادكم**)) [(٣)] .

ويورد اليعقوبي إلى أن وفد نجران قبلوا المباهلة مع الرسول ﷺ ، ولما جاء اليوم الثاني ، جاء رسول الله ﷺ آخذاً بيد سبطيه الحسن والحسين ، تتبعه فاطمة

---

(١) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ – ٣٧٧ ، انظر الزمخشري تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

(٢) والنصارى أقرب في مودهم للمسلمين من اليهود والمشركين قال الله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . سورة المائدة ، آية (٨٢) .

(٣) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ – ٣٧٧ .

وعلي بن أبي طالب ﷺ ، وجاء العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدّر والحلي ، وقد التفوا بأبي الحارث ، فقال أبو الحارث : ((**من هؤلاء معه ؟ قالوا : هذا ابن عمه ، وهذه ابنته ، وهذان ابناه ، فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه ، ثم ركع ، فقال أبو الحارث : جثا والله كما يجثوا النبيون للمباهلة ، فقال له السيد : ادن يا أبا حارثة للمباهلة ، فقال اني أرى رجلاً جرياً على المباهلة وإني أخاف أن يكون صادقاً ، فإن كان صادقاً لم يحل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام**)) [١] .

ولهذا تراجعوا عن مباهلة الرسول ﷺ وقال أسقفهم أبو الحارث للرسول ﷺ لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا فقال رسول الله ﷺ إذاً أبيتم المباهلة ، فأسلموا ، يكن لكم ما للمسلمن ، وعليكم ما عليهم ، فرفضوا ، فقال الرسول ﷺ إذاً أحاربكم ، فقالو : ((**نصالحك على أن لا تغزونا ، ولا تخيفنا ، ولا تردنا عن ديننا ، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة** [٢] **، ألف في صفر وألف في رجب**)) ويذكر ابن كثير أنهم قالوا للرسول ﷺ : ((**يا أبا القاسم قد رأينا ألا نلاعنك ، ونتركك على دينك ، ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا** ...)) [٣] ، فقال الرسول ﷺ ((**أئتوني العشية أبعث معكم**

---

(١) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ – ٨٣ . ويورد الزمخشري أن أبو الحارث ، عندما رأى الرسول ﷺ يوم خرج للمباهلة قال : " يا معشر النصارى اني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لازاله بها ، فلا تباهلوا فتهلكوا ، ولا يبقى على وجه الارض نصراني إلى يوم القيامة " انظر الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ . ويذكر البلاذري انه قال : " احدهما لصاحبه – يقصد نصارى نجران – أصعد الجبل ولا تباهله فانك أن باهلته بؤت باللعنة ، قال فما ترى ، قال : أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله " البلاذري ، فتوح ، ص٧٥ – ٧٦ ، انظر أيضاً ابن الأثير ، الكامل جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٢) الحلة تساوي الأوقية ، ووزن الأوقية أربعين درهماً من الفضة ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ .

(٣) الزمخشري ، تفسير ، جـ١ ، ص ١٧٨ ، للمزيد انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ – ٧٦ ، ابن سعد جـ١ ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ – ٤٧٨ .

القوي الأمين)) [(١)] ، وعندما رأى أبو عبيدة عامر بن الجراح دعاه ثم قال له **((اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه))** [(٢)] .

وقَبِلَ الرسول ﷺ الصلح معهم ، وكتب بذلك كتاباً أوضح فيه شروط هذا الصلح ، وكان نصه كالآتي :**((بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب النبي محمد رسول الله (ﷺ) لأهل نجران : إذا كان عليهم حُكمُه في كل ثمرة ، وفي كل صَفراء وبَيضاء ورقيق ، فأفضل ذلك عليهم ، وترك ذلك كله لهم ، على ألفي حُلة من حُلل الأواقي : في كل رجب ألف حُلة ، وفي كل صفر ألف حُلة ، كل حُلة أُوقية من الفضة . فما زادت على الخراج ، أو نَقَصَت عن الأواقي فبالحساب . وما قضوا من دروع ، أو خيل أو ركاب أو عروض أُخِذَ منهم بالحساب . وعلى نجران مؤنة رُسُلي ومتعتهم ، ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك ، ولا تُحبَس رُسُلي فوق شهر ، وعليهم عارية ثلاثين درعاً ، وثلاثين فَرساً ، وثلاثين بعيراً ، إذا كان كيد باليمن ذو مغدرة** [(٣)] **. وما هَلك مما أعاروا رُسُلي من دروعٍ ، أو خيلٍ أو ركابٍ ، أو عروضٍ ، فهو ضمين على رُسُلي ، حتى يؤدُّوه إليهم . ولنجران وحاشيتها ، جِوار الله وذِمّة محمدٍ النبي رسول الله على أموالهم ، وأنفسهم ، وملّتهم ، وغائبهم ، وشاهدهم وعشيرتهم ، وبِيَعهم وكلِّ ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . لايُغّير أُسقُف من أُسقفيّته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته . وليس عليهم رُبِّيّة ولا دمُ جاهلية** [(٤)] **ولا**

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ذو مغدرة ، أي إذا كان كيد بغدر منهم .

(٤) يقصد الربا الذي كان عليهم في الجاهلية والدماء التي كانوا يطلبون بها ، ابــن منظــور ، جـــ ٥ ، ص ١٢٦ . فعل (ربا)

يُحشَرون ، ولا يُعشَرون ، ولا يطأ أرضهم جيش . ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين . ومن أكل رباً من ذي قَبل فذمتي منه بريئة . ولا يؤخَذ رجل منهم بظلمِ آخر . وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله حتى يأتي الله بأمره ، ما نصحوا وأصلحوا ما عليهم ، غير مثقَلين بظُلم)) [١] .

وبالاطلاع على نصوص هذا الصلح نرى أن الرسول ﷺ وافق على عقد هذه الاتفاقية مع نصارى نجران على أن يبقوا على دينهم ، مقابل دفع الجزية ، ومقدارها الفا حلة ، قيمة كل حلة (٤٠) درهماً من الفضة ، وأن يتعاونوا مع المسلمين إذا وقعت لهم حروب في اليمن ، فيمدوهم ببعض الآلات الحربية دون الاشتراك معهم في الحرب ، كما حَرَّم عليهم الربا ، ولا يؤخذ أحد بخيانة غيره ، إلى ذلك من الشروط التي اشترطها الرسول ﷺ عليهم ، أو شرطها لهم [٢] .

ونلاحظ اختلاف بعض المصادر التاريخية في بعض تفاصيل هذا الصلح ، فالبلاذري أورد معظم النص المذكور أعلاه [٣]، يليه ابن سعد واليعقوبي اللذان أوردا الشروط مفصلة والتي ذكرها الرسول ﷺ له أو عليه مع نصارى نجران [٤] ، أما ابن الأثير وابن خلدون فقد اختصرا الاتفاقية اختصاراً شديداً ، فذكرا أنه عُقدت اتفاقية بين الرسول ﷺ وبين نصارى نجران ، ثم أشارا إلى

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص٧٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص٨٣ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٥٨ ، حميد الله، ص ١٧٥ – ١٧٦ . وهناك اختلاف بسيط في بعض عبارات هذا الكتاب ، انظر حميد الله ، ص ١٧٨– ١٧٩ .

(٢) حميد الله ، ص ١٧٥ – ١٧٦

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ .

(٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣.

عدد الألفين حلة التي صالحهم الرسول ﷺ عليها مقابل أن يبقوا على دينهم ويحميهم من أي اعتداء يحل بهم ماداموا ملتزمين بشروط الصلح المنصوص عليها في الاتفاقية (١) .

وتروي بعض المصادر التاريخية بأن نصارى نجران كانوا أول من صالح الرسول ﷺ من النصارى قاطبة ، وأن الميثاق آنف الذكر كان خاصاً بنصارى نجران فقط (٢) . لكن نجد بعض المصادر أيضاً تشير إلى مواثيق أخرى دونها الرسول ﷺ لنصارى نجران لكن ما ورد فيها من تفصيلات يشمل النصارى عامة ومن بينهم نصارى نجران (٣) .



٤ - حركة الردة في نجران وأعمالها في عصر النبوة:

ارتد أهل نجران عن الإسلام في أواخر عهد النبي ﷺ عل يد رجل اسمه (عبهلة بن كعب) ويكنى بذي الخمار لأنه كان دائماً مختمراً بخمار (٤) ، ويعرف بالأسود العنسي لان لون وجهه كان يميل إلى السواد (٥). وقد تميز بأشياء جعلت الناسَ يلتفون حوله ، فقد كان كاهناً مشعوذاً يسحر الناس بأعاجيبه وأحاجيه ،

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص٧٩ ، اليعقوبي، تاريخ ، جـ٢ ، ص٨٢-٨٣ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص٣٥٧- ٣٥٨. ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر الزرقاني ، جـ ٤ ص ٤٣ (من رواية ابن ابي شيبة وابي نعيم وغيرهما) ، ابن سلام ، ص ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، أبو يوسف ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، حميد الله ، ص ١٨٠ - ١٩٠ولأهمية هذه العهود والمواثيق قمنا بايراد بعضها في الملحق رقم (٤) في نهاية هذا الكتاب .

(٤) ويذكر أنه كان يكنى بذ الحمار - بالحاء المهملة - لحمار له كان قد دربه وعلمه حتى كان يقول له اسجد فيسجد ويقول له ابرك فيبرك . انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٦ وما بعدها .

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ .

ويجذب قلوب من سمعه بمعسول الكلام، كما كان قوي البنية، شديد العضلات، وهو أحد رجال قبيلة عنس اليمنية (١) .

وما أن انتشر بين الناس خبر مرض الرسول ﷺ بعد رجوعه من حجة الوداع حتى ادعى الأسود العنسي النبوة (٢) ، وقيل أنه أطلق على نفسه (رحمان اليمن) كما تسمى مسيلمة الكذاب (رحمان اليمامة) (٣) ، وأنه كان يدعي النبوة ولا ينكر نبوة محمد ﷺ ، وكان يزعم أن ملكين يأتيانه بالوحي وهما : سحيق وشقيق أو شريف (٤) ، وكان يدعو الناس سراً في بداية أمره ، ويجمع حوله من يراه مناسباً ، حتى فاجأ الناس بظهوره وإعلان دعوته (٥) .

وأول من تبعه أبناء قبيلته (عنس) (٦) ، ثم كاتب زعماء قبيلة مذحج ، فتبعه العوام منهم ، وبعض زعمائهم ، وبخاصة طالبوا الرئاسة (٧) . وعمل على إثارة العصبية القبلية في البلاد الواقعة ما بين صنعاء ونجران (٨) .

وعندما سمع به بنو الحارث بن كعب من أهل نجران ، وبطون أخرى من قبيلة مذحج دعوه إلى بلادهم ، فقدم اليهم على رأس قوة عسكرية ،

---

(١) للمزيد ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٣٢ وما بعدها ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، المقدسي، البدء ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ وما بعدها. وقبيلة عنس بطن من بطون قبيلة مذحج .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٣١ وما بعدها ، المقدسي البدء ، جـ٥ ، ص١٥٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، الحديثي ، ص ١١٥ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ .

(٤) ومما روى من سجعه ، وادعائه نزول الوحي قولـه : " المايسات ميسا ، والدارسات درساً ، ويحجون عصباً وفراداً ، على قلائص حمر وصهب" ، انظر ، المقدسي ، البدء ، جـ٥ ، ص١٥٤ ، السهيلي ، جـ ٧ ، ص٤٤٥ ، ٤٤٦ .

(٥) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٤٠ .

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ .

(٧) مجهول المؤلف ورقة ٣٢ (ب) ، الطبري ، جـ ٣ ص ٢٢٩ .

(٨) للمزيد انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ وما بعدها .

يذكر الحميري أن عددها وصل إلى خمسة آلاف مقاتل وجميعهم من قبائل حمير [١]، وتمكن من دخولها فاتبعوه وارتدوا عن الإسلام ، وأصبح يزيد بن محرم بن حصن الحارثي النجراني أحد قادته [٢] .

والعدد الذي ذكره الحميري والنص على أنهم جميعاً ينتمون لقبائل حمير ، أمر يعتقد بعدم صحته لعدة أمور منها :

١- إذا كان بنو الحارث بن كعب من أهل نجران هم الذين دعوه وأن عدداً كثيراً من بطون مذحج في بلاد نجران وما حولها قد اقتنعوا بدعوته واتبعوه ، فلماذا ياخذ هذا العدد الكبير ويسير بهم إلى نجران ، وبخاصة أنه لن يقابله من أهلها أي أذى لاعتناقهم دعوته ورغبتهم في الإنضمام اليه ، وإن ظهر بعض المناوئين له فلن يمثلوا إلا أقلية من المجتمع النجراني يسهل القضاء عليهم بواسطة أتباعه النجرانيين أنفسهم .

٢- نجد أن بعض المصادر تذكر خروجه في (٧٠٠) مقاتل دون أن تحدد وجهته نحو نجران ، ونحن نميل لترجيح هذا الرأي وربما هذا العدد كان معه يوم أظهر ادعائه النبوة وخروجه بدعوته إلى الناس ، والمعروف أن معظم اتباعه آنذاك كانوا عنسيين من قبيلته وبطون أخرى من مذحج وقبائل يمنية أخرى [٣] .

---

(١) الحميري ، ص ٥٧٤ .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل جـ ٢ ، ص ٢١٥ ، ويعدد الطبري وابن كثير بعض امرائه مثل : قيس بن عبد يغوث المرادي ، ومعاوية بن قيس الجنبي ، ويزيد بن حصن الحارثي (النجراني) ، ويزيد بن الأفكل الأزدي " ، انظر ابن كثير ، البداية ، مج ٣ جـ٦ ، ص ٣١٢ .

(٣) انظر الكلاعي ، ص ٨ ، وللمزيد انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، مجهول المؤلف ورقة ٣٢ (ب)، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ .

٣- من يستقرئ تاريخ قبائل حمير قبل الإسلام ، ثم كيفية دخولهم في الإسلام وتمسكهم به ، وعدم استجابتهم مع قبائل همدان لما جاء ونادى فيهم الأسود العنسي ، يؤكد على عدم صحة خروج (٥٠٠٠) منهم مع الأسود العنسي أما عن استجابة حمير لدعوته فربما خرج معه بعض الحميريين بشكل فردي أو في مجموعات صغيره ، ولكن المؤكد أن أعيان وأمراء عشائر قبائل حمير كانوا من المناوئين للأسود العنسي ، و لم يكونوا على وفاق معه و لم يقتنعوا بما كان يدعو إليه [(١)] .

على أية حال وصل الأسود العنسي نجران وأقام بها أياماً يدعو لنفسه بالنبوة، فاستجابت له بعض العشائر المجاورة لبلاد نجران مثل: عشائر زُبيد، وكان على رأسهم زعيمهم عمرو بن معد يكرب الزُبيدي ، وقيس بن مكشوح المرادي ، وبطون وعشائر عربية أخرى [(٢)] ، وتمكن من طرد عمال الرسول ﷺ من نجران وما جاورها [(٣)] ، ثم استهوته السيطرة على

---

(١) للمزيد عن الحميريين وما قاموا به من أدوار سياسية خلال عصر الرسالة والخلافة الراشدة انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٢٧ وما بعدها ، الشجاع ، ص ١٥٤ وما بعدها ، الحديثي ، ص ١٠١ وما بعدها .

(٢) ويحدد الطبري المناطق التي استجابت للعنسي وأصبحت تحت سيطرته فيقول " وغلب الأسود العنسي على ما بين صيهد (مفازة حضرموت) إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن " ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله " وثبت ملكه ، واستغلظ أمره ، ودانت لـه سواحل من السواحل ، حاز عثر ، والشرجة ، والحردة ، وغلافق، وعدن ، والجند ، ثم صنعاء إلى عمل الطائف ، إلى الأحسبة وعليب ". الطبري جـ ٣ ، ص٢٣٠ .

(٣) ويذكر أنه عندما ظهر بدعوته كتب إلى بعض عمال الرسول ﷺ كتب عديدة ، وكان من ضمن ما كتب إلى معاذ بن جبل وهو في بلاد الجند قولـه : " أيها المتوردون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفروا ما جمعتم ، فنحن أولى به وانتم على ما أنتم عليه "، الطبري، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ جـ ٦ ، ص ٣١١ .

صنعاء فخرج إليها في ستمائة أو سبعمائة فارس معظمهم من بني الحارث ابن كعب وعنس [١] . وتقابل مع أهل صنعاء وعليهم شهر بن باذان الفارسي [٢] فتقاتلوا قتالاً شديداً ، فقتل شهر بن باذان ، وانهزم أهل صنعاء أمام الأسود العنسي فغلب عليها ونزل قصر غمدان بصنعاء ، وذلك بعد خمسة وعشرين يوماً من ظهوره [٣] . وكان له مواقف بشعة في تعذيب المتمسكين بالإسلام في نجران وصنعاء وما بينهما ، واتسع نفوذه حتى شمل ما بين بلاد حضرموت وعدن جنوباً إلى شمال بلاد نجران شمالاً ، وامتد حكمه حتى وصل إلى بعض الأجزاء الساحلية الجنوبية من البحر الأحمر[٤] . وقد اضطربت أوضاع المسلمين باليمن وأصابهم الخوف الشديد من بطش الأسود العنسي ، فكانوا يتعاملون معه من منطلق مبدأ التقية ليأمنوا على أرواحهم [٥] .

أما بقية المسلمين خارج نطاق سيطرته فقد حاولوا التجمع وإعادة الانتظام إلى صفوفهم ، فكان فروة بن مسيك المرادي قد انحاز إلى مكان

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، الكلاعي ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) هذا ولد الوالي باذان آخر ولاة اليمن من الفرس الذين دخلوا اليمن في آخر سنة (٥٧٥م) بهدف القضاء على الحبشة ، حليفة الروم ، وبناء على طلب سيف بن ذي يزن ، آخر ملوك حمير . وباذان يعد أول من أسلم من ملوك العجم ، وأول من أُمر في الإسلام على اليمن زمن الرسول ﷺ وتولى ابنه شهر بعده صنعاء وما حولها، ومات في عهد الرسول ﷺ ، انظر ابن كثير ، البداية ،مج٣، جـ٦ ، ص٣١١– ٣١٢ ،الشجاع ، ص ٣٠–٣١ ، ٩٧ –٩٨ ، ١١٩–١٢٧ ، الحداد ، ص ١٤٧ .

(٣) البلاذري ، فتوح ص ١١٣ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ .

(٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ ، ابن كثير ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١٢ .

(٥) (مجهول المولف) ورقة ٣٢ (ب) ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .

يسمى (الأحسية)[١]، وانضم إليه من انضم من المسلمين ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بخبر الأسود العنسي ، فكان أول من أبلغ الرسول ﷺ بذلك وانحاز كل من أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى حضرموت في جوار (السكاسك والسكون) [٢] .

وقد تصدى رسول الله ﷺ بحزم وقوة لهذه الحركة ، ثم أرسل نداء إلى المسلمين بنجران ، والى أمراء وأصحاب الرأي من المسلمين باليمن يحثهم على الصبر والإحتساب وتوحيد الصفوف ليتمكنوا من قهر عدوهم ، ومن تلك النداءات التي أرسلها الرسول ﷺ ما أورده الطبري بقوله ((**... وكتب النبي ﷺ إلى أهل نجران ، إلى عربهم وساكني الأرض من غير العرب فثبتوا فتنحوا وانضموا إلى مكان واحد ...**)) [٣] . ويقصد بساكن الأرض من غير العرب ، المسلمين من غير العرب ، وهم الفرس وقد عرفوا بالأبناء ولا زال أعداد منهم تسكن اليمن وبخاصة صنعاء[٤] . وكان لتلك الكتب والنداءات التي وصلت من رسول الله ﷺ التأثير البالغ على الروح المعنوية للمسلمين حيث رفعتها وأعادت الثقة والطمأنينة إليهم ، وتكاتف المسلمون

---

(١) يذكر ياقوت انه موضع باليمن له ذكر في حديث الردة ، جـ ١ ، ص ١١٢ ، ولكن لم استطع تحديد موقعه في بلاد اليمن .

(٢) اسماء بعض العشائر في بلاد حضرموت ، انظر ، الطبري جـ ٣ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ .

(٤) الأبناء : من أبناء فارس دخلوا اليمن مع سيف بن ذي يزن الحميري ، واطلق عليهم هذا الاسم – فيما بعد – لأنهم استقروا باليمن وتزوجوا ، ثم صار ابناء ابنائهم يطلق عليهم الأبناء ، لأنهم من ابناء اولئك الفرس ، ولأن أمهاتهم من أجناس غير فارسية ، وعندما جاء الإسلام أسلموا وحسن إسلامهم ، ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٥٠٨ فعل (بني)

من عرب وفرس في هذه المحنة حتى استطاعوا قتل الأسود العنسي غيلة ، وذلك قبل موت النبي ﷺ ببضعة أيام [١] .

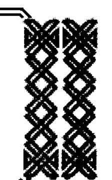
ونلاحظ من هذا العرض لردة أهل نجران وحركة الأسود العنسي أنها شكلت خطراً عظيماً على الإسلام والمسلمين باليمن لحدوثها في فترة حرجة من تاريخ الدولة الإسلامية ، فرسول الله ﷺ قائد الأمة ورئيس الدولة كان على فراش المرض ، بالإضافة إلى الأوضاع المضطربة داخل اليمن ، حيث لم يعم الإسلام بعد كل نواحيه، علاوة على وجود عدد لا بأس به من أهل الكتاب الذين كانوا منتشرين بأرجائها ، وفي ظل هذه الظروف الحرجة ظهرت حركة الأسود العنسي وامتدت إلى نجران موضوع هذا البحث ، ولكن بعزم المسلمين وتنفيذ أمر الرسول ﷺ لم يقدر لها النجاح وتم اغتيال قائدها ، ولكن بقي بعض أتباعه على ردهم ، فكان على الخليفة الأول لرسول الله ﷺ معالجة هذا الأمر والذي سنتناوله في صفحات تالية .

---

(١) للمزيد عن كيفية إغتياله ، انظر الطبري جـ ٣ ، ص٢٣٢ وما بعدها ، المقدسي ، البدء جـ٥ ، ص ١٥٥ ، الكلاعي ، ص ١٥٣ ، ١٥٦ وما بعدها ، مجهول المؤلف ورقة ٣٣ (أ) ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، ج٦ ، ص ٣١٢ وما بعدها ، ويذكر ان الرسول ﷺ بشر أصحابه في المدينة بمقتل الأسود العنسي يوم وفاته ﷺ . انظر الرازي ، تاريخ ، ص ٧٣ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١٤ .



ثالثاً : نجران في عصر الخلفاء الراشدين



لم يُقْضَ على الردة – كما أسلفنا – في نجران وبلاد اليمن بموت الأسود العنسي ، وإنما استمرت بعد وفاة الرسول ﷺ ، وخلال عهد الخليفة الراشد ، أبي بكر الصديق ﷺ (١١ – ١٣ هـ / ٦٣٢ – ٦٣٤ م) وذلك في بعض بني الحارث بن كعب في نجران الذين انضموا إلى الأسود العنسي ، وبعد مقتله ، ومجيء عهد أبي بكر الصديق ظلوا على ردهم، وهم مترددون في البقاء على الردة، أو العودة إلى الإسلام . وبينما هم على هذه الحال جاءهم مسروق العكي [١] ، مع بعض من بقي على إسلامه من أهل اليمن ، وكان عازماً على مقاتلتهم في حال رفضهم العودة للإسلام وبدا أولاً بدعوتهم سلماً لترك الارتداد والعودة للإسلام ، فاستجابوا وأسلموا دون قتال ، فأقام فيهم يعمل على استتباب الأمور في بلادهم ، حتى وصل إليه جيش الخليفة أبو بكر الصديق تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية دعماً له في قتال المرتدين [٢] .

وكان الرسول ﷺ قد أرسل قبل وفاته عدداً من مبعوثيه إلى بلاد السراة ، وغيرها من نواحي بلاد اليمن ، وخاصة عندما سمع بظهور الأسود العنسي ، ولكن

---

(١) انظر ، الكلاعي ، ص ١٥٣ وما بعدها ، وقد ذكره باسم (الأصفر العكي) بينما أسمته كتب الطبقات بمسروق العكي ، ولم تذكر (الأصفر) ولعل الاسمين لشخصية واحدة ، وللمزيد عن جهود مسروق العكي ضد المرتدين في مواطن عديدة من بلاد اليمن راجع الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٠ –٣٢١ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(٢) وللمزيد عن تصدي الخليفة أبو بكر الصديق للردة وعن الجيوش التي أرسلها إلى كل مكان لمحاربة المرتدين ، انظر الطبري جـ ٣ ، ص ٣٢٣ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٢ وما بعدها ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ٦ ، ص ٣١٥ – ٣٣٦ ، الشجاع ، ص ٢٧٣ .

عجلت الأنباء التي وصلتهم بانتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى برحيل بعضهم إلى الحجاز ، وكان جرير بن عبدالله البجلي من بعض الذين عادوا إلى المدينة المنورة ، فرده الخليفة أبو بكر الصديق وأمره أن يدعو من قومه ، من بني بجيلة ، ومن ثبت على دين الله ولم يرتد ثم يذهب بهم إلى أجزاء عديدة من بلاد السروات ، جنوب الطائف ، فيقاتل من ارتد عن الإسلام ، ثم يواصل مسيره حتى يصل نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره . ويؤكد الطبري ذلك بقوله : ((**فخرج جرير فنفذ لما أمره به أبو بكر، فلم يقر له أحد إلا رجال عدة قليلة ، فقتلهم وتتبعهم ، ثم كان وجهه إلى نجران ، فأقام بها انتظاراً أمر أبي بكر رحمه الله**)) (١) .

ومن هنا يتضح لنا أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أراد من جرير البجلي أن يعود إلى بلاد السروات فيحث من بقي على إسلامه التمسك بشرع الله ، ويقاتل معه من خرج عن ملة الإسلام ، ويظهر من نص الطبري أنه لم يقابل أعداداً كثيرة من المرتدين في البلاد الواقعة بين الطائف ونجران ، وبالتالي فقد واصل طريقه مسرعاً حتى وصل نجران فوجد من بها من المرتدين قد رجعوا إلى الإسلام على يد مسروق العكي (٢) .

أما المرتدون في بلاد اليمن ، وبخاصة في صنعاء وما حولها وكذلك الأجزاء التهامية من بلاد اليمن فقد ظلوا يعيثون في الأرض فساداً ، بينما استقرت أمور الإسلام في بلاد السراة الممتدة من الطائف حتى نجران لقلة عدد المرتدين وتمسك

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ ، للمزيد انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ . النويري ، جـ ١٩ ، ص ١٤٤ .

(٢) الكلاعي ، ص١٥٦ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص٤٩٣ ، النويري، نهاية ، جـ ١٩ ، ص ١٤٤ .

معظم مسلمي نجران بعقيدهم ، وإصرارهم على محاربة المرتدين ، نستدل على ذلك بما ورد في بعض المصادر من إشارات إلى كتاب أرسله أحد زعماء نجران ويدعى عبدالله بن عبد المدان إلى أبي بكر الصديق ﷺ يطلبه فيه أن يأذن له فيسير في أهل نجران إلى صنعاء ومن حولها لمحاربة المرتدين هناك [١] . بل نجد كتاباً آخر يرسله أبو بكر الصديق إلى المرتدين من أهل صنعاء ، فيذكرهم بدعوة الرسول ﷺ ثم دخولهم في الإسلام وبقائهم عليه إلى أن جاءهم خبر وفاة الرسول ﷺ فارتدوا عن دين الله ، ثم كان في نهاية كتابه : ((**وقد منعني أن اسلط عليكم ابن عبد المدان فيمن قبله انتظاراً ، وما والله محدث مما لست بآئس منه ، فإن تراجعوا الإسلام ترجعوا ديناً طالما نفعكم الله تعالي به ، وان تأبوا فإن لله تعالى حزباً منصوراً ، وجنداً غالباً يقطع دابر القوم الذين ظلموا**)) [٢]. ويفهم من هذا الكتاب حزم الخليفة الأول تجاه المرتدين ومخاطبتهم بصيغة الإنذار وإعطاء فرصة أخيره للمرتدين من أهل صنعاء للدخول ثانية في الإسلام ويعاود إنذارهم في حالة عدم استجابتهم فإنه سوف يحاربهم بعباد الله الصالحين مثل المسلمين من أهل نجران وما حولهم بزعامة ابن عبد المدان .

وقد وضح بجلاء هذا العزم من قبل الصديق في التصدي لحركة الردة في جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية ، فجهز العديد من الجيوش التي اتجهت في نواحي

---

(١) انظر ، حميد الله ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ وكان لعبدالله بن المدان موقف مشرف في قومه عندما ارتدوا مع الأسود العنسي حيث وقف فيهم ينهاهم عن الردة ويحذرهم عاقبة أمرهم ، انظر ابن حجر ، الاصابة ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٩٨ .

(٢) حميد الله ، ص ٣٤٢ وللمزيد عن حركة الردة في صنعاء وما حولها والجهود العسكرية التي بذلها المسلمون في حرب المرتدين واعادة البلاد إلى حظيرة الإسلام ، انظر البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ – ١١٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٥ وما بعدها ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٣٥ –٣٣٦ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٤٩٢ وما بعدها ، الشجاع ، ص ٢٧٤ وما بعدها .

عديدة من البلاد وكان أحدها بقيادة المهاجر بن أبي أمية وأرسله لمحاربة المرتدين في الطائف وبلاد السراة ونجران وصنعاء [١] . ويشير ابن خلدون إلى رحلة المهاجر إلى صنعاء فيذكر أن أبي بكر الصديق ﷺ أمره ((**بأن يسير إلى اليمن ليصلح من أمره ، ثم ينفذ إلى عمله ، وأمره بقتال ما بين نجران وأقصى اليمن ففعل ذلك ، ... وسار المهاجر حتى نزل صنعاء وتتبع شذاذ القبائل فقتل من قدر عليه ، وقبل توبة من رجع اليه ، وكتب إلى أبي بكر بدخول صنعاء ، فجاءه الجواب بأن يسير إلى كندة ...**)) [٢] .

يفهم من هذا القول أن المهاجر خرج من الطائف حتى وصل نجران ، و لم يقابل أي عناء في هذه المنطقة الواسعة التي يصل طولها تقريباً إلى ثمان مئة كيلاً ، ثم يؤكد عليه فيحارب المرتدين الذين كانوا بين نجران وصنعاء ، وفي اعتقادنا أنهم ليسوا كثير لأن من بقي من المسلمين هناك مع بعض قادة المسلمين في تلك النواحي أمثال : جرير بن عبد الله ، ومسروق العكي وغيرهما استطاعوا تذليل الصعاب والقضاء على المرتدين [٣] ، ويعد مجيء المهاجر بن أبي أمية ومن معه من المسلمين بمثابة توطيد وتأمين لأوضاع الدولة الإسلامية في هذه البقاع وبخاصة في

---

(١) للمزيد عن إرسال الخليفة أبي بكر الصديق الكتب والجيوش المنظمة إلى القبائل والنواحي المرتدة عن الإسلام ، انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص٢٤٩ ، وما بعدها ، ابن كثير مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، جـ ٢ ، ص ٤٩٤ وما بعدها .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ – ٤٩٤.

(٣) انظر، الطبري ، جـ٣ ، ص ٣٢٨– ٣٣٠، ابن كثير ، البداية ، مج٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ . ويذكر أبن سمرة الجعدي ، والكلاعي إلى أن المهاجر خرج حتى وصل نجران فوجد كلاً من جرير بن عبدالله ومسروق العكي فضمهما ومن معهما من المسلمين إلى جيشه ، ثم قسم جيشه في نجران إلى قسمين، فرقة تتولى القضاء على فلول الأسود العنسي المتناثرة بين نجران وصنعاء وكان المهاجر نفسه على هذه الفرقة ، اما الفرقة الأخرى فكان على رأسها أخوه عبدالله بن أبي امية ، وكان مهمتها تطهير منطقة تهامة اليمن من المرتدين ، وقد نجحوا في ذلك، انظر، ابن سمرة الجعدي ، ص٣٥، الكلاعي ، ص١٥٦– ١٥٧.

بلاد صنعاء وما حولها ، ولو أن الوضع لا زال خطراً هناك ، لما كان الخليفة الصديق يأمر المهاجر بالتوجه إلى بلاد كندة حيث لا يزال المرتدين بها يشكلون خطراً وتهديداً على الإسلام والمسلمين هناك (١) .

ومع نهاية عهد الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ وبداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣ هـ / ٦٣٤ – ٦٤٣ م) استقر الإسلام ديناً ودولة في بلاد نجران وجميع البلاد الممتدة من الطائف ومكة المكرمة شمالاً حتى بلاد نجران وصعدة وصنعاء جنوباً ، بالإضافة إلى الأجزاء التهامية المنخفضة غرباً عن تلك المواطن السروية الجبلية (٢) ، وتقاطر سكان تلك البلاد على المدينة المنورة رغبة في الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمة التوحيد ، وذلك عندما نادى فيهم الخليفة أبو بكر الصديق ، ثم تلاه الخليفة عمر بن الخطاب ، فانخرطوا في جيوش المسلمين التي خرجت في الفتوحات الإسلامية إلى بلاد فارس والعراق ، وإلى بلاد الشام ومصر والمغرب والأندلس (٣) ، وقد تناثرت الأخبار في المصادر الإسلامية المبكرة على اختلافها مشيرةً إلى الدور الفاعل الذي لعبه سكان البلاد الواقعة إلى جنوب حواضر الحجاز (مكة والطائف) والممتدة إلى حواضر اليمن الكبرى بما فيها نجران وأعمالها في الحياتين العامة والخاصة في المشرق والمغرب في العصر الإسلامي ، و لم يقتصر دورهم على الجهاد العسكري فحسب بل تعدى هذا المجال فنجد أن كثيراً منهم شارك في البناء السياسي والإداري والعمراني للدولة الإسلامية علاوة على

---

(١) للمزيد عن الردة في بلاد كندة ، انظر ، الطبري جـ٣ ، ص٣٣٠- ٣٤٢ ، ابن كثير، البداية ، مج٣ ، جـ٦ ، ص ٣٣٤ –٣٣٦ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ – ٥٠٧ .

(٢) عن التحديد الجغرافي لهذه المناطق وما ذكر عنها انظر ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٨ وما بعدها ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص٦٣ – ٦٤ ، ٢١٨– ٢٢٠ ، القزويني ، ص٨٤ – ٩٠ ، الوهيبي ، ص٥٣ – ٦٩ ، الحديثي ، ص ٩٩ – ١٤١ ، الشجاع ، ص ٢٩٣ – ٣٣٠ .

(٣) انظر ابن حزم ، ص ٢٩٤ ، ٤٤٦ – ٤٤٧ ، الحديثي ص ١٤٥ – ٢٠٦ البري ، ص ١٤٣ – ٢٢٦ ، الشجاع ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٥٧ –٩١ .

مساهماتهم المؤثرة في بقية الجوانب الحضارية الأخرى ، كالنواحي العلمية والفكرية والحياة الاقتصادية على اختلافها وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى ، ومن يتتبع آثارهم ومساهماتهم في هذه الجوانب فإنه سيجد مادة علمية ثرية لا تكفيها عديد من الأسفار لجمع هذا الجانب الحضاري الخاص بهم [١] .

أما الأوضاع المحلية في بلاد نجران وما حولها فللأسف الشديد لم تفصح المصادر ولا تمدنا بتفصيلات مهمة عن تلك الأوضاع وبخاصة بعد خلافة أبي بكر الصديق ، ولكن يمكننا أن نستنتج من سير الحداث بأن الأوضاع الداخلية لبلاد نجران قد استقرت سواء كان ذلك مدنياً أو دينياً خاصة بعد وصول المهاجر بن أبي أمية ، والتقائه بأهل نجران ومن كان فيها من الصحابة ، وجهوده في توطيد الأمن هناك وآلت على إثرها ترك جرير بن عبد الله البجلي والياً على نجران ، وذهب في طريقه إلى كندة لإكمال مهمته في القضاء على المرتدين تنفيذاً لأوامر الخليفة الصديق . ثم جاء عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، فكان أكثر استقراراً بفضل ما عرف عن هذا الخليفة الراشد من حزم في إدارة البلاد الإسلامية ، فقد أرسل عماله في أنحاء الدولة الإسلامية ، ومن عماله في نجران ، يعلى بن أمية الذي كان والياً على أجزاء من اليمن منذ عهد الرسول ﷺ ثم عهدي أبو بكر وعمر فكان مسؤولاً عن بلاد نجران وما جاورها من بلاد همدان ومأرب والجند ، وقد استدعاه عمر ابن الخطاب أكثر من مرة لكي يقدم تقاريره الإدارية عن سير أحوال البلاد التي يتولاها واستجوابه في بعض الأمور لأخبار بلغته عنه [٢] ، ثم أعاده عاملاً على نجران وغيرها من النواحي فظل هناك حتى عهد الخليفة علي بن أبي طالب [٣] .

---

(١) المراجع نفسها ، وللمزيد انظر ، الجرافي ، ص ٨٨ – ٨٩ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٧١ – ١٧٧ ، دلال ، ص ١٢٧- ١٢٩

(٢) من الشكاوي التي قُدمت في يعلى بن أمية أنه حمى لنفسه في نجران ، فعزله عمر من منصبه ثم أعاده بعد مسالته ، ابن حجر ، الاصابه ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، للمزيد انظر ، الحسين ، غاية ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢١ – ٢٢ .

أما عن الدور الذي لعبته نجران في بقية الأحداث السياسية التي ألمت بالدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وبخاصة في الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ (٢٣– ٣٥ هـ / ٦٤٣ – ٦٥٥ م) والصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ (٣٥ – ٤٠ هـ / ٦٥٥ – ٦٦٠ م) وبين معاوية بن أبي سفيان ﷺ نجد أن سكان نجران أسوة بغيره من سكان شبه الجزيرة العربية قد انخرطوا بالتأكيد في هذه الفتن ومنهم من انضم إلى الخليفتين الراشدين عثمان وعلي ، ومنهم من كان ضدهما ، وسكان بلاد السراة من الطائف حتى صنعاء ، وكذلك نال سكان الأجزاء التهامية من تلك البلاد ما نال غيرهم من هذه الفتنه ، وبخاصة الذين توزعوا منهم في الأمصار الإسلامية من مصر إلى الشام إلى بلاد العراق وفارس ، والمصادر التاريخية تعج بالكثير من الأخبار التي تشير وتؤكد انخراط سكان هذه المناطق في خضم الأحداث السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ [1] .

أما عن تفاصيل هذا الدور الذي لعبته نجران وما يجاورها فلا ريب أنها قد تأثرت كغيرها من بلاد شبه الجزيرة العربية بالفتن التي وقعت زمن الخليفة عثمان بن عفان وأدت إلى استشهاده ﷺ ثم الصراعات التي وقعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان حيث تشير المصادر التاريخية المبكرة والتي عالجت أحداث هذه الفترة إلى انتشار هذه الفتن حتى وصل خبرها بل تأثيرها إلى كل صقع من أصقاع المسلمين آنذاك ، ولكنها رغم ذلك لا تخصص الحديث عن دور أهل نجران فيها أو توضح بشكل مفصل مدى تأثيرها على تلك الأنحاء .. بل نلاحظ أنها لا تكاد تذكر في بطون هذه المصادر لانشغال مصنفيها بما يجري في الحواضر العربية الكبرى محل هذه الصراعات (المدينة المنورة – دمشق – الكوفة) ولا يتواتر ذكر نجران ثانية ودورها السياسي في أحداث الدولة الإسلامية

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن تلك الأحداث انظر ، ابن العربي ، ص ٦١ –١١٠ ، ابن مـزاحم ، ص ١١٧ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ٢٦٢ ، ٣٠٢ ، ٣٣٢ ، ٤٤٣ ، ٤٧٧ ، ٥١٢ ، ابن أعثم جـ ٤ ، ص ٥٣ – ٦٩ ، ١٤٠ ، ابن حزم ، الفصل ، جـ ٤ ، ص ١٦١ وما بعدها ، الشجاع ، ص ٣٣١ – ٣٨٣ .

إلا سنة أربعين من الهجرة حينما وجه معاوية بن أبي سفيان بسر بن أبي أرطاة العامري في ثلاثة آلاف رجل لاجتياح الحجاز في طريقه إلى نجران وبلاد الجند وصنعاء وما حولها . وقد أوضحت المصادر حينئذ سبب بعث بسر إلى تلك النواحي ، وهو أن معاوية أثناء وجوده بالشام في خلافة علي بن أبي طالب تلقى خطاباً من بعض أهل صنعاء ونجران والجند وقد أظهروا له الموافقة على مطالبته بقتلة عثمان بن عفان ، لأنهم استنكروا قتل أمير المؤمنين (١) .

وكان غالبية أهل نجران وما حولها من بلاد اليمن قد أعلنوا ولاءهم إلى الخليفة علي بن أبي طالب الذي أرسل إليهم في عام (٣٥ هـ/٦٥٥ م) عبيد الله بن عباس ليكون والياً عاماً على بلاد اليمن بما فيها بلاد نجران وأعمالها (٢) ، بينما خالفته فئة قليلة وأرسلت إلى معاوية وأعلنت له الولاء والبراء من علي بن أبي طالب ، وعندما عرف والي اليمن عبيد الله بن عباس ، بخبرهم ، استدعاهم وتحاور معهم فبينوا له أنهم مازالوا يرون مجاهدة من سعى على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ . فلجأ عبيد الله إلى سجن بعض رجالهم ، فثار لهم أعوانهم خارج السجن وهددوا عبيد الله إما أن يطلقهم ، وإما فلا طاعة له ولا لعلي بن أبي طالب ، فرفض عبيد الله فما كان منهم إلا أن استعصوا وامتنعوا عن دفع زكاة أموالهم لعبيد الله بن عباس (٣) .

وقد حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على استشارة زعماء اليمن الذين يرافقونه في هذه الأحداث التي تحصل في اليمن، وكان من أولئك الرجال يزيد بن أنس الأرحبي (٤)، فنصحه بأن يكتب لهم كتاباً ، فإن استجابوا وإلا أرسل إليهم جيشاً ، فكتب

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧-٢٠٠ ، ابن اعثم جـ ٤ ، ص٦١- ٦٥ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ وما بعدها ، الحسين ، جـ ١ ، ص ٩٦ ، النويري جـ ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٦١ .

(٢) ابن سعد ، جـ ٦ ، ص ٨٤ ، الحسين ، غاية ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣) ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ ، وما بعدها

(٤) يذكر أن يزيد كان مرافقاً لعلي بن أبي طالب في الكوفة ، ولازال له قوم وعشيرة قوية في بلاد اليمن ، لهذا استشاره الخليفة انظر تفصيلات ذلك ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ ، وما بعدها .

الكتاب وأرسله مع رجل من همدان [(١)] . فلم يؤثر فيهم بل زادهم تمساكاً بموقفهم وكتبوا على إثر ذلك لمعاوية بأن يرسل إليهم بأمير من قبله فأرسل بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة الآف رجل وقيل أربعة الآف مقاتل ، وأوصاه أن يذهب إلى الحجاز ، ثم بلاد السراة حتى يصل إلى بلاد اليمن ، ويكون حازماً شديداً على من يتصدى له [(٢)] ، فخرج بسر وجيشه فجاس خلال الديار يقتل ويحرق ويشرد كل شخص أو فئة كانت متشيعة للخليفة علي ابن أبي طالب ، وعندما علم عبيد الله بن عباس بقدومه خرج هارباً إلى الكوفة ، والتقى بالخليفة علي بن أبي طالب هناك ، وقبل خروجه من بلاد اليمن خلف عليها عبد الله بن عبد المدان الحارثي أحد أحفاد يزيد بن عبد المدان الحارثي ، الذي كان ضمن وفد أهل نجران الذين وفدوا على رسول الله ﷺ فـي السنة العاشرة من الهجرة [(٣)] .

وعند وصول بسر بن أبي أرطاة إلى نجران وجد بها عبد الله بن عبد المدان فقتله ، وقتل ابناً له يسمى ، مالكاً [(٤)] ، ثم بقي بها يتهدد أهل نجران بالقتل ، ثم جمعهم ونادى فيهم قائلاً : ((**يا أخوان النصارى ، أما والذي لا إله غيره لئن بلغني عنكم أمر أكرهه لأكثرن قتلاكم**)) [(٥)] . ثم واصل سيره إلى بلاد صنعاء يلاحق الموالين للخليفة

---

(١) قبائل همدان كانت أكثر القبائل سمعاً وطاعة إلى الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ، وذلك منذ ذهب اليهم في عهد الرسول ﷺ حتى وفاته ، وبقوا على الولاء لأبنائه وأحفاده حتى اليوم . انظر ، الشجاع ، ص ٣٣٢ وما بعدها ، البلادي ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٢) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ – ١٩٤ ، النويري ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٣ ص ١٩٢ – ١٩٤ ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ وما بعدها

(٤) وقد انشد بعض بني عبد المدان يقول :

فلولا أن اخاف صيال بسر   بكيت على بني عبد المدان

ابن أعثم ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ابن حجر ، الاصابه مج ٢ جـ ٤ ، ص ٩٨ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ص ١٩٩ ، وورد النص بصيغة أخرى مختلفة عند ابن اعثم الذي يذكر أن بسر خاطب أهل نجران بقوله : " يا أخوان اليهود والنصارى ، أما والله لئن بلغني عنكم أمر اكرهه من ولايتكم على بن أبي طالب ، لأرجعن عليكم بالخيل والرجال ، ثم لأكثرن فيكم القتل ، فانظروا لأنفسكم فقد أعذر من أنذر " انظر الفتوح ، جـ ٤ ، ص ٦٣ .

علي بن أبي طالب ويقتلهم ويشردهم . ولما بلغ خبر بسر بن أبي أرطاة إلى الخليفة علي ابن أبي طالب بعث جارية بن قدامة السعدي في ألفين من الرجال ، ووهب بن مسعود الخثعمي بنفس العدد ، فتوجه جارية حتى أتى نجران فقتل جماعة ممن ناصروا بسر ، وهرب ابن أبي أرطاة وأتباعه فطاردهم جارية السعدي ورجاله حتى دخلوا مكة المكرمة وهناك وافت الأخبار جارية بمقتل الخليفة علي بن أبي طالب على يد عبد الرحمن بن ملجم (١) .

أما النصارى في نجران الذين كانوا قد تصالحوا مع رسول الله ﷺ وفق شروط محددة فإنهم لما علموا بوفاة رسول الله ﷺ أرادوا أن يجددوا العهد مع خليفة رسول الله فبعثوا وفداً إلى أبي بكر الصديق كي يوضحوا له التزامهم بالعهود التي صالحهم الرسول ﷺ عليها وعند مقابلتهم للخليفة أبو بكر وسمع منهم أقرهم على تلك العهود ، وكتب لهم كتاباً قال فيه **((بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ لأهل نجران أجارهم من جنده ونفسه ، وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلا ما رجع عنه محمد ﷺ بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب ، إلا يسكن بها دينان ، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم ، وعاريتهم ، وغائبهم وشاعدهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت ، وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير ، عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين وعليهم النصح والاصلاح فيما عليهم من الحق))** (٢) .

---

(١) انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٨-١٩٩ ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٦ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ وما بعدها ، ابن حجر ، الاصابه ، مج ٢ جـ ٤ ، ص ٩٨ ، النويري ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ وما بعدها ، الحسين ، غاية ، جـ ١ ، ص ٩٦ .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ -٣٢٢ ، حميد الله ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

ويتضح من هذا الكتاب أن الخليفة أبو بكر أقرهم على وضعهم ما داموا ملتزمين بشروط الصلح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ ، كما أوضح لهم موقف الرسول ﷺ من الديانات السماوية ، اليهودية النصرانية ، وبقائها في جزيرة العرب ، عندما روى لهم الحديث القائل ((**أخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب**)) [١] ، ولكنهم الآن محميين تحت مظلة الاتفاقية التي عقدوها مع رسول الله ﷺ فلا خوف عليهم ولهم الأمان [٢].

وكانت أعداد النصارى بنجران في تزايد مستمر ، وقد شعر الخليفة عمر بن الخطاب بخطرهم على نجران وما حولها من البلاد ، ولكن لا يستطيع فعل شيء لالتزامه بنصوص الاتفاقية المبرمة معهم منذ عهد الرسول ﷺ والتي جددها الخليفة أبو بكر ، وفي عام (٢٠ هـ / ٦٤٠م) علم الخليفة أنهم يتعاملون بالربا ، وهذا يعني أنهم قد خرقوا نصاً من نصوص الاتفاقية التي أبرمت بينهم وبين رسول الله ﷺ [٣]، فأجلاهم من نجران انطلاقا من المبدأ القائل ((**من نقض عهداً فلا ذمة له**)) [٤] ، بعد أن اشترى منهم عقارهم وأملاكهم فتفرقوا فمنهم من ذهب إلى العراق ، وآخرون اتجهوا إلى الشام فأما الذين سكنوا العراق فقد استقروا في الكوفة وسمي المكان الذي نزلوه باسم ((**النجرانية**)) نسبة إليهم [٥].

---

(١) في حديث رواه أبو عبيدة عن الرسول ﷺ انه كان اخر ما تكلم به الرسول ﷺ قبل موته أن قال " اخرجوا اليهود من الحجاز ، واخرجوا أهل نجران من جزيرة العرب " انظر ابن سلام ، ص ١٤٤ – ١٤٥ ، وفي رواية أخرى " لا يبقين دينان في ارض العرب " البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ ، الطبري جـ ٣ ، ص ٣١٢ ، حميد الله ، ص ١٩١ – ١٩٢

(٣) ويذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب لهم كتاب مطولاً قال فيه " ... من عمر أمير المؤمنين إلى أهل رعاش كلهم ... اما بعد فانكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد ... " انظر نص الكتاب كاملاً ، ابن سلام ، ص ١٤٥ ، الهمداني ، صفة ص ٣١٨ ، حاشية (١)

(٤) الطبري ، تاريخ ، جـ ٤ ، ص ١١٠ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ – ٧٨ ، حميد الله ، ص ١٩٢ – ١٩٣ ويذكر احد المصادر أن يهود نجران خرجوا معهم يوم ذهبوا إلى الشام والعراق ، وكانوا كالاتباع لهم . البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ .

(٥) أبو يوسف ، ص ٧٤ ، ابن سلام ، ص ٢٧٤ ، البلاذري، فتوح، ص ٧٧ ، المسري، ص ٧٣ – ٧٤ .

ويبدوا أن عمر بن الخطاب قد تعاطف معهم يوم تركوا نجران واتجهوا إلى الشام والعراق ، فكتب إلى من قبلهم من أمراء وعامة المسلمين ، وذلك وفاء لهم بما كتب لهم رسول الله ﷺ وخليفته أبو بكر فقال : ((**أما بعد فمن مروا به من أمراء الشام وأمراء العراق فليوسعهم من حرث الأرض ، فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة ، وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم ، أما بعد فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فإنهم أقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً ، من بعد أن يقدموا ، ولا يكلفوا إلا من ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ، ولا معتدى عليهم**)) [(١)] . وبهذا المكتوب أعطاهم الخليفة عمر فرصة عامين لترتيب أوضاعهم والاستقرار دون أن يلزمهم بدفع الجزية المفروضة عليهم من عهد الرسول ﷺ وبعد انقضاء هذه المدة تعود الجزية كما كانت تفرض عليهم من قبل ، أسوة بسائر أهل الذمة من النصارى واليهود [(٢)].

وهناك رأي آخر في سبب إجلائهم من نجران يرويه لنا البلاذري في كتابه " **فتوح البلدان** " فيذكر أن نصارى نجران قد تزايدت أعدادهم، وضاقت عليهم المدينة حيث بلغ تعدادهم قريباً من أربعين ألفاً وشاع بينهم التباغض والتحاسد ، فرفعوا أمرهم إلـى عمر وطلبوا منه أن يجليهم من بلادهم ، فاغتنم عمر هذه الفرصة ، لا سيما وأنه كان متخوفاً منهم على المسلمين بنجران وما حولها من البلدان فلبى طلبهم وأخرجهم إلى الشام والعراق ، وبعد ذلك ندموا على ما فعلوا ، فعادوا إلى عمر يسألونه أن يلغي قرار الإجلاء ولكنه رفض وأصر على إجلائهم [(٣)] .

---

(١) انظر ابن سعد ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ ، ابن سلام ، ص ٢٧٤ ، حميد الله ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ .

وفي اعتقادنا أن الرأي الأول هو الأصح في سبب إجلائهم ، ولأنهم قد أعطوا العهود على أنفسهم ، والتزموا بعدم نقضها ، ولكن عندما نقضوها وجدها الخليفة عمر فرصة لإخراجهم ، تقيداً بوصية الرسول ﷺ ((**لا يبقين دينان في ارض العرب**))[1] . ومن يدقق النظر في هذا الحديث نجد عمر بن الخطاب لم يخرج في عهده من الجزيرة العربية إلا نصارى نجران ، ويهود خيبر ، في حين أنه كان في بلاد اليمن ، وهجر ، واليمامة ، وأرض البحرين ، بعض النصارى ، واليهود ، وأيضا المجوس ، فكانوا يعيشون في هدوء وسكينة تحت حماية دولة الإسلام ، كذلك لم يتعرض أبو بكر من قبله لتلك العناصر غير المسلمة ، وإنما جدد العهد لنصارى نجران حيث لم يجد كل منهما الفرصة لتنفيذ حديث رسول الله ﷺ فيخرجون أصحاب جميع الديانات الأخرى غير المسلمة من جزيرة العرب ، والسبب في ذلك ربما يعود في رأينا إلى بعض الأسباب منها :

١- أن الخليفة أبو بكر الصديق لم يخرج أحداً منهم لأن فترة خلافته كانت قصيرة جداً ، ثم إنها كانت مليئة بأحداث جسام ، من أهمها محاربة المرتدين وكسر شوكتهم ، وكذلك بعث الجيوش الإسلامية لنشر الدين الإسلامي بين الشعوب غير الإسلامية ، ولهذا فلم يكن لديه الوقت للالتفات نحو غير المسلمين في الجزيرة العربية .

٢- أما الخليفة عمر بن الخطاب فكان هو الآخر مشغولاً بمراقبة وتجهيز جيوش الفتح الإسلامي في بلاد فارس ، والشام ، ومصر إلى جانب أنه كان منهمكاً في توطيد أركان الدولة الإسلامية ، وإرساء دعائمها الإدارية بابتكار المؤسسات الإدارية المختلفة ومنها الدواوين كديوان

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٧

الجند، وديوان الخراج، وغيرها ولهذا لم تكن أمامه فرصة كافية للالتفات إلى أوضاع أهل الذمة في جزيرة العرب ، ولكن عندما صدر من بعضهم مثل نصارى نجران ويهود خيبر بعض التصرفات المتعارضة مع مبدأ العقيدة الإسلامية ، ونكثهم بعض العهود والمواثيق المكتوبة عليهم ، كان عليه معاقبتهم ، وأفضل عقاب لهم هو إخراجهم من الجزيرة العربية عملاً بحديث الرسول ﷺ .

وكان لنصارى نجران في مسألة إجلائهم من بلادهم على يد الخليفة عمر الخطاب أقوال وآراء يغلب عليها الطابع الغيبي ، فيذكر ابن سعد أنهم زعموا كما ورد في كتبهم أن الذي يخرجهم من أرضهم في نجران رجل بفخذه شامة سوداء ، وقد شاهدوا تلك الشامة بفخذ عمر بن الخطاب عندما ركب فرساً فانكشف ثوبه عن فخذه ، فقالوا ((**هذا الذي نجد في كتبنا انه يخرجنا من أرضنا**)) [١] .

وتشير المصادر إلى أن نصارى نجران بالكوفة حاولوا بعد عمر بن الخطاب مع الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ، على أن يعودوا إلى أوطانهم في نجران لكنهما رفضا ذلك الطلب [٢] ، بل أنهم الحوا في ذلك على علي بن أبي طالب فاقسموا عليه بشفاعته عند رسول الله ﷺ فرفض الخليفة علي طلبهم قائلاً ((**أن عمر كان رشيداً الأمر ، وأنا أكره خلافه**)) [٣] .

فبقي نصارى نجران في الكوفة وبلاد الشام في عصور بني أمية وبني العباس وصادفوا في حياتهم كثيراً من العقبات الاقتصادية التي جعلتهم يسألون الخلفاء إنقاص مقدار الجزية المفروضة عليهم منذ عهد الرسول ﷺ وقد تجاوب خلفاء بني

---

(١) ابن سعد ، جـ ٣ ، ص ٣٦٢ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ ، الفقي ، ص ٤٨ . انظر ملحق رقم (٥) في نهاية هذا الكتاب .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ ، أبو يوسف ، ص ٧٤ .

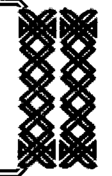
أمية وبني العباس معهم مراعاة لظروفهم الاقتصادية ومن أبرز هؤلاء الخلفاء معاوية ، وعبد الملك بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز ، والسفاح والمنصور والرشيد ، ومع مرور الزمن تناقصوا في المجتمع الإسلامي ، فمنهم من هاجر من موطنه في الكوفة أو بلاد الشام ، ومنهم من اعتنق الإسلام فأصبح واحداً من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم (١).

وفي اعتقادي أن بعض أولئك النصارى الذين أجلاهم الخليفة عمر بن الخطاب من بلاد نجران إلى الشام والعراق قد عاد بعضهم إلى أرض نجران ، ربما في زمن الدولتين الأموية والعباسية ، وبخاصة أثناء انغماس العالم الإسلامي في كثير من الحروب والصراعات الداخلية والخارجية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة / الثامن والتاسع للميلاد ، ومما يؤكد هذا القول ، ما ورد في المصادر عند الحديث عن قدوم الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين إلى اليمن في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، واستقراره في صعدة ثم بدأ يوسع دائرة نفوذه شمالاً فاصطدم بسكان نجران ودخل معهم في حروب طاحنة ، وكما تشير المصادر إلى أن أغلب سكان نجران آنذاك كانوا مسلمين فيما عدا فريق منهم كان لا يزال يدين بالنصرانية ، فعقد معهم عهداً يضمن لهم البقاء في نجران ولهم ما تحت أيديهم من العقار والأملاك على أن يدفعوا على ذلك ضريبة (٢).

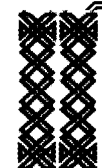
---

(١) للمزيد انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٨ – ٧٩ ، أبو يوسف ، ص ٧٥ ، انظر الملحق رقم (٥) نهاية هذا الكتاب .

(٢) العلوي ، سيرة ، ص ١٠١ ، للمزيد ، البلادي ، ص ٢٤١ – ٢٤٧ ، انظر أيضاً ملحق رقم (٨) في نهاية هذا الكتاب .



رابعًا : نجران في العهدين الأموي والعباسي



ساد الاضطراب شبه الجزيرة العربية بعامة ، وبلاد نجران بشكل خاص بعد انتهاء عصر الخلفاء الراشدين ، وأهمل ذكرها في طيات المصادر، واستمر ذلك الإهمال والنسيان في العصرين الأموي والعباسي ، ولعل ذلك يرجع إلى عدد من الأسباب يأتي في مقدمتها انتقال حاضرة الخلافة الإسلامية ، ومركز الثقل السياسي والزعامة من الحجاز إلى خارجه ، أي من المدينة المنورة إلى خارج شبه الجزيرة العربية، حيث انتقلت العاصمة أولاً إلى دمشق ببلاد الشام ثم إلى بلاد العراق ، وقد أدى انتقال السلطة المركزية ، والزعامة السياسية ، لخارج الجزيرة العربية إلـــى ظهور العديد من المشاكل والعقبات السياسية التي كان لها انعكاسها على النواحي الحضارية، نذكر منها :

١ - تقلص الدور السياسي لشبه الجزيرة العربية فتحولت جميع أجزائها إلى مجرد ولاية عادية ضمن ولايات الدولة الإسلامية ، بعد أن كانت مقراً للسلطة المركزية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة ، ولم تعد تشكل أهمية عند خلفاء بني أمية وبني العباس ، فيما عدا حواضر الحجاز الكبرى، والتي ظلت لها مكانتها الدينية والسياسية في هذين العصرين لكونهما (مكة المكرمة والمدينة المنورة) مقراً للحرمين الشريفين بما لهما من مكانة مقدسة في نفوس المسلمين ، كما أن السيطرة عليهما ، والقائم على خدمتها وإسباغ الحماية عليهما ، يحوز الرضا والتأييد السياسي والروحي من عامة المسلمين وخاصيتهم فترتفع مكانتهم ،

وبالتالي تتحقق المكاسب السياسية لأولئك الساسة لكونهم رعاة المقدسات .

٢ - أجزاء شبه الجزيرة العربية الأخرى خلاف مدن الحجاز المقدسة ، أصبحت في عهد بني أمية ، والقرنيين الأولين من عصر بني العباس هامشية تحت مظلة تلك الحكومات ، فلم تعد لها نفس الأهمية والقدر الذي كانت عليه في عصري الرسالة والخلفاء الراشدين ، وذلك يعود في رأينا إلى البعد الجغرافي لمعظم أجزاء الجزيرة العربية عن الحاضرة السياسية للدولة الإسلامية وأحياناً يرجع إلى صعوبة التضاريس ، مما أثر على سهولة الاتصالات فيما بين تلك البقاع والعاصمة ، وهذان السببان نلاحظهما في بلاد اليمن ونجد والسروات والتي تعد نجران جزءاً منها .

وإذا ما سعينا لتقديم دراسة تاريخية حضارية لبلاد نجران خلال هذه الفترة ، نجد أن الأمر يزداد غموضاً ، لأن العقبات المذكورة أعلاه تكاد تشمل أغلب نواحي شبه لجزيرة العربية ، باستثناء بلاد الحجاز إلى حد ما ، فإذا ما تطرقنا لمحاولة تقديم دراسة عن تاريخ وحضارة منطقة صغيرة من شبه الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها فإننا نقابل بصمت المصادر تقريباً عن إفادتنا بأي شيء حيال هذا الأمر، فالعلماء وأرباب القلم لا يذهبون دائماً وأبداً إلا إلى المواطن التي يجدون فيها الدعم والرعاية ، حيث تصنع الأحداث السياسية ، ويقيم الحكام ، ويزداد الثراء الحضاري، وهذا لا يتوافر إلا في الحواضر الكبرى فتوافدوا على بلاط خلفاء بني أمية وبني العباس ليكونوا قريبين من الأحداث وصنع القرار ، فتركز اهتمامهم على التأريخ للدول وشخصيات الحكام دون الاهتمام بالتاريخ لموضوعات متخصصة إلا في القليل النادر ، وإن دونوا شيئاً في مصنفاتهم عن تاريخ وأدب وحضارة بلاد بعيدة عن مواطنهم ومواقع استقرارهم مثل بلاد نجران وما شابهها ، فذلك لا

يكون إلا اعتماداً على الرواية الشفهية ، أو بالاطلاع على بعض المصادر المحلية لتلك الأوطان وغالباً ما تكون نادرة أو معدومة ، وتزداد الأمور صعوبة على الباحث إذا ما تطرق إلى الدراسات الحضارية حيث يصادف ندرة في المعلومات التي تتصل بعدد من جوانب الموضوع ، لتركيز المؤرخين في كتاباتهم على التاريخ السياسي ، الأمر الذي جعل الجوانب الحضارية والاهتمام بها يضيع في زحام الصراعات السياسية ، فقد يقرأ الباحث كتباً عديدة دون أن يتوصل إلى نص واحد يتناول مظهراً من مظاهر التاريخ الحضاري لمنطقة ما .

فعلى سبيل المثال إذا ما طالعنا المصادر الإسلامية على اختلافها من تاريخية وجغرافية وأدبية لنرى ما دونته عن نجران في العصر الأموي ، نكاد لا نظفر بطائل ، حيث اعتراها الإهمال ، ومر المصنفون عليها وعلى ما جرى فيها من وقائع وأحداث دون أن يتناولوها سواء بإيجاز أو تفصيل ، فمثلاً إذا ما حاولنا التعرف على طبيعة النظام الإداري هناك ، فلا تمدنا المصادر بمعلومات واضحة أو صريحة عن ذلك ، فكل ما أشارت إليه في هذا الصدد ذكر أسماء الولاة المعينين من قبل خلفاء بني أمية ، وكذلك بني العباس على الحجاز أو اليمن أو البحرين دون أن تفصل لنا ماهية الأوضاع الإدارية في تلك الأجزاء الصغيرة [١]. وسوف نشير في الفصل الثالث من هذه الدراسة إلى أسماء بعض الولاة الذين أرسلتهم الخلافة ليقوموا على أمر بلاد اليمن، وأحياناً كانت تعهد لهم بولاية الحجاز واليمن معاً ، فتكون لهم الولاية العامة على هاتين الناحيتين [٢] .

---

(١) انظر الفاسي ، شفاء ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، السباعي ، ص ١٤٨ وما بعدها ، العلي ، " الادارة " ص ٣ وما بعدها ، **Husaini , pp , 17ff, Keenedy , pppp.26ff , Salem , pp. 19ff.**
Jrais " the Governorship" Samadi , pp . 12 ff , pp. 13 ff .

(٢) المراجع نفسها .

وبالنسبة لنجران – موضوع هذا البحث – فقد تعدى عدم الاهتمام بذكرها ، وإهمال وقائعها في بطون المصادر للتاريخ الحضاري ليشمل تاريخها السياسي أيضاً ، فبدءاً من العصر الأموي وحتى نهاية القرن الرابع الهجري (نهاية ق ١٠م) لا نكاد نجد في طيات المصادر على اختلافها وتنوعها ما يشفي غليل الباحث من المعلومات المتصلة بهذا الإقليم ودوره السياسي والحضاري ، وكل ما نعثر عليه لا يزيد عن شذرات متناثرة وأغلبها يعالج موضوع الثورات وحركات العصيان السياسي التي شهدتها أرجاء شبه الجزيرة العربية بعامة ، والمناطق الغربية والجنوبية الغربية منها بخاصة ونعني بها الحجاز واليمن ، والتي تأتي نجران وما يجاورها ضمنها ، ومن ثم رأى الباحث أن يعرض بإيجاز لأهم تلك الحركات السياسية حتى نوضح للقارئ طبيعة الحياة السياسية في هذه الأوطان الواسعة والتي تشكل نجران جزءاً منها ، وبالتالي يمكننا أن نرجح أنه قد سادها ما ساد غيرها من مدن وحواضر الحجاز الكبرى من فتن سياسية ، وتأثرت بها ، ولعل من أبرز تلك الفتن والحركات السياسية ما يلي :

أ – ثورة أبي حمزة الخارجي ، ويدعى المختار بن عوف الأزدي السلمي ، ومستقره في مدينة البصرة بالعراق ، وكان معاصراً للخليفة الأموي مروان ابن محمد الجعدي (١٢٧ – ١٣٢هـ / ٧٤٤ – ٧٤٩م) ، والذي اعتاد ارتياد مكة المكرمة في كل مواسم الحج لنشر مذهبه الخارجي وتحريض الناس على الفتنة ، بغية القضاء على الخلافة الأموية ، وخلع مروان بن محمد ، وفي عام (١٢٨هـ / ٧٤٥م) التقى بأحد رجال حضرموت ويدعى ، عبد الله ابن يحيى الكندي ، الذي اقتنع بدعوته ، ودعاه للذهاب معه لحضرموت لنشر دعوته بين قومه ، وأشارت بعض المصادر إلى أن الكندي رغبه في ذلك بقوله : ((**إنني رجل مطاع في قومي فاذهب معي إلى بلادي لتجد النصرة**

والمنعة)) ، وبالفعل استحسن أبو حمزة الرأي ، وخرج بصحبة الكندي إلى بلاد حضرموت ، حيث طفق أبو حمزة ينشر أفكاره ، ودعى بالخلافة إلى عبد الله بن يحيى الكندي الذي تلقب بـــ ((**طالب الحق**)) ، ثم اجتمع من حولهما عدد كبير من بلاد حضرموت وما حولها ، فتكون لهما جيش كبير توجها به إلى مدينة صنعاء فاستولوا عليها وطردوا عمال بني أمية منها ، ثم امتد نفوذهما حيث خرج أبو حمزة الخارجي على رأس جيش قوامه ألف رجل فعبر بلاد صعدة ونجران والسروات حتى دخلوا مكة المكرمة فاستولوا عليها وواصلوا طريقهم شمالاً إلى المدينة المنورة فاستطاعوا السيطرة عليها [(١)] ، ووصلت أخبار تلك الحركة الخارجية واستيلائها على أغلب بلاد اليمن والحجاز إلى مسامع الخليفة مروان بن محمد فأعد جيشاً قوامه أربعة الآف مقاتل وأسند قيادته إلى عبد الملك بن عطية السعدي ، عام (١٣٠هـــ/٧٤٧م) الذي خرج على رأس هذا الجيش قاصداً المدينة المنورة ، ونجح في إلحاق الهزيمة بأبي حمزة الخارجي ، الذي خرج فاراً إلى مكة المكرمة فلحق به ابن عطية إلى هناك ليهزمه للمرة الثانية ، ويتمكن من قتله ، وتشتيت شمل أنصاره ، ثم حز رأسه وأرسلها إلى مروان بن محمد ومعها كتاب يبشره فيها بالنصر وقهر الخوارج [(٢)] .

أما أنصار الخارجي فقد عاد من نجى منهم إلى صنعاء مروراً بالسروات وأجزاء من بلاد نجران ، وأخبروا طالب الحق بالهزيمة ، فخرج على رأس مجموعة من أنصاره إلى أرض بيشة والسروات ، ومنها اتجه إلى

---

(١) الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٧٤-٣٧٦ ، ٣٩٣-٤٠٢ ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٩٧ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٧٤ – ٧٥ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٢) الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٩٣ وما بعدها ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٧٤ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ١٢٤ وما بعدها

الطائف ليأخذ بثأر أبي حمزة ورجاله ، ويمنع زحف الجيش الأموي على اليمن ، فالتقى بأبي عطية في نواحي الطائف ، حيث الحق القائد الأموي الهزيمة بطالب الحق وقتله مع عدد كثير من رجاله ، ومزق الخوارج كل ممزق ، و لم ينج إلا من لاذ بالفرار إلى صنعاء ، وتشير المصادر إلى تفاصيل المعركة حيث تذكر صمود الخوارج وذودهم عن أنفسهم ببسالة إلى أن تمكن الأمويين من زعيمهم (طالب الحق) فقتلوه ، عندئذ فت في عضدهم وهزموا [١].

لم يكتف ابن عطية بالقضاء على الخوارج في الحجاز ، وقتل أبي حمزة ، وطالب الحق ، بل رأى ضرورة استئصال شأفتهم كلية من بلاد اليمن ، فتوجه عبر بلاد السراة حتى وصل صنعاء فغادرها أتباع طالب الحق ، وما زال ابن عطية يلاحقهم في كل صقع من أصقاع اليمن حتى قتلهم وأبادهم [٢] .

ب – وتتابعت الفتن وحركات المعارضة ضد الخلافة الجديدة ، ونعني بها خلافة بني العباس ، وكانت الحجاز وبلاد اليمن ، ومنها المنطقة موضوع هذه الدراسة ، مسرحاً للعدد من هذه الثورات ، لا سيما ثورات العلويين الذين كانوا من أكثر العناصر شغباً ، حيث أثاروا عدداً من القلاقل في وجه بني العباس ، وهددوا استقرار الخلافة وسيطرة عمالها في تلك البلاد [٣] .

---

(١) المصادر نفسها .

(٢) المصادر نفسها ، وللمزيد انظر ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٩٧ .

(٣) للمزيد عن ثورات العلويين ضد العباس خلال القرنيين (٢–٣ هـ / ٨– ٩م) ، انظر ، الطبري جـ ٧ ، ص ٥١٧ وما بعدها ، جـ ٨ ، ص ١٩٣ –٢٠٣ ، ٥٢٨ – ٥٣٣ ، جـ ٩ ، ص ٢٧١ – ٢٧٦ .

فتشير المصادر إلـى أن العلويين قد انتهزوا نشوب الصراع بين الأمين والمأمون ، ووجدوا في ذلك فرصة سانحة لنشر دعوهم في البلاد ، فخرج على المأمون محمد بن إبراهيم العلوي المعروف بابن طباطبا بالكوفة عام (١٩٩ هـ / ٨١٤ م) وصار يدعو إلى آل الرضا من آل محمد ، وعاونه في نشر دعوته قائد جنده أبو السرايا بن منصور الشيباني الذي استولى على الكوفة ، وطرد ولاة بني العباس منها (١) ، وعندما توفي محمد بن إبراهيم ولى أبو السرايا بدله غلاماً من العلويين يدعى محمد بن محمد بن يزيد ، ثم أرسل ولاة من العلويين إلى مكة والمدينة وبلاد اليمن ، ومن بينها نجران، وكان داود بن عيسى بن موسى ولياً لأمور مكة والمدينة من قبل الخلافة العباسية ، حينما وجه أبو السرايا إلى مكة حسين بن حسن الأفطس العلوي ، والي المدينة محمد بن سليمان بن داود بن حسن بن الحسين بن على بن أبي طالب فدخلوها دون قتال ، وقد شجع ذلك بعض العلويين بزعامة إبراهيم بن موسى ابن جعفر وجماعة من أهل بيته بمكة على مد الثورة إلى بلاد السراة فشملت الطائف وامتدت حتى وصلت بيشة وجرش ونجران وصنعاء دون مقاومة تذكر ، حتى إن إسحاق بن موسى بن عيسى بن عباس والي اليمن من قبل المأمون عندما سمع بقدوم إبراهيم بن موسى فرّ هارباً (٢) . وتذكر المصادر أن إبراهيم بن موسى نكل بكل من اعترض طريقه ، وأسرف في القتل حتى لقب بالجزار ، واستولى على كثير من الأموال والذخائر خلال الطريق من الحجاز إلى اليمن (٣) .

---

(١) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٢٨ – ٥٣٦ ، ابن الأثير ، الكامل جـ ٥ ، ص ١٧٣ – ١٧٧ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٣٥ – ٣٥٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٧ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٦ ، ص ١٠٩ .

وبعد أن تمت السيطرة للعلويين على اليمن ، رغب إبراهيم بن موسى العودة إلى مكة والمدينة لإحكام السيطرة عليهما فخرج من اليمن قاصداً الحجاز عبر بلاد السروات حتى وصل مكة ، ولكن لم يستطع السيطرة عليها ، حيث سبقه الخليفة المأمون بإرسال جيش كبير إليها عام (٢٠٠هـ / ٨١٥م) بقيادة إسحاق بن هارون الرشيد لحفظ الأمن في الحرمين ، وقمع أي بادرة للفتنة والعصيان ، وتصدى هذا الجيش لإبراهيم بن موسى وألحق به الهزيمة ، وفرق جموعه وعاد إلى اليمن مهزوماً ، وضاعت هيبته ، وبخاصة بعد هزيمته ، ومقتل أبي السرايا في بلاد العراق على يد جيش عباسي آخر ، لتنتهي أحداث هذه الثورة العلوية التي كادت أن تفصل بلاد الحجاز واليمن عن بلاد الخلافة العباسية [١] .

وعلى الرغم من تعاطف الخليفة المأمون مع العلويين ، إلا أن عهده شهد عدة انتفاضات علوية أخرى ، ففي سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م) خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب في بلاد علك باليمن يدعو إلى آل الرضا من آل محمد ، وأيده اليمنيون الذين رأوا فيه منقذاً لهم من ظلم وبطش الولاة العباسيين [٢] . ولما علم المأمون بنبأ هذه الثورة أنفذ دينار بن عبد الله في عسكر كثيف لقمع تلك الثورات، وأمره أن يمنح الزعيم العلوي أماناً إذا كف عن العصيان، ولما رأى الثائر العلوي أن لا قبل له بجند المأمون ، قبل الأمان وجنح إلى السلم والموادعة ، ووضع يده في يد دينار ، الذي أرسله إلى المأمون فأكرمه وعفا عنه [٣].

(١) اليعقوبي، تاريخ، جـ٢ ، ص ٤٤٨ ، الطبري، جـ٨ ، ص ٥٣٥ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ١٧٧ .

(٢) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ .

(٣) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ .

ج - وتوالت الاضطرابات في بلاد الحجاز واليمن على عهد الخليفة المأمون ، ومن عناصر أخرى غير علوية ، أثارها بعض الولاة العباسيين ، فقد عزل الخليفة المأمون حمدويه بن عيسى بن ماهان عن بلاد اليمن واستناب عنه في حكمه عيسى بن يزيد الجلودي [(١)] ، ولما علم ابن ماهان بمقدم الجلودي إلى اليمن رغب في صده عنها والاستقلال بها ، فأعد العدة لمنع الجلودي من دخولها ، ولكن الجلودي هزم جيش ابن ماهان واستولى على اليمن ، ودخل صنعاء وقبض على ابن ماهان وسجنه وسيطر على البلاد ، وعهد إلى عمال من قبله بحكم مخاليف اليمن ، ومن بينها نجران ، ثم عاد إلى العراق مروراً بالحجاز ، وترك على ولاية اليمن إبراهيم الأفريقي الشيباني [(٢)] ، ولكن الاضطرابات عادت من جديد في تهامة اليمن ، وبشكل هدد استقرار الأمور هناك ، الأمر الذي دفع الخليفة المأمون العباسي للتفكير في فصل تهامة اليمن عن نجدها ، ووضع والٍ مستقل عليها ، يضبط أمورها ، ويقر الأمن والاستقرار في ربوعها ، فوجد ضالته في أحد قواده ويدعى محمد بن عبد الله بن زياد فعهد إليه بولاية تهامة وما يتبعها [(٣)] . لتبدأ منذ هذه الفترة النزعة الانفصالية تسري في أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فبعد أن ظلت طوال عهد الرسالة والخلافة الأموية وحتى أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، تابعة كلية للخلافة الإسلامية ، التي عمدت إلى تقسيمها إلى عدة ولايات ليسهل قبض زمامها مثل الحجاز ، واليمن ، واليمامة ، والبحرين ، نجدها مع السنوات الأولى من القرن الثالث الهجري ، تتأثر بالنزعة الاستقلالية التي

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٨- ٤٤٩ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٩٩ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ جـ ٢ ، ص ٤٤٩ .

(٣) الواسعي، ص١٦٠ وما بعدها، الجرافي، ص ١٠٥-١٠٦، شرف الدين، اليمن، ص ١٨٨ وما بعدها.

سرت في غالبية أصقاع العالم الإسلامي المترامية الأطراف ، والذي صعب على الخلافة العباسية أن تسيطر سيطرة مركزية عليه ، فبدأت تسمح بظهور دويلات مستقلة عنها سياسياً ، وتابعة لها اسمياً وروحياً ، وإن كانت بعض الزعامات المحلية قد انتهزت فرصة الضعف الذي أصاب النظام الخلافي العباسي في عصره الثانـــي ، وما صاحبه من تردي شخصيات الخلافة ، فاستقلوا سياسياً وإدارياً وبشكل كامل عن العباسيين . على اية حال تأثرت بلاد اليمن بكل تلك التيارات السياسية ، فنشأت بها دولة بني زياد – كما أسلفنا – في تهامة اليمن وما تبعها بدءاً من عام (٢٠٣هـــ / ٨١٨م) وهي أول دولة مستقلة تنشأ هناك بعد انفصال بعض بلاد اليمن عن الحكم العباسي [١] ، وتلتها الدولة اليعفرية في صنعاء عام (٢٢٥ هـــ/ ٨٣٩م) [٢] ، ثم الدولة الزيدية في صعدة عام (٢٨٤ هـــ / ٨٩٧م) [٣] ،

---

(١) تذكر المصادر أنه في عام (٢٠٣ هـــ / ٨١٨م) شق أهل تهامة اليمن عصا الطاعة على الخليفة المـــأمون (١٩٨ – ٢١٨هـــ / ٨١٣ – ٨٣٣م) فبعث إليهم الأمير محمد بن عبد الله بن زياد وقلده أعمال تلك البلاد لكي يـــؤدب العصاة ، فذهب ابن زياد واستطاع القضاء على المتمردين هناك ثم طمع في الاستقلال بتلك النواحي ، واختط مدينة زبيد وأسس دويلة سميت " الدولة الزيادية " استمرت في عقبه لمدة قرنين ، وتم القضاء عليها عـــام (٤٠٢ هـــ / ١٠١١م) على يد بني نجاح . للمزيد انظر ، الجـــرافي ، ص ١٠٥ –١٠٦ ، الواســـعي ، ص ١٦٠– ١٦٢ ، الفقي ، ص ٨١– ٨٩ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٨٨ – ١٨٩ .

(٢) دولة بني يعفر تعتبر ثاني دولة نشأت في اليمن واتخذت بلدة شبام ، ثم صنعاء مقراً لها ، ومؤســـسها إبـــراهيم بـــن يعفر الحوالي الحميري ، وقد استمرت هذه الدويلة تحكم صنعاء وما جاورها من البلدان إلى عـــام (٣٩٣ هـــ / ١٠٠٢م) ، وللمزيد انظر ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ١٠٤ وما بعـــدها ، الواســـعي ، ص ١٦٦– ١٦٨ ، الجرافي ، ص ١٠٧– ١٠٨ ، الفقي ، ص ٩٠– ٩٧ .

(٣) هذه الدولة نسبة إلى زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أنشأها الإمام الهادي يحيى بـــن الحسين بن القاسم عام (٢٨٤هـــ/ ٨٩٧م) الذي كان يعيش بالمدينة المنورة ، ثم ترك محل إقامته وذهب إلى صعدة فبويع إماماً بها على المذهب الزيدي الذي لا يزال المذهب الغالب على أهل اليمن ، وقد استطاع الإمام الهادي مـــن مد نفوذه إلى صنعاء وإلى مواطن عديدة من بلاد اليمن ، وخلفه عدد من الأئمة استمروا في حكـــم الـــبلاد إلى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي ، عندما تحولت الدولة إلى جمهورية ، وللمزيد انظر ، الواســـعي ، ص ١٧٩ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ص ٢٤٥ – ٢٦٢ ، الفقي ، ص ٣٧٨ وما بعدها .

ثم الدولة الإسماعيلية الأولى وكان علي بن الفضل القرمطي الحميري ، ومنصور بن حسن الكوفي هما اللذان قدما إلى اليمن بهدف نشر لمذهب الإسماعيلي هناك [١] .

ورغم سريان النزعة الانفصالية في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ، فلم تهدأ الأمور ، وتستقر أحوال تلك الدول الوليدة ، بل تتابعت حركات التمرد والعصيان ، وشاعت الحروب ، فبعد ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين في صعدة عام (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) وتأسيس دولته الزيدية نجده يسعى لمد نفوذه إلى صنعاء جنوباً ، ونجران شمالاً ، وقد وجد في بلاد نجران من يعضده ويقف إلى جانبه ويسهل له مهمة السيطرة عليها ، ومنذ ذلك الوقت تزايد اهتمام دولة الأئمة الزيدية بمنطقة نجران وسعى حكامها للسيطرة عليها ووضع الولاة من قبلهم عليها ، ولكنهم ما أن تنفر جيوشهم منها في طريقها إلى صعدة ، حتى تقوم ثورات أهل نجران ضد ولاة الدولة الزيدية ، وينجحوا في إخراجهم وأنصارهم منها .

---

(١) الإسماعيلة هي الباطنية نسبة إلى إسماعيل الامام ، ويعتقدون اختفاءه وأنه المهدي المنتظر الذي لا بد وأن يظهر يوماً ما وحلول الألوهية فيه ، وأن القرآن يمكن تفسيره عن طريق المجاز ، وأن الحقيقة الدينية تفسر بالمعنى الذي هو مقصود في المعنى الظاهر . وبداية هذه الدولة أن علي بن الفضل ، ومنصور بن حسن قد أرسل في عام (٢٩١ هـ /٩٠٣ م) من قبل عبد الله المهدي لنشر المذهب الاسماعيلي في اليمن ، وقد خرجا حتى وصلا إلى اليمن ثم افترقا وبدأ كل واحد منهم يبذل جهده لنشر هذا المذهب ، لكن علي بن الفضل ضل عن الخطوط العامة لمذهب الاسماعيلة واتبع مذهب القرامطة الذي هو أشد وأنكى من مذهب الإسماعيلة ، وقد جمع من حوله أعداداً كبيرة ثم عاث في الأرض فساداً بعد أن هاجم العديد من مدن اليمن ولكن أمراء الدولة اليعفرية تصدوا له حتى تم القضاء عليه عام (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) وبالتالي تم ملاحقة من كان يعتقد بمذهب القرامطة والإسماعيلة حتى جاء علي بن محمد الصليحي عام (٤٣٧ هـ /١٠٤٥ م) فأعاد مذهب الدعوة الإسماعيلة تحت مظلة الدولة الصليحية . انظر الجرافي ، ص ١١١ – ١١٤ ، الواسعي ، ص ١٦٩ – ١٧١ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

وهكذا ظلت الأمور في نجران خلال الفترة موضع الدراسة ، قلق واضطرابات وحروب داخلية بين الزيدية ، وأهل نجران ، رغم طول المدة وتعدد الحروب والثورات والصراعات بين الأئمة الزيدية وأتباعهم ضد أهل نجران ، وإحراز الزيديين عدداً من الانتصارات ضدهم ، إلاّ أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئهم ومذهبهم الزيدي فيها ، حيث بقي معظم سكان نجران على المذهب السني الشافعي الذي كانوا عليه من قبل ، واستمروا كذلك خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة [1] .

وما أشرنا إليه من فتن سياسية وثورات كان محلها بلاد اليمن أو الحجاز ضد خلفاء بني أمية أو بني العباس ، ثم سريان النزعة الإنفصالية ، وظهور الدويلات المستقلة ، وما تبع ذلك من اضطرابات ليست إلا نماذج مختصرة لنطلع القارئ الكريم على وضع شبه الجزيرة العربية بعد خروج حاضرة الخلافة الإسلامية منها ، وبعد أن صارت أجزاءها ضمن ولايات الدولة الإسلامية التي كانت عاصمتها دمشق في بلاد الشام ، ثم بغداد في أرض العراق ، وبالتالي فعامل البعد للحكومة المركزية جعل السيطرة على أجزاء شبه الجزيرة العربية مثل : الحجاز، وبلاد السراة، ونجران، واليمن وغيرها ضعيفاً ، ولم يعد الخلفاء قادرين على السيطرة وقمع أي ثورة تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية بسهولة ويسر وفي فترة زمنية وجيزة مقارنة بعصري الرسالة والخلافة الراشدة، ولكن عصر بني أمية والقرن الأول من عصر بني العباس كان أفضل حالاً من القرون التالية لذلك ، فكان الخليفة يتمتع بالشخصية القوية الحازمة والقادرة على إرسال ولاة من قبله إلى كل من الحجاز واليمن وغيرها ، بل كانت عنده القدرة على تأديب وعزل من

---

(١) للمزيد عن تاريخ الأئمة الزيدية في صعدة وما حولها ، انظر العلوي ، ص ٧٢ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٧٩ – ١٨١ ، الجرافي ، ص ١٦٥ ، شرف الدين ، ص ٢٤٥ وما بعدها .

يخرج عن ما رُسم له من قبل الخليفة ، ولكن منذ منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي نجد معظم بلاد الجزيرة العربية تخرج عن سلطة الخلافة العباسية في العراق بل يظهر من لديهم أطماع تكوين سلطات لهم في جزيرة العرب كما حدث مع دولة آل يعفر وغيرها في بلاد اليمن .

وإذا حاولنا معرفة أوضاع الأجزاء الصغيرة في الجزيرة العربية مثل نجران وما شابهها في فترة الضعف هذه ، فإن الأوضاع تزداد غموضاً عند مدوني التراث ، فلا يذكرون تفصيلات عن تاريخها والأحداث التي مرت عليها ، ولا نجد إلا شذرات يسيرة في بعض المدونات المحلية في بلاد اليمن والحجاز، وحتى هذه فالغموض يكتنفها، ولعل مرجع هذا الإهمال والغموض هو انعدام السيطرة والسلطة المركزية في تلك الأصقاع وتمادي نفوذ القبائل وزعمائها ، فصاروا هم العناصر المسيطرة والمسيرة لمعظم الأحداث في الجزيرة العربية ، وإن خرجت دويلات هنا وهناك فكانت لا تجد الولاء المطلق من القبائل المتناثرة في بلاد نجران وغيرها ، وإن انضمت بعض القبائل لبعض تلك الدويلات التي ظهرت فكان هذا الانضمام بشكل مؤقت ولمصلحة ذاتية تعود على القبيلة والعشيرة وزعمائها ، وأحياناً تدخل بعض القبائل والعشائر تحت سلطة حكومة أو دويلة معينة بأسلوب القوة والجبر أو لهدف تقوية جانبها ضد أعداء آخرين يهددون كيانها واستقلالها . فبات المؤرخون ومدونو التراث لا يهتمون بتلك الأحداث المحلية اليسيرة ، وركزوا جل اهتمامهم على ما يجري في بلاط حاضرة الخلافة العباسية ، وغيرها من الحواضر الإسلامية بزخمها الحضاري والسياسي ، تاركين الاهتمام بهذه المناطق الصغيرة ليعتورها الإهمال والنسيان .



الفصل الثالث

الأوضاع الإدارية والنظم المالية في نجران

فهرس محتويات الفصل الثالث

أولاً : تمهيد

اقتضت ظروف الجزيرة العربية وأحوالها ، أن ينظم العرب حياتهم إبان الجاهلية على أسس قبلية ، واستوى في ذلك وإلى حد بعيد أهل الحضر والبادية . فالقبيلة هي الوحدة السياسية والاجتماعية ، وتتكون من أفراد ينحدرون من جد واحد ، ويتحملون مسؤوليات وواجبات مشتركة تجاه الدفاع عن القبيلة وعن أي من أفرادها ، ومن ثم التصدي لأي خطر يداهمهم ويتقاسمون الغرم والمغنم معاً ، ومن هذا المعنى فإن القبيلة تعد هي المظهر الأولي البسيط للدولة ، الذي تحوطها مجموعة من الأعراف والتقاليد تنظم حياتها بموجبها [(١)] .

وعند مجيء الإسلام أبقى على تشكيلات القبيلة ونمط حياتها التي كانت تحياها طالما كان ذلك يتفق مع مبادئه وتعاليمه ، ولهذا نجد أن الله عز وجل أمر الرسول ﷺ في بداية نزول الوحي أن يبدأ الدعوة في عشيرته وأهله فقال تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [(٢)] ، فالأهل والأقرباء أولى بالمودة والرشد والهداية ثم من يليهم ، وهكذا تتسع الدائرة حتى تشمل الناس جميعاً إلى يوم الدين ، وهذه عمومية رسالة الإسلام . ومنذ بداية الدعوة الإسلامية صدرت عن الرسول ﷺ أقوال وأفعال وأعمال كثيرة مصاحبة لنزول القرآن الكريم ، وهي

---

(١) من التقديم الذي دونه الدكتور / صالح العلي في كتاب الطبقات لابن خيـاط ، ص ٧ ، وللمزيـد انظـر ، دلال ، ص ١٥٣ .

(٢) سورة الشعراء ، آية (٢١٤)

جميعها توضح كافة الأمور التشريعية من توحيد وعبادات ومعاملات ومكارم أخلاق وغير ذلك مما يحفظ الإسلام والمسلمين ويجعلهم هداة مهتدين أن يتبعوه .

وكان من بين الأمور الإدارية الهامة التي سلكها الرسول ﷺ في منهجه لوضع الترتيبات الإدارية لإنشاء الدولة الإسلامية ما يلي :

١ - تغير مفهوم الولاية في الأعراف القبلية وغيرها إلى ولاية أعظم وأشرف في ظل الإسلام ، وهي الولاية لله عز وجل ، قال الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ [١] ، ولأن الرسول محمد ﷺ هو خاتم الرسل إلى أهل الأرض ، فالولاية منوطة بطاعته في كل ما يتعلق برسالته ، ومن ثم الالتزام بكل ما يأمر به وينهى عنه قال تعالى ﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ [٢]، والحث على التفاني في الولاء والطاعة والانقياد لله وحده ولرسوله ﷺ وانتهى بذلك الولاء المطلق لرئيس القبيلة كما كان سائداً عند العرب قبل الإسلام . وقد لاحظنا ذلك واضحاً في كتاب رسول الله ﷺ وعهده إلى عمرو بن حزم عندما أرسله والياً على نجران ثم أمره أن ((**ينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر** [٣] ، **وليكن دعائهم إلى الله وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له**)) [٤] .

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٧)

(٢) سورة النساء ، آية (٥٩)

(٣) أي إذا نادى للجهاد أو استصرخوا لأي سبب كان فلا يقولون : يا آل فلان ... ويا آل فلان كما كانوا يفعلون في الجاهلية .

(٤) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، وما بعدها ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

٢ - إن الإمارة أو الولاية كانت إما عامة أو خاصة ، فالعامة ما يفوض فيها الوالي بالنظر في سائر أعمال الرعية الذين يخضعون لولايته في كافة الأمور الدينية والدنيوية معاً ، وذلك كوالي الإقليم أو أي مصر أو مخلاف ، مثلما كان الوضع عندما توسعت الفتوحات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبقية الخلفاء الراشدين وعهد بني أمية وبني العباس ، أما في العهد النبوي فلم يحصل أحد على ولاية عامة لحتمية الرجوع إلى الرسول ﷺ في الأمور التشريعية التي كانت تعترض الولاة في أعمالهم اليومية ، وكانت تدور بينه ﷺ وبينهم مكاتبات تحمل إليهم التوجيهات فيما يجب أن يتبعوه (١) . وكانت كافة الولايات على اتصال دائم ومستمر بالمدينة المنورة ، لذا فإن الولاية في عهده ﷺ كانت ولاية خاصة ، أما لإدارة شؤون البلدة ، أو القبيلة أو الإقليم ، أو لقيادة الجند عند الاستنفار ، أو لتعليم أمور الدين والتشريع ، أو للقضاء بين الناس ، أو لجمع الصدقات وجباية الجزية والخراج وغيرها (٢) .

٣ - كان من اهتمامات الرسول ﷺ إيجاد نوع من الترتيبات الإدارية منذ بداية الدعوة ، فعندما وفد عليه وفد يثرب في موسم الحج بمكة المكرمة ، قبل الهجرة في بيعة العقبة الأولى ، وعقب بيعة العقبة الثانية أن طلب منهم أن يخرجوا من بينهم اثنى عشر نقيباً يكونون كفلاء وعرفاء على قومهم ومسؤولين عن عشائرهم (٣)، وكانوا

---

(١) جميع كتب السنن ، وبعض الكتب الفقهية وكذلك كتب السير والتاريخ مليئة بتلك الكتب والمراسلات التي كان يرسلها الرسول ﷺ إلى ولاته في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية .

(٢) للمزيد عن الولاية الخاصة والعامة انظر الماوردي ، الأحكام ، ص ٧٢ – ١١٠ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١٨ وما بعدها ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ١٦٧ – ١٧٨ ، الصالح ، ٣٠٨ – ٣١٢ ، اليوزبكي ، ص ١٠٣ – ١٠٧ ، الرفاعي ، ص ٧٢ – ٨٠ .

(٣) ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ٧٣ وما بعدها . الطبري ، جـ٢ ، ص٣٦١ وما بعدها ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢، ص ٣٧ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤١٨ وما بعدها .

بمثابة حلقة وصل بينه وبينهم . وهكذا استمر منهج الرسول ﷺ حتى شخص إليه في المدينة المنورة العديد من وفود القبائل لإعلان إسلامها وإسلام أقوامهم وعشائرهم ، فكان ﷺ يقرهم على ما أسلموا عليه من أرض ومياه وغيرها ، ثم يختار من بينهم من يتولى تصريف أمور قبائلهم من النواحي الإدارية ، وقد رأينا ذلك واضحاً عندما جاءه وفد نجران ، وبعد أن علمهم شرائع الإسلام ، أمّر عليهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة (١) وعادوا إلى أوطانهم ، وغالباً كان يرسل الرسول ﷺ مع أمثال تلك الوفود بعض الصحابة رضي الله عنهم ليفقهوهم في الدين ، أو يحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه ، ورأينا ذلك مع ذات الوفد فقد أرسل ﷺ خلفهم عمرو بن حزم ليتولى شؤون أمورهم في بلاد نجران عامة ، كما أنه لم يقتصر إرسال رسله ﷺ إلى الوثنيين الذين دخلوا الإسلام ، بل قد يرسل بعض رسله أيضاً مع أهل الكتاب كما فعل مع نصارى نجران الذين أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح ليتولى الإصلاح بينهم فيما اختلفوا فيه ، وكان إرساله بناءً على طلب منهم ، عندما قالوا لرسول ﷺ : " **ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا ...** " (٢) .

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٨٩ .

(٢) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ – ٨١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ – ١٢٩، وللمزيد عن الإدارة في عصر الرسول ﷺ وما بعده انظر ، صالح العلي " إدارة ..." ، ص ٣ وما بعدها . Husaini, pp. 17ff , Salem , pp.20ff



ثانياً : الأوضـــاع الإداريـــة

أما عن تفاصيل الحياة الإدارية والنظم المالية التي سارت عليها بلاد نجران خلال الفترة موضوع الدراسة ، فسوف نعرض أولاً لنظام الولاية أو الإمارة ثم القضاء وبعد ذلك نعرج للحديث بإيجاز عن بعض المؤسسات الإدارية الأخرى التي أشرفت على أمور المنطقة الإدارية مثل الشرطة ، والبريد ، والمحتسب . وننتقل بعد ذلك للحديث عن النظم المالية التي سادت هناك طوال القرون الأربعة الأولى للهجرة فنعرض للإيرادات بأنواعها من شرعية وغير شرعية ، ثم نختم الفصل بالحديث عن أوجه الإنفاق .

١ - الولاية (الإمارة) :

كانت بلاد اليمن وأجزاء من بلاد السراة قبل ظهور الإسلام خاضعة للنفوذ الفارسي ، وكان باذان آخر ولاة الفرس على تلك البلاد في الفترة التي ظهر فيها الإسلام [١] . وقد أسلم في السنة العاشرة من الهجرة فأمّره ﷺ في منصبه وجمع إليه كافة المخاليف الواقعة في الأجزاء الجنوبية من بلاد السروات [٢] ، وبعد موته تغير النظام الإداري في حكم اليمن ، وأول مظاهر هذا التغير هو اختفاء السلطة

---

(١) وأحياناً ينعت باسم (باذام) ، وللمزيد انظر الطبري ، جـ٣ ، ص٢٢٨، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ص٤٨١ .

(٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨١ .

المركزية من بلاد اليمن ، حيث انفصلت بلاد اليمن إلى مخاليف عديدة كل مخلاف منها عليه عامل ، وهذا النظام كان قد طبق على جميع أجزاء شبه الجزيرة العربية التي أصبحت تحت مظلة الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ [١] . وقد حفلت المصادر الإسلامية كاليعقوبي ، والبلاذري ، والطبري بأسماء العديد من العمال الذين أرسلهم الرسول ﷺ ليتولوا العديد من المناصب الإدارية في مخاليف اليمن وبلاد السروات ، بدءاً من العام العاشر للهجرة [٢] ، ونلاحظ على مدونات بعض هؤلاء المؤرخين أنهم غالباً ما يذكروا أسماء الولاة الذين أرسلوا لتلك البقاع دون أن يفصّلوا ما هي مهمة كل والٍ أو عامل ، مثال ذلك البلاذري الذي أمدنا ببعض أسماء الولاة المرسلين من قبل الرسول ﷺ إلى صنعاء وحضرموت ونجران ، واكتفى بذكر أنهم أرسلوا ولاةً على تلك النواحي [٣] ، بينما يمدنا الطبري بتفصيلات أكثر ، فيحدد أحياناً مناصب بعضهم والمهام التي أوكلت إليهم كولاية أقاليم بعينها وأحياناً يذكر أن بعضهم تولوا مهمة جباية الجزية من نصارى نجران أو جمع الصدقات من المسلمين، والبعض الآخر يحدد مهمته في الإمامة والحرب ، وفي مواطن أخرى من كتابه يحدد لنا اسم الوالي المرسل إلى الناحية المعين عليها ، ويغفل عن ذكر مهمته على وجه الدقة [٤] ، وأحياناً يذكر أسماء بعض الصحابة الذين أرسلوا معلمين ومرشدين لجميع بلاد اليمن وأجزاء من السروات ، كما ذكر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في أواخر السنة

---

(١) للمزيد ، انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٨ – ٥٣٠ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٥ – ٧٦.

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص٧٦ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠-٨١ ، الطبري ، جـ ٣ ص ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٩ وما بعدها ، للمؤلف نفسه ، انساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٨ – ٥٣٠ .

(٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ – ٢٢٩ .

العاشرة ، وأوائل السنة الحادية عشرة للهجرة حيث كان معلماً يتنقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت [١] ، أما اليعقوبي فقد أجمل مهام الولاة دون تفصيل دقيق عند ذكره لأسمائهم ، فنجده يذكر أن بعضهم كانت تجمع لهم الولاية وجمع الصدقات ، وآخرين اقتصرت مهامهم على جمع الصدقات وجباية الجزية من أهل الكتاب فقط [٢] .

وهكذا فالمصادر الإسلامية المبكرة لا تورد تفصيلات واضحة ودقيقة عن عمال الرسول ﷺ في بلاد اليمن وحضرموت والسروات ونجران ، وعدم وجود معلومات دقيقة ومفصلة حيال هذا الجانب في عهد الرسالة دفعت أحد الدارسين المحدثين إلى القول بأنه ((**لم يكن هناك نظام خاص بإرسال العمال ، إذ كان الوقت وقت جهاد ودعوة ، وكانت المهمة الأولى لأولئك العمال هو تعليم الناس أصول الدين والحكم بما جاء به القرآن وسنة الرسول ﷺ بلا التواء ولا تعقيد**)) [٣] ، ونحن نتفق مع هذا الرأي ، فالأهم لدى الرسول ﷺ هو توطيد قدم الإسلام عند سكان شبه الجزيرة العربية ، وبالتالي فكان حريصاً على أن يتولى المسؤولية كل من كان قادراً عليها ، فشيوخ القبائل مثلاً ورؤوساء الوفود التي وفدت عليه ﷺ لم يخليها ﷺ من المسؤولية كل على قدر البيئة أو المحيط الذي يعيش فيه ، ثم أتبعهم بعد ذلك بأكثر من مسؤول ، فهناك من كانت مهمته جمع

---

(١) الطبري ، جـ٣ ، ص٢٢٨ ، ويذكر البلاذري أن الرسول ﷺ أرسل معاذ بن جبل الأنصاري والياً على ((الجند ، والقضاء وتعليم الناس الإسلام وشرائعه ، وقراءة القرآن ، وقبض الصدقات من عمال اليمن)) ، انساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) الشماخي ، ص ٧٨ - ٧٩ وللمزيد من التفصيلات عن نظام الولايات في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ، انظر ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ١٦٧ وما بعدها ، الصالح ، ص ٣٠٨ - ٣١٠ ،اليوزبكي ، ص ١٠٣ - ١٠٥ .

الصدقات مـــن المسلمين والجزية من غير المسلمين ، وهناك من كانت مهمته التنقل من مخلاف إلى آخر لأجل نشر الدعوة الصحيحة بين الناس ، كما كان يفعل معاذ بن جبل ﷺ في اليمن ، وهناك من كان يرسل لإمامة الناس في صلواتهم وتفقيههم في أمور دينهم ، وهكذا كان الوالي الواحد يجمع بين أكثر من عمل في الولاية التي أرسل إليها .

كما أن قصر المدة الممتدة من السنة التاسعة للهجرة المعروفة بعام الوفود ، إلى السنة الحادية عشرة للهجرة ، التي توفي في صدرها الرسول ﷺ جعلت الأوضاع الإدارية لا تتضح بشكل دقيق ، وبالتالي لم يستطع مدونو التراث إيراد تفصيلات واضحة ودقيقة حيال هذا الجانب .

أما عن نجران وعمالها وأوضاعها الإدارية في عهد الرسول ﷺ فقد اختلفت الروايات التي حفظتها لنا المصادر الإسلامية المبكرة بشأن الوالي الأول علـــى نجران ، كما تباينت فـــي تحديد المهام الموكـــولة إليه ، فبعضهم يشير إلى أن الرسول ﷺ بعث إلى نجران بعد مقابلة وفدهم وإسلامه ، عمرو بن حزم الأنصاري ليكون أميراً عاماً (١) ، وتؤكد على استمراره في ولايته بعد وفاة الرسول ﷺ (٢) ، بينما يذكر اليعقوبي أن والي نجران في عهد الرسول ﷺ هو أبو سفيان بن حرب (٣) ، ويخالفه البلاذري حيث يقول بأن والي نجران كان عمرو ابن حزم الأنصاري، ثم يردف قائلاً " **ويقال إنه ولي أبو سفيان بن حرب**

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ ، المؤلف نفسه ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨١ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ جـ ٦ ، ص ٣١٢

(٢) ويذكر أن عمرو بن حزم الأنصاري شهد مع الرسول ﷺ قبل ذهابه إلى نجران غزوة الخندق وغيرهـا ، وكانـت وفاته في سنة (٥٣ هـ / ٦٧٢ م) ، وربما (٥١ هـ / ٦٧٠ م) انظر ، ابن خياط ، ص ٨٩ ، الذهبي ، العبر ، جـ ١ ، ص ١٥٨ . وللمزيد عن الولاية العامة والخاصة انظر ، الماوردي ، الأحكام ، ص ٧٢ وما بعدها .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ .

نجران بعد عمرو بن حزم " [١] ، ثم يستطرد اليعقوبي ويتفق معه كل من الطبري وابن خلدون بقوله إن الرسول ﷺ أرسل في السنة العاشرة للهجرة علي بن أبي طالب ﷺ إلـى نجران لجمع صدقات أهلها ويقدم عليه بجزيتها [٢] ، ويذكر ابن عبد ربه أن الرسول ﷺ أرسل أبا سفيان ابن حرب إلى نجران فكان على الصلاة والحرب ، وراشد ابن عبد ربه على القضاء والمظالم [٣] ، بينما يردد البلاذري عدة أقوال نلاحظ فيها كثيراً من الخلط والتناقض ، فنجده يذكر أولاً أن ابن حزم بعث إلى نجران [٤] ، ثم نجده في موضع آخر يخالف ذلك بقوله إن الذي بعث إلى نجران هو أبو سفيان بن حرب وظل عليها حتى وفاة الرسول ﷺ معتمدا في ذلك على قول ابن الكلبي ، ويدل على ذلك أنه لما توفي رسول الله ﷺ لم يكن أبو سفيان حاضراً بالمدينة ولكنه في نفس المكان يناقض نفسه حيث ينقل خبراً عن الواقدي مضمونه أن أبا سفيان كان حاضراً بالمدينة عندما توفي رسول الله ﷺ [٥] ، ثم يشير بعد ذلك إلى أن الرسول ﷺ استعمل على نجران يزيد بن أبي سفيان ، كما أرسل أيضاً عوف بن مالك إلى المنطقة نفسها [٦] .

ونرجح مما سبق أن الرسول ﷺ أرسل عمرو بن حزم ليكون والياً على نجران وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهداً ، وأمره فيه بأمره ، كما قال عنه ابن خلدون بأنه " **كتاب وقع في السير مروياً ، واعتمده الفقهاء في الاستدلالات ، وفيه أسس كثيرة من الأحكام الفقهية** " [٧] ، وقد استمرت ولايته على نجران حتى

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٤٧ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .
(٣) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .
(٤) البلاذري ، انساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ .
(٥) البلاذري ، الأنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٢٩ - ٥٣٠ .
(٧) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ . انظر نص الكتاب الفصل الثاني من هذه الدراسة .

خرج الأسود العنسي في بلاد اليمن ، وظل هناك حتى وفاة الرسول ﷺ [١] ، وكان يقدم إليه طوال تلك الفترة في نجران ، وربما إلى أجزاء أخرى من بلاد اليمن بعض الصحابة ﷺ الذين كان يرسلهم الرسول ﷺ لأداء عمل معين ، كما أرسل أبو عبيدة عامر بن الجراح مع نصارى نجران للفصل بينهم فيما يختلفون فيه [٢] ، وأرسل أيضاً معاذ بن جبل إلى بلاد اليمن عامة لنشر الدعوة بينهم وتعليمهم وتفقيههم في أمور دينهم [٣] ، أو راشد بن عبد ربه السلمي للنظر في قضايا ومظالم الناس هناك [٤] ، أو علي بن أبي طالب لجمع صدقات وجزية أهل نجران [٥] .

ويبدو أن تنظيم أمور اليمن وجمع شتات القبائل والسكان في بلاد نجران قد استلزم عدداً من المعاونين الذين كانوا يساعدون عمرو بن حزم الأنصاري في بداية ولايته ولعل هذا يفسر لنا كثرة العمال الذين أوفدهم الرسول ﷺ إلى هذه النواحي ، ولكن بعد استقرار الأمور وانتشار الإسلام هناك عاد مبعوثو الرسول ﷺ وعماله تباعاً إلى حاضرة الدولة وبقي ابن حزم هو الوالي المقيم بالمنطقة حتى وفاة الرسول ﷺ [٦] .

وقد ازدادت أوضاع شبه الجزيرة العربية استقراراً زمن الخلافة الراشدة بوجه عام فيما عدا بداية عهد الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ عندما ارتد بعض سكان البلاد ، وقد قابلهم ﷺ بعزيمة صادقة وإيمان قوي راسخ فقضى عليهم في فترة وجيزة ، وتشير المصادر إلى أن الرسول ﷺ قد أرسل جرير بن عبد

---

(١) انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، يذكر ابن خلدون أن عمرو بن حزم كان يتولى الصلاة على نجران وأرضها ، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات . تاريخ جـ ٢ ، ص ٤٩١ ، للمزيد انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .

(٢) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ص ٣٧٧ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ .

(٤) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٧٦ ، الطبري ، جـ٣ ، ص ١٤٧ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨٢ .

(٦) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، للمزيد انظر ، الزرقاني ، جـ ٣ ، ص ٣٦٣ .

الله البجلي مدداً لعمرو بن حزم الأنصاري يوم خروج الأسود العنسي (١)، فوصلوا إلى بلاد السروات ونجران وقيل إلى بلاد اليمن ، ثم جاء خبر وفاة الرسول ﷺ فعاد جرير ومعه بعض الصحابة إلى المدينة حيث أمره الصديق بالعودة ثانية إلى بلاد السراة ، ليدعو قومه للتمسك بشريعة الإسلام ، ويحارب بهم من ارتد في أرض السروات ويتقدم إلى بلاد نجران فيقيم بها حتى يأتيه أمره ، بينما تشير روايات أخرى إلى أن أبا سفيان تولى بلاد نجران في عهد الرسول ﷺ بعد عمرو بن حزم الأنصاري وبقي بها إلى عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٢) .

وقد نفذ جرير بن عبد الله البجلي أوامر الخليفة أبو بكر الصديق فأقام بين أهل نجران يسوس أمورهم ، ومعه بعض قومه ومن المسلمين والقادة الذين تصدوا لحركة الأسود العنسي ، وبقي هناك حتى جاءه جيش المسلمين لمحاربة المرتدين في بلاد اليمن تحت قيادة المهاجر بن أبي أمية ، فانضم إليه وساروا جميعاً لملاحقة فلول المرتدين في بلاد اليمن وحضرموت وما حولها (٣) ، ويبدو أن انشغال جرير بمحاربة المرتدين جعل أبا بكر الصديق ينفذ أبو سفيان بن حرب والياً على نجران ، أو أنه كان بنجران قبل ذلك قائماً على جمع الصدقات ، فلما انشغل جرير بأمور الردة ، جمع إليه أبو بكر أمر الصدقة والولاية على نجران (٤) .

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، الزرقاني ، جـ ٣ ، ص ٣٦٣ ، الشجاع ، ص ١٨٨ ، وجدير بالذكر أن ابن حزم الأنصاري قد قفل راجعاً إلى المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ ، المؤلف نفسه ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ ، ٣٢٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٣ .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢٩ – ٣٣٠ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٩٣ – ٤٩٤ .

(٤) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ ، للمزيد انظر ، الشجاع ، ص ١٨٧ وما بعدها ، دلال ، ص ٢١٠ ، ٢١٥ ، ٢٣٦ .

ويبدو من سير الأحداث أن الولاة الذين عينوا على نجران وغيرها من مخاليف اليمن قد جمعوا بين السلطتين الإدارية والدينية حتى عهد الخليفة أبو بكر الصديق ، فكانوا يقومون على تصريف أمور الحياة اليومية ، ويعملون أيضاً بالدعوة لتوطيد دعائم الإسلام بين أهل نجران ، وذلك جرياً على السياسة التي انتهجها الرسول ﷺ مع جميع المخاليف والمناطق في شبه الجزيرة العربية ، قاصداً بذلك أن شبه الجزيرة العربية سوف تكون القاعدة الأساسية التي ينطلق منها الإسلام إلى جميع أنحاء العالم ، فلا بد من تعليم وتوجيه وتربية أهلها تربية إسلامية سليمة حتى يستطيعوا الاضطلاع بالمهام الجسيمة التي ستوكل إلى كثيرين منهم ، وفي مقدمتها نشر الإسلام خارج جزيرة العرب . وقد سار الخليفة أبو بكر الصديق على نهج الرسول ﷺ على الرغم مما واجهه في عهده القصير من عقبات أهمها التصدي والقضاء على المرتدين في أنحاء البلاد وبعد أن صار استقرار الإسلام ديناً على أرض جزيرة العرب جميعها ، انتقل الخليفة أبو بكر ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين ﷺ إلى مرحلة أهم وأعظم، وهي الفتوحات الإسلامية خارج جزيرة العرب ، وهو أمر استلزم منهم أجراء بعض التعديلات الإدارية داخل الجزيرة العربية ، وبخاصة زمن الشيخين أبو بكر وعمر ، حيث كانا في أمس الحاجة إلى بعض القادة والولاة الذين اثبتوا مهارة وتميزاً في الأعمال والمهام التي أوكلت إليهم ، وفي مقدمتها نشر الإسلام وتوطيد دعائمه داخل جزيرة العرب ، وكان كثيرون منهم يشغلون مناصب إدارية ودينية في مواقع مختلفة بأنحائها ، وإذا تم استدعاؤهم من مراكزهم ، فسيترك ذلك فراغاً كبيراً في إدارة الأقاليم التي كانوا يسوسونها [1] . وتلافياً لهذه العقبة اتجه الخلفاء الراشدين إلى ضم عدة مخاليف

---

(١) للمزيد عن الولاية في عهد الرسول ﷺ ثم كيف استدعى أغلب الولاة للمشاركة في الفتوحات الإسلامية ، انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ وما بعدها ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٤٣ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ ، دلال ، ص ٢٣٥ وما بعدها .

وأقاليم إلى بعضها بعضاً في إقليم واحد ، ويجعلون عليه عاملاً واحداً يتولى أمورها العامة ، ويساعده شيوخ وأعيان القبائل ، وكان الوالي يعمد بدوره إلى تعيين مجموعة من المساعدين يتخذهم نواباً له يساعدونه على ضبط الأمن والاستقرار في أنحاء الولاية وإدارتها وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية السمحة .

ولعل ذلك يتضح بصورة جلية في التراتيب الإدارية التي وضعها الراشدون لإدارة ولاية نجران حيث نلاحظ أنها صارت في معظم الفترة الزمنية التي تعالجها هذه الدراسة تابعة لوالي الحجاز ، وتضاف إدارتها لولايته ، فكانت تابعة للطائف في عصر الخلفاء الراشدين، أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة في عهود بني أمية وبني العباس[١]. وبدأ ذلك منذ خروج جرير بن عبد الله البجلي مع المهاجر بن أبي أمية لمحاربة المرتدين ثم استدعاؤه من قبل الخليفة ليسير مع الجيوش الإسلامية التي سارت إلى بلاد الشام والعراق [٢] . كما استدعى أبو سفيان بن حرب في عهد أبو بكر الصديق من نجران ليسير مع جيوش المسلمين إلى بلاد الشام ويتولى مهمة وعظ الجند ، وبث الحماس فيهم ، وحثهم على القتال قبل معركة اليرموك عام (١٣ هـ / ٦٣٤ م) [٣] .

---

(١) كان على كل من مكة المكرمة والطائف والي يعين من قبل الخلفاء الراشدين في المدينة المنورة ، وغالباً كان والي مكة يتولى إدارة البلاد الساحلية الممتدة من مكة المكرمة حتى أطراف بلاد اليمن ، وكذلك والي الطائف يتولى شؤون بلاد الطائف وجميع بلاد السروات حتى بلاد نجران وصعدة في الجنوب . أما في العصرين الأموي والعباسي فكان والي الحجاز عامة يتولى في بعض الأوقات بلاد السروات واليمن وأحياناً كانت تضاف له ولاية اليمامة وربما بلاد البحرين ، انظر العلي " إدارة الحجاز ... " ، ص ٣ وما بعدها للمزيد انظر **13ff,Husaini, pp ,29ff . Jrais"The Governership, pp13 "Kennedy , pp31ff .**

(٢) للمزيد عن جرير بن عبد الله البجلي انظر ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٢٧٩ – ٢٨١ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ ، جـ ٢ ، ص ١٨٢– ١٨٣ ، مج ٤ ، جـ ٧ ، ص ١٣٦ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ .

ويؤكد ما ذهبنا إليه ، ما أشارت إليه المصادر عند ذكر ولاية الطائف وحدود ولايته ، وامتداد سلطاته الإدارية ، فتذكر على سبيل المثال أن عثمان بن أبي العاص ، قد تولى ولاية الطائف منذ دخولها الإسلام زمن الرسول ﷺ وحتى عام (١٥هـ / ٦٣٦ م) وقد امتدت سلطاته زمن الشيخين أبي بكر وعمر من الطائف وما والاها حتى بلاد نجران ثم استدعت ظروف الفتوحات الإسلامية في العراق ضرورة توجهه إلى هناك ، فاستدعاه الخليفة عمر بن الخطاب عام (١٥هـ/٦٣٦م) ووجهه إلى الجبهة العراقية وعين بدلاً منه يعلى بن أمية الذي امتدت سلطته على المنطقة من الطائف شمالاً وحتى نهاية بلاد نجران جنوباً ، وظل قائماً على ولايتها حتى عزله عمر بن الخطاب عام (٢٢ هـ / ٦٤٢ م) [١] .

ويؤيد دخول بلاد نجران ضمن سلطة والي الطائف ما ذكر عن تكليف عمر بن الخطاب ليعلى بن أمية عام (٢٠ هـ / ٦٤٠ م) بإجلاء نصارى نجران من ديارهم ، مما ينهض دليلاً على كونه مسؤولاً عن إدارتها بما فيها بلاد السروات الواقعة في شمالها والممتدة حتى الطائف ، فاضطلع يعلى بهذه المهمة ، ونهض بعمل كافة الترتيبات اللازمة لإجلائهم عن نجران وقد حفلت المصادر بذكر ما دار بينه وبين أمير المؤمنين عمر من مكاتبات بشأن كيفية الإجلاء وتقدير ممتلكاتهم وتعويضهم عنها ، وتحديد فترة معينة لمغادرتهم نجران [٢] ، كما وجه عمر بن الخطاب لنصارى نجران أنفسهم ، ليتأكدوا من أن الأوامر بخروجهم من نجران

---

(١) يذكر أن عمر بن الخطاب عزل يعلى بن أمية عام (٢٢ هـ / ٦٤٢ م) ثم أعاده بعد مسألته في شكاوي وصلت إلى أمير المؤمنين حوله ، وقد تولى بعض النواحي في بلاد اليمن في عهد الخليفه عثمان بن عفان ، وربما في عهد الخليفة علي بن أبي طالب . للمزيد انظر ، ابن سلام ، ص ٤٤٥ هامش (٤) الطبري ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، ابن حزم ، ص ٢١٣ ، ٢٢٩ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٥٣ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢١ – ٢٢ ، دلال ، ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(٢) الطبري جـ ٤ ، ص ١١٠ ، الحلبي ، جـ ٢ ، ص ٧٧١ ، دلال ، ص ٢٤٥ .

صدرت منه رأساً لأنه كان خليفة للمسلمين ، حتى لا يظن أحدهم أنها صادرة من والي الولاية دون علم أمير المؤمنين ، وهذا يدل على أن سلطة الوالي زمن الراشدين لم تكن مطلقة ، بل كانت مقيدة بأوامر ونواهي تصدر من حاضرة الدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ومن الخليفة شخصياً فكان الوالي مجرد موظف بدرجة كبيرة ومنفذ جيد للتعليمات الصادرة إليه [١] .

أما عن سبب إجلائهم فقد ورد واضحاً في خطاب الخليفة عمر بن الخطاب إليهم جاء فيه : " **أما بعد : فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ثم ارتددتم بعد ، وإنه من يثبت منكم ويصلح لا يضره ارتداده ، ونصاحبه صحبة حسنة ، فادَّكروا ولا تهلكوا ، وليبشر من أسلم منكم ، فمن أبى إلا النصرانية فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم من النصارى بنجران . أما بعد فإن يعلى (بن أمية) كتب يعتذر أن يكون أكره أحد منكم على الإسلام ، أو عذبه عليه ... أما بعد فقد أمرت يعلى أن يأخذ منكم نصف ما عملتم من الأرض ، وإني لن أريد نزعها منكم ما أصلحتم** " [٢] .

ويبدو مما ورد في المصادر بشأن يعلى بن أمية أنه كان نشيطاً في إدارة شؤون ولايته عارفاً بأحوالها وأوضاع سكانها كثير التجوال في أنحائها ، وقد وضح ذلك من الترتيبات التي اتخذها لتنفيذ أوامر الخلافة بإجلاء نصارى نجران فنجده يقوم على الأراضي التي كانت بحوزتهم هناك ويحدد مساحتها بنفسه ، ويبين نوعية أراضيها من حيث الخصوبة والجودة وأنواع المزروعات بها ، ويرفع بذلك خطاباً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لكي يوجه بدوره ولاة الدولة الإسلامية في

---

(١) ابن سلام ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧– ٧٨ ، الطبري ، جـ ٤ ، ص ١١٠ ، الحلبي ، جـ ٢ ، ص ٧٧١ ، حميد الله ، ص ١٩٢ وما بعدها .

(٢) ابن زنجويه ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٤٥١ ، ابن سلام ، ١٤٥ ، حميد الله ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

الكوفة والشام وهي الأماكن الجديدة التي حددت لتروهم واستقرارهم ، فيعطوا مثلها ، ليعوضوا هناك بأرض مماثلة أو أفضل منها حتى لا تكون هناك شائبة ظلم قد حلت بهم [١] .

وبعد عزل يعلى بن أمية رتب أمير المؤمنين عمر ، سفيان بن عبد الله الثقفي والياً على الطائف وما والاها حتى نجران ، وظل قائماً على إدارة شؤون تلك النواحي [٢] ، ليتولاها من بعده ، وبأمر من الخليفة عثمان بن عفان ، القاسم ابن ربيعة الثقفي الذي ظل عليها حتى استشهاد الخليفة عثمان بن عفان عام (٣٥ هـ / ٦٥٥ م) [٣] .

وقد أعقب مقتل أمير المؤمنين ، عثمان بن عفان ، حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار سادت كافة أنحاء الدولة الإسلامية ، وزاد الأمور سوءاً انشقاق المسلمين فيما بينهم إلى حزبين رئيسين متصارعين ، واستمر اضطراب الأوضاع السياسية والإدارية زمن تولي الخليفة علي بن أبي طالب إمرة المؤمنين ، وقد انعكست هذه الأوضاع بطبيعة الحال على بلاد نجران وما ولاها ، الأمر الذي استدعى تغييراً في إدارتها [٤] .

---

(١) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ ، ابن زنجويه ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ابن سلام ، ص ١٤٤ – ١٤٥ .

(٢) الطبري ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، وقد أشار الطبري أن يعلى بن أمية كان والياً على صنعاء يوم وفاة عمر ابن الخطاب ، المصدر نفسه .

(٣) الطبري ، جـ ٣ ، ص ٤٢١ .

(٤) للمزيد من التفصيلات عن الصراعات التي حدثت آنذاك ، انظر، ابن العربي ، ص ٦١ – ١١٠ ، ابن مزاحم ، ص ١١٧ ، ١٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٣ – ٦٩ ، ابن حزم ، الفصل ، جـ ٤ ، ص ١٦١ ، النويري ، نهاية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .

لم تبق الطائف وما ولاها جنوباً حتى نهاية حدود نجران ولاية واحدة ، كما كان العهد بها زمن الخليفتين الراشدين ، عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، بل استدعت الأمور إلى ضمها إلى مكة المكرمة وما تلاها جنوباً مروراً بالأجزاء التهامية والسروية حتى بلاد نجران ، ومخلاف (جازان) جنوباً ، وأحياناً تضم له بلاد اليمن واليمامة ، وقد توطدت هذه الصبغة الإدارية بشكل أكبر في عصر بني أمية وبني العباس ، كما سنلاحظ في الصفحات التالية من هذا الفصل .

ونجد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، جعل على مكة المكرمة عقب توليه الخلافة ، أبا قتادة الأنصاري ثم عزله وعين بدلاً منه (٣٦ هـ / ٦٥٦ م) ابن عمه قثم بن العباس بن عبد المطلب ، فلم يزل والياً إلى أن قتل الخليفة علي بن أبي طالب ، وقيل تولاها معبد بن العباس قبل قثم [١] ، وكان تمام بن العباس والياً على المدينة المنورة ، وعبيد الله بن العباس والياً على بلاد اليمن بجميع مخاليفها التهامية والسروية [٢] . فهؤلاء الإخوان الثلاثة أولاد العباس كانوا يتولون لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالب جميع نواحي الحجاز والسروات واليمن ، وربما ساند الواحد منهم أخاه وتعاون معه في إدارة هذه البلاد ، كما رأينا من عبيد الله بن عباس الذي كان متخذاً صنعاء مقراً لإقامته ، ثم استدعى عبد الله بن عبد المدان الحارثي من نجران فجعله نائباً له في صنعاء يُصرف شؤون اليمن خلال فترة غيابه عنها ، ويبدو أن تغيبه هذا عن مقر إقامته كان بسبب اشتراكه مع الجبهة العلوية

---

(١) انظر ، الطبري ، جـ ٥ ، ص ٩٢ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ .

(٢) هناك من المؤرخين من خلط بين اسم عبد الله وعبيد الله أبناء العباس ، فقال بعضهم أن والي اليمن كان عبد الله بن عباس ، وهذا غير صحيح لأن عبد الله بن عباس كان والياً لعلي بن أبي طالب على البصرة حتى عام (٤٠ هـ / ٦٦٠ م) ثم عاد إلى مكة المكرمة واستقر بها خلال عهد بني أمية ولم يذهب إلى اليمن والياً عليها . انظر الطبري ، جـ ٥ ، ص ١٤٠ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٤٤٦ – ٤٤٨ ، ابن حزم ، ص ١٨ – ١٩ ، الدينوري ، الأخبار ، ص ١٤١ ، ١٥٢ .

في الصراع مع حزب معاوية بن أبي سفيان ، يدلنا على ذلك أن بسر بن أبي أرطأة حينما أرسل من قبل معاوية لتثبيت أقدام الحزب الأموي في غرب الجزيرة العربية وجنوبها الغربي استولى في طريقه على الحجاز ، وكان أبناء العباس في مقدمة من تصدى له ، ولكنه هزم أنصار علي ثم ذهب إلى نجران وصنعاء ليخضعها هي أيضاً لمعاوية وانتقم من أنصار علي فقتل نائب عبيد الله بن العباس ونعني به ابن عبد المدان هذا وابنه مالك بن عبد الله بن عبد المدان وطفلين صغيرين لعبيد الله بن عباس [1] . كما أن هذا التكاتف والتعاون الذي قام بين أبناء العباس بن عبد المطلب ، ممثلاً في عبيد الله بن العباس ، وأخيه قثم أثناء إمارتهما على اليمن والحجاز زمن الخليفة الراشد الرابع ينهض دليلاً من ناحية أخرى على أنه من المحتمل أن بلاد نجران في هذا التاريخ كانت تتبع إدارياً والي اليمن المقيم في صنعاء [2] ، كما يتضح لنا من قيام عبيد الله باختيار أحد رجالات نجران وتعيينه نائباً له في إدارة شؤون البلاد أثناء فترة غيابه عن حاضرة الولاية ، كما أن النظام الإداري في عصر الخلافة الراشدة كان يعطي الحرية للوالي ويسمح له باختيار من

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ، الطبري ، جـ ٥ ، ص ١٣٦ ، ١٣٩ ، ابن حزم ، ص ١٧٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ – ١٩٤ ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ وما بعدها ، وللمزيد عن كيفية قتل عبد الله بن عبد المدان وابنه وأبناء عبيد الله بن عباس ، وبعض الأشعار التي قيلت في رثائهم ، انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

(٢) يبدو أن نجران تتبع في الأساس إلى مكة المكرمة والطائف منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ، ولكن في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ وتولي أبناء العباس معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية صار التعاون فيما بينهم سهلاً ، واصبح الواحد – ربما – لا يمانع في ترك الأطراف القريبة من ولاية الآخر كي يشرف عليها ويستعين ببعض رجالها في إدارة البلاد ، وذلك يظهر واضحاً مع عبيد الله بن عباس الذي كان نفوذه ممثلاً في بلاد اليمن نحو الشمال إلى نجران ، وربما إلى بلاد جرش وما حولها كما أنه كان يستعين ببعض رجالات نجران ، كما حدث مع عبد الله بن عبد المدان الذي تولى شؤون اليمن أثناء غياب واليها عبيد الله بن العباس . للمزيد انظر ، البعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ص ١٩٧ ، الطبري ، جـ ٥ ، ص ١٣٦ ، ١٣٩ ، ابن حزم ، ص ١٧٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ – ١٩٤ ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ وما بعدها ، النويري ، نهاية ، جـ ٢ ، ص ٥٩ وما بعدها .

يستعين به في إدارة البلاد من الزعامات المحلية ، وغالباً ما كان هؤلاء المعاونون الرئيسيون يتم اختيارهم من أهل الحل والعقد في البلاد ، وممن يتصفون بالحنكة والدراية في الأعمال الإدارية .

وقد زودتنا بعض المصادر بإشارات أخرى توضح تلاحم أبناء بني العباس فيما بينهم ، وشدة إخلاصهم للإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فتذكر أن هؤلاء الأمراء الثلاثة عبد الله ، وعبيد الله ، وقثم ، وأحياناً كان ينضم إليهم الأخ الرابع تمام كانوا يحضرون موسم الحج إما جميعهم أو أحدهم ليقود الحجيج في عهد الإمام علي بن أبي طالب ، وقد تم ذلك في سنوات حكمه كلها فيما عدا موسم عام (٣٩ هـــ / ٦٥٩ م) والذي حضره مندوب عن معاوية بن أبي سفيان فوقع التشاحن بين الطرفين ، ثم تصالحوا على أن يكون عثمان بن طلحة الشيبي هو أمير الحج لهذا العام ، حرصاً على استقرار الأمن وعدم إثارة الشغب في مناطق المشاعر مما يفسد الحج ويروع الآمنين [١]. مما ينهض دليلاً آخر على مدى تكاتف أولاد العباس ، وحرصهم في نفس الوقت على أمن وحرمة البقاع المقدسة ومن يقدم إليها من الحجاج والمعتمرين .

وقد استمرت تبعية نجران – كما أسلفنا – إلى ولاية الحجاز في العصر الأموي ، وكانت سلطة هذه الولاية تمتد أحياناً لتضم إليها بلاد السروات واليمن ويحكمها والٍ واحد غالباً ما يستقر في إحدى حواضر الحجاز ويرسل من قبله من يتولى شؤون الأجزاء البعيده في ولايته ، وجميعهم مرجعهم الخليفه الأموي في بلاد الشام [٢] .

---

(١) الطبري ، جـــ ٥ ، ص ١٣٦ .

(٢) للمزيد عن نظام الولاية في العصر الأموي ، انظر الرفاعي ، ص ٧٥ – ٨٠ ، اليـــوزبكي ، ص ١٠٥ – ١٠٧ ، الصالح ص ٣٠٩ – ٣١٢ ، Husaini , pp . 62 ff Salem , pp . 22 ff

فالفاسي يذكر أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، في بداية خلافته ، عين أخاه عتبة ابن أبي سفيان على مكة والطائف وما يتبعها مثل السراة ونجران ، وعين أحمد بن خالد بن العاص على المدينة ، وقيل مروان بن الحكم ، وبعد ذلك عزل أخاه ، وأضاف ولاية مكة والطائف ونجران إلى مروان بن الحكم ، فأصبح بذلك والياً على الحجاز والسراة ثم عزله عام (٤٩ هـ / ٦٦٩ م) وولى سعيد بن العاص ولاية الحجاز والسراة بكاملها ، وكان سعيد يقيم في المدينة وجعل ابنه عَمْراً نائباً عنه في مكة والطائف وما يتبعهما نحو الجنوب [١] ، وجُمِعَتْ أيضاً لعمرو بن سعيد بن العاص عام (٦٠ هـ / ٦٧٩ م) في عهد يزيد بن معاوية [٢] إلى أن انفصل بها عبد الله بن الزبير ، عقب مقتل الحسين ﷺ في عام (٦١ هـ / ٦٨٠ م) وخلع طاعة يزيد عام (٦٢ هـ / ٦٨١ م) وعقب موت يزيد في عام (٦٤ هـ / ٦٨٣ م) قوي أمر ابن الزبير في الحجاز والسروات ونجران واليمن وبايعه الناس ودانت له كثير من المناطق والبلدان [٣] ، وبدأ يولي عليها الولاة ، فكان هو الحاكم المباشر لمكة والطائف وما يتبعهما يساعده الحارث بن حاطب الجمحي ، وولى على المدينة أخاه عبيد الله بن الزبير وعلى اليمن أخاه خالد بن الزبير [٤] ، وعلى العراق أخاه مصعب بن الزبير واستقل باليمامة نجدة الحنفي ، ووافق ابن الزبير [٥] ، لكن ما لبث أن استقر الأمر في البيت الأموي على مروان بن الحكم ، فقوي شأنهم وتأكد ذلك بولاية ابنه عبد الملك ابن مروان ، الذي عمل على استعادة الولايات التي خرجت عن طاعتهم واحدة تلو الأخرى ، وبعث الحجاج بن يوسف الثقفي فتغلب على ابن الزبير في

---

(١) الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ – ١٦٧ ، وللمزيد انظر Jrais " The Governorship" pp . 13-21

(٢) الطبري ، جـ ٦ ، ص ١١٧ وما بعدها ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ، ابن حزم ، ص ٨١ .

(٣) الفاسي ، جـ٢، ص١٦٧ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٤ ، جـ٨ ، ص ٢٤٢ ، ٣٣٧– ٣٣٨ ، الفقي ، ص٥٥.

(٤) ابن حزم ، ١٢٢ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ابن كثير ، البداية ، مج٤ ، جـ ٨ ، ص ٣٣٧ .

(٥) كان نجدة الحنفي من الخوارج واستقل باليمامة عن الدولة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية ، واستولى على جزء من بلاد السروات وزحف إلى نجران وبلاد اليمن ، ولم يجد أهلها لهم طاقة على حربه ، فصالحوه على مائة ألف دينار يدفعونها إليه ، ويرجع عنهم ، فوافق ورجع ولم يتصادم مع ابن الزبير ، وبعدها دخلت بلاد السروات حتى نجران وأرض اليمن وغيرها في طاعة ابن الزبير فعين الولاة عليها . الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ابن زبارة ، ص ٤٠ وما بعدها .

عام (٧٣ هـ / ٦٩٢ م) وأخضع الحجاز واليمامة واليمن لطاعة بني أمية ، ولهذا فإن عبد الملك ابن مروان ولاه عليها جميعاً [١] ، ولم يسبق لها أن اجتمعت لوالٍ قبله ، وعين الحجاج نواباً من قبله على تلك المناطق يديرونها ، وهو المرجع لهم ، كان منهم أخوه محمد ابن يوسف الثقفي الذي أشرف على شؤون بلاد السروات الممتدة من الطائف حتى صنعاء [٢] . فلما انتقل الحجاج إلى العراق عام (٧٥ هـ / ٦٩٤ م) والياً عليها عقب وفاة واليها بشر بن مروان ، أصبح نواب تلك المنطقة ولاة ، تابعين مباشرة في أوامرهم ونواهيهم للخليفة عبد الملك بن مروان ، وكان منهم : الحارث بن خالد بن العاص المخزومي ، والي مكة والطائف والسراة ، كما كان على المدينة يحيى بن الحكم بن أبي العاص ، عم الخليفة عبد الملك [٣] ، واستمر محمد بن يوسف الثقفي – أخو الحجاج – والياً على اليمن وأصبح مرجعه المباشر هو الخليفه ، إلى أن توفي عام (٩١ هـ/٧٩٠ م) بعد (١٨) عاماً من ولايته لها [٤] . وتقلد ولاية مكة والطائف وما يتبعهما كثير من الولاة في عهد بني أمية ، وبالأخص في عهد عبد الملك بن مروان ، كما وليها في عهد ابنه الوليد ابن عبد الملك ، الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وأضيفت له المدينة فكان والياً على الحجاز بكامله وبلاد السروات حتى نجران واستمرت ولايته من عام (٨٦ هـ/٧٠٥م) حتى عام (٩٣ هـ / ٧١١ م) وقيل عام (٩١ هـ / ٧٩٠ م) [٥]

كما تولى ولاية مكة والطائف وما يتبعها نحو الجنوب أكثر من مرة خالد ابن عبد الله القسري البجلي ، وكان يشابه الحجاج بن يوسف الثقفي ، في شدته وسطوته [٦] .

---

(١) الطبري ، جـ ٦ ، ص ١٩٤ .

(٢) الطبري ، جـ ٦ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ابن حزم ، ص ٢٦٧ ، ابن زباره ، ص ٤١ .

(٣) انظر الطبري ، جـ ٦ ، ص ٢٠٢ ، ابن حزم ، ص ٨٧ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .

(٤) الطبري ، جـ ٦ ، ص ٤٩٨ ، ابن زباره ، ٤١ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ١٢٣ ، الفقي ، ص ٥٥ .

(٥) الطبري ، جـ ٦ ، ص ٤٢٦ ، ٤٦٤ ، ٤٨١ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ .

(٦) الطبري ، جـ ٦ ، ص ٤٤٠ ، ٤٦٧ .

ونلحظ من استعراض تاريخ هذه المناطق تحت حكم ولاة بني أمية المتعددين أن بعضهم قد اتسعت سلطاته الإدارية بحيث جمعت له الولايات الثلاث : مكة والمدينة والطائف ، بما يتبعه نحو الجنوب كجرش وبيشة ونجران في ولاية واحدة ، ولعل من أبرزهم: عمر بن عبد العزيز ، الذي ولي عليهم في عهد الوليد بن عبد الملك [(١)] ، وعبد الرحمن بن الضحاك القرشي عام (١٠٣ هـ / ٧٢١ م) [(٢)] ، ثم الذي خلفه في ولايتها وهو عبد الواحد بن عبد الله الثقفي وكان عبد الواحد قد ولي الطائف وما والاها جنوباً حتى نجران عام (١٠٣ هـ / ٧٢١ م) عقب عزل عبد العزيز بن عبد الله بن أسيد ، ثم ضمت إليه الولايات الثلاث عام (١٠٤ هـ / ٧٢٢ م) [(٣)] ، وأيضاً إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي - خال هشام بن عبد الملك - الذي وليها من عام (١٠٦ هـ / ٧٢٤ م) حتى عام (١١٤ هـ/ ٧٣٢ م)، ثم أخوه محمد بن هشام الذي تسلمها منه واستمرت ولايته على مكة والطائف وبلاد السراة ونجران حتى عام (١٢٥هـ/٧٤٢ م)، ويوسف بن محمد بن يوسف الثقفي - ابن أخي الحجاج بن يوسف ، وخال الخليفة الوليد ابن يزيد - حيث تولاها عام (١٢٦ هـ / ٧٤٣ م) وفي الوقت نفسه كان أخوه مروان ابن محمد بن يوسف الثقفي والياً على اليمن ، وجمعت أيضاً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان عام (١٢٩ هـ / ٧٤٦ م) [(٤)] .

وأحياناً ما كانت تنفرد كل ولاية بوالٍ واحد مستقل ، يتلقى تعليماته مباشرة من الخليفة فكان من هؤلاء هشام بن أبي سفيان الثقفي ، الذي ولي أمر الطائف وما يتبعها نحو الجنوب دون ولاية مكة وذلك في عهد يزيد بن الوليد [(٥)] .

---

(١) الطبري ، جـ ٦ ، ص ٤٣٣ ، ٤٤١ ، ٤٦٧ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ ٦ ، ص ٦٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، جـ ٦ ، ص ٦٠٢ ، جـ ٧ ، ص ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ .

(٤) للمزيد انظر ، الطبري ، جـ ٧ ، ص ٢٩ ، ٩١ ، ٢٢٦ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص١٧٢ - ١٧٤ ، ابن حزم ، ص ١٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ .

(٥) ابن حزم ، ص ٢٦٨ ، ويذكر الطبري أن والي مكة ، والمدينة ، والطائف ، في عهد يزيد بن الوليد عام (١٢٦ هـ /٧٤٣ م) كان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان . انظر الطبري ، جـ ٧ ، ص ٢٩٩ .

ونلحظ من سياسة الخلفاء الأوائل من بني أمية معايير معينة عند اختيارهم للولاة فمثلاً معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة نلحظ حرصه على اختيار الولاة من ذوي الحزم والحكمة فـي الاضطلاع بشؤون الرعية ، مع ميله إلـى إسناد تلك المناصب إلى رجالات بني أمية ، أو من يلوذون في فلكهم ، فإذا رغب فـي أن يولي أحداً من بني أمية ولم يسبق له أن تقلد منصب ولاه ولاية محدودة تتسم بالهدوء والاستقرار ، مثل ولاية الطائف التي لا تردها وفود ، أو يطرق أرضها إلا عابر ، فإذا رأى منه خيراً وأعجب بحسن سيرته وإدارته أضاف إليه ولاية أخرى ، مثل ولاية مكة أو نقله إلـى ولاية تستحق رعاية وسهراً دائماً ، لكثرة ما فيها من اضطراب ، كالبصرة والكوفة [١] ، وهذا ما فعله مع أخيه عتبة بن أبي سيفان ، ففي بداية تقلده المناصب ولاه الطائف وحدها ، وبعد عدة أشهر أضاف إليه ولاية مكة وبلاد السراة الممتدة من الطائف إلى نجران بعد أن لمس فيه حسن الإدارة ، وتصريف شؤون الولاية وكذلك مع مروان بن الحكم ، فقد ولاه المدينة أولاً ثم أضاف إليه مكة والطائف وما يتبعهما ، بعد عزل عتبة لمرضه ، وهذا في حد ذاته يعطينا مؤشراً على مدى اهتمام خلفاء بني أمية بتلك الولايات وتوابعها ، وإسنادهم إياها إلى ذوي الكفاءة والمقدرة [٢] .

بينما نلاحظ أن عمر بن عبد العزيز عندما ولي الخلافة عام (٩٩ هـ / ٧١٧ م) ، عقب وفاة سليمان بن عبد الملك ، اختار ولاته من ذوي الورع والعلم وحسن الإدارة في سياسة الرعية ، فأبقى على عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، والي مكة والطائف وما يتبعهما في عهد سليمان بن عبد الملك ،

---

(١) الطبري ، جـ ٥ ، ٢٩٦ .

(٢) الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ .

وكان لعمر مشورة من قبل في تعيينه والياً على مكة من قبل سليمان ، كما عين على المدينة أبا بكر محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وهو من فقهاء المدينة المشهورين [(١)] ، ويأتي يزيد بن عبد الملك ويعود لاتباع معايير جده معاوية في اختيار الولاة ، فيفصل ولاية الطائف وما يتبعها من بلاد السراة عن ولاية مكة ، ويولي عليها عبد الواحد بن عبد الله من ثقيف ، ويولي على مكة والمدينة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري ، وذلك عام (١٠٣ هـ / ٧٢١ م) لكن لم يلبث أن انضمت تلك الولايات الثلاث تحت والٍ واحد في عهد هشام بن عبد الملك وإلى نهاية عهد بني أمية في معظم الأحوال [(٢)] .

أما خلفاء بني العباس فبعد أن نجحت دعوتهم ، وتم القضاء على بني أمية ، سعوا جادين لتوطيد أقدام خلافتهم الوليدة بإحكام السيطرة على شبه الجزيرة العربية وبخاصة بلاد الحجاز ، فاختاروا لها الولاة الأكفاء المشهور عنهم الشدة والمهارة العسكرية والإدارية ليتمكنوا من ضبط الأوضاع الداخلية في هذه البلاد والتصدي لأي ثورة أو حركة سياسية تقوم في أي جزء من أجزاء الجزيرة العربية لإثبات صلاحية الخلافة الجديدة وقدرتها على سياسة أمور العالم الإسلامي تحت قيادتها [(٣)] . وتشير المصادر التاريخية المبكرة إلى أسماء بعض الولاة الذين عينوا من قبل الخلافة العباسية ليتولوا شؤون بلاد الحجاز واليمن [(٤)] ، وخاصة خلال العصر

---

(١) الطبري ، جـ ٦ ، ص ٥٥٤ ، ٥٦٣ ، ٦٢٠ .

(٢) الطبري ، جـ ٧ ، ص٢٩ ، ٩١ ، ٢٢٦ ، ابن حزم ، ص ١٤٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ١٧٢ .

(٣) لمزيد من التفصيلات انظر ، دلال ، ص ٢٢٧ وما بعدها ، الفقي ، ص ٦٥ وما بعدها ، الجرافي ، ص ٩٧ – ١١٤ ، شمسان ، ص ١٠٠ وما بعدها Jrais " The Governorship" pp . 13-21 .

(٤) انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ٣٣٩ ، ٣٥١ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ، ٣٩٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤٣٥ ، ٤٦١ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ – ١٩٠ ، ابن الديبع ، ص ٩٠ – ١١٢ ، الحسين ، جـ ١ ص ١٢٧ – ١٥٣ ، شمسان ، ص ١٠٠ وما بعدها Jrais " The Governorship" pp . 13-21 ، Samadi , pp . 125 ff , Kennedy , pp . 31 ff .

العباسي الأول ، حيث نجد بعض المصادر تذكر أسماء ولاة تولوا ولاية الحجاز عامة وما والاها من بلاد السروات حتى بلاد نجران وأحياناً الحجاز واليمن واليمامة ، وربما أضيفت البحرين لبعض الولاة أمثال : داوود بن علي العباسي من عام (١٣٢-١٣٣هـ/ ٧٤٩-٧٥٠ م)[1] ، وزياد بن عبيد الله الحارثي (١٣٣ – ١٣٤ هـ /٧٥٠ – ٧٥١ م) ، ثم تولاها ثانية من عام (١٣٧ – ١٤١ هـ / ٧٥٤ – ٧٥٨ م)[2] ، وجعفر بن سليمان بن علي العباسي (١٦١ – ١٦٦ هـ/ ٧٧٧ – ٧٨٢ م)[3] ، وداود بن عيس العباسي (١٩٣ – ١٩٩ هـ / ٨٠٨ – ٨١٤ م)[4] ، وعبيد الله بن حسين الطالبي (٢٠٤ – ٢٠٩ هـ / ٨١٩ – ٨٢٤ م)[5] ، وصالح بن العباس العباسي (٢٠٩ – ٢١٤ هـ / ٨٢٤ – ٨٢٩ م)[6] ، وسليمان بن عبد الله بن سليمان العباسي (٢١٤ – ٢١٨ هـ / ٨٢٩ – ٨٣٣ م)[7] ، ومحمد بن داود العباسي (٢٢٩ – ٢٣٢ هـ / ٨٤٣ – ٨٤٦ م)[8] .

واستمر بنو العباس في الاهتمام ببلاد الحجاز وما والاها من بلاد السروات حتى اليمن ونلاحظ أن هذا الاهتمام كان خلال عصر الخلفاء العباسيين الأول ، وعندما بدأ الضعف يدب في جسد الدولة منذ وقوع الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون (١٩٣ –

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ ، ابن الديبع ، ص ٩٠ – ٩١ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ .
(٢) الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٧٧، البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ شمسان ، ١٩٧ ، The Jrais " Governorship" p . 17 .
(٣) Jrais " The Governorship" p . 18 .
(٤) الطبري ، جـ ٨ ، ٣٧٣ ، ٤١٧ ، ٤٤٠ ، ٤٧١ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٨١ .
(٥) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٥٩٢ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ .
(٦) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٦١٤ ، ٦١٨ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ .
(٧) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٦٣٠ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ .
(٨) الطبري ، جـ ٩ ، ص ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٥٥ ، الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

١٩٨ هـ / ٨٠٨ – ٨١٣ م) ، أصبح الاهتمام بالولايات الإسلامية الواقعة على أطراف الدولة مثل مخاليف الحجاز ، كتهامة والسراة ، أو اليمن ، أو اليمامة ، أو البحرين وغيرها يقل بعض الشيء لما واجههم من مشاكل داخلية في بلاد العراق وما حولها ، وإن ظل تمسكهم بالمدن المقدسة في الحجاز أفضل من غيرها ، وذلك بسبب احتوائها على الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة [١] ، ويرجع ذلك إلى حرصهم على رفع مكانتهم بين الرأي العام الإسلامي ، بحمايتهم للحرمين الشريفين ولإضفاء وبقاء الصبغة الشرعية لخلافتهم بدوام السيطرة عليهما والاهتمام بشؤونهما .

وبالإضافة إلى الولاة الذين استعرضناهم سلفاً وبيّنّا كيف كانت ولايتهم عامة على الحجاز حتى اليمن ، وأحياناً تضم إليهم اليمامة وغيرها ، فقد حفظت لنا المصادر أسماء لبعض الولاة الآخرين ، والذين تولوا شؤون تلك المناطق الجنوبية الغربية من شبه الجزيرة العربية ، ولكن على أقاليم محددة بعينها ولم تكن ولايتهم عامة كسابقيهم ، فبعضهم تولى مكة والبعض الآخر اضطلع بشؤون الطائف وما يليها جنوباً من بلاد السروات حتى بلاد نجران ، والبعض الثالث تولى اليمن واليمامة ، وذلك خلال العصر العباسي الأول وما يليه من العصور حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) [٢] .

بل نجد أن بعض أجزاء من شبه الجزيرة العربية بدأت تستقل عن سلطة خلفاء بني العباس أمثال بني زياد في تهامة اليمن أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وكذلك بني يعفر في صنعاء وما حولها في منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) [٣] . كل هذا أثر فعلاً على نفوذ بني العباس في شبه الجزيرة العربية، وفي اليمن

---

(١) للمزيد انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ص ٤٣٣ – ٤٥٠ ، الطبري ، جـ ٨ ، ص ٣٧٤ وما بعدها ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ ، جـ ١ ، ص ٤١ – ١٣٣ ، السباعي ، ص ١٤٨ وما بعدها ، الزيلعي ، ص ١٥ وما بعدها .

(٢) السباعي ، ص ١٤٨ وما بعدها ، العلي " الإدارة " ، ص ٢٠ وما بعدها .
Kennedy , pp . 30f f . Salem , pp . 24 ff , Samadi , pp . 32 ff .

(٣) الواسعي ، ص ١٥٨ وما بعدها ، الجرافي ، ص ٩٧ وما بعدها ، الفقي ، ص ٦٦ ، وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ١٨٧ – ١٩٥ ، دلال ، ٢٦٧ – ٢٧٦ .

خاصة لأنها بدأت منذ بداية القرن الثالث الهجري تسير نحو الانفصال عن سلطة الخلافة في بغداد ، مع أن أمراء بني زياد ((**والدولة اليعفرية**)) كانوا حريصين على إظهار التبعية الإسمية للخلافة العباسية لإضفاء الصبغة الشرعية على حكمهم ضماناً لولاء رعيتهم وعدم خروجهم عليهم إذا ما علموا باستقلالهم عن خليفة المسلمين في بغداد [١] .

وقد تأثرت بلاد نجران بحكم عامل القرب الجغرافي من هذه الأحداث والتطورات السياسية ، وفي مقدمتها التأثر بظهور تلك الدويلات ، وربما حدث بين أهلها وأمراء تلك الدويلات المستقلة اتصالات سياسية أو اشتباكات وصدامات حربية ، فهناك روايات تذكر أن بني زياد في تهامة اليمن قد مدوا نفوذهم السياسي والإداري إلى النواحي الجبلية من بلاد اليمن والسروات ، وسيطروا على صنعاء ، وصعدة ، ونجران وجرش وبيشة وغيرها [٢] ، ونرى أن تلك الروايات مبالغ فيها لأسباب عدة منها :

أ - بُعد المسافة بين زبيد عاصمة بنو زياد في تهامة اليمن وبين هذه النواحي في الأجزاء الجبلية ، بالإضافة إلى صعوبة التضاريس الواصلة بين تهامة والسراة ثم شدة بأس وقوة القبائل التي تعيش في النواحي الجبلية ، فلن تستطيع أي دويلة صغيرة مثل بني زياد فرض سيطرتها بالقوة على هذه البلاد الواسعة ، اللهم إلا أن أهلها ربما اعترفوا بابن زياد لكونه أحد ولاة الدولة العباسية ، واعترافه بتبعيته الاسمية للخليفة العباسي في بغداد ، ربما هو السبب الذي جعلهم ينضوون تحت لواء دولته .

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) الفقي ، ص ٨٢ – ٨٣ نقلاً عن عمارة الحكمي ، من كتابه المفيد ، ص ٣٩ وما بعدها .

ب - حرص الخلافة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى العصر العباسي على بقاء المنطقة الممتدة من الحجاز حتى اليمن عبر جبال السروات ، وكذلك بلاد تهامة ، تحت سيطرتهم المركزية إدارياً وسياسياً عن طريق تعيين ولاة تابعين لهم ينفذون سياستهم هناك ، وغالبا ما يتم ذلك عن طريق تعيين والٍ عام يكون مقر ولايته في إحدى مدن الحجاز ، ويرسل من قبله من ينوب عنه في نواحي تهامة والسراة ، وبلاد اليمن ، وأحياناً يُعين أميران أحدهما على الحجاز وما والاها من أرض السروات حتى نجران ، والآخر على بلاد اليمن بجميع أجزائها .

ج - صعوبة سيطرة بني زياد على الأجزاء الجبلية من اليمن والسروات لوجود العديد من العقبات السياسية التي ظهرت من هذه البلاد . فالبلاد جميعها كانت تتبع – كما ذكرنا – خلفاء بني أمية ، والخلفاء الأول من بني العباس ، ثم ظهرت قوى سياسة في اليمن مثل اليعفريين والإسماعيلين في صنعاء وما حولها ، والزيديين في صعدة ، وهذه القوى لا تتفق في عقائدها ومبادئها فيما بينها ، كما أنها لا تتفق ، وبخاصة الاسماعيلون أو الزيديون مع بني زياد في تهامة اليمن ، ولعل هذا الخلاف السياسي والمذهبي فيما بين هذه الدويلات يجعل أمر تقبل سيطرة بني زياد على تلك النواحي ، والتسليم به من قبل الإسماعيلة والزيدية في غاية الصعوبة .

ومما يزيد من هذه الصعوبة طبيعة أهل نجران ، فإن حوادث التاريخ الإسلامي ، ووقائعه السياسية والمذهبية تؤكد سواء في اليمن أو السروات والحجاز ، أو حتى ما يدور في كواليس السياسية ببلاط الخلافة الإسلامية أياً كان موقعها في المدينة المنورة ، أو دمشق ، أو بغداد ، تراهم يؤثرون ويتأثرون بهذه

الأحداث ، وكانت لهم عدد من المواقف في الأحداث الحاسمة التي مرت بالدولة الإسلامية ، ومشاركة فاعلة في وقائعها سلباً وايجاباً ، فنجدهم على سبيل المثال يؤثرون ويتأثرون في حركة الردة ، فمنهم من ارتد ومنهم من بقي على إسلامه ، بل نجد منهم من أخذ نصيباً في الفتوحات الإسلامية مع من خرج للجهاد في سبيل الله ، كما أنهم لم يقفوا بعيداً عن أحداث الفتنة في عهد الخليفتين الراشدين عثمان وعلي فمنهم من شائع عثمان ، وانضم إلى الحزب الأموي مطالباً بدمه ، ومنهم وهم الأغلبية ، من انضم إلى لواء علي بن أبي طالب ، وهذا أثر عليهم من قبل بني أمية عندما أرسل إليهم معاوية بسر بن أبي أرطأة لمقاتلتهم وتأديبهم ، وهكذا استمر حال أهل نجران مثلهم مثل غيرهم من أهل السراة واليمن والحجاز ، لهم موقف إيجابي واضح من الوقائع والتيارات السياسية في عصر بني أمية ، حيث انضموا مثل غيرهم إلى سلطان الأمويين ثم خرجوا مثل أهل الحجاز واليمن عندما خرج عبد الله بن الزبير عليهم وطرد عمالهم من هذه النواحي [١] ، كما أنهم انخرطوا في بعض الأحداث السياسية التي قام بها بعض العلويين وكذلك الخوارج وما جرى عليهم جرى على جيرانهم في نواحي اليمن والسروات واليمامة [٢] .

كل ذلك يؤكد لنا صعوبة سيطرة إحدى الدويلات اليمنية المستقلة على بلادهم ، ونعني بها الزياديين ، مما ينهض دليلاً آخر على صعوبة ذلك ، وأن ما ورد بشأن سيطرتهم على نجران وغيرها أمر مبالغ فيه . كما أن موقف النجرانيين من كيان آخر من تلك الكيانات السياسية والمذهبية التي قامت في اليمن ،

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص٢٥٥ ، وما بعدها . ابن خياط ، ص ٢٧٥ وما بعدها ، ابن اعثم ، جـ ٥ ، ص٢٦٢ وما بعدها .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٢٠٤ ، الفقي ، ص ٥٦– ٨٠ ، دلال ، ص ٢٦١ – ٢٧١ شمسان ، ص ١١٨ – ١٧١ .

وانفصلت عن الخلافة العباسية ، ونعني بها الدولة الزيدية من أكثر الحكومات المحلية اليمنية التي سعت إلى السيطرة على بلاد نجران وإخراجها من عباءة الدولة العباسية ونشر المذهب الزيدي بين أهلها ، لكنهم لم يحققوا نتائج ملحوظة في ذلك ، صحيح أنهم استطاعوا في بعض الأحيان خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) دخول أرض نجران والسيطرة عليها وتعيين ولاة من قبلهم عليها ، ولكن لم تدم وتستقر تلك السيطرة فما يكاد الجيش الزيدي يخرج من أرض نجران في طريقه إلى مقره الرئيس في صعدة إلا ويظهر من أهل نجران من يطرد الحامية الزيدية ويخرجها خارج نجران ، وهكذا بقي دأبهم خلال العصور الإسلامية الوسيطة فلم يدينوا بالولاء للحكومة الزيدية و لم يعتنقوا مذهبهم [١] .

ومن خلال دراستنا لأحد العناصر الإدارية في نجران ، وهو الولاية والوالي وعلاقة النجرانيين به ، يتضح لنا عدة أمور منها :-

١- أن المصادر التي عالجت تاريخ نجران في عصر الرسالة وصدراً من عصر الخلافة الراشدة كانت واضحة فيما يتصل بأمور ولاية نجران وتعطي لنا الكثير من التفصيلات عن الوالي واسمه ونسبه والمهام التي كلف بها ومن اجلها أرسل إلى تلك النواحي ، ففي عهد الرسول ﷺ بصفة خاصة ، كانت المصادر تشير إلى الشخص المرسل ، وتحدد عمله بدقة ، فهناك من كان يذهب ليكون والياً عاماً لأرض نجران ، وهناك من يوجه إلى نجران لإنجاز عمل معين ومحدد مثل : جباية الزكاة والجزية ، أو تعليم الناس وتثقيفهم ، أو تبليغ رسالة من رسول الله ﷺ .

(١) البلادي ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

وبعد خروج الخلافة من الحجاز إلى الشام ، ثم العراق اكتنف الإبهام والغموض المصادر فيما يخص نجران بصفة عامة ، فلم تعد تفصل لنا وقائع أمورها بدقة ، ويأتي منصب الولاية والوالي في مقدمتها ، فصارت تذكر ولاة الحجاز ، أو مكة والطائف وتعمم القول ، فتقول وما والاها جنوباً إلى نجران أو اليمن دون أن تشير صراحة إلى نجران وولاتها أو نوابها وعملهم . ومن خلال بعض الشذرات المتناثرة في بطون المصادر عن مكة والطائف تمكنا من تكوين صورة لا بأس بها عن الملامح الإدارية لنجران في العصرين الأموي والعباسي ، حيث نجد أن خلفاء هذين العصرين قد تركوا تسييس أمور نجران الإدارية لولاة الحجاز، وأطلقوا يدهم في تعيين من ينيب عنهم في إدارة تلك النواحي البعيدة عن مقر إقامتهم مثل بلاد نجران وغيرها ، والوالي العام الذي مقره الحجاز كان يكتفي بمتابعة سير الأوضاع عن طريق نوابه ورسله، وربما أعيان وشيوخ ووجهاء القبائل في كل ناحية .

ويجب أن نعلم أن النظام القبلي في نجران وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية كان نظاماً قوياً منذ العصر الجاهلي وقد استمر خلال العهود الإسلامية حتى الآن ، فأعيان وشيوخ القبائل يمثلون أمراً مهماً عند السلطة سواءً كان في مقر الخلافة أو في مقر الولاية الرئيسة ، وبالتالي فالخلفاء والولاة كانوا يحرصون على الاتصال بشيوخ القبائل والسماع لشكاويهم وحل مشاكلهم ، وأحياناً يجزلون الهدايا والإعطيات لهم حتى يسوسوا بلادهم بشكل جيد ويحفظوا ولائها للخليفة وواليه في الحجاز . وعندما ينصرف أعيان وشيوخ القبائل عن الخليفة أو الوالي لأي أمر من الأمور فانهم قد يثيرون الفتن والبلابل عن طريق رجال قبائلهم مما يهدد

أمن الدولة وسيطرتها على تلك الأطراف ، الأمر الذي يكلف الخلافة مالاً ورجالاً وعتاداً في سبيل إعادة الاستقرار إليها . ولكن ينتج عن ذلك سلسلة من العداءات والمشاكل تستمر لسنوات عدة .

٢- ومن خلال ما توفر في كتب التراث من معلومات عن سير عمال الدولة الإسلامية في حكم الحجاز وبلاد السراة حتى نجران ، وكذلك أرض اليمن ومتابعة الدولة لأعمالهم ، نجد هناك بعض التباين في سيرة العديد من العمال. ففي عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ نجد أن متابعة السلطة المركزية في المدينة المنورة لكيفية أدائهم لأعمالهم ومحاسبتهم على التقصير والتهاون كانت تتسم بالحزم والشدة ، رغم الورع والفضل والتقوى الذي كانت سمات غالبة على معظم ولاة هذا العصر ، وكانت محاسبة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين مستمرة وعادلة . فهذا عمر بن الخطاب ﷺ تأتيه شكوى من أهل نجران في يعلى بن أمية فيستدعيه ويحاسبه ثم يعزله من ولايته عام (٢٢ هـ/ ٦٤٢ م)[١] ، وقد استمر الخليفتان الراشدان عثمان وعلي على نفس النهج ، ولو أن عصرهما شابه كثير من البلابل والفتن التي عصفت بالدولة الإسلامية .

وعندما جاء الأمويون والعباسيون ، نجدهم يحرصون على السيطرة على شبه الجزيرة بأسرها ، وبالتالي فقد يرسلون ولاة قساة ليعاقبوا ويبطشوا بالناس في أنحاء البلاد . فقد رأينا معاوية بن أبي سفيان ، وهو لازال والياً على الشام في عهد الخليفة على بن أبي طالب ، يرسل بسر بن أبي أرطأة إلى بلاد الحجاز ونجران

---

(١) ابن سلام ، ص ٤٤٥ ، هامش (٤) الطبري ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، ابن حزم ، ص ٢١٣ ، ٢٢٩ ، ابن حجر ، الاصابه مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣٥٣ .

واليمن فيقتل ويدمر ويشرد عدداً كثيراً من الناس [١] ، بل نجد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يولي الحجاج بن يوسف الثقفي معظم شبه الجزيرة العربية ، فيستقر في أرض الحجاز ويختار ولاة قساة شداد من قبلة ، وغالبيتهم من أهل بيته وعشيرته ، فساروا في الناس بالقوة ، ولم يخل حكمهم من الظلم والجور والبطش . وهذه إحدى الأسباب التي أدت إلى زيادة حركات العصيان وانتشار فتن الخوارج في نواحي عديدة من شبه الجزيرة العربية بهدف التخلص من الحكم الأموي وظلمه وجبروت ولاته أمثال الحجاج وأهل بيته [٢] .

ثم تعاقب الولاة العباسيون على حكم الحجاز واليمن وما بينهما ، وأحياناً – كما ذكرنا – يعهد الخليفة إلى والٍ يحكم الحجاز واليمن فيقوم الوالي في مكة أو المدينة وينيب عنه من يحكم بلاد السراة إلى نجران ، وبلاد اليمن ، كما فعل الحجاج ابن يوسف في عهد بني أمية [٣]، وأحياناً يعهد الخليفة العباسي لأحد الولاة بصلات اليمن أو الحجاز وحربها ، ويعهد إلى آخر بجباية نفس الولاية ، وفي هذه الحالة الأخيرة يكون كل واحد منهما عيناً على صاحبه . وهذا ما كان يفعله الخلفاء العباسيون مثل : المنصور والمهدي ، والرشيد ، والمأمون [٤] . فالرشيد مثلاً عهد إلى الربيع بن عبد الله الحارثي بحرب اليمن ، وولى العباس بن سعيد بن هاشم على الجباية [٥] . وولى محمد بن إبراهيم الهاشمي جميع بلاد الحجاز وما والاها من بلاد السروات حتى نجران ، وعامة بلاد اليمن ، فأقام بالحجاز ،

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ ، ابن قتيبة ، عيون ، جـ ١ ، ص١١٤ وما بعدها ، الطبري ، جـ٥ ، ص١٣٦ ، ١٣٩، ابن الاثير ، الكامل ، جـ٣ ، ص١٩٢، ابن أعثم ، جـ٤، ص٥٤ وما بعدها .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ – ٣٤٠ ، العلي " إدارة الحجاز " ص ١١ وما بعدها .

(٣) العلي، المرجع نفسه، ص ١٥ وما بعدها، وللمزيد انظر Jrais The Governorship" pp.15 ff, Husaini, pp. 77ff Kennedy, pp.29ff. Lassner, pp. 21 ff

(٤) المراجع نفسها .

(٥) انظر الخزرجي ، ص ٨٧ .

وأرسل عنه نواباً إلى أجزاء ولايته ، فكان ابنه العباس يقوم على حكم اليمن نيابة عن أبيه [١] .

وتذكر بعض المصادر أن الخليفة الرشيد ولى حماد البربري مكة المكرمة وبلاد السراة حتى بيشة ونجران كما ولاه بلاد اليمن ، فعمل على زيادة المكوس والضرائب واشتد على الناس في جبايتها ، ولم يتوان مع العابثين والمفسدين ومثيري القلاقل ، وضرب بيد من حديد على اللصوص وقطاع الطرق ، حتى أمنت السبل في أيامه ، وعمرت البلاد وراجت الزراعة [٢]، وكانت القوافل تأتي من اليمامة والحجاز وبلاد السروات إلى نجران واليمن وتخرج منها محملة بالبضائع في أمن وسلام ، الأمر الذي أدى إلى توافر السلع في الأسواق وانخفاض الأسعار [٣] .

ويبدو أن الثورات والقلاقل عادت من جديد وامتدت من بلاد السروات حتى أرض اليمن ، مما دعا الرشيد إلى تكليف واليه على مكة المكرمة حماد البربري بالسير إلى تلك النواحي ومن بينها نجران لإقرار الأوضاع بها وأمره بمعاقبة الخارجين على الدولة دون هوادة ولا رحمة [٤] ، فخرج لما أمره به الخليفة ، فعمل على قمع الفتن والثورات ، وكان عنيفاً في معاقبته مخالفيه ، وامتد ظلمه إلى الأهالي الآمنين . وظل يستبد بأهل اليمن ونجران والسروات لسنوات عديدة ، ويسوم

---

(١) الطبري ، جـ ٨ ، ص ٢٦٠ ، ٣٤٦ ، يحيى بن الحسين ، أنباء الزمن ورقة (١٨) .

(٢) يبدوا أنه ظهرت في بلاد السروات وأرض اليمن بعض الفتن والقلاقل التي هددت أمن الدولة واستقرارها وهدد سيطرة العباسيين عليها الأمر الذي جعل الخليفة الرشيد يشتاط غضباً، وبدت قسوته تجاه هذه البلاد أن ارسل حماد من الحجاز إلى اليمن، وقال له((أسمعني أصوات أهل اليمن)) رغبة منه في التنكيل بهم ومعاقبتهم، وهذا مما جعل حماد يتمادى في عقابهم. انظر اليعقوبي، تاريخ جـ٢، ص٤١٢، الرازي ، تاريخ ، ص١٥٥ .

(٣) الخزرجي ، ص٩١ ، وللمزيد عن حكم حماد البربري في اجزاء من شبه الجزيرة العربية انظر ، الطبري، جـ ٨ ، ص ٣٢٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤١٢ – ٤١٣ ، الرازي ، تاريخ ، ص ١٥٥ وما بعدها ، ابن الديبع ، ص ٩٩ ، الحسين ، جـ ١ ، ص ١٤٣ ، شمسان ، ص ١٣٩ وما بعدها .

(٤) المصادر والمراجع نفسها .

معارضيه سوء العذاب ، حتى تَطَلَّعَ اليمانية ، وبخاصة أهل صنعاء وما حولها إلى التخلص منه وصاح قوم منهم بالخليفة الرشيد وهو بمكة لأداء فريضة الحج سنة (١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م) طالبين منه أن يمنع عنهم ظلم وجور حماد قائلين له : " **نعوذ بك يا أمير المؤمنين أعزل عنا حماداً البربري إذا كنت تقدر**" [(١)] ، ويذكر بعض المؤرخين أن الرشيد عزل حماداً البربري ، على حين يذكر اليعقوبي [(٢)] ، أن حماداً عزل في خلافة الأمين ، يؤيد ذلك ما أورده صاحب كتاب الوثائق السياسية اليمنية عن مؤرخ مجهول [(٣)] ، من شكوى أهل صنعاء للخليفة الأمين من حماد البربري ، كما جاء فيها " **فالله يا أمير المؤمنين لاستدراك أمة من المسلمين قد أذلها الظالمون وأوهنها المجرمون ، فأصبح خيارها ذاهبين ... فإن رأى أمير المؤمنين أن يتداركنا ببعض المشيخة المهذبين من ولد عبد مناف الطيبين ... أو ببعض مشيخة العرب ...** " [(٤)] . كذلك كتبوا إلى الفضل بن الربيع ، وزير الأمين ، يطلبون منه أن يتوسط لدى الأمين في عزل حماد [(٥)] .

وهذا النموذج من ولاية حماد البربري على هذه البلاد الواسعة والممتدة من الحجاز إلى اليمن تعطينا عدة انطباعات منها :

أ - أن خلفاء بني العباس الأول ، وكذلك بني أمية من قبلهم كان عندهم القدرة على إخماد أي فتنة تظهر في أي جزء من أجزاء شبه الجزيرة العربية ، فبلاد نجران أو اليمن مثلاً تأتي ضمن أبعد المناطق عن مقر الخلافة

---

(١) الخزرجي ، ص ٨٩ ، للمزيد انظر الرازي ، تاريخ ، جـ ١ ص ١٥٥ ، ابن الديبع ، ص ٩٩ .
(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤١٢ .
(٣) مؤلف مجهول ، الوثائق السياسية ، ص ٢١٩ – ٢٢٢ .
(٤) انظر نص الرسالة كاملة ، ملحق رقم (٦) في هذا الكتاب .
(٥) انظر نص هذا الكتاب كاملاً ملحق (٧) في هذا الكتاب .

الأموية أو العباسية ، ولكن هذا لا مانع من تجريد الجيوش وإرسالها إلى هناك لقمع أي ثورة مضادة والقضاء عليها .

ب - الدولة الإسلامية حتى عهد الخليفة الرشيد وربما إلى عهد ابنه المأمون كانت قوية ، وحريصة على بسط سيطرتها على جميع بلاد المسلمين في شبه الجزيرة العربية وغيرها ، وذلك لما يعود عليها من فوائد عديدة مثل : فرض سيادتها وهيمنتها على أكبر قدر ممكن من العالم الإسلامي ، وهذا يزيدها قوة ومكانة فـــي عيون أعدائها ، وكذلك يرفع مكانتها ويزيد من هيبتها في عيون رعاياها . كما أنها كانت حريصة على بقاء سلطتها على بلاد السروات حتى نجران وأرض اليمن لثراء هذه النواحي الاقتصادي ممثلاً في حاصلاتها الزراعية وثروتها الحيوانية وغير ذلك ، مما يضمن عائداً وفيراً من الخراج ، يدخل إلى بيت المال فتعم به الفائدة والنفع الكبير .

ج - من خلال هذه الكتب التي أرسلها أهل اليمن إلى كل من الخليفة الأمين ووزيره الفضل بن الربيع [1] ، ومن خلال مقابلة بعض اليمانية للخليفة هارون الرشيد في مكة وشكواهم من واليه حماد البربري نستطيع القول بوجود صلات قوية ومتواترة بين أهل بلاد اليمن وجميع أرض السروات ، حتى ولو ظهر هناك ما يعكر هذه الصلات كظهور بعض الفتن والثورات . ثم أن سكان هذه البلاد ربما كانوا غير قادرين على التخلص من سيطرة والي الخليفة في بلادهم ولو استطاعوا لفعلوا ذلك وما رجعوا إلى الخليفة ، لكن عدم استطاعتهم وعدم وجود من يطلبون منه العون جعلهم يعودون إلى ولاة الأمر من بني العباس كي يرفعوا الضر عنهم .

---

(١) انظر نصوص هذه الكتب في الملاحق رقم (٦ ، ٧) .

ولم يكن ولاة الدولة الإسلامية ، وبخاصة في العصرين الأموي والعباسي ، بهذه القسوة التي كان يتصف بها كل من الحجاج أو حماد البربري ، وإنما كان هناك ولاة امتازوا باللين والعطف والرفق أمثال عمر بن عبد العزيز الذي تولى المدينة المنورة وقيل جميع بلاد الحجاز والسروات إلى نجران خلال عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، فكان خير مثال وقدوة للأمير العطوف الرحيم بالمسلمين وأحوالهم في هذه النواحي [١] .

كذلك هناك محمد بن برمك الذي تولى أمر بلاد اليمن وأجزاء من السروات القريبة من صعدة ونجران في عهد الرشيد فحكم الناس بالعدل ، وخفف عنهم عبء الضرائب ، وأصلح وسائل الري ، وضبط الأمن والنظام ، ولم يأل جهداً في سبيل رفع المظالم عن السكان ، وخفف عن الناس ما كانوا يقاسونه من ظلم وبطش الولاة السابقين [٢] .

٢ - القضاء :

عَرَّفَ ابن خلدون القضاء بقوله " **إنه منصب الفصل بين الناس في الخصومات حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع ، إلا أنه بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة** " [٣]، وعلى ذلك فالقضاء يختص بالفصل في المنازعات وقطع التشاجر

---

(١) الطبري ، جـ ٦ ، ص ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٤١ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، الفاسي ، جـ٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) الرازي ، تاريخ ، ص ١٥٥ ، ابن الديبع ، ص ٩٨ ، الحسين جـ١ ، ص ١٤١ . لمزيد من التفصيلات عن ولاة الدولة الأموية والعباسية في الحجاز والسروات حتى نجران وبلاد اليمن ، مع الاشارة إلى بعض سلبياهم وايجابياهم ، انظر الفاسي ، جـ٢ ، ص ١٦٨ ، الحسين ، جـ١ ، ص ١٤٢ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٨١ – ١٨٦ ، الفقي ، ص ٣٦٩ – ٣٧٢ ، شمسان ، ص ١٩٧ – ٢١١ .

(٣) ابن خلدون المقدمة ، ص ٢٢٠ ، وللمزيد عن القضاء لغة وشرعاً، انظر، ابن منظور، جـ١١ ، ص ٢٠٩ (فعل / قضى) ، انظر أيضاً ، ، الماوردي ، الأحكام ، ص ١٢٩ ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٩١ – ٢٩٥ .

والخصومات واستيفاء الحقوق وإيصالها إلى مستحقيها بعد ثبوت استحقاقها [١] ، وإقامة الحدود على من تثبت إدانتهم والتسوية والعدل في الحكم " **بين القوي والضعيف والشريف والمشروف** " [٢] ، وغير ذلك مما ارتبط بالقضاء والقاضي من أحكام عليه مراعاتها عند توليه مهام وظيفته ومراعاة للعدل تحقيقاً للعدالة الاجتماعية .

وقد باشر الرسول ﷺ مهمة القضاء بين المسلمين ، فقال تعالى ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾ [٣] . كما عهد الرسول ﷺ لبعض عماله الذين أرسلهم إلى السروات ونجران وبلاد اليمن للعمل في القضاء والحكم بين الناس مثل معاذ بن جبل عندما ولاه على اليمن ، ثم أوكل له مهمة القضاء والتعليم [٤] ، كما أسند ﷺ إلى علي بن أبي طالب مهمة القضاء في اليمن ، وحدد له كيفية أداء عمله توخياً للعدل بقوله : ((**إذا حضر الخصمان إليك فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر**)) [٥] . وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحكم في بعض القضايا ، وأحياناً يكتب إلى الرسول الله ﷺ يستفتيه في بعض الأحكام التي حكم بها ، ويرد عليه النبي ﷺ بما هو صحيح ، وغالباً كان يؤيد الأحكام التي أصدرها علي لتوافقها مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [٦] . ونجد وكيعاً يذكر قضايا عديدة حكم فيها قضاة الرسول ﷺ في بلاد السروات

---

(١) الماوردي ، الأحكام ، ص ١٣٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .

(٣) سورة النساء ، آية (٦٥) .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ ، وقد سأل الرسول ﷺ معاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن ، فقال له : ((كيف تقضي أن عرض لك القضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله ، قال فإن لم يكن ذلك في كتاب الله ، قال : أقضي بسنة رسول الله ، قال : فإن لم يكن ذلك في سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد رأيي ، ولا آلو...)) ، انظر وكيع ، جـ١ ، ص٩٧–٩٨.

(٥) الماوردي ، أدب القاضي ، جـ١ ، ص ١٣١ ، للمزيد انظر ، أبو يوسف ، ص ١١٧ وما بعدها .

(٦) وكيع ، جـ١ ، ص ٩١ – ٩٥ .

وأجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وكانت جميعها لا تخرج عن منهج كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ثم الاجتهاد إذا لزم الأمر في ضوء الكتاب والسنة [١] .

ومن يطالع الكتب التي كان يكتبها الرسول ﷺ لرسله وولاته الذين أرسلهم إلى نجران أو أجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية يجدها واضحة وجلية بما ورد فيها من الأحكام الشرعية ، والأسس الرئيسة التي يجب على الوالي أو من يضطلع بمهمة القضاء أن يسير عليها [٢] .

و لم يكن هناك في هذه الفترة المبكرة من تاريخ الدولة الإسلامية فصل دقيق في الاختصاصات القضائية لكل من الخلفاء والأمراء والقضاة، إذ كثير ما كان الخلفاء والولاة ينظرون في القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية والتي تندرج في اختصاص القاضي [٣] .

وحتى بداية العصر العباسي كانت سلطة الوالي أو الأمير في الإقليم أو المخلاف تفوق سلطة القاضي لأن الأول ممثل الخليفة والمسؤول المباشر عن حفظ الأمن والنظام في ولايته فكان يدخل ضمن اختصاصاهم تعيين القضاة وعزلهم [٤]، ففي العصر الأموي كلف الأمير محمد بن يوسف الثقفي ، أخو الحجاج ، وهب بن منبه بالقضاء والوعظ في بعض نواحي اليمن ، وفي خلافة عمر بن عبد العزيز عَيّنَهُ الوالي عروة بن محمد السعدي على القضاء بصنعاء و لم يزل قاضياً حتى خلافة يزيد بن عبد الملك [٥] .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٨٤ – ١٠٢ ، وللمزيد عن ولاية القضاء في الدولة الإسلامية ، انظر الماوردي ، الأحكام ، ص١٢٩ – ١٤٦ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٠ – ٢٢٢ الصالح ، ص ٣١٨ – ٣٢٤ ، الرفاعي ، ص ١٠٥ – ١٢١ ، اليوزبكي ، ص ١٥٣ – ١٨٥ .

(٢) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ٣ ، ص ١٢٨ ، حميد الله ، ص ١٦٥ – ٢٢٩ .

(٣) انظر ، الكندي ، ص ٣٧٧ ، وكيع ، جـ١ ، ص ١٧٣ – ١٧٤ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٠ . Guraya , pp . 99 ff .

(٤) قال الزبيري ((وكان الأمراء هم الذين يولون القضاء)) نسب قريش ، ص ٢٨٤، كذلك يذكر البغدادي ((أن ولاة الأمصار كانوا يستقضون القضاة ويولوهم دون الخلفاء حتى استخلف أبو جعفر المنصور))، تاريخ ، جـ١٤ ، ص١٠٣.

(٥) الرازي ، تاريخ ، ص ٤١٢ – ٤١٣ .

وعندما جاء خلفاء بني العباس أولوا القضاء أهمية خاصة ، ويتمثل ذلك في مقولة المنصور ، عندما وضح أهم أربع مؤسسات إدارية في الدولة ، وكان القضاء أولها ، فقال ((**ما أحوجني أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم، هم أركان الدولة، ولا يصلح الملك إلا بهم، أحدهم قاضٍ لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي، والثالث صاحب خراج يستقصي ولا يظلم الرعية، ثم عضّ على إصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه، آه قيل: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة**)) [(١)] . ومنذ ذلك الوقت صارت سلطة تعيين القضاة وعزلهم منوطة بالخليفة مباشرة ، فكان المنصور أول من عزل دائرة القضاء عن الأمير أو الوالي ، ولهذا وصف بأنه أول من ولى القضاة في الأمصار [(٢)] ، وبالتالي صار القضاء وتعيين القضاة جزءاً من مسؤوليات الخليفة الكبيرة في حراسة الدين وسياسة الدنيا [(٣)] ، وظل تقليد القضاة وعزلهم ، خلال العصر العباسي الأول ، من صلاحيات الخليفة [(٤)] . فكان قاضي أبي جعفر المنصور في صنعاء وما حولها أبا عبد الله يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن داذويه [(٥)] .ثم تولاه في زمن الرشيد القاضي هشام بن يوسف الصنعاني [(٦)]، ويذكر أن محمد بن إدريس الشافعي تولى القضاء والفتوى في أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، ثم استقر به القرار إلى أن عين والياً وقاضياً على نجران [(٧)] .

---

(١) ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص ٤٦. وللمزيد انظر ابن قتيبة ، عيون ، جـ١ ، ١٢٦ – ١٣٦ ، الماوردي ، الأحكام ، ص ١٢٩ – ١٤٦ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢١٨ – ٢٢٥ .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٣٨٩ .

(٣) الماوردي ، الأحكام ، ص ١٣٨ وما بعدها ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩١.

(٤) الماوردي ، أدب القاضي ، جـ١ ، ص ١٣٧ ، ١٣٩ .

(٥) الرازي ، تاريخ ، ص ٣٣٩ .

(٦) ابن سمرة ، ص ٦٧ ، الحسين ، جـ١ ، ص ١٤٤ .

(٧) للمزيد انظر ، البيهقي ، جـ١ ، ص ١٠٦ وعن ترجمة الشافعي انظر أبو نعيم ، جـ٩ ، ص ٦٦ – ٦٧ ، السبكي ، ص ١٠٠ ، ابن خلكان ، جـ٤ ، ص ١٦٣ ، ابن حزم ، ٧٢ – ٧٣ أبو حاتم الرازي ، اداب ، ص ٣٢ ، وما بعدها ، السيوطي ، الكنز ، ص ٣٥٨ – ٣٥٩ .

وتشير مصادر ومراجع عديدة إلى اختلاف الشافعي لبلاد اليمن ، وبقائه بنواحيها عدة سنوات ، استغلها في التعليم والدراسة ، حيث أجازه بعض علمائها أمثال : مطرف بن مازن ، وهشام بن يوسف الأبناوي الصنعاني وغيرهما [١] ، ثم عمل في القضاء والتعليم وجلس للإفتاء في بعض نواحي اليمن وأخيراً عين مسؤولاً وقاضياً عن بلاد نجران ، وولايته على نجران كانت أثناء ولاية أحمد بن إسماعيل بن علي العباسي على مكة والطائف وبلاد السروات حتى نجران ، ومحمد بن يحيى بن خالد البرمكي على بلاد اليمن ، وكلا الواليين تمتعا بصفات حميدة في سياستهما للناس ورعاية مصالحهم [٢] ، وفي عهد هذين الواليين ظهر بعض الثوار الطالبين في بلاد اليمن والسروات ، فأثاروا الفتن والقلاقل في البلاد ، فلم يكن على الخليفة الرشيد إلا أن يعزل الواليين ويعين على جميع البلاد الممتدة من مكة المكرمة إلى صنعاء في بلاد اليمن حماد البربري ، وأوصاه أن يتصف بالقوة والشدة في قمع أولئك الثوار ومن ناصرهم [٣] . وقد ساسهم حماد بشدة ، وبالغ في عقابه واضطهاداته لمن ولـــي عليهم [٤] .

---

(١) انظر تفصيلات عنهما عند ابن سمرة، ص ٦٧ ، الهمداني ، الإكليل ، جـ١ ، حاشية (٤٠٥ – ٤٠٦) ، الحسين ، جـ١ ، ص ١٤٤ ، الجندي ، الإمام ، ص ٧٨ ، وللمزيد عن مولد الشافعي ثم ترعرعه في بلاد الحجاز ، وبلاد اليمن ، و العراق ثم مصر ، انظر ، ابن حزم ، ص ٧٢ ، البيهقي ، جـ١ ، ص ١٠٣ وما بعدها ، أبو نعيم ، جـ ٩ ، ص ٦٥ وما بعدها ، السبكي ، ص ١٠٠ وما بعدها ، ابن زبارة ، ص ٤٨ .

(٢) انظر الرازي ، تاريخ ، ص ١٥٥ ، ابن الديبع ، ص ٩٨ ، الحسين ، جـ١ ، ص ١٤١ ، الفاسي ، جـ٢ ، ص ١٨٠ .

(٣) انظر اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤١٢ ، الرازي ، تاريخ ، ص ١٥٥ ، ابن الديبع ، ص ٩٩ ، الخزرجي ، ص ٨٩ ، الحسين ، جـ١ ، ص ١٤٣ ، مؤلف مجهول ، الوثائق ، ٢١٩ – ٢٢٢ .

(٤) المصادر نفسها .

وظل الإمام الشافعي نائباً لوالي مكة على نجران ، ويقوم على أمر القضاء بها ، إلى أن ناله العزل من هذين المنصبين ، أما عن أسباب عزله ، فنترك للشافعي توضيح ذلك ، حيث ذكر البيهقي في كتابه ((**مناقب الشافعي**)) وعلى لسان الإمام ذاته ، ما نصه (١) : ((**... ثم وُلّيت نجران** (٢) **وبها بنو الحارث ، وموالي ثقيف ، وكان الوالي إذا أتاهم صانعوه ، فقدمت فأرادوني على ذلك ، فلم يجدوا عندي** [استعداداً لقبول ذلك] (٣) **وتظلم عندي ناس فجمعتهم وقلت : اجتمعوا على سبعة منكم** (٤) **رجال عدول فمن عدلوه** [من الشهود] **كان عدلاً ، ومن جرحوه كان مجروحاً ، فاجتمعوا على سبعة منهم ، فجلست للحكم ، وقلت للخصوم : تقدموا ، وأجلست السبعة حولي ، فإذا شهد شاهد التفت إلى السبعة ، فقلت : ما تقولون في شهادته ؟ فإن عدلوه كان عدلاً ، وإن جرحوه قلت** [لمن استشهده] **زدني شهوداً ، فلم أزل أفعل ذلك حتى أتيت على جميع من تظلم عندي ، فلما صححت** [النظر في أقوال الخصوم] **وضعت الأحكام وسجلتها ، فنظروا إلى حكم حاد** (٥) **، فقالوا : هذه الضياع التي تحكم فيها ليست لنا ، إنما هي للمنصور بن المهدي** (٦)**، فقلت للكاتب**

---

(١) انظر تفصيلات هذا النص ، البيهقي ، جـ١ ، ص ١٠٦ – ١٠٧ ، أبو نعيم ، جـ ٩ ، ص ٧٦ – ٧٧ ، أبو حاتم الرازي ، أداب ، ص ٣٢ – ٣٣ دلال ، ص ٢٨٠ – ٢٨٢ .

(٢) ذكرت بعض المصادر السابقة وغيرها بهذا النص ، وفي رواية أخرى " ثم قدمت بعد ذلك نجران " ، وفي نص ثالث يقول ((وكنت بنجران)) ، ومهما كان فالنص كاملاً يفيد أن الشافعي كان والياً وقاضياً في نجران، مما يعني أنه كان منفرداً بالسلطة الإدارية والقضائية ، ولم يكن معه من يساعده على أداء مهام منصبه .

(٣) ما بين القوسين زيادة من الباحث لتوضيح المعنى .

(٤) وفي رواية : اختارو سبعة منكم .

(٥) وفي رواية : جار ، أي جار في رأيهم .

(٦) أي ابن الخليفة المهدي ، وأخوه الخليفة هارون الرشيد أبو جعفر المنصور عاش حتى أدرك عهد الخليفة المتوكل عام (٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) .

اكتب : أقر فلان بن فلان الذي وقع عليه حكمي في هذا الكتاب ، أن الضيعة التي حكمت عليه فيها ليست له ، إنما هي لمنصور بن المهدي ، ومنصور بن المهدي قائم على حجته متى قام [١] [أي إنه مطلوب منه تقديم ما يثبت ذلك أو ينفيه])) ويواصل الشافعي حديثه قائلاً : ((**فخرجوا إلى مكة ، فلم يزالوا يعملون** [أي يطعنون في حكمه ، ويتهمونه بالتشيع وعدم الموالاة] **حتى رفعت إلى العراق** (وفي رواية) **حتى أخذت مكبلاً إلى العراق** ...)) [٢] وعند وصوله إلى العراق التقى ببعض العلماء ورجال الدولة في بلاط الخليفة الرشيد ، ثم التقى بالخليفة فأنبه على ما سمع عنه ، وما كان أرجف عنه المرجفون ، فنفى الشافعي أن يكون صدر منه ما يسيء إليه ، أو أن تكون له علاقة بالطالبين ، وحكى له قصته مع هؤلاء المتقاضين ، فصفح عنه ، ثم عقد معه ومع بعض فقهاء العراق العديد من المناظرات ، فأعجب الرشيد بقوله وسعة علمه ، ثم أجزل له العطاء ، وأنزله مترلاً يليق به مدة إقامته في أرض العراق [٣] .

ويخرج من هذا النص الذي وصلنا عن الشافعي يوم أن كان والياً وقاضياً على نجران عدة أمور نذكر منها :

---

(١) انظر البيهقي ، جـ ١ ، ص ١٠٦ – ١٠٧ ، أبو نعيم ، ص ٧٦ – ٧٧ ، أبو حاتم الرازي ، أدب ، ص ٣٢ – ٣٣ ويفهم من كلام الشافعي ، أن منصور بن المهدي حي وقائم وتلزمه الحجة لأثبات هذا القول أو نفيه، فإن أقر به واثبته يلزمه الحكم وعليه تنفيذه ، وتبرأ ساحة هؤلاء ، اما إذا نفاه فيلزم هؤلاء تنفيذ الحكم ، واقرارهم كان لهدف خاص ، فيبطل ويرد عليهم . وقد أحدث هذا الحكم دوياً حيث استغله هؤلاء المغرضون استغلالاً سيئاً واقموا الشافعي بالتشيع ، بل اقموه أنه يسعى للخلافة ، ويهيئ نفسه لها ، وأنه لا يبال بالخليفة العباسي وأهل بيته بدليل انه اصدر حكماً يسيء إلى سمعة أخي الخليفة . وللمزيد من التفصيلات عن ما قيل عن الشافعي وما اقم به انظر أبو حاتم الرازي ، اداب ، ص ١٠ .

(٢) انظر تفصيلات النص ، البيهقي ، جـ ١ ، ص١٠٥ وما بعدها ، أبو نعيم ، جـ ٩ ، ص٧٦ – ٨٤ ، أبو حاتم الرازي ، أداب ، ص٣٢ – ٣٨ ، السيوطي ، الكتر ، ٢٥٨– ٢٥٩، الجندي ، الإمام ، ص٧٨ وما بعدها .

(٣) المصادر والمراجع نفسها .

أ - أن المذاهب السنية الأربعة قد انتشرت جميعها في بلاد اليمن ونجران والسروات ، وبلاد الحجاز ، وكان أولها ذيوعاً هو مذهب الإمام مالك إمام دار الهجرة ، وكان مقيماً بالمدينة المنورة ، وكان إمام أهل الحديث في زمانه حتى عهد الخليفة أبو جعفر المنصور ، وربما صدراً من عهد الرشيد [١] ، وكان المذهب المالكي أول المذاهب السنية وصولاً إلى نجران واليمن ، ثم جاءت الدولة العباسية وكان المذهب الحنفي ، هو المذهب الرسمي الذي تسير عليه الدولة ، وبالتالي فقد وصل هذا المذهب أيضاً إلى بلاد الحجاز ، والسراة ، ونجران ، واليمن [٢] ، وانتشر هناك إلى أن قدم الشافعي ، ومن بعده أحمد بن حنبل إلى اليمن واستقروا بها بعض الوقت ، وأخذوا على علمائه [٣] . وبالتالي فجميع المذاهب الأربعة انتشرت في اليمن ووصلت إلى أطرافه ، وأصبح لكل مذهب معتنقوه إلا أن مذهب الإمام الشافعي كان أكثر اتساعاً وانتشاراً في بلاد اليمن ، وأرض نجران والسروات ، وذلك لبعض الأسباب منها :

١ - مكوث الإمام الشافعي في اليمن لسنوات عديدة أكثر من غيره وقد أتاح له ذلك فرصة مخالطة أهل اليمن والأخذ على علمائها في مختلف العلوم الفقهية واللغوية ، ثم تقلده بعض المناصب الإدارية والقضائية ، وكذلك رحلاته المتكررة فيما بين اليمن والحجاز ، كل هذا وغيره جعل مذهبه أكثر قبولاً وانتشاراً في هذه البلاد . ومن

---

(١) ابن سمره ، ص ٧٤ ، ابن الجوزي ، مناقب ، ص٥٤ وما بعدها ، الجندي ، الإمام ، ص ٧٨ وما بعدها، أبو حاتم الرازي ، أداب ، ص ١٢٩ وما بعدها ، الزهراني ، ص ١٧٦ وما بعدها .

(٢) المصادر والمراجع نفسها ، وللمزيد انظر ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢٥ وما بعدها .

(٣) ابن الجوزي ، مناقب ، ص ٥٤ – ٥٧ ، البيومي ، ٢٠ – ٢١ الأهل ، شيخ الأمة ص ١١٨ – ١٢٢ ، الجندي ، الأمام ، ص ٧٨ .

يتتبع تطور تاريخ هذا المذهب في بلاد اليمن والسروات حتى مدن الحجاز الكبرى ، يجده بدأ مع أول ذهابه إلى اليمن مفتياً وقاضياً ، ثم بدأ يقوى وينشط ، فلم يأت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي إلا وصار ، أكثر وأقوى المذاهب السنية انتشاراً في هذه البلاد [١] .

٢ - كون مذهب الشافعي وسطاً بين المذهبين اللذين انتشرا هناك ، المالكي والحنفي ، مما ساعد في انتشاره ، لأنه جمع بين مذهب أصحاب الحديث الذي انتهجه الإمام مالك ومذهب أهل الرأي الذي سار عليه الإمام أبو حنيفة وأصول الفقه التي أخذت بها المذاهب المختلفة . كما أخذ بالإجماع في المسائل التي جرى العمل بها في كافة بلاد الإسلام ، أيضاً ذهب الشافعي إلى تعميم استعمال القياس وأعمال الرأي . كل هذا جعل مذهبه أوسع انتشاراً في بلاد اليمن والسروات وما حولها [٢]، واستمر قوياً راسخاً خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، بالرغم من المصاعب التي قابلت معتنقيه في تلك العصور ، وذلك عندما تسربت إلى المنطقة بعض النحل والمذاهب الأخرى وبالأخص عندما استحكم المذهب الزيدي في صعدة وأجزاء عديدة من بلاد اليمن ، رغم أنه أقرب المذاهب الشيعية فقهياً إلى مذاهب أهل السنة [٣] .

---

(١) ابن سمرة ، ص ٧٤ ، الجندي ، الأمام ، ص ٧٨ – ٧٩ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص٤١ ، الفقي ، ص ٣١٨ .

(٢) أبو حاتم الرازي ، أداب ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، الجندي ، الأمام ، ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٥٩ وما بعدها .

ب - استمرار تبعية نجران إلى ولاية الطائف ومكة بدليل أن الخصوم الذين أصدر عليهم الشافعي تلك الأحكام لجأوا إلى مكة ، وطعنوا عليه إمام واليها ، واستعانوا به لرفع شكواهم إلى الخليفة ، ولكي يوغروا صدر الوالي وكذلك الخليفة على الشافعي ، رموه عندئذ بتهمة شنيعة في نظرهم ، وهي أنه أحد الطالبيين ، ويروم الخلافة لنفسه ، ويسعى إليها ، فرفع الوالي كل ذلك إلى الخليفة فجاء الأمر بالقبض عليه وإرساله مكبلاً إلى بغداد . وقد سأله الرشيد أول ما سأل عن مسعاه للخلافة ، ومشايعته للطالبين ، فنفى ذلك بحجة قوية ، وكلام مقنع موشى بالفصاحة والبلاغة ، ثم استعاده منه الرشيد ثلاثة حتى أدرك مقدار صدقه وإخلاصه ، فانكشفت أسارير وجه الرشيد وذهب عنه الغضب وعفا عنه .

ج - يوضح لنا النص أيضاً طبيعة العمل القضائي في ذلك الوقت والإجراءات المتبعة في التقاضي والتي تتم من خلال استدعاء المتخاصمين والسماع لهم ، ثم السماع للشهود على القضية المتخاصم عليها والتثبت من أقوال الشهود، وأخيراً تدوين القضية والحكم عليها في سجلات مدونة يتم الرجوع إليها إذا اقتضت الحاجة .

د - شيوع أسلوب المداهنة والتزلف إلى الحكام وأصحاب المناصب الرفيعة من قبل المرؤوسين والرعايا للتقرب إلى صانعي القرار . وإذا لم ينتبه صاحب الحل والعقد وخاصة إذا كان حاكماً أو قاضياً لمثل هذه الأساليب ، فإنه قد يكون عرضة للتضليل مما يحيد به عن الصواب ، ويجنح عن الحق ، فلا يصل إلى مستحقيه ، فتضيع الحقوق على أهلها ، ولعل تنبه ويقظة الشافعي لذلك الأمر بحكم طبيعته التقية الورعة ، وهذا ما جعل أهل نجران لا يجدون له مدخلاً يخرجوه منه عن جادة الصواب ، وهو ذاته لم يعطهم فرصة لذلك ، ولهذا بدأوا يكيدون له ويتآمرون ضده عند والي مكة والخليفة في العراق .

هـــ – يشير النص إلى أرض نجران ، ووفرة خيراتها من خلال امتلاك علية القوم من العباسيين فيها بعض الضياع ، إلى جانب أملاك سكانها الأصليين من بني الحارث ، ولعل ذلك الثراء يدفعنا للقول بأن الأمويين ربما تملكوا أشياء هناك. كذلك أمدنا النص بإشارات تفيد وجود أقوام أخرى إلى جانب بني الحارث كانوا يقومون على أمر تلك الضياع من الثقفيين والموالي حيث أوكلت إليهم أمور زراعتها وإدارتها ، وأنهم كانوا من الكثرة بدليل النص على ذكرهم . ثم إن النص على وجودهم وبني الحارث لا ينفي وجود قبائل وعشائر وبطون وعناصر أخرى بنجران ، وسبق أن أشرنا إلى بعضهم في الفصل الأول من هذا الكتاب .

و – جمع الولاية ومهمة القضاء لرجل واحد وهو الإمام الشافعي ، وخاصة في العصر العباسي ، الذي عمل خلفاؤه على فصل القضاء عن الإمارة ، وإنشاء إدارة خاصة لمتابعة القضاة في أنحاء الدولة الإسلامية هي إدارة ((**قاضي القضاة**)) التي هي بمثابة وزارة العدل في يومنا الحالي ، وهذا يدل على ما امتاز به الشافعي من حنكة وحسن دراية بتسييس أمور الرعية ، ناهيك على أنه أحد أئمة الفقه الإسلامي .

٣ - مؤسسات إدارية أخرى :

وهناك مؤسسات إدارية أخرى عرفتها الدول الإسلامية خلال العصور الإسلامية المختلفة ، وقد امتد نفوذها إلى بلاد السروات ونجران واليمن فنذكر منها على سبيل المثال ، الشرطة ، والبريد ، والمحتسب (عامل السوق) ، والجباية وعمالها .

أ - الشرطة (صاحب الشرطة)

الشرطة : هي الجند الـــذي يعتمد عليهم الخليفة أو الوالي فـــي ولايته لاستتباب الأمن ، وحفظ النظام ، ومساعدة الحكومة فـــي تنفيذ الأحكام ، والقبض على المجرمين ، ومباشرة كـــل ما من شأنه توفير الأمـــن والحماية للمواطنين [١] .

ويحدد ابن خلدون مهام صاحب الشرطة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وبخاصة في العصر العباسي فيقول : " **الشرطة ويسمى صاحبها بافريقية الحاكم ، وفي دولة أهل الأندلس صاحب المدينة ، وفي دولة الترك الوالي ، وهي وظيفة مرؤوسة لصاحب السيف في الدولة ، وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الأحيان ، وكان أصل وضعها في الدولة العباسية لمن يقيم أحكام الجرائم في حال استبدادها أولاً ، ثم الحدود بعد استيفائها ، فإن التهم التي تعرض في الجرائم لا نظر للشرع إلا في استيفاء حدودها ، وللسياسة النظر في موجباتها ، بإقرار يكرهه عليه الحاكم إذا احتفت به القرائن لما توجبه المصلحة العامة في ذلك ، فكان الذي يقوم بهذا الاستبداد وباستيفاء الحدود بعده إذا تتره عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة ...** " [٢].

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن الشرطة وأهميتها في العصور الإسلامي المختلفة ، انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٢ ، ٢٥١ وما بعدها ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٣٣ – ٢٣٦ ، الصالح ، ٣٣٣ – ٣٣٤ ، اليوزبكي ، ص ١٤٧ – ١٤٩ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٥١ .

وكان الخليفة أبو بكر الصديق أول من أدخل نظام العسس في الليل ، ثم تطورت الشرطة في خلافة علي بن أبـي طالب وأطلق علـى رئيسها صاحب الشرطة [(١)] ، وضُمت الشرطة خلال العصر الأموي إلى ولاية القضاء ففي عـام (٥٣ هـ/٦٧٢م) استقضى مصعب بن عبد الرحمن بن عوف في المدينة المنورة ، وضم إليه عمل الشرطة مـع القضاء [(٢)] ، وفي عام (٨٦ هـ/٧٠٥م) ولي عبد الرحمن بن معاوية قضاء مصر ، وكان قبل ذلك على الشرطة فجُمعا له معاً [(٣)] .

وكان صاحب الشرطة يهتم في الغالب بأمن حاضرة الدولة الإسلامية أو حواضر الولايات الرئيسة ، بينما كان يتولى أمن بقية الأقاليم والمخاليف الأخرى جماعة من الجند تخضع لرئيس منهم ينوب عن صاحب الشرطة أو عن والي الولاية ، ويلقب في الغالب بـ ((**صاحب المعونة**)) وهو يمارس نفس مهام رجال الشرطة في الحواضر الكبرى ، وكانت الدولة في العهدين الأموي والعباسي تنفق بسخاء على رجال الشرطة ليعفوا عن أموال الناس [(٤)] .

ولم تخل ولاية مـن الولايات الإسلامية مـن وجود نظام الشرطة فيها ، ولما لهذه المؤسسة من أهمية بالغة في إقرار الأمن والنظام بين الرعايا المسلمين . والحجاز واليمن عرفتا هذه المؤسسة ، ونجـد عديداً من الروايات تشير إلـى أسماء مـن تولى الشرطة فـي الحجاز واليمن خـلال القرون الإسلاميـة

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢١٣ ، وعن تطور تاريخ الشرطة خلال العصور الإسلامية المبكـرة والوسـيطة انظر ، الرفاعي ، ص ٩٨ - ١٠٤ .

(٢) وكيع ، جـ ١ ، ص ١١٨ .

(٣) الكندي ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٤) للمزيد عن أسماء اوالئك الشرط انظر ، الكندي ص ٣٢٧-٣٢٨ ، شمسان ، ص ٢٢٦ ، حسن إبراهيم النظم ، ص ٢٣٣ وما بعدها ، الرفاعي ، ص ١٠١ وما بعدها , Samadi ,pp 127 ff Husaini, pp.77ff Salem , pp. 24ff Kennedy , pp 29 ff , Lassner , pp . 26 ff .

الثـلاثة الأولـى [١] . لكن لا نجد تفصيلات أو حتى إشارات عن من تولى أمر الشرطة فـي نجران ، وهذا لا يعني أنـه لـم يكن هناك من يتولى أوضاع الأمن فيها ، وبخاصة منذ فجـر الإسلام حتـى نهاية العصر العباسي الأول ، لأن من يستقرئ أوضاع الدولة الإسلامية في ذلك العصر يجد أن حكام المسلمين كانوا حريصين علـى توطيد الأمن في البلاد ، وذلك لا يتم إلا عن طريق موظفي الدولة مثل الوالي والقاضي وصاحب الشرطة وغيرهم . وفي اعتقادنا أن الوالي في بادئ الأمر كان يذهب معه إلى مقر ولايته من يساعده علـى إدارة الأوضاع فيها ، بل قد يجد بين أفراد العشائر والقبائل التي تولى أمرها مـن يساعده ويقدم له يد المعونة لضبط أوضاع الولاية ويأتي على رأسهم شيوخ ووجهاء وأعيان القبائل . كما أن الوالي فـي العصرين الأموي والعباسي وأن استقر في إحدى مدن الحجاز الرئيسة ، فإنه يرسل مـن قبله مـن يتولى أمـور البلاد البعيدة عـن مقر ولايته ، ونجران كانت مـن ضمن تلك البلاد التابعة لوالي الحجاز ، فقد لا يرسل إليها صاحب شرطة بعينه ، ولكن يرسل إليها نائباً عـن الوالي فيتولى أمرها ويستعين بمن يرى أنه ذا فائدة في ضبط أوضاع تلك البلاد [٢] .

ويبدو أن بلاد نجران ، بـل جميع بلاد اليمن والحجاز كانت تخلوا مـن وجـود الجيش الـذي يحمـل مواصفات جيش أطـراف الدولة وثغورها ، لأن تلك البلاد ليست إقليماً مجاوراً لدولة معادية ، كمـا كانت الأوضـاع فـي بلاد الشام ومصر والعراق وفـارس والمغرب ، حتـى يرابط علـى

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) للمزيد انظر ، الرازي ، تاريخ ، ص ١٥٥ ، ٢٣٢ ، الماوردي ، ص ٧٢ ومـا بعـدها ، الكنـدي ، ص٣٧٦ ، الصنعاني ، تاريخ صنعاء ، ورقـة ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، الحـسين ، جـ ١ ، ص ١٤١ ، ١٤٤ ، Lassner,pp.22ff, Salem,pp. 24ff , Husaini, pp . 95ff, Kenned , pp . 29ff

حـــدودها مثل هـــذا الجيش [١] ، بدليل أن عاصمة الدولة الإسلامية فـــي المدينة المنورة ، أو دمشق ، أو بغداد كانت ترسل إمداداتها العسكرية لإخـــماد الثورات وحركات التمرد التـــي ظهرت في جنوب شبه الجزيرة العربية خـــلال القرون الإسلامية الأولى [٢]

ب - صاحب البريد :

اهتم العرب اهتماماً بالغاً بنظام البريد [٣] ، منـــذ ولاية معاويـــة بـــن أبي سفيان على بلاد الشام [٤] ، ومن دلائل هذا الاهتمام الأوامر التي أصدرها الخليفـــة عبد الملك بن مروان إلى صاحبه بألا يبطئ عليه البريد [٥] . فالبريد خلال العهـــود الإسلامية المبكرة والوسيطة ، كان يلعب دور الأمن العام ، ويقوم بأعماله ســـعاة يستخدمون الخيل لقطع الطرقات ، وكان يقوم أحياناً بنقل بعض الأمتعة الخاصة ،

---

(١) اسحاق الصنعاني ، تاريخ صنعاء ، ورقة (١٣) .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن العديد من الثورات وحركات التمرد التي ظهرت في بلاد الحجاز والسروات ، ونجـــران ، واليمن، خلال القرون الإسلامية الأولى انظر، الطبري ،جـ٧ ، ص٣٧٤-٣٧٦ ، ٣٩٣ ، جـ ٨ ، ص ٥٢٨ ، اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٤٤٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جــــ ٤ ، ص ٢٩٧ ، جــــ ٥ ، ص ١٧٣ - ١٧٧ ، ٢٠٤ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٦ ، ص ١٠٦ ، الخزرجي ، ص ٩٩ ، الواســـعي ، ص ١٦٦ ، الجـــرافي ، ص ١٠٧ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٩٠ وما بعدها .

(٣) بريد كلمة عربية استعيرت من الكلمة اللاتينية (Veredus) ومعناها (دابة البريد) أو حصان البريد) واصبحت بعد ذلك تدل على النظام نفسه ، واطلقت آخر الأمر على المرحلة بين مركزي بريد . وكان المقصود ببريد الدولـــة خدمة مصالحها فقط لا مصلحة الأفراد ، ولم يكن الغرض منه حمل الأخبار فحسب بل نقل العمال والفرق الصغيرة من الجند وأمتعة البلاط وعمال الدولة . وكانت تستخدم الخيول والبغال والجمال في أداء مهمة البريـــد وفقـــاً لمـــا تقتضيه الحاجة . ابن منظور ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ - ٣٦٨ ، ياقوت ، جـ ١ ، ص ٣٥ ، وللمزيـــد ، انظـــر ، الرفاعي ، ص ٩١ - ٩٧ ، الصالح ، ص ٣٣٠ - ٣٣٣ .

(٤) ابن طباطبا ، ص ١٠٦ ، الصالح ، ص ٣٣١ .

(٥) ((يحكى عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة بابي إلا عن ثلاثة : صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير ، والأذان بالصلاة فإنه داع إلى الله ، والبريد فإن في تأخيره فساد القاصية)) ، ابن خلدون ، مقدمة ، ص ٢٢٠ .

ولكن الغاية الكبرى منه تأمين تبليغ العمال في الولايات الأوامر والتعليمات الصادرة من الدولة ، ورفع مطالب الرعية ومظالمهم إلى إدارة الخلافة المركزية [١] .

وتطور البريد منذ منتصف القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) فنجد الخليفة المهدي العباسي ، على سبيل المثال ، يأمر بإقامة البريد بين مدينة الرسول ﷺ ومكة والطائف ثم عبر بلاد السروات حتى نجران واليمن ، وجعل البغال والجمال هي الوسيلة التي تنقل البريد ما بين الحجاز واليمن [٢] ، ويذكر الطبري أنه لم يكن هناك بريد قبل ذلك [٣] ، وفي اعتقادنا أنه لم يكن هناك بريد فعلاً بطريقة منظمة ومرتبة كما حدث في العصر العباسي زمن الخليفة المهدي ، لكن البريد ونقل الأخبار في بلاد اليمن والحجاز وما بينهما كان موجوداً منذ فجر الإسلام ، وقد شاهدنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب كيف كانت أخبار أقاصي بلاد اليمن تصل إلى المدينة المنورة في عصر الخلفاء الراشدين ، بل إن خلفاء بني أمية كانوا على صلات مستمرة مع بلاد نجران واليمن وجميع نواحي شبه الجزيرة العربية [٤] . وهذا مما يؤكد على أن الرسل وعمال البريد كانوا قائمين بأعمالهم على خير وجه من أجل حفظ الأمن وضبط البلاد لسلطان الخلافة الإسلامية سواء في الحجاز أو الشام .

و لم يعد عمل صاحب البريد ، وبخاصة في العصر العباسي ، يقتصر على نقل الرسائل من الخليفة واليه ، وإنما شمل عمله رفع تقارير سرية منتظمة إلى الخلافة عن وقائع الحياة اليومية في الولايات الإسلامية وبكل ما يقضي به القاضي

---

(١) حسن إبراهيم ، ص ٢٢٧ – ٢٢٩ ، الصالح ، ص ٣٣١ – ٣٣٤ ، الرفاعي ، ص ٩١ – ٩٧ .

(٢) الطبري ، تاريخ ، جـ ٨ ص ١٦٢ .

(٣) الطبري ، حـ ٨ ، ص ١٦٢ .

(٤) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب .

في النواحي ، وما يعمل به الوالي ، وأوضاع وطريقة أداء جباية الخراج والصدقات لأعمالهم في الولايات والأقاليم التي يعملون بها [١] .

وقد نبه القاضي أبو يوسف الخليفة الرشيد وذكر له مساوئ صاحب البريد وما قد يترتب على ذلك من أخبار لممثلي سلطة الخلافة العباسية في الولايات ، الأمر الذي قد يضر بالدولة بسبب الأخبار المغلوطة التي ينقلها صاحب البريد لخليفته عن الرعية، أو ولاته أو قضاته ، فيستر عنه أموراً في غاية الأهمية ، كان يجب أن يلم بها الخليفة حتى ينظر في معالجتها بصورة عادلة ، ونصحه باختيار الثقاة من أهل كل بلد عند تعيين عمال البريد والأخبار ، وأن يدر عليهم الأموال من بيت المال حتى لا يفرطوا في أمانتهم ويحجبوا عنه الأخبار ، أو يصنفوا فيها بغير حق [٢] .

ويُعدّ البريد في بلاد اليمن ونجران والحجاز وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية مكملاً للبريد العام الذي يخدم الخلافة الإسلامية في عهد الدولتين الأموية والعباسية ، ويربط بين عواصمها وولاياتها ، فمن خلال عمال البريد كانت تُبلّغ الخليفة المنصور أخبار العلويين وتحركاتهم في الحجاز [٣]، وعن طريق عامل البريد بلغته أخبار عامله في حضرموت وتشاغله عن شؤون رعيته بمزاولة الصيد [٤]، وبواسطة البريد أرسل الخليفة هارون الرشيد الوالي حماد البربري لقمع حركات بعض المتمردين والثوار في بلاد بيشة والسروات ونجران وأجزاء أخرى من بلاد

---

(١) انظر ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ ، الصالح ، ص ٣٣٢ – ٣٣٣ الرفاعي ، ص ٩٣ – ٩٤ وقد توسعت دائرة المسؤوليات التي أوكلت إلى صاحب البريد ، فاصبح بمثابة رجل المباحث والاستخبارات يقوم بجمع أخبار المناطق التي يرسل اليها أو يمر عليها ، ثم يرفع بها إلى الخليفة كي يتخذ قراره فيها .

(٢) للمزيد انظر ، أبو يوسف ، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(٣) لمزيد عن تحركات العلويين في الحجاز وثورهم ضد الخليفة المنصور وعن حرصه على مراقبتهم وتتبع أخبارهم ، انظر ، الطبري جـ ٧ ، ص ٥١٧ وما بعدها .

(٤) الرفاعي ، ص ٩٣ .

اليمن [١] وتذكر المصادر اسم أشهر من تولى البريد باليمن وما حولها زمن الخليفة العباسي الأمين ويدعى محمد بن عبيد الله المعروف بالمدير [٢] .

ورغم تجاهل المصادر الإسلامية إمدادنا بمعلومات وافية عن وضع عمال البريد في نجران وما حولها وتفاصيل أعمالهم خلال الفترة موضوع الدراسة ، فهذا لا يعني عدم وجودهم في تلك النواحي ، وإنما القصور ناتج من تجاهل مدوّني التراث الإسلامي لهذا الجانب مع العلم أننا عندما ننظر في مدونات بعض الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل ، نجدهم ينوهون إلى محطات الطريق التجاري الذي كان يربط مكة والطائف بحواضر اليمن الكبرى ويذكرون أسماء أماكن واستراحات على طول تلك الطريق وبها دور وأماكن إقامة لصاحب البريد والأخبار [٣] ، وكل ذلك ينهض دليلاً على وجود عمال البريد وانتظام عملهم في نقل الأوامر والتعليمات والأخبار فيما بين حاضرة الخلافة وبلاد الحجاز واليمن وما بينهما .

جـ - **المحتسب (عامل السوق)** :

وهي وظيفة تعمل في إصلاح ممارسات الناس في حياتهم اليومية ، فالأمر الذي من شأنه الإضرار بمصالحهم على المحتسب إزالتها ، فهي إذن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [٤] ، فيجوب المحتسب المدينة بين حين وحين ويراقب أسواقها فيدقق في صحة الأوزان والمكاييل ، ويمنع المضايقة في الطرقات ، وغيرها من

---

(١) الصنعاني ، تاريخ صنعاء ، ورقة ١١ ، الحسين ، جـ ١ ص ١٤٣ .

(٢) الصنعاني ، تاريخ صنعاء ، ورقة ١١ .

(٣) انظر قدامة ، كتاب الخراج ، ص ١٨٨ – ١٨٩ ، الإدريسي ، حـ ١ ص ١٤٥ – ١٤٦ ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٤) انظر الماوردي ، الأحكام ، ص ٣٩١ وما بعدها ، ابن خلدون ، المقدمة ، ٢٢٥ – ٢٢٦ .

الأعمال المنافية للآداب ، وكذلك كل ما من شأنه الإضرار بالصحة العامة [١] ، ووظيفة الحسبة تشغل درجة وسط بين القضاء والقوة التنفيذية ، يكلف بتنفيذها المحتسب (عامل السوق) من قبل الدولة وينال أجراً على عمله هذا .

وقد عرفت بلاد نجران واليمن والحجاز كغيرها من الأمصار الإسلامية منصب المحتسب ووظيفة الحسبة باعتبارها من المهام التي كان يتولاها الولاة وعمال النواحي والقضاة [٢] ، ولا يعني سكوت مصادر شبه الجزيرة ، وبخاصة بلاد السروات ، ونجران ، واليمن ، عن هذه الوظيفة وعدم ذكر أسماء القائمين بها في تلك النواحي أنها لم تمارس هناك ، بل نرجح بالتأكيد وجودها ، لكونها من الوظائف المهمة والحساسة والمرتبطة أشد الارتباط بحياة المسلمين اليومية في مدنهم وأمصارهم ، وإن كنا نعزو صمت المصادر التاريخية على اختلافها ، بما ضمته من مادة تاريخية غزيرة ومتنوعة عن الحديث عن هذه الوظيفة في تلك الأطراف البعيدة من الدولة الإسلامية وحتى ما دونته عن غيرها من عواصم وحواضر المدن الإسلامية فيما يخص هذه الوظيفة كان قليلاً بل ونادراً . فنعزو ذلك إلى أن تلك الوظيفة في بلاد نجران واليمن والحجاز ربما لم يخصص لها موظفاً قائماً لهذا الأمر بذاته ، ولم يفرد لها منصباً ، وإنما قام بمهام المحتسب الوالي أو القضاة في تلك الأنحاء ، وربما أضيفت مهام المنصب إلى بعض عمال تلك النواحي الأخرى إضافة إلى أعمالهم ، وبالتالي لم يكن لها نصيب من اهتمامات كتب الفقه ومدوّن النظم الإسلامية الذين تحدثوا وكتبوا عن تاريخ وحضارة بلاد السروات واليمن والحجاز [١] .

---

(١) المصادر نفسها .

(٢) الماوردي ، الأحكام ، ص ٣٩١ وما بعدها ، وللمزيد انظر اليوزبكي ، ص ١٥٩ – ١٦٢ ، الصالح ، ص ٣٢٨ – ٣٣٠ ، الرفاعي ، ص ١٢٢ – ١٢٨ .

(٣) للمزيد عن مهام المحتسب ، وعامل السوق انظر ، ابن عمر ، ص ٢٦ وما بعدها ، ابن الأخوة ، ص ٧٥ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ١ ، ص ٣٧٣ – ٣٧٥ ، الفقي ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .



ثالثاً : النظم المالية :

يحكم النظم المالية خلال العصور الإسلامية الأولى وجود بيت مال المسلمين الذي تشرف عليه الدولة ، ويرتبط به جميع أجهزة الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ فكان يجري عليها مالياً ما يجري على أجزاء الدولة الإسلامية ضمن أحكام وضوابط شرعية .

وقد تنوعت موارد نجران المالية ، حيث انقسمت فيها مثل غيرها من الأمصار الإسلامية إلى موارد شرعية تشمل الزكاة ، والجزية ، والخراج ، أو عشور الأرض الزراعية وعشور التجارة ، وموارد غير شرعية تشمل المكوس ، والرسوم ، والمصادرات والمصالحات وغيرها .

١ - الإيرادات :

أ - الموارد الشرعية :

١- الزكاة :

وهي أحد أركان الإسلام الخمسة وتعني الصدقة ، وهي فريضة إسلامية أوجبها الله تعالى بقوله :﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا...** ﴾ (١)، وقوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ، لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** ﴾ (٢) ، وهي

---

(١) سورة التوبة ، آية (١٠٣) .

(٢) سورة المعارج ، الآيات (٢٤-٢٥) .

بذلك ضريبة تفرض على أغنياء المسلمين وتوزع على فقرائهم والمحتاجين منهم ، بغرض إصلاح أحوال المجتمع وصولاً به إلى مبدأ العدالة الاجتماعية الذي نص عليه الإسلام ، وقد عرف الماوردي الزكاة [١] ، فقال : ((**الصدقة زكاة والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى**)) ولا يجب على المسلم في مال حق سواها ، قال رسول الله ﷺ ((**ليس في المال حق سوى الزكاة**)) [٢] . وسميت بذلك لأن إخراج شيء من مال الإنسان والتصدق به يؤدي إلى تنمية هذا المال وإنزال البركة ، ولأن إخراج شيء من الزكاة من المال يزكي صاحبه ويطهره [٣] .

وتفرض الزكاة بقدر معلوم على عدة أموال منها الذهب والفضة ، وعروض التجارة وعلى السائمة كالمواشي والأنعام ، والمحاصيل الزراعية . وقد تناولت كتب الفقه بالتفصيل مقدار ما يفرض من كل نوع من هذه الأنواع فعلى سبيل المثال تحددت أنواع المحاصيل الزراعية المزكي عنها في أربعة أنواع : الحنطة ، والشعير ، والنخل ، والعنب [٤] ، وضمت إليها أنواعاً من المحاصيل اختلف في زكاتها مثل الورس [٥] ، والسمسم ، والخضروات ، والزيتون [٦] ، وهناك أنواع نص على عدم أخذ الزكاة عنها كالقصب والحشيش والتبن[٧]، أما الماشية فقد حددت أنواعها في الإبل ، والبقر، والأغنام وكذلك مقادير زكاتها [٨] ، ومن

---

(١) الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٢.

(٢) الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٢ ، للمزيد انظر ابن ماجة ، في كتاب الزكاة ، باب (٣) حديث رقم (١٧٨٩) جـ ١ ، ص ٥٧٠ .

(٣) الصالح ، ص ٣٥٦ ، العلي " تنظيم جباية الصدقات " ص ٨٦٥ وما بعدها .

(٤) ابو يوسف ، ص ٥٤ ، ابن ادم ، ص ١١٢ وما بعدها .

(٥) الورس ، صبغ اصفر يوتى به من جنوب شبه الجزيرة العربية ، الرازي ، تاريخ ، ص ٢٥٣ ، الأدريسي ، جـ ١ ص ٥٣ .

(٦) ابو يوسف ، ص ٥٥ ، ابن آدم ، ص ١٤٦ وما بعدها .

(٧) ابو يوسف ، ٥٥ ، ١٠٢ وما بعدها ، ابن ادم ص ١٥٤ وما بعدها .

(٨) انظر أبو يوسف ، ص ٧٦ ، وما بعدها ، ابن سلام ص ٤٩٧ وما بعدها ، الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٤– ٢٠٩ ، الرفاعي ، ص ١٧٤ – ١٧٥ ، الصالح ص ٣٥٥ – ٣٥٧ .

المعروف شرعاً أن من تجب عليه الزكاة كان مخيراً بين القيام بتوزيعها بمعرفته أو يقوم بدفعها للإمام أو الحاكم .

ونجد أن الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ لعمرو بن حزم عندما أرسله إلى نجران قد أوضح فيه ما يجب على عمرو أثناء تعامله مع أهل نجران ، سواء المسلم منهم أو الكتابي [١] وذكر ما يجب على المسلمين منهم ، وبخاصة في أمور الزكاة ، فالذين يمتلكون أرضاً زراعية فيؤدي الفرد عشر ما سقت العين، وسقت السماء ، ونصف العشر على الأرض التي تروى بجهد من مسافات بعيدة ، ويوضح ابن آدم أيضاً الفرق بين الأرض الخراجية والأراضي العشرية المملوكة للمسلمين موضحاً معنى العشر بأنه مقدار الزكاة المفروضة عليها بقوله : " **وأما الزكاة في الأراض والزروع والثمار ، فما كان من أرض من هذه الأراضين التي لم يوضع عليها الخراج فهي أرض عشر ، والعشر هو الصدقة ، وهو الزكاة المفروضة على المسلمين، في زرعهم وثمارهم** " [٢] ، ويؤدي الفرد عن كل أربعين من الإبل لبوناً، وعن ثلاثين من الإبل ابن لبون ، وعن كل عشر شاتين ، وعن كل خمس شاة . وعن كل أربعين من البقر بقرة ، وعلى كل ثلاثين تبيع أو جذعة ، وعلى كل أربعين من الغنم سائمة ، ولا يؤخذ من الزكاة هرمة ، ولا عجفاء ، ولا ذات عوار [٣] .

وكان على المسلمين من أهل نجران وغيرهم أن يؤدوا الزكاة بمقدار ربع العشر عما يمتلكونه من مال ، وهذه هي زكاة النقد [٤] .

---

(١) انظر نص الكتاب في الفصل الثاني من هذا الكتاب . وللمزيد انظر ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، ابن سلام ، ص ٥٠٠ – ٥٠٢ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، حميد الله ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٢) ابن ادم ، ص ١١٢ .

(٣) ابو يوسف ، ص ٧٦ – ٧٩ ، ابن اسلام ، ص ٣٨ ، ٤٩٧ وما بعدها ، ابن آدم ، ص ١١٢ وما بعدها ، الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٤ – ٢٠٩ .

(٤) انظر ابن سلام ، ص ٥٥٩ وما بعدها .

وحدد الرسول ﷺ على مسلمي نجران وغيرهم من المسلمين زكاة أموالهم في عروض التجارة فلا تزيد ضريبتها على (٢,٥) بالمئة أي ربع العشر ، كما ذكر الفقهاء . وأما الذهب والفضة فنصابها ما يعادل مئتي درهم أو عشرين مثقالاً ، ولا تزيد الضريبة فيها على (٢,٥) بالمئة أيضاً . [1] .

وكانت أموال الزكاة والصدقات يتم صرفها في مصاريفها الشرعية التي حددها الله في كتابه الكريم بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [2] . ويورد القاضي أبو يوسف ، في رسالته التي كتبها إلى الخليفة الرشيد ، بعض التفصيلات حول هذه الآية والوجه الشرعي السليم الذي ، يجب أن تنفق فيه الأموال المحصلة من الزكوات دون مخالفة للنص القرآني فيقول : ((... **المؤلفة قلوبهم قد ذهبوا ، و العاملون عليها يعطيهم الإمام ما يكفيهم ، وإن كان أقل من الثمن أو اكثر أعطى الوالي منها ما يسعه ويسع عماله من غير سرف ولا تقتير ، وقسمت بقية الصدقات بينهم ، فللفقراء والمساكين سهم ، وللغارمين وهم الذين لا يقدرون على قضاء ديونهم سهم ، وفي أبناء السبيل المنقطع بهم سهم يحملون به ويعانون ، وفي الرقاب سهم ، وفي الرجل يكون له الرجل المملوك ، أو أب مملوك، أو أخ ، أو أخت، أو أم ، أو ابنه ، أو زوجه ، أو جد ، أو جدة ، أو عم ، أو عمة ، أو خال ، أو خالة وما أشبه هؤلاء فيعان هذا في شراء هذا ، ويعان منه المكاتبون ، وسهم في إصلاح طرق المسلمين ، وهذا يخرج بعد إخراج أرزاق العاملين عليها ، ويقسم سهم الفقراء والمساكين من صدقة ما حول كل مدينة**

---

(١) ابن سلام ، ص ٥٥٩ وما بعدها ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٤٨ – ٢٥٠ ، العلي " تنظيم جباية الصدقات " ، ص ٨٦٩ وما بعدها ، الصالح ، ص ٣٥٦ – ٣٥٧ .

(٢) سورة التوبة آية (٦٠) .

في أهلها ، ولا يخرج منها فيتصدق به على أهل مدينة أخرى ، وأما غيره فيصنع به الإمام ما أحب من هذه الوجوه التي سمى الله تعالى في كتابه ، وإن صيرها في صنف واحد ممن سمى الله تعالى ذكره أجزاء)) [١] .

٢- الجزية :

وهي ضريبة الرؤوس المفروضة على أهل الذمة التابعين للدولة الإسلامية ، وقد حددت لنا المصادر مقدار ما كان يدفعه الذمي منها في عصر الرسالة وزمن الخليفة أبي بكر الصديق نقداً وعيناً ، كما ذكرت لنا إجمالي المطلوب من الذميين بنجران من الجزية على مدار العام ، ثم تغير الأمر في عصر الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ، وازدهرت أحوال الدولة الإسلامية ، وما يتبع ذلك من تطورات وتغيرات طرأت على أحوال السكان من مسلمين وذميين فانتعشت بالتالي الأوضاع الاجتماعية للعديد منهم مما جعل عمر بن الخطاب يقسمهم إلى فئات أو طبقات حسب درجة ثراء كل منهم ، ويحدد على كل فئة مقدار الجزية الواجب عليهم دفعها بما يتناسب وظروفهم وأحوالهم المعيشية كما سيأتي ذلك مفصلاً في الصفحات التالية .

ومن المعروف أن غالبية أهل نجران قد أقبلوا على اعتناق الإسلام منذ عهد الرسول ﷺ فيما عدا فئة قليلة ظلت على نصرانيتها، بالإضافة إلى عدد من اليهود ، وهؤلاء الذميين صالحهم الرسول ﷺ على دفع الجزية [١] . والجزية مبلغ من المال يؤديه أهل الذمة ، كما يدفع المسلمون الزكاة ، حتى يتكافأ الفريقان تحمل المسؤوليات ، وهما رعية لدولة واحدة نظير التمتع بالحقوق والتساوي مع المسلمين

---

(١) أبو يوسف ، ص ٨٠- ٨١ .

(٢) انظر نص الصلح الذي كتبه الرسول ﷺ مع نصارى نجران ، الفصل الثاني من هذا الكتاب .

في الإنتفاع بالمرافق العامة للدولة ، ويلزم لأهل الذمة ببدلها حقان ، **أحدهما** : الكف عنهم ، **والثاني** : الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين [١] ، وترفع الجزية عمن أسلم وتثبت بنص القرآن في قوله تعالى : ﴿ **قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [٢] . وتجب الجزية على الرجال الأحرار العقلاء الأصحاء القادرين على أدائها ولا تؤخذ من فقير معدم ، ولا من لا قدرة له على الدفع ، ولا من الأعمى أو المقعد أو المجنون أو غيرهم من ذوي العاهات ، ولا من أحد المترهبين في الأديرة إلا إذا كانوا أغنياء [٣] .

ونجد الرسول ﷺ أقر نصارى نجران على الجزية وشرط لهم شروطاً ، واشترط شروطاً أخرى ، وقد دون ذلك كاملاً في الصلح الذي دون لهم الرسول ﷺ [٤] . وقد ورد في هذا الصلح ما يلي : " **بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله (ﷺ) لأهل نجران : إذا كان عليهم حُكمُه في كل ثمرة ، وفي كل صَفراء وبَيضاء ورقيق ، فأفضل ذلك عليهم ، وترك ذلك كله لهم ، على ألفي حُلة من حُلل الأواقي : في كل رجب ألف حُلة ، وفي كل صفر ألف حُلة ...** " [٥] ولما ولي أبو بكر الخلافة جدد لنصارى نجران عهد

---

(١) الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٥٤ .

(٢) سورة التوبة آية (٢٩) .

(٣) انظر الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٥٥ .

(٤) انظر نص الصلح في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٥) انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ وما بعدها ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ، يذكر أن ثمن الحلة الواحدة أوقية ، والأوقية تزن أربعين درهماً . البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ .

الرسول ﷺ وأمنهم في هذا الكتاب على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم وأساقفهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم ، والأساقفة والرهبان أحرار في ممارسة شعائرهم في كنائسهم [١] وكتب إليهم عمر بن الخطاب ((**من سار منهم آمناً بأمان الله لا يضره أحد من المسلمين وفاء لهم بما كتب لهم محمد النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ**)) [٢]، وذلك قبل اخراجهم إلى بلاد العراق والشام [٣] .

وكانت الجزية في عهد أبي بكر الصديق ديناراً واحداً على الفرد القادر ، ولما ولي عمر بن الخطاب جعلها حسب الطاقة ، ولذلك قسم أهل الذمة في عهده إلى ثلاث طبقات ، تدفع الطبقة العليا منهم أربعة دنانير ، والطبقة الوسطى دينارين ، والطبقة الدنيا ديناراً واحداً [٤] . وعندما ظهر الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين في صعدة باليمن ، ومد نفوذه إلى بلاد نجران وغيرها ، وجد أن حكاماً سبقوه قد تعسفوا في فرض الجزية على الذميين ، ولم يلتزموا بالقواعد

---

(١) انظر نص كتاب الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ لهم في الفصل الثاني من هذا الكتاب . وللمزيد انظر أبو يوسف ، ص٧٣ ، ابن سلام ، ١٤٣ ، ٢٧٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٣٢١ – ٣٢٢ .

(٢) أبو يوسف ، ص ٧٣ ، للمزيد انظر ابن سلام ، ص ٢٧٤ –٢٧٥ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ –٧٨ ، الطبري ، جـ ٤ ، ص ١١٠ .

(٣) وقد خرج نصارى نجران في عهد عمر بن الخطاب حتى استقروا في بلاد الشام ، والكوفة . فأما الذين استقروا بالكوفة فقد نزلوا بموطن معين هناك واطلقوا عليه اسم " النجرانية " نسبة إليهم . وقاموا بتنظيم أنفسهم فجعلوا عليهم أميراً يطيعون أوامره ويسمعون كلامه ، وكانت الجزية المفروضة عليهم تجمع عند هذا الأمير ثم ترسل إلى عامل الكوفة ولم يقتصر سلطانه على نصارى الكوفة فقط بل كان أيضاً يبعث رسله إلى نصارى نجران الموجودين بالشام ليجبي ما يفرض عليهم من الجزية وغيرها . انظر أبو يوسف ، ص ٧٣ – ٧٥ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٥ – ٧٩ ، ابن سلام ، ص ٢٧٤ – ٢٧٦ ، ومع أن المصادر الإسلامية المبكرة لا تذكر أي شيء عن النصارى في بلاد نجران منذ زمن إخراجهم في عهد عمر بن الخطاب ، ولكنها تورد بعض التفصيلات عن حياتهم في بلاد النجرانية بالكوفة ، ولهذا ارتئينا أن نورد ملحقاً في نهاية هذا الكتاب تحت رقم (٥) وبه بعض المعلومات عن تاريخهم في الكوفة خلال القرون الإسلامية الاولى ، أما نصارى نجران في بلاد الشام فلا نجد لهم ذكراً في المصادر الإسلامية الاولى .

(٤) للمزيد انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ١٣١ .

التـــي حددها عمر بن الخطاب ، وبالقدر الذي فرضه ، لذلك أمر بإعادة الجزية إلـــى ما كانت عليه فـــي عهد عمر بن الخطاب ، وأعفى مـــن أدائها كل مـــن يقل دخله عن خمسة دنانير سنوياً [١] .

وكان الرسول ﷺ قد أورد بعض التفصيلات ، تجاه أهل الذمة في كتابه السالف الذي أرسله لعمرو بن حزم والي نجران فقال " ... **وأنه مَنْ أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودانَ دين الإسلام فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهمْ وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيّته أو يهوديّته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى كلّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ أو عَرْضه ثياباً ، فمن أدى ذلك ، فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله ، ومَن منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ورسوله وللمؤمنين جميعاً** " [٢] .

٣- الخراج :

الخراج وهو مقدار معين من المال أو الحاصلات يفرض على الأرض التي فتحها المسلمون عنوة ، وعدل الخليفة عن تقسيمها بين المحاربين ، ووقفها على مصالح المسلمين ، كما يؤخذ أيضاً من الأرض التي فتحها المسلمون صلحاً ، وتركوها في يد أهلها على أن يؤدوا خراجها [٣] . وفرض الخراج على أرض اليمن وبلاد نجران والسروات التي بقيت في أيدي أصحابها من أهل الذمة فيقول القاضي أبو يوسف في رسالته إلى الخليفة الرشيد " **وأما أرض الحجاز ومكة**

---

(١) العلوي ، سيرة ، ص ٤٧ ، للمزيد انظر البلاذري ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ الفقي ، ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٢) للمزيد انظر أبو يوسف ، ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ ،ابن سـلام ، ص ٢٧٢ ومـا بعـدها الطبري جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ – ٤٧٤ ، الخزرجي ، ص ٤٧ .

(٣) ابن آدم ، ص ٢٤ ، وما بعدها ، الرفاعي ، ص١٧١ ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٣٧ ، اليوزبكي ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، الصالح ، ص ٣٥٩ – ٣٦٠ .

والمدينة ، وأرض اليمن ، وأرض العرب التي افتتحها رسول الله ﷺ فلا يزاد عليها ولا ينقص منها ، لأنه شيء قد جرى عليه أمر رسول الله ﷺ وحكمه " [(١)] . وقد جعل الرسول ﷺ على اليمانية والنجرانيين والسرويين المسلمين العشر أو نصف العشر طبقاً ليسر موارد الري أو عشرها [(٢)]. وكل أرض نجرانية أو يمانية أو سروية أو تهامية غير عامرة وليست لأحد ، ولا في يد أحد ، ولا ملك أحد ، ولا عليها أثر عمارة ، فأقطعها الإمام رجلاً فعمرها، فإن كانت في أرض الخراج أدى عنها الذي أقطعها الخراج ، وإن كانت من أرض العشر أدى عنها الذي أقطعها العشر ، وأي أرض أسلم عليها أهلها فهي أرض عشرية ، ويقول عن ذلك القاضي أبو يوسف : " **كل أرض أسلم عليها أهلها فهي أرض عشرية ، وأرض الحجاز والمدينة ومكة واليمن وأرض العرب كلها أرض عشر** " [(٣)] .

وبذلك فإن كل أرض من أراضي العرب كالبلاد النجرانية مثلاً ، وأسلم عليها أهلها فهي لهم ، وهي أرض عشرية ، وكذلك كل من لا تقبل منه الجزية ، ولا يقبل منه إلاّ الإسلام ، أو القتل من عبدة الأوثان من العرب ، فأرضهم أرض عشرية أيضاً ، ويشير القاضي أبو يوسف في رسالته للخليفة الرشيد [(٤)] ، ويذكر الفرق بين أرض العرب وغير العرب مثل العجم فيقول : " **وأرض العرب مخالفة لأرض العجم من قبل أن العرب إنما يقاتلون عن الإسلام لا تقبل منهم الجزية ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام ،**

---

(١) أبو يوسف ، ص ٥٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ – ٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٩ – ٦٠ .

(٤) المصدر نفسه ص ٦٦ .

فإن عفي لهم عن بلادهم فهي أرض عشر ، وإن قسمها الإمام ولم يدعها لهم فهي أرض عشر ، وليس يشبه الحكم في العرب الحكم في العجم ، لأن العجم يقاتلون على الإسلام وعلى إعطاء الجزية ، والعرب لا يقاتلون إلا على الإسلام فإما أن يسلموا وأما أن يقتلوا ، ولا نعلم أن رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه ولا أحداً من الخلفاء من بعده أخذوا من عبدة الأوثان من العرب جزية ، وإنما هو الإسلام أو القتل ... فأما أهل الكتاب من العرب فهم بمنزلة الأعاجم تقبل منهم الجزية ، كما وضع رسول الله ﷺ على كل حالم ديناراً أو عدله معافرياً من أهل اليمن ، فهذ ا عندنا كأهل الكتاب ، وكما صالح أهل نجران على فدية ، وأما العجم فتقبل الجزية من أهل الكتاب منهم والمشركين وعبدة الأوثان ... "[1] .

ويذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل يعلى بن أمية إلى بلاد نجران وأمره أن يقاسم أهلها على الثلث والثلثين ذكر القاضي أبو يوسف نقلاً عن بعض الرواة أنهم قالوا عن يعلى بن أمية انه قال : " **لما بعثني عمر بن الخطاب ﷺ على خراج أرض نجران – يعني نجران التي قرب اليمن – كتب إلى أن أنظر كل أرض جلا أهلها عنها ، فما كان من أرض بيضاء تسقى سيحاً أو تسقيها السماء ، فما كان فيها من نخيل أو شجر فأدفعه إليهم يقومون عليه ويسقونه فما أخرج الله من شيء فلعمر وللمسلمين منه الثلثان ولهم الثلث ، وما كان منها يسقى بغرب فلهم الثلثان ولعمر وللمسلمين الثلث وأدفع إليهم ما كان من أرض بيضاء يزرعونها فما**

---

(١) أبو يوسف ، ص ٦٦ – ٦٧ ، للمزيد انظر ابن سلام ، ص ٧٢٠ وما بعدها ، ابن آدم ، ص ١٧١– ١٧٣ ، الماوردي الأحكام ، ص ٢٥٣ – ٢٧١ .

كان يسقى سيحاً أو تسقيه السماء فلهم الثلث ولعمر وللمسلمين الثلثان ، وما كان من أرض بيضاء تسقى بغرب فلهم الثلثان ولعمر وللمسلمين الثلث)) (١) .

ويذكر أن بعض الولاة في العصر الأموي وربما في العصر العباسي لم يلتزم بالقواعد الشرعية للمعاملة المالية في بلاد الحجاز ، والسروات واليمن ، من ذلك الحجاج بن يوسف الثقفي عندما ولاه عبد الملك بن مروان معظم شبه الجزيرة العربية وعين أخاه محمد بن يوسف الثقفي على بلاد اليمن وأجزاء من بلاد تهامة والسروات، فسعى إلى إساءة السيرة ، وأخذ ارضاً بتهامة لنفسه وقرر على أهل تلك النواحي خراجاً ، أي جعلها خراجية لا عشرية ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى عامله هناك يستنكر ما قام به محمد بن يوسف الثقفي من قبل ، ويأمره بالتزام القواعد الشرعية في المعاملات المالية لأهل اليمن ومن حولهم ، ومما جاء في خطابه ((**فدع ما أنكرت ، وخذ ما عرفت من الحق ... فإن الله يعلم أنك إن لم تحمل إلي من اليمن إلا حفنة من كتم (حنة) أحب إلي من إقرار هذه الوظيفة ، فإني بذلك مسرور إذا كان ذلك موافقاً))** (٢) .

ولما كانت مصارف الزكاة والصدقات محددة في القرآن الكريم ، ولمواجهة النفقات المتزايدة ، عمد الحكام لفرض أموال إضافية بحجة زيادة موارد الدولة المالية للصرف على مرافقها ودفع أرزاق الجند والعاملين بدواوينها المختلفة ، ومن هنا فرضت على الأراضي اليمنية وغيرها من بلاد نجران وتهامة والسراة في عصور مختلفة أموالاً أو ضرائب تزيد عما حدده الرسول ﷺ وجعلوها وظيفة على أهلها . وظل الأمر على ذلك حتى ظهر الإمام الهادي إلى الحق في صعدة وأقام دولته

---

(١) أبو يوسف ، ص ٧٥ ، وللمزيد انظر ابن رجب ، الاستخراج ، ص ٢٣ .

(٢) البلاذري ، فتوح ، ص ٨٤ الفقي ، ٢٣٧ – ٢٣٨ وللمزيد عما يجب أن يتصف بع العمال وجباة الزكاة والجزية والخراج ، انظر أبو يوسف ، ص ١٠٧ وما بعدها .

الزيدية هناك ، ومد نفوذه إلى صنعاء ونجران وغيرها من النواحي في بلاد اليمن ، ثم سعى إلى تجديد السنّة المحمدية [(١)] ، فأمر ولاته بأخذ العشر كاملاً من الزرع الذي يسقى سيحاً أو بماء السماء ، وما يسقى بالدوالي نصف العشر ، وأما أصحاب الضياع من اليهود والنصارى ، فمن كان في يده قديماً بالوراثة عن آبائه وأجداده ، ولم يشتروا من أموال المسلمين شيئاً فليس لنا عليه سبيل ، ومن اشترى منهم من المسلمين ، فالحكم فيه أن يرده على المسلمين ، ويؤخذ ثمنه ، لأنه لو أطلقت أيديهم في شراء أموال المسلمين لبطلت أعشار المسلمين وأموالهم [(٢)] .

وقد وجد الإمام الهادي أثناء ذهابه إلى نجران واستيلائه عليها لبعض الوقت أن الذميين بها [(٣)] قد اشتروا أرضاً من المسلمين فملكوها وبمساحات شاسعة ، وبذلك أصبح لا عشر عليها بعكس ما كان الحال حينما كان يمتلكها المسلمون لأنه لا زكاة على الذميين ، وبذلك انكسر على المسلمين جزء من مال الزكاة الذي كان ينفق على المحتاجين ، وحلاً لهذه المشكلة ، وجد من الصعب إعادة هذه الأرض إلى المسلمين لتعذر معرفة من كان يمتلكها قديماً ، وورثته ، فعقد اتفاقاً مع أهل الذمة بمقتضاه يمتلك أهل الذمة ما شاءوا من الأراضين [(٤)] ، ويقيمون على ما أرادوا من أموال المسلمين في مقابل أن يؤدوا التسع فيما سقي

---

(١) المذهب الزيدي يعد من أقرب المذاهب إلى مذهب أهل السنة، وللمزيد عن هذا المذهب انظر، شرف الدين، تاريخ الفكر ، ص٥٩ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٧٩ وما بعدها ، الجرافي ، ص ١٦٧ وما بعدها .

(٢) العلوي ، سيرة ، ص ٤٨ .

(٣) وهذا مما يدل على أن بعض اليهود والنصارى قد عادوا إلى نجران بعد أن اخرجهم الخليفة عمر بن الخطاب ، وربما حدث ذلك أثناء ضعف الخلافة الإسلامية ، وخاصة في العصر العباسي الثاني وما بعده .

(٤) انظر نص هذا الاتفاق في الملحق رقم (٨) بهذا الكتاب .

سيحاً أو بماء السماء ، ونصف التسع فيما سقي بالدوالي أو بصعوبة وجهد ، وأجاز لهم بذلك شراء ما أحيوا من ممتلكات المسلمين الزراعية [١] .

أما قيمة خراج الأرض الزراعية المتحصل من نجران ، فمما لاشك فيه أنه كان عظيماً بما يتناسب ورقعة الأرض الزراعية آنذاك ، رغم صمت المصادرعن تحديد مقداره السنوي وبحكم شهرة المناطق اليمنية ، والنجرانية ، والسروية ، والتهامية، كمناطق زراعية ، واعتماد معظم أهلها اقتصادياً على الزراعة رغم هذا الصمت إلا أننا يمكن القول بعدم ثبات قيمة الخراج وتغيرها من فترة إلى أخرى نتيجة عدة عوامل رئيسة منها :

أ - عدم ثبات الرقعة الزراعية وتذبذبها بين الزيادة والنقصان تبعاً للظروف السياسية التي تلم بأرض نجران من صراعات وحروب داخلية ، وبين التعرض للآفات الزراعية والجفاف وغير ذلك مما يؤثر على إنتاجية الأرض ، وبالتالي على قيمة الخراج المتحصل .

ب - كذلك يتأثر الخراج عادة بالمسامحات الضريبية التي يمنحها أحياناً الحكام لبعض المزارعين لا سيما من أصحاب المساحات الواسعة ، مما ينقص من إجمالي الخراج المتحصل رغبة منهم أحياناً في التخفيف عن الرعية .

جـ - تنازل المسلمين بالبيع عن بعض أراضيهم للذميين .

د - كذلك يتأثر المتحصل من الخراج بنوع الذراع المستخدم في قياس الأرض الزراعية لمعرفة مساحاتها وبالتالي تقدير قيمة الخراج المستحق عنها حيث إن وحدة القياس التي كانت مستخدمة لم تكن متساوية الطول على الدوام

---

(١) البلادي ، ص ٢٤٣ ، كما انظر ملحق رقم (٨) في نهاية هذا الكتاب ، وللمزيد من التفصيلات عن الطرق الشرعية لمعاملة أهل الذمة فيما يتعلق بأموالهم وعقاراتهم وجزيتهم انظر ابو يوسف ، ص ١٢٠وما بعدها . حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٣٧ - ٢٥٩ .

بل كانت تختلف من عصر لآخر ، وبالتالي كان ذلــك يــؤثر بالزيــادة والنقص على مقدار الخراج المتحصل .

هـ – وتتأثر قيمة الخراج أيضاً بنوع العملة المستخدمة في تسديد القيمة المطلوبة من المزارعين فإذا كانت قيمة الدرهم أو الدينار المحدد للتسديد عاليــة ، يضر ذلك بالرعية ضرراً عظيماً حتى يعجز بعضهم عن التسديد.

و – كان الخراج عادة يقدر على حكم سعر المحصولات الزراعية في نهاية العــام السابق وهو نهاية السنة الهلالية المستخدمة في تحصيل الخــراج ، ويرجــع السبب في ذلك إلى أن محاصيل السنة الخراجية لا تكون قد نضجت بعد ، وكان ذلك يؤدي إلى الظلم والإجحاف بالمزارعين لأن المحاصيل تكــون عادة فيما بين الموسمين شحيحة وبالتالي يرتفع سعرها فيقدر الخراج علــى هذا السعر المرتفع فتظلم الرعية ، ولكن قيمة الخراج المتحصل تزيد ، ثم تنخفض الأسعار بعد نضج المحاصيل وطرحها في الأسواق مما يزيد مــن خسارة المزارعين .

٤ - عشور التجارة :

الأصل فــي عشور التجارة هــو مقدار الضريبة المفروضة على أمــوال أهل الذمة المعدة للتجارة والمنقولة من دار الحرب إلى الإسلام وبــالعكس ، ويزيد هذا المقدار وينقص بناءً على قاعدة المعاملة بالمثل ، ويــذكر أن أول مــن فرضها في الإسلام هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ ، إذ كتب إليه أبــو موسى قائلاً : ((**إن تجاراً من قبلنا مــن المــسلمين يــأتون أرض الحــرب**

فيأخذون منهم العشر)) [١] . فكتب إليه عمر بن الخطاب قائلاً : " **خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كل أربعين درهماً درهماً، وليس فيما دون المائتين شيء ، فإذا كانت مائتين ففيهما خمسة دراهم ، وما زاد فبحسابه** " [٢] . ومن هذا يتضح أن العشور التجارية نظام مالي إسلامي صار مطبقاً في شتى الأمصار الإسلامية ومن بينها نجران منذ عهد عمر بن الخطاب . والأموال الخاضعة لضرائب التجارة تشمل جميع عروض التجارة من حبوب وحيوانات وثياب وأمتعة وأطعمة ، وكذلك الذهب والفضة نقوداً كانت أو معدناً أو غيرها [٣] . وقد حدد عمر بن الخطاب الضرائب المفروضة على التجارة وأمر العاشر أن ((**يأخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر))** [٤] ، ثم يورد أبو يوسف قوله : " **ويعشر الذمي من أهل نجران كسائر أهل الذمة من أهل الكتاب في أخذ نصف العشر منهم** " [٥] ، وهذه قاعدة شرعية عامة كانت تطبق على جميع التجار الذميين في الدولة الإسلامية ، أما المسلم فيؤخذ منه ربع العشر كما ورد معنا .

ويشترط في المال الخاضع لضريبة العشر أن يبلغ النصاب ، وأن يكون معدأ للتجارة ، واختلف في تحديد نصاب المال وهو يتراوح بين (١٠ – ٢٠) ، ولا تجب ضريبة العشر على الذمي والمسلم إذا انتقل بتجارته من بلد إلى آخر بدار الإسلام [٦] ، وتستوفى ضريبة العشر من الذمي والمسلم والحربي مرة واحدة في السنة مهما تكررت مرات التجارة [٧] ، فإذا ازداد المال أخذ من الزيادة

---

(١) ابو يوسف ، ص ١٣٥ ، للمزيد انظر ، الرفاعي ، ص ١٨٠ – ١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه ، وللمزيد انظر ابن آدم ، ص ١٧٢ – ١٧٣ .

(٣) ابو يوسف ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٤) ابو يوسف، ص ١٣٥، وللمزيد انظر، ابن سلام، ص ٧١٥ – ٧٢٠، ابن ادم، ص ١٧٢ – ١٧٣، ابن القيم ، أحكام ، ص ١٦٦ .

(٥) ابو يوسف ، ١٣٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ١٣٣ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ابن سلام ، ص ٧١٢ .

وحدها لأنها لم تعشر [١] ، ويعفى الذمي من ضريبة العشر إذا كان عليه دين بقدر ما معه ، أو ينقص عن النصاب فيمنع أخذ العشر منه ولا يقبل منه إلا ببينة من المسلمين [٢] ، ويعفى أيضاً من ضريبة التجارة كل من دخل بميرة والناس إليها بحاجة ليكثروها على المسلمين ، ويعفى العبيد من ضريبة التجارة على البضاعة إن كانت ملكاً له [٣] .

أما العشور على تجارة الخمور والخنازير فاختلف الفقهاء في جبايتها فمنهم من فرضها على الخمور دون الخنازير ، ومنهم من فرضها على الاثنين معاً ، أما الضريبة على تجارة العبيد فكانت تبلغ عشرة دراهم على كل فرد ، وعلى الخيل ثمانية دراهم [٤] .

ب - الموارد غير الشرعية :

وهي الضرائب والمكوس المختلفة التي استحدثتها النظم الحاكمة ولا سيما في العصرين الأموي والعباسي إلى جانب العشور وغيرها من الموارد المالية الشرعية للوفاء بمتطلباتها من الأموال ، وأمرت ولاتها وعمال الصدقات أو الجزية أو الخراج بتحصيلها فلم يتورعوا عن إثقال كواهل السكان بتحصيلها والشدة في جبايتها متجاوزين بذلك أوامر الشرع التي أقرها في هذه الأبواب [٥] ، علاوة على تجاوزاتهم هم شخصياً بالوقوع في الخطأ الشرعي بفرض بعض مطالبهم على الرعية ، وقد

---

(١) ابن سلام ، ص ٧١٧ ، ٧١٨ ، ابن القيم ، الأحكام ، ص ١٦١ ، الرفاعي ، ص ١٨٠ – ١٨٣ .

(٢) ابن القيم ، احكام ، ص ١٦٥ .

(٣) أبو يوسف ، ص ١٣٧ ، ابن القيم ، أحكام ، ص ١٦٧ ، اليوزبكي ، ص ١٣١ .

(٤) انظر أبو يوسف ، ص ١٣٣ ، اليوزبكي ، ص ١٣١ ، وللمزيد ، انظر ، ابن سلام ، ص ٧١٠ وما بعدها ، ابن آدم ، ص ١٧٠ – ١٧٣ .

(٥) انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٨٤ ، الفقي ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

أورد لنا القاضي أبو يوسف في كتابه الخراج بعض الأمثلة على تلك التجاوزات الضرائبية التي فرضها الجباة - ظلماً وقسراً – على الرعية في مختلف الأمصار الإسلامية ، وطلب من الشعب الامتناع عن تأديتها [١] ، مما يدل أن بعض جباة الضرائب والملتزمين استغلوا مناصبهم وفرضوها على الناس فنبه أبو يوسف على أنه لا يطلب من دافعي الخراج إطعام جامعي الضرائب ، أو دفع أجور الكيل ، ولا إضافات في مقدار الضريبة في السنين الخصبة ذات المحصول الممتاز ، ولا أجور الحمل ، أو أثمان القراطيس التي تسجل فيها الواردات وتعليمات الحكومة ، ولا أجور المراسلات ، ولا أجور الأشخاص الذين يتنقلون بين مركز الولاية والقرى النائية [٢] .

وحض أبو يوسف أيضاً الناس على عدم السكوت أمام ظلم جامعي الضرائب وسوء معاملتهم ، وذكر عدة دلائل على قسوة هؤلاء الجباة فمنهم من أوقفوا الفلاحين أياماً في الشمس على أبوابهم بانتظار دورهم في الدفع ، أو ضربوا الفلاحين بقسوة . ثم يقول و " **قد بلغني أنه قد يكون في حاشية العامل أو الوالي جماعة منهم من له به حرمة ، ومنهم من له إليه وسيلة ، ليسوا بأبرار ولا صالحين ، ويستعين بهم ويوجههم في أعماله يقضي بذلك الذمامات ، فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينصفون من يعاملونه ، إنما مذهبهم أخذ شيء من أموال الرعية، ثم إنهم يأخذون ذلك فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدي** " [٣]، ويقترح أبو يوسف على الرشيد أن يشدد الرقابة على جباة الزكاة والخراج والجزية ، بل يحث من يقع عليه عسف وظلم أن يتقدم بشكواه إلى والي المسلمين كي ينصف مما وقع عليه من الظلم والجور [٤] .

---

(١) أبو يوسف ، ص ١٠٥ – ١١٩ .
(٢) أبو يوسف ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .
(٣) أبو يوسف ، ص ١٠٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٠ – ١١١ .

وقد استحدثت مجموعة من الضرائب الإضافية وتم فرضها وتحصيلها من التجار سواء كانت من المسلمين أو أهل الذمة ، بل وعلى بعض السلع والتجارات التي كانت يتم تناقلها بين البلدان [١] ، رغم عدم استناد تلك المكوس على نصوص شرعية تدل على وجوب فرضها ، وإنما ذلك يعود إلى عدة أسباب منها :

١ - جور بعض الولاة أو العاشرين أو الجباة الذين يقومون بجمع تلك الضرائب ، فبدلاً من تطبيق القواعد الفقهية المعروفة على عشر المسلم ، أو الذمي ، أو الحربي فإنهم يتجاوزون ذلك ويجبرون التجار على دفع أكثر مما يجب عليهم ، وهذا يعد من المكوس [٢] ، ومن يقوم بهذا العمل ربما يعود ذلك إلى الجشع والطمع الذي يتصف به من يتولى هذه الوظيفة ، وربما يعود إلى الجهل بأمور الدين وما يجب عمله من منطلق شرعي ، وأحياناً الظروف السياسية وإجحاف بعض الخلفاء والولاة وبعدهم عن سلوك المنهج القويم في إدارة سياسة البلاد تجعلهم يوجهون أمراءهم وعمال الزكاة والخراج والجزية أو عاشري التجار على الحصول على الأموال بمضاعفة جلبها من الرعية سواء كانوا مسلمين أو ذميين .

٢ - اتساع رقعة الدولة الإسلامية ، ثم ضعف قبضة الخلافة عليها ، وظهور انقسامات سياسية وعقدية وفكرية في العالم الإسلامي ، كل هذا شجع إلى تنامي الظلم في شتى مناحي الحياة ، والموارد المالية من أهم الأسس التي يتهافت الناس على جمعها ، وبالتالي فلم يتورع كثير من الولاة وموظفي الدولة أمثال الأمراء وعمال الزكاة والخراج والجزية وغيرهم من الوقوع في محضورات شرعية بقصد أو بدون قصد بهدف جمع المال .

---

(١) المصدر نفسه ، انظر المقدسي ، أحسن ، ص ١٠٤ ، الزيلعي ، ص ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

وإن كنا لا نجد معلومات صريحة عن نجران وسير الأوضاع المالية بين سكانها ، إلا أنها لا تخرج من القاعدة العامة التي لاحظناها في جمع الموارد الشرعية وغير الشرعية ، وبخاصة أنها جزء لا يتجزأ من الدولة الإسلامية منذ عهد الرسول ﷺ حتى نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، وإن كانت في عصر الدولتين الأموية والعباسية أصبحت جزءاً تابعاً لوالي مكة والطائف الذي كان يرسل من ينيب عنه تسيير الأمور في نجران .

وقد تعددت طرق جمع الموارد المالية في نجران . ففي عهد الرسول ﷺ نجده كان يرسل من قبله من يقوم بجمع صدقات وجزية أهل نجران كما فعل مع علي ابن أبي طالب ﷺ وغيره من الصحابة ﷺ [١] ، وأحياناً كان يرسل والياً على نجران ، لكنه يرسل والياً آخر على جمع أموال الزكاة ، كما سلك مع عمرو بن حزم الذي ولي أمر نجران ، لكن أبا سفيان كان على أموال الصدقة [٢] . وقد استمر هذا الأمر في عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن مع توسع رقعة الدولة الإسلامية صار الوالي هو الذي يعين من قبله من يقوم بجمع أموال الصدقات وعشور التجارة وغيرها ، وقد نبه القاضي أبو يوسف الخليفة الرشيد على أنه يجب أن يختار الولاة الذين يتصفون بالعدل والإنصاف والعلم بالعلوم الفقهية الشرعية حتى يسيروا في الناس بالعدل والاستقامة [٣] ، كما نصحه إلا يولي الزكاة (الصدقة) عمال الخراج، لأن مال الصدقة ينبغي أن لا يدخل في مال الخراج ، لأن الخراج فيء للمسلمين عامة ، أما الصدقة فلا تصرف إلا في مصارفها الشرعية التي أوضحها القرآن الكريم [٤] .

---

(١) الطبري ، ص جـ٣ ، ص ١٤٧ ، للمزيد انظر ، البلاذري ، فتوح، ص ٨٠، للمؤلف نفسه ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) أبو يوسف ، ص ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٩ ، وعن الشروط الواجبة في عامل الصدقات ، انظر الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٨٠ ، وللمزيد عن تعسف بعض الولاة في جباية الصدقات والجزية والخراج وغيرها ، انظر ، أبو يوسف ، ص ١٠٦ وما بعدها ، البسوي ، جـ ١ ، ص ٥٠٥ – ٥٠٦ .

أما عن قيمة المتحصلات من المكوس والضرائب في نجران ، فلم توضح لنا المصادر شيئاً عن ذلك ، ومن ثم يمكن القول بأن هذه القيمة زيادة ونقصان يتوقف على مدى ازدهار الحركة الاقتصادية بصفة عامة ، كما كانت تتأثر بأمانة وعدالة الولاة والموظفين والمسؤولين عن جبايتها لتحكمهم في تقدير ثمن البضائع التي تقدر على أساسها الرسوم المستحقة ، فأحياناً يوقعون الظلم على الرعية في ثمن ما لديهم من متاجر ، وبالتالي يحدث الاجحاف في تقدير الرسوم المستحقة عليه .

٢ - المصروفات (النفقات) :

تعددت المصارف المالية للدولة الإسلامية وتنوعت أوجه الإنفاق ، فكان لكل نوع من الموارد الإسلامية أوجه صرفها المحددة فالصدقة أو الزكاة التي تؤخذ على الزروع والثمار والمعادن وعشور الأموال التجارية من المسلمين (أي ربع العشر) كانت تصرف وفقاً لما حدده القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (١) . أما مصروفات الدولة المتعددة فكان يتم تدبير مواردها من الفيء أو من الأموال الموظفة على الأراضي الزراعية (الخراج) وعشور التجارة لغير المسلمين ، والجزية وغيرها من المكوس والضرائب التي شرحناها سلفاً ، أما أوجه صرف الأموال فكانت متعددة منها نفقات للخليفة ، ورواتب للقضاة والولاة والعمال وغيرهم من الموظفين

---

(١) سورة التوبة آية (٦٠) ، كما بين القرآن أيضاً اوجه صرف الموارد المالية من الغنيمة والفيء وعلى من يتم توزيعها ، انظر الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٢٦ وما بعدها .

وأعطيات الجند والإنفاقات الحربية المتنوعة وتأمين المعدات الحربية ، وكرى الأنهار وإصلاح مجاريها ، وحفر الترع والآبار وإقامة الجسور ، وإطعام المسجونين والأسرى ، ودفن من يموت منهم وإقامة المصحات العلاجية ، وإنشاء العقود والدور والمساجد وغير ذلك [١] .

ويعود تنظيم العطاء ، وهو أحد أوجه نفقات الدولة الرئيسة إلى عصر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ الذي استهدف به مصلحة المجتمع الإسلامي العامة الدائمة، دون مصلحة المقاتلين الذين حصلوا على الغنائم أو ساهموا بالجهاد [٢] ، فأمر بتوزيع واردات المقاطعات التي تم ضمها للإمبراطورية الإسلامية الغنية في عهده على كافة المقاتلة سواء من ساهم بالقتال ، أو من كان مستعداً للمشاركة في المعارك المقبلة ، وفي المصادر العربية تفاصيل وافية عن الأسس التي أتبعها عمر في توزيع العطاء في المدينة المنورة ، وفي بقية المدن والأمصار الأخرى [٣] . ففي عاصمة المسلمين جعل عطاء الناس بحسب أسبقيتهم للإسلام ، فمن أسلم قبل بدر كان عطاؤه أكبر ممن أسلم بعد بدر ، وهذا عطاؤه أكثر من عطاء من أسلم بعد الحديبية [٤] ، ويروى أن أحد المسلمين انتقد يوماً عمر بن الخطاب حين وزع جميع ما ورد على بيت المال فقال له : ((**يا أمير المؤمنين ، لو تركت في بيوت الأموال عدة، فقال عمر: كلمة ألقاها الشيطان على فيك، وقاني الله شرها،**

---

(١) للمزيد انظر ، أبو يوسف ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ابن بكار ، جمهرة ، ص ٣٤٥ – ٣٥٦ ، ٤٠٣ ، الكندي ، ص ٣١٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦٩ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ٥ ص ١٧٧ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٦ ، ص ٩٦ ، النويري ، نهاية ، جـ ٤ ، ص ١٧ ، الرفاعي ، ص ١٨٤ ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٦٣ – ٢٦٦ ، شمسان ، ص ٢١٢ ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ ، جـ ١ ، ص ٧٩ – ١١٧ .

(٢) أبو يوسف ، ص ٤٢ ، العلي ، " العطاء في الحجاز ... " ص ٣٧ وما بعدها ، Tritton, pp 170 ff حسن إبراهيم ، النظيم ، ص ٢٦٣ .

(٣) أبو يوسف ، ص ٤٢ – ٤٧ ، للمزيد انظر ، العلي " العطاء ... " ص ٣٧ وما بعدها .

(٤) للمزيد ، انظر أبو يوسف ، ص ٤٢ – ٤٧ .

وهي فتنة لمن بعدي)) (١) ، وبالفعل فإن من جاء بعد عمر من خلفاء بنـــي أمية وبنـــي العباس لم يتصرفوا بموارد بيت المال ، بل احتفظوا دائماً بمبالغ ضخمة للنوائب وما تخبئه الأيام (٢) .

والغريب أن بعض الخلفاء كانوا يزيدون عطاء الناس يوم توليهم الحكم ، أو عند استنفارهم لأمر جلل ، ولمدة واحدة ، والهدايا والخلع التي اعتادوا إطلاقها لرجالهم فكانت بمثابة مكافآت تشجيعية أو تقديرية أو كسباً لعطف العامة وولائها ، وقد فعل ذلك عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ وابنه يزيد ، ثم قلدهم من جاء بعدهم من خلفاء المسلمين ، وكان علـــى أهل العطاء مقابل ذلك تجهيز أنفسهم بالسلاح والذهاب للقتال (٣) .

كذلك كان الخلفاء يطلقون بعض الإطلاقات لا سيما على كبار رجالات الدولة وأهل العلم والأدب من الخيل والثياب وغيرها من الخلع في مختلف الأعياد والمناسبات . ومن أوجه المصروفات أيضاً النفقات الخاصة بالخلفاء وما تحتاجه دور الخلافة من أموال متزايدة لمواجهة الأسمطة التي يمدونها والولائم والحفلات المختلفة والمراكب التي اعتادوا – لا سيما في العصر العباسي – إقامتها في مختلف المناسبات والصدقات التي دأب بعضهم على إطلاقها للفقراء . كل ذلك احتاج إلى أموال طائلة. كما يدخل في باب المصروفات أيضاً الهدايا التي اعتاد الخلفاء إرسالها لغيرهم من ملوك وأمراء الدول التي ارتبطوا معها بروابط وثيقة تكلفهم من النفقات الطائلة الشيء الكثير لما تشتمل عليه من نفائس التحف وطرائف الهدايا (٤) .

---

(١) الرفاعي ، ص ١٨٥ .

(٢) حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٦٣ وما بعدها .

(٣) الرفاعي ، ص ١٨٤ – ١٨٥ ، العلي " العطاء " ص ٤٠ وما بعدها Tritton , pp . 175 ff .

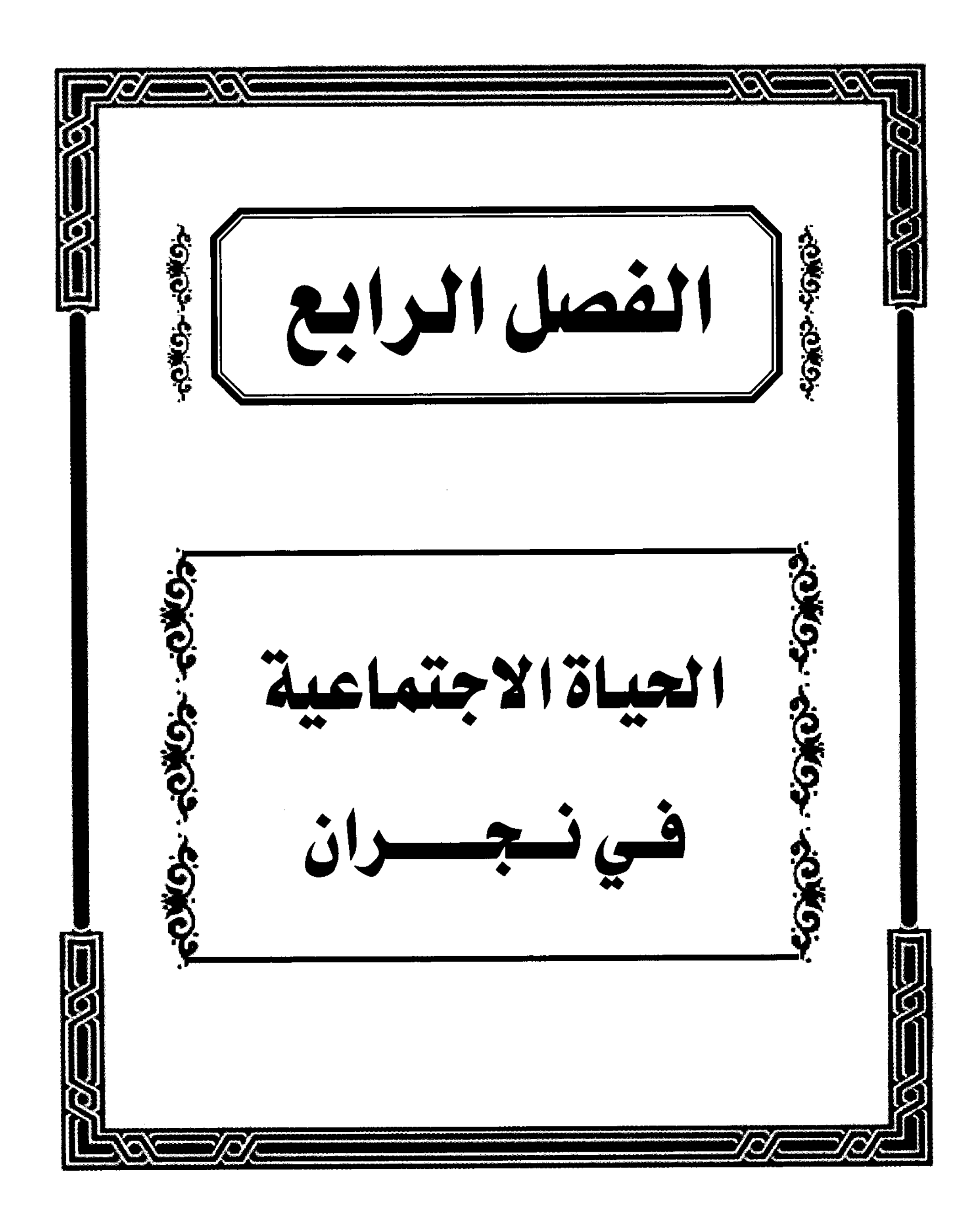
(٤) ابن سعد ، جـ ٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٨٠ ، ابن بكار ، جمهرة ، ص ١٢٩ ، ١٣٢ ، ٣٤٦ ، ٤٠٣ ، حسن إبراهيم ، النظم ، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ ، العلي " العطاء " ، ص ٤٧ وما بعدها .

وإذا ما نظرنا إلى الإنفاقات في بلاد نجران فهي ليست إلا جزءاً صغيراً من محيط الدولة الإسلامية في عصر الرسالة والخلافة الراشدة ، أو في العهدين الأموي والعباسي ، ومن يطالع أوضاع موظفي الدولة في اليمن أو الحجاز يجدهم كانوا ضمن منظومة موظفي الدولة الإسلامية ، ولهذا فإن عمال الخلافة الإسلامية في نجران كانوا بدون شك مثلهم مثل غيرهم يحصلون على رواتبهم وأرزاقهم من بيت مال المسلمين ، ولو أننا لا نجد معلومات دقيقة عن أسماء كثير منهم ، وعن مقادير أرزاقهم لكننا نجد أسماء ولاة وقضاة وعمال بريد وعمال للشرطة في صنعاء ومكة المكرمة والمدينة المنورة مع إيضاحات بسيطة لرواتب وأرزاق البعض منهم [١] . وهذا مما يدل على أن الولاة وموظفي الدولة في نجران كانوا يحصلون على رواتب وأرزاق من بيت مال المسلمين . أما النفقات على الخدمات العامة في نجران كحفر الآبار والترع ، وإصلاح الطرق وحراسة الأسواق ، والصرف على المساجين وغيرهم فللأسف الشديد لا تمدنا المصادر بمعلومات عن مقدار ما كان يصرف على ذلك ، وعدم وجود مثل هذه المعلومات لا يعني عدم وجودها وإنما القصور ناتج من الإهمال وعدم الاهتمام بتدوين تاريخ هذه المناطق النائية وعدم التفات مدوني التراث إليها وإلى ما دار فيها من وقائع سياسية وحضارية كثيرة ومتنوعة [٢] .

---

(١) انظر ابن سعد ، جـ ٥ ، ص ٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٨٠ ، المقدسي ، البدء جـ ٦ ، ص ٩٦ ، البلاذري ، انساب ، جـ ٥ ص ١٧٧ ، شمسان ، ص ٢١٢ ويذكر أبو يوسف في رسالته إلى الرشيد قوله : ((وسألت عن أي وجه تجري على القضاة والعمال الأرزاق ؟ فاجعل اعز الله امير المؤمنين بطاعته ما يجري على القضاة والولاة من بيت مال المسلمين ، من جباية الأرض ، أو من خراج الأرض والجزية لأنها في عمل المسلمين ، فيجري عليهم من بيت مالهم ، ويجري على كل والي مدينة وقاضيها بقدر ما يحتمل ، وكل رجل تصيّره في عمل المسلمين فاجر عليه من بيت مالهم ، ولا تجري على الولاة والقضاة من مال الصدقة شيئاً إلا والي الصدقة فانه يجري عليه منها كما قال تبارك وتعالى " والعاملين عليها)) ، فأما الزيادة في أرزاق القضاة والعمال والولاة والنقصان بما يجري عليهم فذلك اليك ... " أبو يوسف ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

(٢) انظر أبو يوسف ، ص ١٨٦ ، ابن بكار ، جمهرة ، ص ١٣٢ ، ٣٤٥ – ٣٤٦ .



الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية في نجـــران

أولاً : عناصر السكان

كان المجتمع في نجران يتألف في الفترة التاريخية (موضوع البحث) من عناصر سكانية متعددة تأتي القبائل العربية في مقدمتها حيث شكل أفرادها الغالبية العظمى من سكان نجران ، وإلى جانبهم استقرت عناصر سكانية أخرى منها الموالي ثم الرقيق الذين وجدوا في مجتمع نجران بأعداد كبيرة ، وكانوا يقومون ببعض الأعمال الاجتماعية والاقتصادية المختلفة ، وأخيراً عنصر أهل الذمة الذين عرفهم التاريخ الإسلامي في نجران ، وربما كانوا مكونين من جميع أجناس الطبقات الثلاث آنفة الذكر .

١ - القبائل العربية :

اعتادت كتب التراث الإسلامي على تقسيم العرب منذ العصور الجاهلية إلى أهل مدر وأهل وبر [١]، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى : **﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾** [٢]، ويُعلل ابن خلدون سبب اختلاف الناس في أحوالهم بقوله : ((**أن اختلاف الأجيال [البدو والحضر] من أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش**)) [٣] . وقد مثل العنصر

---

(١) ابن خلدون ، مقدمة ، ص ١٢٠ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) سورة التوبة ، آية (١٠١) .

(٣) ابن خلدون ، مقدمة ، ص١٢٠.

العربي في نجران السواد الأعظم من سكانها الأصليين ، فصاروا هم الركيزة الأولى في المجتمع النجراني خلال العصور الإسلامية المختلفة ، وقد استوطن بنجران – كما أسلفنا في الفصل الأول – عدد من القبائل العربية المختلفة منذ ما قبل الإسلام ، ولعل من أشهرها قبائل مذحج ، والأزد ، ويام الهمدانية ، والصيعر ، والنهديون ، وغيرهم ، وبقوا خلال العصور الإسلامية حتى يومنا الحاضر يمثلون الغالبية العظمى من السكان [١] ، وكانت كل قبيلة تضم عدداً من العشائر التي يشتمل كل منها على عدد من الأسر ، ولقد كانت الروابط بين أفراد الأسرة الواحدة أقوى من الروابط التي تربطها بالعشيرة ، كما أن الروابط بين أبناء العشيرة أقوى وأمتن من الروابط التي تجمع بين عشائر القبيلة الواحدة [٢] . وتنقسم القبيلة الكبرى إلى فروع تدعى : العمائر، والبطون، والأفخاذ، والعشائر، والفصائل ، والأحياء ، وكان لأفراد العشيرة الواحدة حقوق وواجبات مشتركة فيما بينهم كالمساهمة في دفع دية القتيل الخطأ الذي يرتكبه أحد أفراد العشيرة أو مواليها ، وكذلك التعاون فيما بين أفرادها على ما فيه مصلحة العشيرة [٣] .

والقبائل العربية في نجران وفي غيرها من شبه الجزيرة العربية كان يتولى أمر كل قبيلة أو عشيرة شيوخها وعلية القوم فيها ، فقد رأينا فيما سبق وفد نجران

---

(١) انظر الفصل الأول من هذا الكتاب . لا يزال يوجد حتى الآن عشائر وفخوذ عربية تعيش في بلاد نجران منذ العصر الجاهلي وغالبيتهم يعودون إلى الفرع القحطاني ، وربما بينهم من يعود أصله إلى الفرع العدناني . البلادي ، ص ٥٧ وما بعدها ، كما أن الباحث التقى بالعديد من أهالي نجران خلال عامي ١٤٢٣هـ / ١٤٢٤ هـ ، وسمع منهم اقوال عديدة تنم عن تعدد أسماء العشائر والقبائل في بلاد نجران .

(٢) ابن خلدون ، مقدمة ، ص ١٢٧ ، ١٣٦ ، ٣٧٧ .

(٣) للمزيد انظر النويرى ، نهاية ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ ، القلقشندي ، صبح ، جـ ١ ، ص ٣١٦ . وهذه العادة لا زالت موجودة عند معظم قبائل شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة في المملكة العربية السعودية ، وهناك مئات الوثائق المحلية بين أفراد العشائر تؤكد على طبيعة التكاتف والتعاون بين أفراد العشيرة الواحدة . ويوجد لدى الباحث العديد من الوثائق التي تصور هذا النشاط الاجتماعي بين القبائل والعشائر في جنوب البلاد السعودية . للمزيد انظر ابن جريس ، صفحات ، جـ ١ ، ص ٦٧ وما بعدها .

الذي ذهب مع خالد بن الوليد لمقابلة الرسول ﷺ في المدينة أنه كان مكونا من ستة أشخاص من عليتهم ، أمثال : قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان (ذي الغصة) ويزيد بن عبد المدان الحارثي وغيرهما [١] ، وكان ذهابهما إلى المدينة يهدف إلى تحقيق عدة أمور منها :

أ - إشهار إسلامهم أمام الرسول ﷺ وبذلك يكتسب إسلامهم الشرعية السياسية والدينية ، ويذكر أن غالبية أعضاء الوفد النجراني الذي اختارهم خالد بن الوليد لمقابلة الرسول الكريم ينتمون لبني الحارث بن كعب وهم من بني مذحج أصحاب السيادة على نجران منذ العصر الجاهلي وخلال القرون الأولى من العصر الإسلامي .

ب - رغبة الرسول ﷺ التعرف على ماهية سكان نجران ، وطباعهم ، وطريقة تفكيرهم ، ولكي يُعّلم زعماءهم شرائع الدين الإسلامي الصحيح أسوة بما فعله مع وفود العرب الأخرى [٢]، ثم يتخير بنفسه أصلحهم لكي يعينه أميراً عليهم بعد رجوعهم إلى بلادهم [٣] ، وذلك من منطلق حرص الرسول ﷺ على استقرار الأوضاع الإدارية والأمن الداخلي في تلك المناطق النائية عن حاضرة الدولة بما يضمن تبعيتها المستمرة للدولة الإسلامية ، وبالفعل نصب الرسول ﷺ على نجران قيس بن الحصين ليكون راعياً لزمام قبائلها وشيخاً لهم ، ولضمان الاستقرار والتبعية أرسل خلف ذلك الوفد عمرو بن حزم لتكون له الإمارة العامة على

(١) انظر ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ .

(٢) انظر تفصيلات أخرى عن وفود العرب التي قدمت على الرسول ﷺ في العامين التاسع والعاشر الهجريين، ابن سعد ، جـ١، ص٢٩١ وما بعدها، حميد الله ، ص٧٥ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات جـ ١ ، ص٢١-٥٤.

(٣) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص٢٤٠ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن كثير ، البداية ، مج٣ ، جـ ٥ ، ص ٨٩ .

أهل نجران ، وأرسل أبا عبيدة مع نصارى نجران ليفصل في قضاياهم ومسائل اختلافهم.

ومن خلال ما سبق ، نرى أن الإسلام قد رسخ قاعدة مسؤولية شيوخ القبائل على الأمن الداخلي في مناطقهم ، فظل أمراء القبائل وشيوخها وأعيانها يمثلون حلقة الوصل بين أفراد عشائرهم وقبائلهم ، وبين الدولة الإسلامية التي كان يسوس أمورها الرسول ﷺ . ونجد أن الرسول ﷺ كان يقر كل أمير أو شيخ عشيرة أسلم على ما هو عليه قبل إسلامه ، فلا يؤخذ ماله ، ولا تسحب منه رئاسته لعشائره ، ونلاحظ ذلك فيما احتفظت لنا به المصادر من نصوص عديدة في الرسائل التي أرسلها الرسول ﷺ إلى بعض عشائر نجران الحارثية فقد كتب ﷺ إلى يزيد بن المحجل الحارثي ((**أن لهم نمرة ومساقيها ، ووادي الرحمن من غابتها ، وأنه على قومه بني مالك وعقبه ، لا يغزون ولا يحشرون**))[1] ، وكتب لبني قنان بن يزيد من بلحارث ((**أن لهم مذوداً وسواقيه ، ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وفارقوا المشركين ، وأمنو ا السبيل ، وأشهدوا على إسلامهم**))[2] ، وكتب لذي الغصة في بني الحارث وبني نهد قائلاً ((**لقيس بن الحصين ذي الغصة ، أمانة لبني أبيه الحارث ولبني نهد ، أن لهم ذمة الله وذمة رسوله ، لا يحشرون ولا يعشرون ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وفارقوا المشركين ، واشهدوا على إسلامهم وأن في أموالهم حقاً للمسلمين**))[3] ، وكتب لبني قُرة من بني نهد قائلاً : ((**بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى محمد رسول الله بني قرة بن عبد الله بن أبي نجيح**

(١) حميد الله ، ص ١٧٠ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٧١ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٢ .

النهدي : أنه أعطاهم المظّلة كلها ، أرضها ، وماؤها ، وسهلها ، وجبلها ، حمى يرعون فيه مواشيهم)) [١] ، وكتب ليزيد بن الطفيل من بلحارث ((**أن له المضة كلها ، لا يُحاقه فيها أحد ما أقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وحارب المشركين))** [٢] ، وكتب لعبد يغوث بن وعلة الحارثي قائلاً : ((**أن له ما أسلم عليه من أرضها وأشائها – يعني نخلها – ما أقام الصلاة وآتى الزكاة ، وأعطى خمس المغانم في الغزو ، ولا عُشر ولا حشر، ومن تبعه من قومه))** [٣] ، وكتب ﷺ لرؤساء عشائر آخرين أمثال: بني الضباب من بني الحارث بن كعب[٤]، وبني قنان بن ثعلبة من بني الحارث [٥] وبني زياد بن الحارث الحارثيين [٦] ، والعاصم بن الحارث من بلحارث ، وعظيم بن الحارث المحاربي وغيرهم من الفخوذ العربية النجرانية [٧] .

وهذه الكتب من رسول الله ﷺ تدل على عدله وإنصافه لعشائر وبطون أهل نجران حيث أكرمهم بترك ديارهم وأوطانهم ومزارعهم في أيديهم على شريطة أن يسلموا ويؤدوا ما عليهم من واجبات شرعية ، ثم إنه بهذه السياسة يضمن إخلاصهم في المحافظة على بلادهم وانقيادهم مع أهالي قبائلهم إلى الدولة الإسلامية الممثلة محلياً في ولاة نجران ، ومركزياً في الحكومة الرئيسة في المدينة المنورة .

---

(١) حميد الله ، ص ١٧٢.

(٢) المرجع نفسه ص ١٦٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٦٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٩ .

(٦) المرجع نفسه ، ١٧٠.

(٧) المرجع نفسه ، ص ١٦٤ – ١٩٠ .

ومن شيوخ القبائل وعلية العرب في نجران من كان يعيش في حاضرة نجران وقراها فتجده أحسن حالاً في مستوى معيشته من بقية الناس ، وذلك لما يتمتع به من دور وزروع وأموال وخدم وغير ذلك من التزامات الحياة ، بل هذا الصنف من السكان يعدون أوفر حظاً من غيرهم لما رزقهم الله من سعة في العيش ، وعلو مكانة بين الناس ، ومن أمثال ذلك بنو عبد المدان الحارثيون ، فلقد ذكرهم كتب التراث وأفاضت في علو منزلتهم الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية حتى عدوا من أعظم بيوتات العرب لما وصلوا إليه من الشرف والفخر ، ويأتي غيرهم كشيوخ لقبائل نجرانية أخرى ، أو بعض الولاة والأمراء الذين تولوا نجران في العصور التالية لعهد الخلفاء الراشدين ، وكذلك التجار وملاك الأراضي والإقطاعات الكبيرة ، فقد كانوا ذا جاه ومال ويسار بين الناس [1] ، وهذه الشريحة تمثل فئة الحضر التي تقطن في الاجزاء المتحضرة من نجران وهم أقلية ، أما غالبية عرب نجران فكانوا بدواً رحَّلاً يعيشون بين الرعي والزراعة .

وكانت أحوال العرب وغيرهم من سكان نجران مستقرة إدارياً في عصر الخلفاء الراشدين ، وبخاصة عهد الخليفة عمر بن الخطاب لما امتاز به عهده من حزم وضبط لجميع أجزاء الدولة الإسلامية ، ولكن منذ بدايات عهد بني أمية إلى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي اضطربت الأوضاع السياسية والإدارية في أنحاء شبه الجزيرة العربية وانعكس هذا الاضطراب بالتالي على نجران بحكم كونها جزءاً منها ، فصارت العشائر العربية لا تدين بالولاء التام للخلافة الأموية أو العباسية بل صار الوالي الذي يقيم في الحجاز لايهمه إلا إرسال جباة الأموال إلى

---

(١) للمزيد انظر الفقي ، ص ٣١٧ وما بعدها ، المسري ، ص ٥٢ وما بعدها ، البلادي ، ص٧١ وما بعدها ، دلال ، ص ٩٤ وما بعدها ، الشجاع ، اليمن ، ص ٢٣٩ وما بعدها .

نجران وغيرها ، ثم تركت الأمور الداخلية في أغلب الأحيان لشيوخ القبائل وأفرادها ، حتى وإن أرسل من قبل أمراء الحجاز أو الخلفاء في الشام أو العراق من يتولى بلاد نجران [١] .

ولقد أكد صحة ما نقول الرحالة ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وابن المجاور في أوائل القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي عندما أشارا إلى كثرة مواطن البلاد الممتدة من الحجاز إلى اليمن عبر أرض السروات والتي بلاد نجران جزء من تلك البلاد [٢] ، ثم استطرد خسرو فذكر أن على كل مواطن من تلك المواطن ((**حاكماً مستبداً لا يخضع لأي سلطة مركزية**)) [٣] ، وقد لاحظنا ذلك أثناء قيام بعض الثورات في نجران وصعدة وصنعاء خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) حيث كان شيوخ القبائل هم الآمرين الناهين في تسيير الأمور في بلادهم ، ولا بد أن يكون هناك صلات جيدة وقوية بين من يريد السيطرة على تلك البلاد وبين شيوخ وأعيان القبائل القاطنة هناك وقد لمسنا ذلك من موقف الهادي إلى الحق عندما جاء إلى صعدة في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ثم دخوله إلى نجران والسيطرة عليها ، وكيف كان شيوخ القبائل وأعيانها هم الساعد الأيمن لما حققه من انتصارات ونجاح في تلك البلاد [٤] ، كما يورد ابن المجاور أيضاً تفصيلات جيدة عن أوضاع القبائل وشيوخها في البلاد الممتدة من الطائف حتى صنعاء مما ينهض دليلاً على استمرار ما سبق وأن ذكره ناصر خسرو من استقلالية هذه القبائل وعدم تبعيتها لأية سلطة مركزية ، وأن مشايخهم هم أصحاب السلطة الأولى

---

(١) المرجع نفسها ، للمزيد انظر شرف الدين ، اليمن ، ص١٨٧ وما بعدها ، الواسعي ، ص١٥٤ وما بعدها ، الجرافي ، ص ٨٩ وما بعدها .

(٢) خسرو ، ص ١٤٢ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٧-٣٨ .

(٣) خسرو ، ص ١٤٢ .

(٤) البلادي ، ص ٢٤٨ وما بعدها .

على تلك القبائل العربية ، والأمر بيدهم وحدهم ، فيقول : ((... **إنهم قبائل وفخوذ من العرب ليس يحكم عليهم سلطان ، بل مشائخ منهم وفيهم وهم بطون متفرقون** ...)) (١) ، ثم يتابع حديثه فيمدنا بوصف شيق لطريقة إدارة هؤلاء المشايخ لشؤون الحكم في تلك المنطقة ومن بينها نجران ، وهو وصف نستشف منه ما كان سائداً من أوضاع إدارية وسياسية داخلية بين تلك القبائل فيقول ((**يحكم على كل قرية شيخ من مشائخها ، كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولم يخالفه أحد فيما يشيره عليهم ، ويحكم فيهم ، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان ، ولا يؤدون خراجاً ، ولا يسلمون قطعة ، الا كل واحد منهم مع هوى نفسه ، بهذا لا يزال القتال دأبهم ، ويتغلب بعضهم على مال بعض ، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو ، وهم طوال الدهر على هذا الفن ، وهم في دعة الله وأمانه ، وهم فخوذ يرجعون إلى قحطان وغيرهم من الأنساب** ...)) (٢) . وهذه التفصيلات التي يرويها لنا ابن المجاور رغم كونها متأخره زمنياً عن الفترة التي نعالجها في دراستنا هذه ، إلا أننا نجزم بصحتها إلى حد كبير ، ونرجح أنها سادت هذه البلاد الممتدة من صنعاء حتى الطائف ، منذ منتصف القرن الأول الهجري / السادس الميلادي حتى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي ، وذلك للعديد من الأسباب منها :

أ - خروج الخلافة الإسلامية من شبه الجزيرة العربية إلى الشام والعراق ، وبالتالي أصبح اهتمام خلفاء المسلمين منصبّاً على المدن المقدسة في الحجاز، أما ما عداها فلم تنل حظها من الرعاية والاهتمام ، وإن كانت مدن اليمن الرئيسة قد نالها بعض الشيء من الاهتمام إلا أن المنطقة الواقعة بين اليمن

---

(١) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٧ .

والحجاز قد سادها النسيان ولحقها كثير من الفوضى والصراعات القبلية الطاحنة ، مما أطاح بهيبة السلطة المركزية وعادت السيطرة لزعماء القبائل وشيوخها .

ب - صعوبة تضاريس هذه الأرض والتي انعكست على طبائع أهلها فاتسموا بشدة المراس والعنف مما جعل الحروب والصراعات الدامية تكون جزءاً من حياتهم ، مع أننا لا نجد مصادر مدونة تروي تفاصيل ما ورد في هذه البلاد من حروب وصراعات إلا أن هناك كثيراً من الروايات والأخبار الشفهية المتداولة بين الناس تذكر مرارة الحياة بين سكان هذه البلاد خلال العصور الإسلامية الوسيطة .

ج - هناك كثير من المعلومات التي احتفظت لنا بها المصادر والمراجع المتأخرة زمنياً عن فترة دراستنا ، وبخاصة التي اعتنت بتدوين وقائع وأحداث القرون الثلاثة الهجرية الماضية تعكس مدى صعوبة حياة القبائل بعضها مع بعض ، وما كان بينها من شقاق وحروب متواصلة ، وأحياناً تنشب هذه الحروب لأتفه الأسباب ، وغالباً ما تكون حول الحدود والأملاك ومصادر المياه وأماكن الرعي وغيرها ، وهي أمور كلها بالغة القدم ولا تزال مستمرة إلى حد ما في المناطق القبلية والرعوية في مختلف أنحاء العالم . وقد جاء الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في أوائل القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي فبذل كل ما في وسعه لمحاربة الفوضى والفرقة والشقاق في هذه البلاد وغيرها من أجزاء المملكة العربية السعودية ، وبعد سنوات طويلة استطاع أن يوحد سكان هذه البلاد تحت لواء التوحيد ، ثم سعى إلى إقامة مؤسسات حكومية عصرية تأخذ على يد الظالم والمذنب ، ومن يسعى إلى نشر الفساد ، وبالتالي تحول وضع بلاد نجران وغيرها من أجزاء

المملكة العربية السعودية إلى مدن وقرى متحضرة بعد أن كانت مسرحاً للفوضى والحروب القبلية المميتة [(١)] .

٢ – الموالي :

أما العنصر الثاني من عناصر المجتمع في نجران فهم الموالي ، ويمكن تقسيم الموالي إلى قسمين ، **القسم الأول** هم موالي العتاقة ، وكانوا في الأصل من الرقيق إلا أن سادتهم اعتقوهم لسبب من الأسباب الدينية أو الاقتصادية [(٢)] ، غير أنهم ظلوا بعد العتق مرتبطين بالولاء لسيدهم وعشيرتهم ، فظلوا يحملون اسمها هم وأولادهم من بعدهم ، وقد احترف هؤلاء العتقاء مختلف المهن والحرف الصناعية ، وغيرها من الأعمال الاقتصادية .

أما **القسم الثاني** من الموالي فكانوا من المسلمين الأحرار الذين قدموا إلى نجران ، ربما من العصر الجاهلي ، أو خلال العصور الإسلامية المختلفة ، وذلك لأسباب عسكرية [(٣)] ، أو دينية ، أو اقتصادية مختلفة كالتجارة والصناعة والزراعة ، وأرادوا أن يكون لهم مكان في التركيبة الاجتماعية ، ولما كان المجتمع العربي في نجران وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية يعتمد على النسب ، ويعتبر القبيلة الوحدة الأولى للمجتمع ، لذلك دخل الموالي في محالفة القبائل العربية فأصبحوا موالي لهم لقاء منافع

---

(١) للمزيد انظر ابن جريس ، صفحات ، جـ ١ ، ص ٩١ وما بعدها ، العقيلي ، ص ١٣١ وما بعدها .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن الاسباب التي تجعل رقيق العتاقة يحصلون على حريتهم من العبودية انظر ، أمين ، ضحى ، جـ١ ، ص ٧٩ وما بعدها P-Crone,The mawli pp. 57ff .

(٣) من يستقرئ تاريخ نجران أو بلاد اليمن بشكل عام خلال العصور السابقة للإسلام ، يجد أن الفرس والروم والأحباش وغيرهم كانوا من العناصر الرئيسة التي تفد إلى اليمن ضمن منظومات عسكرية كثيرة العدد والعدة من أجل السيطرة على تلك البلاد . للمزيد انظر جواد علي ، جـ ٢ ، ص ٤٣ وما بعدها ، الشجاع ، ص ٣٠–٣١ ، ١١٩–١٢٧ ، الحداد ، ص ١٤٧.

متبادلة [١]، مثل إسهام الموالي في دفع الديات [٢] ، ووقوفهم في صفوف قبائلهم ذائدين عنها كأبنائها الأصليين ، فكان موالي القبيلة الواحدة ينتسبون إليها ويقاتلون مع أسيادهم ، كما كانوا يشاركون في كل الأمور العامة للقبيلة أو العشيرة ، ويقابل ذلك حماية القبائل العربية لهم ومساعدتهم عند الحاجة ، وكانت هناك التزامات متبادلة بين السيد ومولاه ، فلكل منهما أن يرث الآخر إذا لم يكن له وريث [٣] .

وكان الموالي يتمتعون بنفس الحقوق المدنية التي يتمتع بها الأحرار من المسلمين ، فلهم مزاولة المهن والصناعات التي يرغبون ، فكان بينهم من يشتغل بالتجارة والصيرفة أو العلم كما كان بينهم الكتّاب والفقهاء والملاك ، بل كان باستطاعتهم اقتناء العبيد الذين يساعدونهم على مزاولة أعمالهم [٤] .

وهناك فئة من الموالي ، وبخاصة الفرس انتجعت بلاد نجران وغيرها من أنحاء بلاد اليمن مدة طويلة تمتد منذ ما قبل الإسلام ، وظلت هناك بعد ما ظهر الإسلام ، ودخل بلاد اليمن فاعتنقوه ، وبقيت هذه الفئة محتفظة بمراكزها السياسية والإدارية في مناطق استقرارها ووقفت إلى جوار الدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ تؤازرها وتعمل على نشر الدين الجديد واستقرار سيطرته على تلك الأطراف البعيدة عن حاضرة الإسلام . مثال ذلك باذان الفارسي آخر ولاة الفرس على اليمن ،فبعد اعتناقه الإسلام ، أقره الرسول ﷺ على ما بيده من أمور بلاد اليمن وأضاف إليه نجران وما حولها [٥]، وبعد وفاته تولى ابنه شهر بن باذان من بعده أمر صنعاء. وتصدى هؤلاء الموالي لقتال

---

(١) ابن خلدون ، مقدمة ، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) مالك ، المدونة ، جـ ١٦ ، ص ٣٩٧ ، ابن خلدون ، مقدمة ، ص ١٣٥-١٣٦ .

(٣) لمزيد من التفصيلات ، انظر ، ابن سمرة ، ص١٤- ١٥، الرازي ، تاريخ ، ص٢٥٩، ٣٥٢ ، جواد علي ، جـ٣، ص٥٢١ وما بعدها ، شمسان ص ٧٩-٨٠ .

(٤) مالك ، الدونة ، جـ ١٥ ، ص ٣

(٥) البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ ، ابن كثير ، البداية ، مج٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١١-٣١٢ ، الحداد ، ص ١٤٧

المرتدين بقيادة الأسود العنسي وقضوا عليه [١]، كما استعان بهم الخفاء في العصر الراشدي، والأموي والعباسي في كثير من الشؤون العامة والخاصة في بلاد نجران وحواضر اليمن والحجاز الكبرى ويعلل الهمداني استمرار نفوذ هذه الفئة (الفرس)حتى عصره في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بقوله : ((**وكانوا يميلون مع كل سلطان يقدم من العراق عليهم، ويزوّرون الشهادات ويبرون ويريشون المكائد ، فإذا انقطع ذلك السلطان ، ألقوا بايديهم إلى السلم، ومتوا القديم ، ونظروا إلى من حولهم نظر المغشي عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوهم بألسنة حداد وقلبوا لهم الأمور**)) [٢] .

وقد زاولت هذه الفئة من الموالي الفرس أيضاً مختلف المهن والحرف الصناعية في بلاد اليمن وما حولها ، يؤكد ذلك الهمداني عند حديثه عن المعادن وأماكن استخراجها في جزيرة العرب ، فعندما يأتي الحديث عن معدن الفضة وأماكن تواجده، فيذكر أنه يوجد بغزارة في موقع قريب من مدينة نجران يُعرف بالرضراض [٣]، ويتابع حديثه عن القائمين على أمر استخراجه .فيقول : ((**وكان أهله جميعاً من الفرس ، ممن تأوّب إليه في الجاهلية ، وأيام بني أمية وبني العباس ، وكانوا يسمون فرس المعدن**)) [٤] . ومن المؤكد أن نجران قد عرفت إلى جانب العنصر الفارسي ، كثيراً من العناصر غير العربية، والتي امتهنت مختلف الحرف والفنون الصناعية ، ويرجع ذلك لوفرة المهن والحرف والصناعات اليدوية والموجودة بالبلاد منذ عهود قديمة حتى الآن [٥] .

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) الهمداني ، الإكليل ، جـ ١ ، ص ٤١٨ .

(٣) وهي منطقة تقع في أرض همدان في حد نهم ومخلاف يام، للمزيد عن هذا الموقع انظر الهمداني، الجوهرتين ، ص ٩٠-٩٢ ، ٣٥٨-٣٥٩

(٤) الهمداني ، الجوهرتين ، ص٩٠ ، ومن المعروف طبقاً للهمداني وابن المجاور أن استخراج معدن الفضة من هذا الموقع قد توقف عام (٢٧٠هـ/٨٨٣ م) ، لسبب خلاف وقع بين القبائل القائمة على استخراجه والاستفادة منه فنشب القتال بينهم وتفرقت سبلهم في البلاد ، الهمداني ، صفة ، ص١٥١-١٥٢، ابن المجاور ، جـ٢ ص ٢١٤-٢١٥ ،

(٥) لعل من الاسباب التي ساعدت على تواجد هذه العناصر بكثرة في بلاد العرب واحتكارها للمهن والصناعات، أن الرجل العربي كان يتجنب العمل في المهن والحرف اليدوية ، بل كان يطلق على من يمتهن المهنة أو الحرف المتنوعة اسم"القين" أو "العبد" حتى وان لم يكن من فئة الرقيق . وهذا الإرث الثقافي عرف عند العرب من قبل الإسلام واستمر على مر العصور الإسلامية المختلفة ،للمزيد من التفصيلات، انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص٤٥٣، ٥٠٥ ، ابن جريس، عسير ، ١١٠٠-١٤٠٠ ، ص ١٤٧وما بعدها.

وربما ارتقى الحال ببعض العناصر في بلاد نجران ، بل في بلاد تهامة والسروات الممتدة من اليمن إلى الحجاز ، وصاروا من أصحاب الوجاهة وعلية القوم اجتماعياً وذلك بفضل ما أصابوه من ثراء مادي من وراء احتكار العمل في المهن ، لاسيما التجارة وامتلاك الزروع والعقارات ، ويؤيدنا في ذلك عدة اشارات وردت صريحة في بعض المصادر الإسلامية المبكرة ، فقدامة يتحدث عن بعض المواطن في نجران وبلاد السروات والتي كان يمتلكها بعض موالي بني العباس [١] ، وكان كثير من خلفاء بني أمية وبني العباس وامرائهم ووزرائهم ، وكذلك بعض نسائهم يمتلكون الكثير من العقار والدور والأراضي الزراعية في نجران ، وصنعاء ، وصعدة ، وبيشة ، والطائف ، ومدن الحجاز الأخرى ، ويتركون لمواليهم مهمة صيانتها والحفاظ عليها [٢]، بل أن موالي بعض القبائل الحجازية كانوا يعيشون في نجران ويمتلكون الأموال والعقار أيضاً ، وذلك يظهر واضحاً من قول الشافعي عندما ولى أمر القضاء في نجران فقال : ((**ثم وُليتُ نجران وبها بنو الحارث وموالي ثقيف ...**)) [٣]. كما نجد مصادر أخرى عديدة وبخاصة مؤلفات الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل ، وكذلك بعض كتب التاريخ الحولي ، والسير تشير إلى بعض الموالي (الفرس) وكذلك الزنوج والأحباش الأفارقة ، وأحياناً الأتراك كانوا يعملون في الزراعة والتجارة ويزاولون بعض الصناعات اليدوية المختلفة في كل من نجران ، وبيشة ، وجرش ، وتبالة ، ورنية ، ومراكز أخرى عديدة في بلاد تهامة والسراة الواقعة على الطرق التجارية بين اليمن والحجاز [٤] .

---

(١) قدامة ، كتاب الخراج ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢) للمزيد انظر قدامة ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، الجمحي جـ ٢ ، ص٥٨٥ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ ، ٦٢٥ ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ٦٤ وما بعدها .

(٣) البيهقي ، مناقب ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ، أبو نعيم ، حلية ، جـ ٩ ، ص ٧٦-٧٧ ، أبو حاتم الرازي ، أداب ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٤) انظر ابن خرداذبة ، ص١٣٤ ، قدامة ، ص١٨٨ ، ١٨٩ ، الهمداني ، صفة ، ص٢٥٥ ، للمؤلف نفسه ، الجوهرتين ، ص ٩٠ ، المسري " نجران ... " ص ٤٦ وما بعدها ، ابن جريس " ملامح النشاط التجاري ..." ص ١٦٥ وما بعدها ، للمؤلف نفسه . دراسات جـ ١ ، ص ١٦٥ – ١٩٦ .

علاوة على أن موقع منطقة نجران ، بل جميع البلاد الواصلة بين اليمن والحجاز تمثل عامل جذب لعدد من العناصر غير العربية للإقامة في جنباتها [١] ، لوفرة ثرواتها الزراعية ، علاوة على كونها ممراً مهماً للتجارة والتجّار الذين يرتادون اليمن قادمين من الحجاز ، وأحياناً كان يأتي إليها التجّار من اليمامة والبحرين ، وربما كان بعض أولئك التجار قادمين من أفريقية والهند ، أو من بلاد فارس والعراق والشام وغيرها ، وقد أكد ذلك كل من الهمداني وابن المجاور عندما أشارا إلى أن تجار البصرة كانوا هم الوسطاء في نقل بعض المصنوعات الجلدية من نجران وجرش إلى نواحي عديدة خارج شبه الجزيرة العربية [٢] . كما كانت كثير من الجيوش العسكرية تعبر بلاد السراة من الحجاز إلى اليمن أو العكس مروراً بأرض نجران ، ومن يستقرئ التاريخ السياسي لكل من اليمن والحجاز يتأكد من كثرة العناصر غير العربية بها [٣] ، وبخاصة الفرس والأتراك ، ومثل هؤلاء ربما عبروا بلاد الطائف ، والسروات ، ونجران ، وربما استقر بعضهم بها وانضم إلى بعض القبائل العربية الرئيسة فيها [٤] .

وقبل أن نختم كلامنا عن الموالي في القرون الإسلامي الأولى وبخاصة في العصر الأموي نود أن نشير إلى ما ذكر في بعض كتب التراث عن احتقار العرب

---

(١) والمتجول في هذه البلاد في يومنا الحاضر يشاهد تنوع أشكال العناصر البشرية القاطنة فيها ، والتي يتضح من سماتهم البشرية أنهم أخلاط من عناصر أفريقية وفارسية ، وتركية ، وهندية ، وغيرها . (جولات للباحث في هذه البلاد على مدار العشرين سنة الماضية (١٤٠٠-١٤٢٣ هـ / ١٩٨٠ – ٢٠٠٢ م) .

(٢) الهمداني ، الجوهرتين ، ص ٩٠ ، ابن المجاور ، جـ ١ ص ٩٧ ، وللمزيد انظر ، ابن جريس " ملامح النشاط التجاري ... " ص ١٥٨ ، المسري " نجران ... " ص ٤١ وما بعدها .

(٣) والمصادر والمراجع الخاصة بتاريخ اليمن والحجاز مليئة بالتفصيلات التي تناقش طبقات المجتمع وأنسابهم ، ثم أن العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت نشطة بين الناحيتين (الحجاز واليمن) متخذة بلاد السروات وأرض نجران معبراً رئيساً بينهما ، انظر الجرافي ، ص ٩٧ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٣٥ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ص١٧١ وما بعدها ، الفقي ، ص ١٨ وما بعدها ، دلال ، ص ١٠٤ ، الشجاع ، ص ١٣٥ .

(٤) المراجع نفسها .

للموالي ومعاملتهم معاملة ليست كريمة . فلقد وردت بعض الروايات التي صورت العرب يسيئون معاملة الموالي إساءة بالغة (١) ، إلا أن هذه الروايات لا تخلو من مبالغة ظاهرة ، فنحن نعلم أنه عاش في نجران وبلاد اليمن وأرض السروات خلال العصور الإسلامية المبكرة عدد من الصحابة والتابعين الذين كانوا ملتزمين بتعاليم الإسلام ، وكانوا ينظرون إلى المسلمين جميعاً على أنهم أخوة وأمة واحدة لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، ثم أن أغلب الروايات التي وردت في كتب التراث كانت تتصل بالحياة القبلية ، فقد كان البدو لا يحترمون الحرف اليدوية أو المهن التي تربط الإنسان بالإقامة الدائمة ، والتي غالباً ما يزاولها الموالي ، وكانوا يعتزون بالفروسية وبفن القتال ، لذلك كانت نظرة هؤلاء إلى الموالي وأصحاب الحرف لا تتسم بالاحترام (٢) .

٣ – العبيد (الرقيق) :

أما العنصر الثالث من عناصر المجتمع في نجران ، والذي كان له أثر واضح في الناحية الحضارية فهو الرقيق ، وهو عنصر شاع وجوده في نجران مثلما كان الحال في معظم أجزاء شبه الجزيرة العربية منذ العصر الجاهلي ، فكانت بعض القبائل العربية في نجران وغيرها تتجر بالرقيق مثل اتجارها بالسلع الأخرى (٣) ، وخلال الفتوحات

---

(١) للمزيد ، انظر امين ، صحى ، جـ ١ ص ١٧-٤٨ ، وقد زعم المستشرق الروسي بيليف أن الموالي كانت لهم مساجد خاصة منفصلة عن مساجد العرب ، إلا انه لم يؤيد كلامه بشاهد أو نص ، ولم أعثر في المصادر المبكرة على نص يوافق هذا الزعم مما يدل على أن مرده التعصب الشديد ، انظر : Belyaev , Arabs , p . 180 .

(٢) الدوري ، مقدمة ، ص ٤٢ . ويجب أن نعرف أن بعض علماء الشعوبية اختلقوا قصصاً تميل إلى الحط من شأن العرب ، فيقول أحمد أمين ((ولم يقتصر بعض علماء الشعوبية على وضع كتب المثالب ، بل يظهر أنهم وضعوا في الأدب قصصاً كثيرة تؤيد جانبهم قد اختلقوها اختلاقاً)) ، انظر : ضحى الإسلام ، جـ١ ، ص٧٠ .

(٣) ابن سلام ، ص ١٧٨ ، أمين ضحى ، جـ ١ ، ص ٧٩-٨٠ . Akel, Studies , p.69 .

الإسلامية ، وعندما كان الحجاز منطلقاً للجيوش الإسلامية الفاتحة ، تدفق الرقيق على شبه الجزيرة العربية ، فيذكر البلاذري أن سبي قيساريه بلغ أربعة آلاف شخص ، بعث بهم معاوية بن أبي سفيان إلى الخليفة عمر بن الخطاب في المدينة ، فاستعان عمر ببعضهم في خدمة الدولة وقسم الباقي (١) . ولم تكن الفتوحات الإسلامية هي العامل الوحيد الذي زاد من أعداد الرقيق في شبه الجزيرة العربية ، وإنما التجارة تأتي ربما في المقام الأول بالنسبة لبلاد نجران ، حيث أن سبي الحروب في عصر الخلفاء الراشدين كانوا يرسلون إلى الحجاز فيقسمون في نواحي عديدة من بلاد العرب ، وقد لا يصل بلاد السروات أو نجران أو اليمن إلا العدد القليل ، أما التجارة بين اليمن والحجاز ونجد عبر بلاد نجران والسروات فكانت نشطة منذ العصر الجاهلي (٢) ، وظلت على حالها من الأزدهار في صدر الإسلام ، وساعد على ازدهارها تطور المجتمعات العربية ، وارتفاع مستوى المعيشة ووفرة الأموال لدى السكان ، وحاجة المياسير وعلية القوم إلى الرقيق لاستخدامهم في دورهم وخاصة ولاة الأمر الذين اعتادوا الاستعانة بهم في خدمة القصور ، أو في النواحي الاقتصادية المختلفة ، لذلك توجه التجار بالرقيق إلى أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية لبيعهم فيها (٣) ، كما كان بعض الناس في الحجاز واليمن ونجران وغيرها يستأجرون نخاسين لبيع رقيقهم في الأسواق والبلدان المختلفة ، مقابل أجرة معينة (٤)، ولا ريب أن أسعار الرقيق كانت تختلف باختلاف ألوانهم، وأجناسهم، وثقافتهم ومهاراتهم الفنية (٥).

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص ١٤٧ للمزيد انظر Akel , pp . 69ff.

(٢) ابن سلام ، ص ١٧٨ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٢٩٤ وما بعدها . P.Crone, Meccan, pp.70ff

(٣) مالك ، المدونة ، جـ ١٠ ، ص ٢٧١ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص ٢٥٣ .

(٥) لمزيد من التفصيلات عن أنواع الرقيق في العصور الإسلامية المختلفة وعن اهتمام كثير من تجار الرقيق (النخاسة) على تعليمهم فنون ومعارف وثقافة مختلفة ، من أجل المتاجرة والمرابحة فيهم ، لأنه كلما زادت المواصفات الجيدة في الجارية أو العبد كلما ارتفعت أسعارهم . انظر امين ، ضحى ، جـ١، ص٧٩–١٠٠.
Crone , Meccan , pp . 71 ff .

ومع أن الإسلام أباح الرق إلا أنه أدخل عليه بعض التعديلات التي تحول دون انتشاره ، فلقد أوجب الإسلام حسن معاملة الرقيق فقال رسـول الله ﷺ في حجة الوداع ((**أرقاءكم أرقاءكم اطعموهم مما تأكلون وأكسوهم مما تلبسون ، وان جاؤوا بذنب لا تريدون أن تغفروه فبيعوا عباد الله ولا تعـذبوهم**)) [(١)]، كما شجع إعتاق العبيد بأن جعله واجباً دينياً في عدة حالات ككفارة الـيمن الكاذبة [(٢)] ، أو النذر أو كفارة القتل الخطأ [(٣)]، ومنذ عهد عمر بن الخطاب منع استرقاق العرب [(٤)] ، فليس أمام العربي إلا الإسلام أو السيف ، كما أمر بـأولاد العرب الذين سبق أن بيعوا في الجاهلية أن يقوموا على آبائهم ولا يسترقوا [(٥)] .

لقد شارك الرقيق في جوانب الحياة المختلفة للمجتمـع النجـراني قبـل الإسلام وبعده ، ففي المجال السياسي شارك العبيد أسيادهم من العرب الوثنيين أو أهل الذمة ، ففي يوم فيف الريح وكذلك يوم الكلاب الثاني كان العبيد الأفارقـة وغيرهم يشاركون سادتهم في تلك الحروب الطاحنة التي راح ضحيتها أعـداد كثيرة من البشر [(٦)] . كما وجدنا الرسول ﷺ يذكر في الكتاب الذي سـلمه إلى عمرو بن حزم الخزرجي الأنصاري فرض جزية دينار على الحر والعبد من أهل الذمة في نجران فقال : ((**وعلى كل حالم ذكر وأنثى حر أو عبد دينار وافٍ أو عوضـه**

---

(١) ابن سعد ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

(٢) قال تعالى ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ سورة المائدة ، الآية (٨٩) ، انظر أيـضاً مالـك ، المدونة ، جـ ٣ ، ص ١١٩ .

(٣) قال تعالى ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ ﴾ سورة النساء ، الايـة (٩٢) .

(٤) أبو بوسف ، ص ٥٨ ، انظر ، ابن سلام ، ص ١٥٧ وما بعدها .

(٥) ابن سلام ، ص ١٥٧ وما بعدها Crone , Slaves, pp 65 ff .

(٦) انظر ابن عبد ربه ، جـ ٦ ص٧٩ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ابن الأثير ، الكامل جـ ١ ص ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، جواد علـي ، جـ ٥ ، ص ٣٥٢ .

ثياباً)) وهذا ينهض دليلاً على أن الرقيق لم يكن حق امتلاكهم قاصراً فقط على المشركين أو المسلمين ، وإنما أهل الذمة كان لهم الحق أيضاً في امتلاك الرقيق ، والذي كان – في اعتقادنا – موجوداً في نجران ، ويتألف من أجناس وعناصر مختلفة ، وذلك لأسباب عديدة منها :

أ - تعدد الأجناس والعناصر البشرية التي قدمت نجران وانتجعتها في عصور مختلفة ، فقد وصل إليها قبل الإسلام الرومان ، والفرنجه ، والترك ، والأحباش ، وعناصر أفريقية أخرى ، كما وصلها الفرس وجميع هذه العناصر جاءت إلى بلاد اليمن ونجران واستقرت بها وبالتالي فلا بد أنه تخلف بها الكثير من هذه العناصر على هيئة موالي أو رقيق .

ب - عند ظهور الإسلام وتقدم الفتوحات الإسلامية ، وخروج أعداد بشرية كثيرة من بلاد اليمن ونجران والسروات والحجاز إلى الأمصار الإسلامية، كل هذا جعل سكان هذه البلاد الأصليين يرون ما عند الشعوب الأخرى ، ويتأثرون بعاداتهم وتقاليدهم ، ومنها اقتناء الرقيق على اختلافه ، وربما عاد بعضهم إلى موطنه الأصلي ومعه بعض من هذا الرقيق لمساعدته في ممارسة حياتهم اليومية .

ج - تميز بلاد نجران بموقع استراتيجي هام على الطريق بين اليمن والحجاز ، واضطلاعها بدور وصلات تجارية نشطة مع اليمامة والبحرين والشام والعراق ، كل هذا جعلها محطة تجارية بارزة ، ومركزاً اقتصادياً مزدهراً مثل فيه العبيد دوراً ملحوضاً في المشاركة بالعمل في النواحي الاقتصادية المختلفة ، كما كانت لهم سوقاً نافقة بين أسواق نجران المتعددة .

وفي العصر الإسلامي لعب الرقيق دوراً في الحياة السياسية حيث شارك بعضهم الأسود العنسي في ردته ، وهناك عبيد آخرون بقوا على إسلامهم وانضموا إلى من بقي على إسلامه في اليمن ونجران وما حولها [١] . أيضاً لم تخل الثورات والحروب التي ظهرت في نجران واليمن والسروات خلال العصرين الأموي والعباسي من مشاركة العبيد مع أسيادهم ، فقد انضم بعضهم إلى جانب طالب الحق عند ظهوره في اليمن وامتداد ثورته إلى المدينة ، وهناك من بقي مع سادتهم من أمراء الحجاز ونجران وغيرها ، بل وانخرطوا في صفوف الجيش الأموي الذي حارب طالب الحق وهزمه [٢] ، كما تذكر بعض الروايات إلى أن بعض هؤلاء الرقيق ضرب بسهم وافر في ثورات العلويين ببلاد اليمن ونجران خلال العصر العباسي والتي قادها بعض ساداتهم [٣] ، وكذلك مع الإمام يحيى بن الحسين الهادي الذي ظهر في آواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وسيطر على صعدة ومد نفوذه لبعض الوقت إلى كل من نجران وصنعاء [٤] .

أما في مجال الحياة الاقتصادية والإدارية فقد شارك الرقيق في جوانبها المختلفة ، حيث عملوا مع الولاة والقضاة ، وكذلك سادة وأشراف البلاد ، وكان بنو عبد المدان من أشرف وأعلى البيوت في نجران خلال فترة دراستنا ، حيث كانوا يملكون الدور والعقارات والمزارع والبساتين وغيرها ، وكانوا من أعظم بيوت العرب في الشرف والفخر والكرم والشجاعة ، وكل هذه المميزات مكنتهم من حيازة عدد كبير من الأرقاء الذين كانوا يقومون على خدمتهم وصيانة عقاراتهم وأملاكهم [٥]، وإلى جانب بني عبد المدان ،

---

(١) البلاذري ، فتوح ، ص١١٣ ، الطبري ، جـ٣ ، ص١٨٥ ، ٢٣٢ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٢ ، ص ٢١٥ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ .

(٢) الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٧٤ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٩٧ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٧٤-٧٥ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٨ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٣ ، ص ١٠٩ ، الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٣٥ ، ٥٩٣ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٥ ، ص ٢٠٤ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٩٩ .

(٤) العلوي ، سيرة ، ص ٧٢ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ٤٥ وما بعدها .

(٥) انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٣ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، المسري ، ص ٥٤ .

عرفت نجران أيضاً العديد من الوجهاء والأعيان سواء من أهلها ، أو من أصحاب المناصب العليا في العصرين الأموي والعباسي كالوزراء والأمراء والموالي وغيرهم ، امتلكوا بـدورهم العقارات والأراضي والبساتين في أنحاء مختلفة منها ، ومن بيشة والطائف ومعظم حواضـر شبه الجزيرة العربية الكبرى ، وغالبا ما تركوا أمر إدارة هذه الأملاك والضياع لعبيـدهم ومواليهم يقومون بحراستها والحفاظ عليها ، بينما أقاموا هم في مكة أو المدينة ، أو حواضر الشام والعراق [١]، كذلك اعتمد شيوخ العشائر ومياسير أهل نجران من أصحاب المتـاجر والزراعات على الرقيق في إدارة إقطاعياتهم والإشراف على تجاراتهم ، وحـتى في رعـي قطعانهم من الإبل والأغنام [٢] .

كما امتهن العبيد العديد من الحرف والفنون الصناعية المختلفة بنجران خلال العصور الإسلامية ، وساعدوا أصحاب وملاك حوانيـت هـذه الـصناعات في إدارتها ، وكان غالبية هؤلاء المُلاك من الموالي [٣] .

أما عن دور هذا العنصر في الحياة الاجتماعية فقد أشرنا فيمـا سـبق إلى ارتفاع مستوى معيشة غالبية السكان في المدن والحواضـر الإسـلامية بعـد الفتوحات الإسلامية ، ووفرة الأموال في أيديهم ، مما جعل للرقيق سوقاً نافقة في تلك الحواضر أدى إليها الطلب المستمر على الرقيق لحاجة الوجهاء والأغنياء إلى خدمتهم في مناحي عديدة ، ولا ريب أن الأرقاء الذين كانوا أصـلاً مـن الروم والفرس ، وربما الحبشة كان لهم تأثير واضحٌ على الحياة الاجتماعية في المدن الإسلامية ، فقد نقلوا عاداتهم وتقاليدهم في كثير من مناحي الحيـاة إلى

---

(١) قدامة ، نبذة من كتاب الخراج ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، الجمحي ، طبقات ، جـ ٢ ، ص ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦١٥ ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١، ص ١٨٤–١٨٥ ، انظر جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) أحمد امين ، ضحى الإسلام ، ص٧٩ وما بعدها . Akel , pp.71 ff , Crone , Slaves , pp . 89 ff

الحياة اليومية الإسلامية ، فعلى سبيل المثال ، كانوا يعرفون ألواناً من الأطعمة والأشربة والألبسة لم يألفها سكان نجران وما حولها ، فيذكر ابـن خلـدون أن العرب لما فتحوا بلاد الفرس والروم استخدموا بناتهم وأبنائهم في مهنهم وحاجات منازلهم ، واختاروا منهم المهرة في ذلك ، فتفننوا مع اتساع العيش ((**واستجادوا المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش ، وسـائر المـاعون ... وكذلك أحوالهم في أيام المباهاة والولائم ، وليالي الأعراس**)) [١] .

ورغم تأثيرهم الواضح في الحياتين الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العربي، وما قدموه من خدمات مميزة في هذين المجالين ، إلا أن المجتمع العربي بصفة عامـة يستصغر شأنهم ويعاملونهم باحتقار وذلة ، فكان من الواجب عليهم أن يحملـوا أختاماً في أعناقهم تشير إلى رقهم ، فيقول الإمام مالك أن ((**الإماء والعبيد يطبع في أعناقهم ... ولا يزال ذلك من أمر الناس القديم**)) [٢] . وهذا الإزدراء ربما ورثه العرب منذ العصر الجاهلي فكانوا ينظرون إلى غير العربي سواء كـان مـن الموالي أو العبيد نظرة دونية فلا يساوى بين العربي وغيره ، مع أن الإسلام جـاء واضحاً وصريحاً حيث كانت المساواة من أهم مبادئه ، فلا فرق بين عربي وغـير عربي إلا بالتقوى ، بل إن أكرمكم عند الله هو من اتصف بالتقوى وليس باللون أو النسب وما شابه ذلك .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، (طبعة دار الشعب القاهرة) ص ١٥٤ ، أمين ، ضحى جـ ١ ص ٨٧ وما بعدها .

(٢) مالك ، المدونة ، جـ ١٢ ، ص ١٤٧ . ونجد فيلبي يزور نجران في منتصف القرن الهجري الماضـي ، ويـشاهد العبيد الزنوج الذين كانوا يعملون في المزارع والمهن المختلفة ، بل إن كـثيراً منـهم أصـبح حـراً ، ثم يقـول : ((... ورغم وجود عدد كبير من الرقيق القدماء المعتقين ، الذين يعملون في حقـل الزراعـة ، كمـا أن أصـحاب الأراضي البدو الذين يملكون معظم مزارع النخيل ، يعتبرون فلاحة الأرض مهنة لا تليق بمنزلتـهم ، بينمـا كـان معظم أصحاب الحوانيت في نجران من المهاجرين مؤقتاً من زيود اليمن وخاصة من منطقة صعدة)) .

Philby , pp . 252–3 .

وكان بمقدور الرقيق أن يصبحوا أحراراً ، وذلك بموجب اتفاقية بينهم وبين أسيادهم على أن يدفعوا لهم مبلغاً من المال ، يحصل العبيد بعده على حريتهم ، فيكونوا مكاتبين (١) ، غير أنه كان للأسياد الحق في تقرير ما يشاءون من الأموال ، يروي الإمام مالك أيضاً أن عبد الله بن عمر كاتب غلاماً له بخمسة وثلاثين ألف درهم ، ثم وضع عنه من آخر كتابته خمسة الآف درهم (٢) ، ويبدوا أن هذا المبلغ كان باهظاً يعجز العبد عن سداده ، إلا أن بعض الأسياد كانوا يتنازلون عن شروط المكاتبة ، فيذكر الإمام مالك أيضاً أن عبد الله بن عمر كاتب غلاماً يقال له شرفي على أربعين ألف درهم ، فكان يعمل حتى سدد خمسة عشر ألف درهم ، ثم جاء إلى عبد الله بن عمر فقال له قد عجزت عن تسديد المبلغ ، فأعتقه عبد الله وأعتق ابنيه وزوجتيه (٣) .

وكان الرقيق يعتق أيضاً تقرباً إلى الله ، حيث حث الإسلام على فك الرقاب ، واعتبر ذلك من أفضل الأعمال التي تقرب المرء إلى الله قال تعالى : **﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾** (٤) ، ولهذا فالأتقياء والصالحون كانوا يسعون إلى عتق الأرقاء ، ومن يقرأ كتب التراث خلال عصر الخلفاء الراشدين ، وخلفاء بني أمية يجدها مليئة بالأمثلة لكثير ممن كان يفعل الخير رجاء مرضاة الله فيشترون العبيد من أسيادهم ويعتقوهم لوجه الله (٥) .

---

(١) يقول ابن الأثير : ((الكتابة أن يكاتب الرجل عبده على مال يؤديه إليه منجماً ، فإذا اداه صار حراً وسميت كتابة المصدر كتب كأنه يكتب على نفسه لمولاه ثمنه ، ويكتب مولاه له عليه العتق)) **انظر النهاية في غريب الحديث (القاهرة ، المطبعة العثمانية ١٣١١ هـ) جـ ٤ ، ص ٧ .**

(٢) مالك ، المدونة ، جـ ٦ ، ص ٢٣٠ .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ ٦ ، ص ٢٤٧ .

(٤) سورة البلد ، الآيات (١١-١٣) .

(٥) أمين ، ضحى ، جـ ١ ، ص ٧٩ وما بعدها . **Crone , Slaves , pp . 119 ff .**

٤ – أهل الذمة [١] :

تمثل القرون الميلادية الأولى فترة انتشار الديانات السماوية ، اليهودية والمسيحية ، في الجزيرة العربية . فتذكر المصادر العربية أن الملك الحميري تبان أسعد أبو كرب قد نقل اليهودية من مدينة يثرب إلى نجران وبلاد اليمن [٢]، وأما النصرانية فانتشرت على يد الإرساليين من السريان الذين انهزموا من ظلم الأباطرة الإغريق[٣]، كذلك كان للاحتلال الحبشي لليمن عام (٥٢٥ م) أثر في انتشارها أيضاً في جنوب شبه الجزيرة العربية [٤].

وبعد ظهور الإسلام في الجزء الجنوبي من الجزيرة العربية أصبح يهود ونصارى تلك النواحي من أهل الذمة ، ودخل مجوس تلك البلاد في حكمهم [٥] . كما انتشر أهل الذمة في العديد من المدن والقرى اليمنية ، وكانت أعدادهم تتفاوت بين الزيادة والنقصان من مكان لآخر ، فاليهود مثلاً كانوا يعيشون في عدد من مناطق اليمن مثل صنعاء ، وتعز ، وزبيد ، وصعدة ، والجند ، وعدن ، كذلك سكنوا مناطق حضرموت ، وحمير ، وكندة ، وبني الحارث بنجران [٦] ،

---

(١) الذمة : في اللغة العهد ، لأن نقضه يوجب الذم ، انظر ، على بن محمد الجرجاني ، التعريفات (بيروت ، ١٩٨٥ م) ص ١٤٣ ، ابن منظور ، جـ ٩ ، ص ٤٤٨-٤٤٩ (مادة عهد) .

(٢) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٣) للمزيد انظر ، اغناطيوس غويدي . محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام (بيروت ، ١٩٨٦ م) ترجمة ابراهيم السامرائي ، ص ٩٣ .

(٤) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٣٨ .

(٥) انظر ، البلاذري ، فتوح ، ص ٨٦ ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٤٠٧ .

(٦) الرازي ، تاريخ ، ص ٩٠ ، ١٦٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ ، ويشير المقدسي بصفة عامة إلى أهل الذمة في اليمن وما حولها بقوله أن عدد اليهود بها اكثر من النصارى ، ولا يوجد بها من أهل الذمة غير هؤلاء ، المقدسي ، حسن ، ص ٩٥ .

وتركزت فئة من النصارى في مدينة نجران وقد ارتبط هؤلاء الذميون ، مع الدولة الإسلامية في المدينة المنورة باتفاق وصلح مكتوب كتبه رسول الله ﷺ [١] ، وجدده الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه [٢] ، وكذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه [٣] ، ثم أجلاهم عمر بن الخطاب من نجران ونقلهم إلى الشام والعراق لأنه قد خافهم على المسلمين .

وعن طريق دفع الجزية والخضوع للدولة الإسلامية ضمن أهل الذمة لأنفسهم حياة مستقرة نسبياً في معظم الأحيان ، فكان في مقدورهم التحرك بحرية ما عبر أجزاء البلاد ، وإقامة شعائرهم الدينية ، وتطبيق الشرائع الخاصة بهم ، بل وإدارة أعمالهم الخاصة ، وتؤكد ذلك المصادر في إشارات متعددة بأن أهل الذمة من النصارى واليهود ظلوا يقيمون في نجران حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ويتمتعون بحياتهم كاملة بما في ذلك أملاكهم الزراعية حيث وردت إشارات إلى ذلك في سيرة الهادي تقول : ((**وأما أصحاب الضياع من اليهود والنصارى فمن كان في يده قديماً بالوراثة من أجداده فليس لنا عليه سبيل**)) [٤] .

ويعلل بعض الباحثين المتأخرين بقاء النصارى في نجران حتى هذا القرن بعد أن تم إجلاؤهم عنها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، بأن الذين أخرجوا منها

---

(١) أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ .

(٢) انظر أبو يوسف ، ص ٧٣ ، ابن سلام ١٤٣ ، ٢٧٤ ، الطبري ، جـ ٣ ص ٣٢١- ٣٢٢ .

(٣) البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ – ٧٨ ، ابن سلام ، ص ١٤٣ ، ٢٧٤ ، الطبري ، جـ ٤ ، ص ١١٠ . وللمزيد من التفصيلات عن وضع نصارى نجران بعد أن أخرجهم الخليفة عمر بن الخطاب إلى الشام والعراق ، انظر الملحق رقم (٥) في نهاية هذا الكتاب .

(٤) العلوي ، سيرة الهادي ، ص ٤٧ ، وللمزيد انظر ملحق رقم (٨) في نهاية هذا الكتاب ، لترى صيغة الصلح الذي عقده الامام الهادي إلى الحق بين المسلمين وأهل الذمة في نجران .

هم الذين دخلوا ضمن هذا الصلح المكتوب ، أما غيرهم من الأفراد الذين ظلوا معتنقين النصرانية سواء من بني الحارث أو من القبائل المجاورة فهؤلاء ظلوا في أماكنهم و لم يخرجوا من نجران ، كذلك النصارى الذين كانوا في قبائل يمنية أخرى مثل أولئك الذين كانوا في قبائل حضرموت ، أو حمير ، أو غيرها ، فقد ظلوا في أماكنهم من اليمن و لم يخرجوا منها [١] .

وربما بمضي الوقت عاد بعض النصارى من بلاد الشام والعراق بشكل فردي وعلى شكل أسر قليلة إلى موطنهم الأصلي في نجران ، وأجزاء أخرى من بلاد اليمن، وبخاصة في عصر خلفاء بني العباس الذين فتحوا الباب على مصراعيه لجميع الفئات والعناصر في الدولة الإسلامية ، فصاروا يشاركون في جميع النشاطات السياسية والحضارية ، بل ويتنقلون في أرجاء العالم الإسلامي بحرية كاملة ، بالإضافة إلى ضعف وتقهقر السلطة المركزية في بغداد منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ثم ظهور ونشاط قيادات سياسية وعقدية في العالم الإسلامي ، كل هذا ربما جعل الانتباه لنشاطات النصارى واليهود يقل ، وبالتالي كان الراغب منهم في العودة إلى بلاد نجران وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية يعود بسهولة ويسر .

وكان على أهل الذمة طوال عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، والأمويين، والعباسين واجبات ولهم في مقابلها حقوق . فكان عليهم في نجران أن يدفعوا الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد وحددت بـ ((**دينار وافٍ أو عوضه ثياباً**)) [١] ، بينما لا يحصل من الرهبان الفقراء بل أمر الشرع الشريف بجواز الصدقة عليهم ، وأما إذا كانوا من ذوي اليسار فتحصل منهم

---

(١) الشجاع ، النظم الإسلامية ، ص ٧١ – ٧٢ .

(٢) أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، حميد الله ، ص ١٧٥ – ١٧٦ ، ١٧٨ .

الجزية كسائر الناس ، ويقومون على ضيافة رسل الرسول ﷺ [١] ، لذلك فقد تعددت دور الضيافة في نجران [٢] ، بموجب المعاهدة التي عقدها الرسول ﷺ معهم ، كذلك فرض عليهم الشرع عدم التعامل بالربا مطلقاً [٣] .

وقد تمتع أهل الذمة في نجران بقسط وافر من الحرية مقابل أداء تلك الجزية ، وهي الأموال المقررة على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً وليست أجرة عن سكنى الدار [٤] .

واشترط عليهم في عقد الجزية شرطان مستحق والآخر مستحب ، ويشمل الشرط المستحق ستة أمور يجب على أهل الذمة تحقيقها فيجب عليهم احترام القرآن ، والرسول ﷺ ، وعدم القدح في الإسلام ، وألا يصيبوا مسلمة بزنا ولا بنكاح ، ولا يحولوا مسلماً عن دينه ، ولا يعينوا أهل الحرب [٥] . وجدير بالذكر أن أهل الذمة في نجران لم يلتزموا بالشروط المستحقة ومن ضمنها ألا يعينوا أهل الحرب ، ولا يعينوا الذين يقدحون المسلمين ، حيث أعانوا عدو الإسلام

---

(١) المصادر والمراجع نفسها ، وللمزيد انظر ، اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ، حبيب الزيات ، الديارات النصرانية في الإسلام (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، د– ت) ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن دور الضيافة عند نصارى نجران خلال القرون الإسلامية الأولى ، انظر حبيب الزيات ، الديارات النصرانية في الإسلام ، ص ٨٥ .

(٣) انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ .

(٤) أبو يوسف ، ص ٧٢ وما بعدها ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ . ويذكر ابن القيم أنها لو كانت أجرة لوجبت على النساء والصبيان والعميان ، ولو كانت أجرة لكانت مقدرة المدة كسائر الإيجارات ، ولو كانت أجرة لما وجبت على الذمي أجرة دار أو أرض يسكنها إذا استأجرها من بيت المال . ابن القيم ، أحكام أهل الذمة ، ص ٢٥ .

(٥) للمزيد انظر ، أبو يوسف ، ص ١٢٠ وما بعدها ، ابن ادم ، الخراج ، ص ٧٤ وما بعدها .

الأسود العنسي حينما اتصل بهم فواعدته نجران علــى حرب المــسلمين [١] ، وقد خرج معه بعض نصارى نجران ونقضوا العهود التي أعطوها للرسول ﷺ [٢] .

أما حقوق أهل الذمة فهي الكف عنهم ، والحماية لهم ، والأمــان علــى أنفسهم وأموالهم [٣] ، وقد التزم المسلمون بعامة بتنفيذ هذه الحقوق والقيام عليها حرصاً على استقرار أمور المجتمع الإسلامي ، فعاملوهم في نجران معاملة تنطــوي على العدل والرحمة والكرم ، وذلك على الرغم من أن نصارى نجران كثيراً مــا نقضوا عهد الرسول ﷺ وخلفائه لهم [٤] .

ورغم هذا النقض الصريح إلا أن المسلمين لم يقوموا بقتلــهم أو سـبي ذراريهم أو اغتنام أموالهم وأملاكهم ، بل غالباً ما كانوا يكتفون بإجلائهم عــن ديارهم كنوع من العقوبة إلى بلاد أخرى مع تعويضهم عما فقــدوه مــن أرض بأرض أخرى في المناطق الجديدة التي ارتحلوا إليها مثل الشام والعــراق [٥] ، وإذا كان النبي ﷺ قد صالح أهل نجران وكتب لهم كتاب أمان على أرضهم وأنفــسهم وأموالهم ، فكيف استجاز الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إخراجهم ؟ [٦] . فتذكر بعض المصادر أن السبب في ذلك يرجع إلى أن النبي ﷺ قد صالحهم على ترك الربا فنقضوا العهد [٧] ، بالإضافة إلى أنهم قد ارتدوا ، ويتضح ذلك من كتاب

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، الكلاعي ، تاريخ الردة ، ص ١٥١ – ١٥٢ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١٢ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٨٢ .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) ابن آدم ، الخراج ، ص ٧٤ – ٧٥ ، الماوردي ، الأحكام ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٤) انظر فاطمة عامر ، في العصر الجاهلي ، ص ٣٩ وما بعدها .

(٥) انظر أبو يوسف ، ص ٧٣ – ٧٤ ، ابن سلام ص ١٤٣ ، ٢٧٤ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ ، الطبري ، جـ ٤ ص ١١٠ ، حميد الله ، ص ١٩٢ .

(٦) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، الطبري ، جـ ٤ ، ص ١١٠ .

(٧) المصادر نفسها ، للمزيد انظر ابن القيم ، أحكام ، ص ٢٥ – ٢٦ .

عمر بن الخطاب إلى أهل رعاش بنجران [١] ، عندما قال لهم ((**أما بعد ، فإنكم زعمتم أنكم مسلمون ، ثم ارتددتم بعد ، وأنه من يثبت منكم ويصلح لا يضره ارتداده ، ونصاحبه صحبة حسنة ، فادكروا ولا تهلكوا ، وليُبشر من أسلم منكم ، فمن أبى إلاّ النصرانية فإن ذمتي بريئة ممن وجدناه بعد عشر تبقى من شهر الصوم من النصارى بنجران**)) [٢] .

ومن خلال هذا العرض الموجز لأوضاع أهل الذمة في نجران خلال فترة البحث ، يمكننا القول بأن تركيبتهم السكانية كانت تتكون من كافة الطبقات الاجتماعية السابقة الذكر ، فكان منهم العرب ، والموالي ، والعبيد ، وغيرهم من العناصر البشرية سواء من أهل نجران الأصليين ، أو من عناصر وفدت إليها وانتجعتها وجعلتها مستقراً لها . كذلك نلاحظ أنهم تمتعوا بكافة المزايا التي تمتع بها الفرد المسلم في المجتمع من حيث حرية التنقل ، وكسب مورد العيش ، فمارسوا جميع المهن ، والحرف والصناعات على اختلافها ، وكفلت لهم الدولة الإسلامية الحماية ، وضمنت لهم عدم التعرض للمضايقات والعوائق ، ما داموا قائمين على العهد ، ملتزمين بالمواثيق التي أقروها على أنفسهم ، ولكن بعد أن بدأوا ينقضون العهود ، صمم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ على إخراجهم ، ورغم ذلك فقد بقي بعضهم وعاد آخرون إلى نجران في العهود المتأخرة عن فترة صدر الإسلام .

---

(١) رُعاش : بضم أوله وبالشين المعجمة ، موضع من أرض نجران ، وربما كان أغلب ساكنيه من أهل الذمة ، انظر البكري ، معجم ، مج١ ، جـ٢ ، ص٦٦٠ ، انظر الهمداني ، صفة ، ص٣١٨ (حاشية (١)) .

(٢) ابن زنجويه ، الأموال ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٤٥١ ، ابن سلام ، ص ١٤٥ ، البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٦٠ ، حميد الله ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

ثانياً: مظاهر الحياة الاجتماعية

١ - مركز المرأة في مجتمع نجران :

رفع الإسلام من مكانة المرأة ونقلها من ذل الجاهلية والعبودية التي كانت ترزح تحت نيرانها إلى حياة نعمت فيها بالكرامة والحرية ، وسوى الإسلام بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات ، وكان الزواج قبل الإسلام يخضع لقانون مجحف بالمرأة ، فالرجل يتزوج المرأة كرهاً دون رأيها ولا يصدقها مهراً ، ويطلقها دون حقوق لها ، وانتشر الفساد والعلاقات غير الشرعية ، فكانت المرأة ضحيتها ، وترتب على ذلك اختلاط الأنساب وشيوع الفساد والبغاء ، فمنع الإسلام العلاقات الفاسدة ، ووضع نظاماً دقيقاً ومحكماً للزواج ، حفظ فيه المرأة والرجل من الانحراف ، وكفل التناسل بطريق حلال [١] .

وجاءت أحكام الشريعة الإسلامية لتضع الرجل والمرأة في سياج واحد ، وسوى بينهما في الحقوق والواجبات ، قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)) [٢] .

وعدّلت الشريعة الإسلامية من وضع المرأة فمنعت ما كانت تتعرض له النساء من قسوة الرجال ، وحرر إنسانية المرأة روحاً وجسداً ، وأتاحت لها فرصة

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن وضع المرأة في الجاهلية ، وكيف رفع من شأنها الإسلام ، انظر ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦١٦ وما بعدها ، الفقي ، ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٢) سورة النساء ، آية (١) .

التزود بالعلم والمعرفة ، وكفلت لها حقوقها المالية ، وربطتها برسالة الأمة ودعوتها العامة ، فالمرأة في السلم والحرب عنصر فعال ، وفي مجال تعاليم الإسلام ، لا يقل وعي المرأة عن الرجل بأمور الدين والدنيا معاً . ولقد بين القرآن الكريم المساواة بين المرأة والرجل ، والتباين بينهما يكون بالأعمال وما يصنعه كل منهما قال تعالى : ((**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ**)) [1] . والقرآن الكريم قد رسم الخطوط العامة التي يشترك فيها الرجل والمرأة والتي يتضح منها أن وضع المرأة بصفة عامة هو من نوع وضع الرجل ، وأن الوضعين يشكلان الوضع العام للحياة في مستوياتها وواجباتها وحقوقها .

وكانت المرأة النجرانية مثل غيرها في شبه الجزيرة العربية وغيرها قبل الإسلام ممتهنة وليس لها حقوق عند معظم طبقات المجتمع ، فلما جاء الإسلام ، والتقى الرسول ﷺ بوفود نجران ، وأرسل بعض صحابته ﷺ إلى بلاد نجران واليمن عمدوا إلى تعليمهم جميع الأمور التي تتوافق مع شرع الله ، وكان من ضمن تعاليمه الرفع من شأن المرأة والمساواة بينها وبين الرجل ، كما ذكرنا ، إلا أن معظم النساء في نجران عشن بعد الإسلام كما كن من قبل في عزلة عن الحياة الاجتماعية ، واقتصر اهتمامها على تحمل أعباء الأسرة ، وشاركت زوجها أو أهلها في بعض مجالات العمل كالزراعة وتربية الماشية أو جلب المياه من الينابيع والآبار ، وذلك في نطاق المجتمع الريفي .

وعندما ندرس التاريخ الحضاري لبلاد اليمن نجد أن هناك بعض النساء اليمنيات تخطين ستار العزلة وشاركن الرجل في الحياة السياسية ، واشتغلن بالعلم والمعرفة ، ومن هنا برزت نساء كثيرات في حواضر اليمن

---

(١) سورة آل عمران آية (١٩٥) .

الكبرى في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية [١] . ولكن عندما نبحث عن وضع نساء نجران في هذه المجالات ، فإننا نجد المصادر الأولية صامتة لا تفيدنا في هذا الجانب بمعلومات واضحة وصريحة ، ولكننا لا نجزم بعدم وجود مثل هذه النشاطات للنساء النجرانيات، فربما وجد هناك من كان له مشاركات سياسية وحضارية مختلفة ، وهذا الاعتقاد مبني على عدة أسباب منها :

أ - شهرة بعض البيوت والفخوذ النجرانية ، مثل بني عبد المدان الذين كان يضرب بهم المثل في الفخر والكرم والشجاعة ، بل كانت بلادهم موطناً مشهوراً يهوي إليه الأضياف والشعراء ومن كان له حاجة فيجد عندهم مطلبه ، بل إن بعض كتب التراث ذكرت شهرة نسائهم حتى إنه أصبح يضرب بهن المثل ربما في الجمال والفطنة والذكاء فإذا أرادوا وصف امرأة بوصف جميل ورفيع المستوى قالوا ((**كأنها من بنات بني عبد المدان**))، وفي اعتقادنا أنه لم يذع صيت نساء بني عبد المدان إلا لما اتصفن به من صفات وخصال عديدة مكنتهن من المشاركة في جوانب سياسية وحضارية عديدة .

ب - قرب نجران من حواضر اليمن مثل صنعاء وصعدة وربما أثر ذلك على نساء علية القوم في نجران من سادة وأشراف وشيوخ القبائل ، وكذلك التجار والمقتدرين مالياً ، بذلك صارت بعض النساء لا يقتصر نشاطهن على عمل البيت وما حوله ، ولكن ربما شاركن في مشاورة رجالهن في

---

(١) للمزيد من التفصيلات عن كثير من نساء اليمن الاتي شاركن في مجالات سياسية وثقافية واجتماعية متنوعة ، انظر ، الفقي ، ص ٢٦٠ – ٢٦٦ .

أمور سياسية وحضارية أخرى ، بل ربما عمل بعضهن في مجالات التعليم والتجارة وغيرها [١] .

وتختلف المرأة النجرانية بحسب طبيعة البيئة التي تعيش فيها فإن كانت تعيش في الأرياف والبوادي فإنها تساعد زوجها وأفراد أسرتها في المهن التي يقتاتون منها سواء كانت رعي، أو زراعة، أو تجارة أو ممارسة بعض الحرف والصناعات ، وإن كانت تعيش في المدينة أو في أسرة مقتدرة في مستواها الاجتماعي والمالي ، فإنها قد تهتم بشؤون بيتها وتقوم على أمره وتتولى خدمة زوجها ، وتشرف على تربية أبنائها وتتعهدهم بالرعاية ، وتشملهم بحنانها ، وأحياناً يكون هناك خدم وجواري يقومون على خدمتها وخدمة بيتها [٢] . ولكن جميع نساء البادية والأرياف وكذلك الحواضر يستوين في طبيعة الحمل والولادة وتربية الأطفال ، إلا أن نساء الحواضر يكن أفضل حالاً لما يتوفر لديهن من إمكانيات مادية واقتصادية يساعدهن على ممارسة حياتهن اليومية [٣] .

والمرأة النجرانية تلتزم بما فرض عليها من حجاب في العصور الإسلامية الأولى ، وكان الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إذا رأى امرأة سافرة في الطريق أمرها بالحجاب فهو أول من أدخل البراقع في اليمن ونجران [٤] .

---

(١) انظر حامد "الحياة الاجتماعية ..." ص٢٠١ ، المسري ، ص٨٢ وما بعدها ، دلال ، ص١٥٣ وما بعدها.

(٢) الحامد " الحياة ... " ص ٢٠١ – ٢٠٢ ، الفقي ، ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) للمزيد انظر جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦١٦ وما بعدها ، الفقي ، ص ٢٥٩ – ٢٦٢ .

(٤) الفقي ، اليمن ، ص ٢٦٧ . ويظهر أن النساء في القرون الإسلامية الأولى كانوا اكثر التزاماً بالحجاب لقربهن من فترة عصور الإسلام الذهبية ، ولكن نساء البوادي والأرياف ربما كانوا اقل التزاماً به لممارستهن لكثير من الأعمال الصعبة الشاقة التي تحتاج إلى حركة وجهد كبير ، ثم ضعف التعليم الديني بينهن ربما كان سبباً آخر في عدم الحرص على ارتداء الحجاب الشرعي . أيضاً في الحواضر وخاصة في بيوت الأغنياء وأصحاب الثراء والجاه ربما يكون حرصهن على لبس الحجاب قليل أيضاً بسبب الدعة والرفاهية التى يعيشونها .

٢ - الأسرة في المجتمع النجراني :

سبق القول بأن الطابع القبلي كان غالباً على المجتمع النجراني ، بالإضافة إلى طبقات الموالي وأهل الذمة والعبيد ، وكانت جميع تلك الفئات تتكون منها القرى والبوادي ومنازل أخرى مختلفة ، والقاسم المشترك في هذا كله أنهم جميعاً يتكونون في الأساس من أفراد وأسر تتفاوت في الكبر والصغر ، ولكن الغالب على نظام الأسرة في بلاد نجران بل في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة وكذلك أوائل العصر الحديث ، أن جميع أفرادها يعيشون في منزل واحد يبدأ بالجدين إن كانا على قيد الحياة ، وينتهي بالأبناء والبنات والزوجات والأحفاد ، وتقوم حياتهم على أساس من الترابط والتعاون في ممارسة أعمالهم ، وكسب معايشهم من خلال المهن التي يمارسونها سواء كانت رعياً ، أو صيداً ، أو زراعة ، أو حرفاً مهنية يدوية ، أو تجارية وغيرها [١] .

وكما كان لكل قبيلة أو عشيرة من بلاد نجران وما حولها شيخ أو مشيخة فإن لكل أسرة أيضاً شيخاً أو رئيساً ، أو ما يسمى بـ (كبير الأسرة) أو (عميدها) ، وبالتالي يكون مسؤولاً عما يحدث أو يراد عمله في الأسرة ، فلا يستطيع أي فرد من أفراد الأسرة عمل أي شيء إلا بعد مشاورة كبير الأسرة فيما

---

(١) هكذا كان الوضع الاجتماعي السائد عند سكان نجران ، وجميع سكان الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة ، أما في عصرنا الحالي فقد تغيرت الأحوال لدى الناس ، وتلاشى الترابط والتعاون الذي كان سائداً بين الناس قديماً ، والسبب في ذلك يعود إلى وفرة المال في أيدي الناس ، وإلى الرخاء الذي تعيشه البلاد ، وبالتالي أصبح أفراد المجتمعات لا يحتاجون بعضهم بعضاً كما كانوا في السابق . وللمزيد من التفصيلات عن الفرق بين الماضي والحاضر ، انظر اطلس " الحياة الاجتماعية ..." ص ٢٧٣ وما بعدها ، الحامد " الحياة الاجتماعية ..." ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ ، ص ٣٥ وما بعدها ، محمد مغربي ، ملامح الحياة الاجتماعية ، ص ٥٤ وما بعدها ،

Ahsan , Social life pp . 29 ff G . Jrais , The Social , pp . 28 ff .

يرغب القيام بعمله ، وكان لكبير الأسرة هيبة واحترام بين أفراد أسرته ربما تضاهي الهيبة والتقدير الذي يحضى به شيوخ القبائل بين أفراد قبائلهم وعشائرهم [(١)] .



٣ – العمارة وأنواعها :

تنوع العمران في نجران ، واختلف من مكان لآخر ، فحفلت البلاد بعدد من المنشآت المدنية والعسكرية والدينية في الفترة موضع البحث ، وهذا لتنوع يعود في الأساس إلى إمكانات أهل نجران من ناحية ، وإلى طبيعة المنطقة من ناحية أخرى فهناك القرى والأودية والبوادي التي تسكنها طبقات المجتمع المختلفة ، وما يتبع تلك المواطن من أبنية ومرافق متعددة لخدمتهم ، وهناك أيضاً منشآت عمرانية سوف نأتي لحديث عنها في صفحات تالية من هذا الفصل [(٢)] .

أما الشيء الغالب على أرض نجران في القرون الإسلامية المبكرة ، أن بعض السكان سكن المدن وبعضهم الآخر سكن القرى أو البوادي ، وكان النجرانيون يطلقون على القرى اسم حصناً ، واعتادوا تسمية القرية باسم العائلة التي تملكها ، ويطلق عليها اسم (وطن) أو (حلة) ، وما زالت هذه العادة تمارس في بعض الأجزاء من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وكانت بعض القرى والحصون محاطة

---

(١) المراجع نفسها ، وهيبة كبير الأسرة كانت موجودة عند جميع الاسر في بلاد نجران وغيرها من جنوبي شبه الجزيرة العربية إلى عهد قريب ، ثم بدأت تتلاشى وتضمحل واصبح كبير الأسرة أو كبير السن أحياناً لا يجد أي تقدير أو احترام ممن هو أصغر منه سناً ، وهذه افرازات المدنية التي يعيشها الناس اليوم ، كذلك افرازات انفتاح العالم بعضه على بعض من خلال السفر ووسائل الاعلام المختلفة ، وكذلك البعد شيئاً فشيئاً عن القيم الخلقية العليا التي أمر بها الشرع الإسلامي الشريف .

(٢) سنذكر في الصفحات التالية تفصيلات عن بعض الأبنية التي عرفتها نجران ولا زال بعضها ما ثلاً للعيان مهجوراً من الاستخدام .

بسور مرتفع فلا يمكن الدخول إليها إلا من باب صغير محكم ، وقد بنيت على امتداد تلك الأسوار قلاع للحراسة تسمى (النوب) [١] .

ونجد الهمداني يذكر لنا بعض القرى ومواطن بلحارث في نجران فيذكر عدد منها مثل ، سوحان ، ومينان ، وعكمان ، والغيل ، والموفجة ، والهجر ((**وهي القرية الحديثة ، والهجر القديمة موضع الأخدود**)) [٢] . كما نجد ابن المجاور يشير إلى وضع مواطن البلاد الواقعة بين اليمن والحجاز ، مثل صعدة ، ونجران ، وجرش ، وبيشة ، والطائف وغيرها فيقول:((**جميع هذه الأعمال قرى متقاربة بعضها من بعض في الكبر والصغر ، وكل قرية منها مقيمة بأهلها ، كل فخذ من فخوذ العرب وبطن من بطون البدو في قرية ، ومن جاورهم لا يشاركهم في نزلها وسكنها أحد سواهم**)) [٣] .

ومن يشاهد القرى القديمة في البلاد الممتدة من صنعاء إلى الطائف يلاحظ صحة ما ذكر ابن المجاور ، بل يشاهد أموراً أخرى تتمثل فيما يلي :

أ - جميع هذه المواطن والقرى القديمة تتنوع في مادة بنائها فمعظم بلاد نجران وكذلك أجزاء من بلاد قحطان وشهران في منطقة عسير مبنية من الطين وأحياناً الطين والحجارة بعكس البلاد الواقعة إلى شمال مدينة أبها وحتى بلاد غامد وزهران والطائف فمعظمها مبنية بالحجارة ، ونادراً ما يستخدم الطين في بنائها .

---

(١) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥١ ، والنواب جمع نائب من النحل لأنها تعود إلى خليتها ، ونفهم من ذلك أن النوب هنا تشبه خلية النحل ، لا بد أن يكون بداخلها حارس ، وان هذا الاسم لحق بها من عملية تبادل الحراس بالتناوب ، فسميت النوب ، وهو الثكنة أو البناء الصغير على شكل قلعة يجلس بداخلها الحارس . ابن منظور ، جـ ١٤ ، ص ٣١٨ مادة (نوب)

(٢) انظر عدد المواطن والقرى التي ذكر الهمداني ، صفة ، ص ٣١٨ . كما انظر عدد القرى المتناثرة في أنحاء بلاد نجران خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، حمزة ، ص ١٧٥ – ١٨٦ ، ليبتر ، ص ١٤٣ .
Philby , pp . 213 ff

(٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٧ – ٣٨ ، أيضاً انظر خسرو ، ص ١٤٢ .

ب - تراكم منازل القرية الواحدة بعضها فوق بعض مع وجود ممرات ضيقة جداً فيما بينها وهذا التخطيط في اندماج وتقارب بيوت سكان القرية ، ربما كان ناتجاً عن الخوف الذي كان يسود الناس في الماضي لانتشار الفوضى وتعدد حالات السلب والنهب ، بالإضافة إلى ما شاع آنذاك من غارات القبائل بعضها على بعض طلباً للقوت ، مما استلزم تقارب أفراد القبيلة أو القرية الواحدة في مساكنها حتى يتكاتفوا في صد أي عدوان خارجي يهاجم مضاربهم (١) .

ج - نلاحظ تحلق العديد من القرى القديمة حول المناطق الزراعية ، أو بعض الأماكن الرعوية المتوافرة فيها الماء والكلأ ، أو تأسيسها بالقرب من أسواق تجارية اسبوعية مرتبطة مع عدد من الطرق التجارية البرية ، وبهذا فمواقع القرى بتلك البلاد كانت متأثرة بالحياة المعيشية ، وبما يعود على أفراد القرية أو العشيرة الواحدة من دخل وتحسين لمستوى معيشتهم ، وممارسة لمهنهم التي يقتاتون منها (٢) .

د - تظهر آثار بعض الأسوار التي كانت تحيط في الماضي ببعض القرى ، مثل بيشة ، وتبالة ، ورنية ، وجرش ، وكذلك الجهوة بسراة الحجر (٣) ، ولا نستبعد أن كثيراً من المدن والقرى الكبيرة في الجزيرة العربية كانت محاطة بأسوار لحمايتها من أي هجوم خارجي (٤) . وتؤكد المصادر المبكرة على أن مدينة الطائف كانت محاطة بسور أثناء محاصرة الرسول

---

(١) مشاهدات وانطباعات الباحث في بلاد السروات الممتدة من اليمن حتى الحجاز أثناء تجواله في مناطقها خلال العام الهجري (١٤٢٠– ١٤٢١ هـ / ١٩٩٩ – ٢٠٠٠ م) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

ﷺ لأهلها في السنة الثامنة للهجرة ، وبالتالي فقد استعصى على المسلمين فتحها لحصانة أسوارها ، فلم يدخلوها إلا بعد أن دخل أهلها الإسلام [١] . وما نجده في المصادر عن قصة دخول الأزديين الإسلام ، فقد كانت مدينة جُرش يحيط بها سور حصين ، و لم تستسلم هذه المدينة لقائد الجيش الإسلامي ، صرد بن عبد الله الأزدي ، إلا بالحيلة والخديعة [٢] .

كما نشاهد كثيراً من الحصون القديمة في أغلب قرى وحواضر نجران وصعدة والسروات ، ونلاحظ أنها تنقسم إلى نوعين : منها ما هو داخلي للدفاع عن القرية وسكانها ، وهذه توجد في داخل القرى ، ومنها الحصون الخارجية والأبراج البرانية وتوجد في الأودية وقريبة من الأراضي الزراعية ، وأخرى نشاهدها في رؤوس الهضاب والجبال [٣] . وقد أمدنا ابن المجاور ببعض المعلومات عن قصور وحصون تلك النواحي فذكر المواد المستخدمة في بنائها ، كما أشار إلى استخدام سكان القرى الأدوار السفلية في الحصون والقصور مخازن للحبوب يقتاتون منها في أوقات الحصار الطويل كما يتولون أو يتناوبون حراسة الحصن من كل جهاته فيقول : ((**... وقد بني في كل قرية قصر ، وكل من هؤلاء ساكن في القرية له مخزن في القصر ، يخزن في المخزن جميع ما يكون له من حوزة**

---

(١) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ ، الواقدي ، جـ ٣ ، ص ٩٢٤ .

(٢) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٤ . لمزيد من التفصيلات عن مدينة جرش ، انظر ، ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش ..." ص ٦٣ وما بعدها .

(٣) للمزيد عن الحصون القديمة في بلاد نجران والسروات انظر ابن جريس " العمران في اقليم عسير ... " ص٢٦-٤٩، ليبز ، ص١٥٠، حمزة ، ص١٦٨ وما بعدها ، السلوم ، ص٣٦-٦٦.

philby, pp .220ff.

وملكه ، وما يؤخذ منه إلا قوت يوم بيوم ، ويكون أهل القرية محتاطين بالقصر من أربع ترابيعه)) [١] .

وهذا النوع من القصور أو الحصون التي أوردها ابن المجاور وتستخدم _ كما أوضحنا _ مستودعاً لأهل القرية يخزنون فيها حبوبهم ، وما يتم إنتاجه من مزارعهم كان أمراً شائعاً عند معظم سكان جنوب الجزيرة العربية حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، ولا زالت معظم الحصون التي كانت تستخدم من قبل سكان القرى ماثلة للعيان ، مع العلم أنه بدأ يظهر على كثير منها علامات الهدم والخراب ، حيث تثلمت واندرست أجزاء كثيرة منها [٢] . كذلك لا زلنا نشاهد قصوراً وحصوناً أخرى في بلاد نجران ، ومنها ما هو داخل القرى ، وأخرى خارجها . فأما القصور التي داخل القرى ، غير التي ذكرها ابن المجاور ، فربما استخدمت للسكن الخاص من قبل أهلها وفي الغالب لا يمتلك مثل هذه القصور إلا شيوخ القبائل وسادتها وأعيانها . وهذه القصور كانت أيضاً غاية في الحصانة والمنعة لتصمد أمام الهجمات الخارجية وفترات الحصار ، حيث اعتادت القبائل الإغارة على بعضها بعضاً [٣] .

أما الحصون الواقعة على قمم الجبال أو في بطون الأودية ، فكانت تستخدم في المقام الأول للأغراض العسكرية من قبل رجال القرية أو العشيرة

---

(١) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٧ – ٣٨ .

(٢) مشاهدات الباحث وانطباعاته في بلاد نجران وعسير والباحة خلال الأعوام التالية (١٤١٢– ١٤٢٤هـ) انظر ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ٥٣ – ٥٥ .

(٣) مشاهدات الباحث وانطباعاته خلال الأعوام التالية (١٤١٢– ١٤١٧ هـ) .

المالكة لمثل هذا النوع من الحصون ، حيث يستخدمونها في حروبهم ودفاعهم عن مضاربهم وأموالهم من أي عدو يداهمهم [١] .

وجميع القرى والمدن الموجودة في بلاد نجران خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة مبنية من الطين ، وأحياناً بالحجارة أو بهما معاً . وهذه المواد الأساسية في البناء كانت محلية ، إلا أن البيوت والقصور وملحقاتها تختلف من بناء إلى آخر من حيث ضخامتها ، وتعدد طوابقها ، وسعة بنيانها ، وذلك الاختلاف يعود إلى مكانة صاحب البيت الاجتماعية وقدرته المادية ، فالأمراء والأغنياء وشيوخ القبائل وأعيانها عادة يمتلكون بيوتاً واسعة وكبيرة [٢] .

ونرجح من خلال إشارات قليلة أمدتنا بها المصادر التاريخية وبعض المعالم الأثرية أن أهل الوجاهة تتميز منازلها وحصونها بالحصانة وارتفاع أسوارها الخارجية ، ويستخدم اللبن والطوب والآجر وربما الحجارة بشكل أساسي في بنائها ويظهر الإتقان والوثاقة بشكل واضح في البناء الخارجي ، وكذلك في الأسوار والمرافق المحيطة بها علاوة على الاهتمام بالزخرفة الداخلية لدور هؤلاء الوجهاء وإبراز مدى ثرائهم من خلال هذا التأنق في الفرش والأثاث ، وغالباً ما كانت دور أهل الطبقة الراقية تنقسم من الداخل إلى قسمين أحدهما خاص بحريم الدار وهي الغرف الداخلية بينما الأجزاء الخارجية منها تخصص لاستقبالات رجال الدار لضيوفهم وعقد مجالسهم ومسامراتهم[٣].

---

(١) انظر الواقدي ، جـ٢ ، ص٨٤٧ ، لقد جمع الباحث عدد من الصور الفتوغرافية لبعض الحصون والقصور والبيوت في نجران ، أيضاً قابل بعض كبار السن في تلك البلاد في عام ١٤٢٤هـ وسمع منهم بعض التفصيلات عن أهمية هذه الحصون خلال القرون الماضية .

(٢) للمزيد انظر ، ليبتز ، ص ١٥٠ ، آل زلفة ، لمحات ، ص ٢٣ وما بعدها ، آل سالم ، ص ٣١- ٣٥ ، السعيد ، ص ٣٦ – ٦٦ ، ١٠٩ – ١٠١ ، آل مريح ، ص ٣٢ – ٤٠ .

(٣) من يتجول في المنطقة الممتدة من نجران إلى الطائف يشاهد كثير من القصور والحصون القديمة ، الخاصة ببعض العشائر أو بعض الشيوخ والأعيان ، ومعظمها أن لم يكن كلها أصبحت مهجورة ، وكثيراً منها اصبح متهدماً خرباً . مشاهدات الباحث خلال الأعوام (١٤١٢ – ١٤٢٤ هـ) .

أما الفقراء وعامة الناس في نجران فقد لا يمتلكون إلا غرفة أو غرفتين وربما ثلاث ، وهي تكفيهم سكناً مع مواشيهم وجميع أغراضهم ، وقد لا يستطيع البعض ، وخاصة سكان الأرياف والبوادي امتلاك حتى ولو غرفة واحدة من الطين أو الطين والحجر ، وبالتالي تجدهم يبنون بيوتهم من القش والعشب وسعف النخل ، وقد عرفت مثل هذه البيوت باسم " عشش " ومفردها " عشة " ، اما البدو ، وكان كثير من سكان نجران بدو رحل فبيوتهم مصنوعة من الشعر الذي يحصلون عليه من حيواناتهم (١) .

والمصادر المبكرة لا تفصّل لنا الحديث عن طبيعة وأحجام البيوت ومرافقها في نجران ، ولكن بعضها أشارت إلى تعدد طوابق البيوت في كل من صنعاء ومكة المكرمة والمدينة المنورة (٢) ، وإلى استخدام الآجر والجص ، وكذلك اللبن والطين والحجارة ، كما كانت أغلب البيوت تفرش بالبسط والفرش والتي كانت في الغالب من الصوف ، أو الشعر ، والأدم ، أو سعف النخل (٣) .

وقد أشارت بعض مصادر اليمن والحجاز المبكرة إلى أن سكان المدن بتلك البلاد كانوا يتخذون صفائح من الحجارة أو الأخشاب تكون أشبه بالرفوف (٤) ، ونستطيع القول أن بلاد نجران ، بل جميع البلاد الواقعة بين اليمن والحجاز ، بخاصة المراكز الحضارية فيها ، لا تختلف كثيراً في بنائها عما كان سائداً في حواضر الحجاز واليمن (٥) وذلك لأسباب عدة منها :

---

(١) انظر ، جواد علي جـ ٥ ، ص ٦ – ٨ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣١، الماحي، ص ٩٢ ، شيبان ، ص ٢٢ ، السلوم ، ص ٤٦ – ٤٨ . Philby , p . 228

(٢) ومن يشاهد الحصون والقصور المتناثرة في بلاد نجران وما حولها ، والتي تضرب بعضها في القدم إلى مئات السنين يجدها تتكون من عدة ادوار قد يصل احياناً إلى السبعة والثمانية طوابق ، انظر Philby , pp . 228–9

(٣) انظر ابن سعد (مطبعة بريل / ١٣٢٢ هـ) جـ٥ ، ص ١٨٩ ، اليعقوبي ، مشاكل الناس ، ص ١٢، ١٤ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٢٧ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٢١٦.

(٤) الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، الهمداني ، صفه ، ص٣٥٢ – ٣٥٣ ، ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٥ – ٣٦.

(٥) ونجد بعض المصادر تذكر أن حواضر اليمن والحجاز كانت تحتوي على مباني عظيمة في أحجامها وفي مواد بنائها ، وبخاصة في عصور ما قبل الإسلام ، واقرب مثال على ذلك ما ذكر عن كعبة نجران التي بناها عبد المدان بن //

أ - وقوع بلاد نجران بين اليمن والحجاز وبالتالي فالنجرانيون كانوا على احتكاك دائم مع أهل اليمن والحجاز ، بل كان بعض النجرانيين يذهبون إلى مدن اليمن وحواضر الحجاز ويستقرون بها بعض الوقت ، ولهذا فليس غريب على أهل نجران أن يتأثروا بأنماط العمارة السائدة في هذه المناطق .

ب - وفرة مواد البناء الأساسية في أرض نجران حيث تتوفر بها التربة وأيضاً الحجارة الصالحة للبناء ، وكذلك الأخشاب وما شابهها من المواد اللازمة للتشييد والبناء [1] .

ولازال من الصعب علينا أن نرسم صورة واضحة عن مدن وقرى نجران من حيث هندستها وتخطيطها وطراز أبنيتها ومساحتها ومرافقها خلال القرون الإسلامية الأولى ، وذلك لندرة ما احتوته المصادر المبكرة من معلومات ، بالإضافة لانعدام التنقيبات الأثرية العلمية الجادة في هذه المنطقة ، ونحن واثقون لو تهيأ الأمر لإيفاد بعثات أثرية متكاملة لهذه البلاد النجرانية ، وتكون على شاكلة البعثات العلمية والأكاديمية التي تقصد مصر ، والعراق ، وبلاد الشام ، وغيرها من البلاد العربية والأجنبية ، لتوافرت لدينا مادة علمية غزيرة تكشف كثيراً من الغموض الذي يلف تاريخ حواضر ومواطن وقرى النجرانيين في العهد الإسلامي بصفة عامة ، والقرون الأولى على وجه الخصوص .

// الديان الحارثي ، حيث كانت ذا شكل مربع عظيم في حجمها وفي تشييدها ، ومواد بنائها . انظر البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٣ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(١) أبو حنيفة الدينوري من علماء القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) دون كتاباً كبيراً عن النبات ، ومعظم المعلومات المدونة بهذا الكتاب تخص شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة بلاد اليمن ونجران والسروات والحجاز حيث ذكر معظم النباتات والأشجار الموجودة بهذه البلاد ، ووضح أسمائها وفوائدها ، وأماكن وجودها ، وقد نشر من هذا الكتاب حوالي ثلاثة أجزاء والباقي منه لا يزال مفقوداً لم يعثر عليه حتى الآن .

ومن الأنماط المعمارية أيضاً التي عرفتها نجران العمران الديني والمتمثل بصفة أساسية في كعبة نجران والأديرة الخاصة بنصارى نجران [(١)] ، وكذلك المساجد ، فبعد انتشار الإسلام في تلك النواحي وعلى مدار فترة الدراسة ، فلا تخلو قرية من قرى نجران من وجود مسجد يصلي فيه أهل القرية ، ويتدارسون فيه أمور دينهم ، وتقام فيه حلقات الدرس ، لتفسير القرآن الكريم وتحفيظه ، وتدارس الحديث النبوي الشريف ، وأحياناً يجتمع فيه رجال القرية أو العشيرة للتشاور فيما يتعلق ببعض شؤونهم الحياتية والدنيوية . ومن يعود إلى كتب التراث الإسلامي المبكرة يجدها تخلوا من الإشارات إلى كيفية بناء المساجد في نجران ، ولكن من خلال الاطلاع على بعض الدراسات المتأخرة عن بعض المدن والقرى والحواضر في شبه الجزيرة العربية ، وكذلك من خلال جولتنا في نجران وجازان وبلاد السروات وكذلك مدن الحجاز واليمامة الكبرى اتضح لنا عدة أمور عن وضع المساجد خلال القرون الإسلامية الأولى في نجران وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية ، أهمها ما يلي :

أ - لا تكاد قرية من القرى القديمة في بلاد نجران وغيرها من مواطن الجزيرة العربية تخلو من مسجد يتوسط القرية فتحيط به البيوت من كل ناحية ، وتؤدي إليه الطرق من كل مكان ، وغالباً يكون أمام المسجد فناء أو ميدان حسب مساحة القرية يخرج إليه المصلون بعد صلاتهم ، وقد يستخدم هذا الفناء لاجتماعات رجال وشباب أهل القرية والتشاور فيما بينهم بخصوص حل مشكلاتهم وإصلاح أمورهم . وهذه الهيئة التي رأينا

(١) يذكر أن بنائها كان على شكل مربع متساوي الأضلاع والأقطار ، مرتفعة عن الأرض فلا يصعد إليها إلا بدرج ، كما كانت حيطانها وسقفها مطعمة بالفسيفساء والذهب . انظر البكري ، مج ١ ، جـ٢ ، ص٦٠٢ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

عليها المساجد في نجران وغيرها هي الطريقة نفسها التي ذكرتها المصادر الإسلامية المبكرة في الأمصار والمدن والقرى الإسلامية داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها [١] .

ب - جميع المساجد القديمة التي شاهدناها تتكون من دور واحد فقط ، ولا يوجد بها مئذنة ، وغالباً يوجد بجانب بعضها ، وضمن بناية المسجد ، غرفة صغيرة قد تستخدم لأغراض عديدة في خدمة المسجد مثل : استخدامها سكناً للغرباء المسافرين الذين قد يتوقفون في القرية للحصول على بعض الزاد والراحة ، وأحياناً كان يوضع بها بعض الأغراض الخاصة بالمسجد ، كما أن بعض المساجد التي شاهدناها في نجران وعسير والباحة والطائف توجد بها آثار مكان للوضوء أثناء الصلاة ، وهذه الأماكن يطلق عليها أحياناً " بركة وجمعها برك " [٢] .

ج - يظهر أن بناء المساجد كان من نفس مواد بناء الحصون والقصور والبيوت الأخرى ، وغالباً ما كان يستخدم الطين في نجران وأحياناً الحجر والطين . أما الباحة والطائف التي نرى معظم مساجدها مبنية من الحجارة ، وذلك يعود إلى توفر الحجارة الجيدة للبناء بهذه البلاد [٣] .

د - معظم المساجد القديمة التي شاهدناها في نجران وبلاد السروات والطائف صغيرة الحجم ، فلم أر مسجداً تصل مساحته الكلية إلى أربعمائة متر مع العلم أنني قد رصدت مشاهدتي لمساجد عديدة في المنطقة الممتدة من نجران حتى الطائف وجميع المساجد التي شاهدناها تتراوح مساحتها من (٢٠م^{٢}) تقريباً إلى (٢٠٠م^{٢}) وربما (٢٥٠ – ٣٠٠م^{٢}) على أكثر تقدير [٤] .

---

(١) انظر الالفي ، ص ١٨٨ ، عاشور ، ص ٢٠١ وما بعدها ، الحشائش ، ص ١٢ وما بعدها .
(٢) مشاهدات الباحث ورحلاته خلال الأعوام التالية : (١٤١٥ – ١٤٢٠ هـ) ، (١٤٢٣ – ١٤٢٤ هـ) .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .

ومن الأبنية الأخرى في نجران وما حولها من بلاد اليمن وأرض السروات وجود مدرجات زراعية ، معظمها من الحجارة وبخاصة في اليمن والسروات وبعضها من الطين والحجارة كما هو في أجزاء عديدة من نجران ، وتتراوح في ارتفاعاتها ، والفوائد التي يمكن استخلاصها من وجود مثل هذه المدرجات ، هي : أن المنطقة تحكي عن وجود حضارة قديمة صنعتها سواعد أقوام أقوياء استطاعوا التكيف والتغلب على ما كان يقابلهم من مشكلات طبيعية أو بشرية أو غيرها ، كما أن بناء مثل هذه المدرجات يساعد على حفظ تربة المزارع من الضياع والاندثار إلى جانب الحفاظ على كل قطعة زراعية بمعالم وحدود معينة تفصلها عن المزارع الأخرى المجاورة [١] .

وهناك أسوار أخرى نشاهد بقاياها حول بعض القرى وعلى بعض الأحمية، وأحياناً في رؤوس الجبال وقيعان الأودية . وقد عرفت بلاد نجران نظام الحمى منذ عهد الرسول ﷺ ، وذلك عندما كتب الرسول ﷺ إلى بني قرة من بني نهد فقال : ((**إنه أعطاهم المظلة كلها أرضها ، وماءها ، وسهلها ، وجبلها حمى يرعون فيه مواشيهم**)) [٢] . وأصحاب الحمى الواحد كانوا يحيطون حماهم بأسوار تتراوح في الطول والقصر وكذلك الكبر والصغر ، وهناك أسوار أو معالم معينة كانت تبنى لبعض الأسر أو القرى أو العشائر لتكون حدود بين منطقتين ، والمميز في طبيعة هذه الأسوار أنها بسيطة في بنائها وتشكيلها ، وأحياناً تكون مبنية من جذوع الأشجار والأخشاب الأخرى مع بعض الحجارة والتراب [٣] .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) حميد الله، ص ١٧٢ ، وللمزيد من التفصيلات عن الحمى وجمعة (أحمية) خلال العصور الإسلامية الأولى ، انظر ابن الفقيه ، البلدان ، ص ٣٠ ، البكري ، معجم ، مج ٢ ، جـ ٣ ، ص ٨٦٠، العلي " الحمى " ص ٥٩٤ وما بعدها .

(٣) لدى الباحث العديد من الوثائق التي تصور حدود ومعالم معينة بين بعض العشائر أو الأسر أو الأفراد في نجران . ومثل هذه الوثائق كثيرة في بعض المكتبات ومراكز الوثائق الداخلية والخارجية ، كما يوجد منها أعداد كثيرة عند شيوخ القبائل وأعيان وأسر وعشائر شبه الجزيرة العربية .

ومن المعالم العمرانية الأخرى حفر الآبار ، وهي توجد منذ القدم وبكثرة في بلاد نجران ، ويصل عمق بعضها إلى عشرات الأمتار ، علماً انه لم يكن لدى الأوائل أجهزة وآلات تساعدهم في الحفر كما نشاهدها في وقتنا الحاضر ، وإنما أدوات حفرها كانت بسيطة وبدائية في قدرتها وفي طريقة تصنيفها . وعند الانتهاء من حفر أي بئر تطوى جميعها وأحياناً جزؤها العلوي ببناء يكسبها شكلاً جمالياً جيداً ، ويحفظها من الأوساخ والأتربة والحجارة التي قد تتساقط من أطرافها العلوية [(١)] .

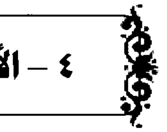
كما توجد هناك أبنية أخرى مثل : المقابر التي نراها متناثرة في أماكن عديدة ، ولا تخلو بعض القبور من البناء ، وهذه عادة نجدها موجودة في أجزاء مختلفة من بلاد السراة ، وبلاد اليمن ، وكذلك بلاد الحجاز واليمامة . أيضاً عثرت بعض الدراسات الأثرية على أبنية أخرى خاصة بالسدود ومجاري القنوات المائية ، وهذا ليس غريباً على بلاد نجران لأنها مناطق زراعية غنية بمزارعها وثرواتها النباتية ، كذلك قربها من بلاد اليمن التي عرفت فيها السدود منذ عصور ما قبل الإسلام [(٢)] . كما وجدت أبنية أخرى خاصة بالطرق الواصلة بين القرى بعضها ببعض ، وبين الأرياف والبوادي والمدن ، وبين الجبال والأودية ، ووجدت أيضاً أبنية خاصة بالأسواق توضح حدود السوق ، وقد يبنى في بعض الأسواق أماكن معينة للتجارة وربما للقائمين على السوق . ومثل هذه الأبنية تكاد تكون موجودة في كل مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية [(٣)] .

---

(١) انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٨٥ – ١٨٧ ليبتز ، رحلة ، ص ١٤٥ . Philby , p 216

(٢) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٢٠٦ وما بعدها ، ليبتز ، ص ١٤٣ .

(٣) ليبتز ، ص ١٤٨ ، Philby , pp . 233–4



٤ – الأطعمة والأشربة :

من يطالع طبيعة بلاد نجران خلال القرون الإسلامية الأولى ، يجدها تحتوي على بلاد زراعية كثيرة يزرع بها سائر المحاصيل الزراعية ، كما يوجد بها الوهاد والجبال والأودية العديدة التي تصلح لرعي المواشي والحيوانات المختلفة [١] ، كما يوجد بها الطيور والحيوانات البرية التي يتم اصطيادها وأكل لحومها [٢] .

وتختلف وتتنوع الأطعمة والأشربة التي اعتاد أهل نجران على تناولها باختلاف مناطقهم ، ومستوى دخل كل أسرة عن غيرها ، ووفقاً لما يتوافر من منتجات زراعية وحيوانية بكل منطقة ، كذلك كان لعلية طبقات المجتمع ، من الأمراء ، والشيوخ ، والوجهاء ، والأثرياء ، وربما التجار تأنق في ألوان الأطعمة التي يتناولونها ، وتختلف عما يتناوله الفقراء الذين يأكلون ما تيسر لهم حسب أرزاقهم ، كما أن طبيعة نجران ومصادرها ليست عند كل الناس سواء ، فالعاملون في البوادي ومهنة الرعي يكون أغلب أطعمتهم وأشربتهم من منتجات ما يصطادون أو يملكون من حيوانات ، بينما أصحاب الزروع والبساتين يكون جل قوتهم مما تنتجه حقولهم وبساتينهم ، والحرفيون والتجار في الحواضر والقرى يعتمدون في مأكلهم ومشربهم على ما يقومون بشرائه من المواد الغذائية المتوفرة في الأسواق المحيطة بهم [٣] .

---

(١) يتضح ذلك من كتب الرسول ﷺ التي كتبها إلى أهل نجران ، عندما أقطع عدداً من الأسر والعشائر بعض الأراضي ، وعندما وضح لهم ولعدد من ولاة نجران أنصبة الزكاة في كل من الزروع والحيوانات . انظر ، أبو يوسف ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، حميد الله ، ص ١٦٨ – ١٩٣

(٢) Philby , pp . 217 , 227 .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص٣٤٠ ، ٣٥٦، وللمزيد عن أنواع الأطعمة قديماً،انظر، بطاينه، ص١١٧–١٣٩، ابن جريس ، عسير ١١٠٠–١٤٠٠هـ، ص٥٨، وما بعدها، السلوم، ص٦٨–٧٩، الحامد، ص٢٠٣وما بعدها .

كذلك تتنوع الأطعمة في نجران تبعاً للمناطق التي تتوفر فيها ومن يسكنها من أهل البداوة أو أهل الحضر ، فالمناطق البدوية كما هو معروف يغلب على طعامهم اللحم والثريد والعصيد ، بينما يغلب على سكان الريف حيث المزارع والبساتين تناول الخبز من البر أو الدخن والذرة والشعير مصحوباً بإدام السمن أو اللبن ، بالإضافة إلى ما يتوفر في بساتينهم من فواكه وخضروات مثل التمر ، والعنب ، والخوخ وغيره [1] .

ونجد الهمداني من أهل القرنين الثالث والرابع الهجريين (التاسع والعاشر الميلاديين) يذكر لنا معلومات جيدة عن العديد من الأطعمة والأشربة التي كانت موجودة في بلاد نجران وصنعاء وما حولها فيقول : ((**وكان الحجاج يأكلون سُفرهم طرية الخبز ويابسه غير متغيرة من صنعاء إلى كتنة [2] ، والى أبعد ، وكنت أنظر إلى التجار ، إذا حملناهم إلى مكة من صعدة يأكلون سُفرهم طرية إلى نصف الطريق ويابسة تدق وتطر إلى مكة [3]، وكنا نستعمل في أسفارنا خبز الملة والسمن واللحم والكشك والمهاد**)) [4] ، ويذكر أن والده أخبره بأن رجلاً من بغداد سأله ، ((**بماذا تأتدمون في أسفاركم ؟ فقلت بالسمن، قال : أبا لسمن ؟ قال قلت: وما للسمن ؟ قال هو ضرب من السم ، قال قلت أما والله لو ذقت البرطي منه ، والمغربي ، والكلبي ،**

---

(١) انظر ، الأزرقي ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٠ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٥ ، ٨٧ ، ١٨٥ ، السلوم ، ص ٦٨ وما بعدها ، علاقي ، ص ١٣٦ وما بعدها .

(٢) كتنة احدى المحطات التجارية على الطريق الواصل من صنعاء إلى الطائف عبر السروات ، ولا زالت تحمل نفس الاسم في الأجزاء الشرقية من منطقة عسير .

(٣) وكان غالبية التجار والمسافرين الذين عرفناهم إلى قبل أربعين سنة يقومون على عمل الخبز في الصاج أو التنور ثم يأخذونه معهم وقد يكفيهم إلى الأسبوعين والثلاثة أسابيع .

(٤) الكشك : طعام يتخذ من نقع البرغل باللبن بعد اختماره فيفت ويطحن ، ولعله الذي يسمى المطيط في بلاد اليمن . والمهاد : الشيء المنبسط واللين ، وهو الممهود . انظر الهمداني ، صفة ، ص٣٥٦ حاشية (١) .

والجنبي [(١)] ، لعلمت أن دهن اللوز معه وضرٌ ، ولذلك لا يعمل أهل اليمن حلاواهم إلا به ، لأنه أطيب وأجود من الشيرق المقشر [(٢)] ، ومن دهن الجوز واللوز ، ولطيبه يشربه الناس شرباً ، ويكون له رائحة شهية تدعو النفس معها إلى شربه والاستكثار من التأدم به ، وله لطف ، فلا يكاد يجمد لرقته ولطفه وخفته)) [(٣)]، ويواصل الهمداني بذكر أنواع أطعمة أخرى فيقول : ((وتجد ذلك في لطافة لحوم الضان ولحوم البقر ... وأبرار اليمن العربي التليد ، والنسول بر العلس ، وهو ألطفها خبزاً وأخفها [(٤)] ... والخبز بها - يقصد اليمن - ضروب كثيرة ، ولمضائرهم فضل لحال اللبن ، واللبن الرائب بصنعاء ، وبلد همدان ومشرق خولان ... أثخن من الزبد في غير اليمن مع الغذاء واللذة والطيب ، وزبدها بمنزلة الجبن الرطب في غيرها وأشد ، وتحمل القطعة فلا يعلق بيدك منها كثير شيئ ، ولهم مع ذلك ألوان الطعام ، والحلاوي والشربة التي تؤثر على غايات الوان كتب المطابخ ، ولهم مثل ألوان السمائد وألوان البقط والكشك والسري والوان الحلبة ، ومعقدات الأترج ، والقرع ، والجزر ، وقديد الخوخ والرانج [(٥)] ، وغير ذلك من صنوف الحلوى التي إذا شرع الإنسان في تناولها

---

(١) أسماء مواطن عديدة في بلاد اليمن ، انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٦ حاشية (٤) .

(٢) الشيرق : دهن السمسم الجلجلان .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٦ - ٣٥٧ وإلى عهد قريب كنا نرى أبائنا وأجدادنا يفضلون السمن على غيره فتراهم يأتدمون به ويشربونه ، بل اننا نرى بعض كبار السن إلى اليوم يفضلونه على غيره من السوائل والمشروبات ، للمزيد انظر الحامد ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، مشاهدات الباحث خلال الثلاثين عاماً الماضية .

(٤) هذا من أسماء حبوب البر (الحنطة) باليمن وهي معروفة إلى هذا اليوم ، ومنها الميساني ويرادفه الوسني ، ومنه الحورروي العلسي نسبة إلى قرية حورور من علس ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٧ ، حاشية (٤) .

(٥) الرانج : تمر املس والجوز الهندي ، انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٧ .

قضم على طيبه بعض أنامله)) [١].ويتحدث الهمداني عن العسل الموجـــود في بلاد اليمن ونجران وأرض السروات فيقول ((وبه الشهد الحضوري [٢]، الماذي الجامد يقطع بالسكاكين ، وقد ذكره أمرؤ القيس بقوله :

كأن المسك والكافور بـــالــراح اليمانـــي

على أنيابها وهناً مع الشهد الحضوري [٣]

ويهدى إلى العراق ومكة وسائر البلدان في القصب . وصفة عملـــه أن يحر في الشمس ويصير في عقود قصب اليراع ، وأقيمت تلك القصبة أياماً في بيت بارد حتى يعود إلى جموده ، ثم ختمت أفواه القصب بالقصة ، وحمل فـــإذا أراد تقديمه على الموائد ضرب بالقصبة الأرض فانفلقت عن قصبة عسل قائمة ، فقطعت بالسكين على طيفورية أو رغيف [٤]، وباليمن من غرائب الحبوب ، ثم من البر العربي الذي ليس بحنطة ، فإذا ملك عجينه ، ثم أردت قطع شيء منه تبع القطعة تابعة منه تطول كتابعة القبيط [٥] ، والميساني ، والنسول ، والهلباء لا يكون إلا بنجران ، ومنه الأدرع الأملس ، والأحمر الأحرش ، واللوبيـــاء ، وألوان الذرة البيضاء والصفراء والحمراء والغبراء)) [٦]، ثم يتحدث الهمداني في مكان آخر عن بعض الحبوب والفواكه بنجران فيقول : ((... ومـــن ذلـــك الذرة بنجران في قابل يام من ناحية رعاش وراحة يكـــون في قـــصبة الـــذرة

---

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٧ .

(٢) نسبة إلى حضور في بلاد اليمن ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ حاشية (١) .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ ، ومن يتجول في بلاد السراة الممتدة من اليمن إلى الحجاز ، ثم يقرأ عن جودة العـــسل الذي كان فيها ولا زال عبر العصور الإسلامية ، يتأكد من صحة ذلك لما تحتويه من النباتـــات والأزهـــار المفيـــدة للنحل ، انظر الدينوري ، النبات ، جـــ ٣ ، ص ٢٥٧ – ٢٩٤ ، ابن جريس ، دراسات ،جــ١، ص ٢٢٨ .

(٥) القبيط : نوع من الحلويات ، انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ ، حاشية (٢) .

(٦) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ .

مطوان [(١)] ، **وثلاثة وأكثر** [(٢)]. **ومن ذلك الأترج بنجران ليس حماض فيه كبار أحلى من العسل تبلغ الواحدة ربع دينار وخمس وسدس ، وليس له نظير في بلد ، ومن ذلك سكر العشر** [(٣)] **لا يكون إلا بنجران ، ولا يكون منه إلا شق بلحارث فيما بين الهجر وسر بني مازن ، وهو سكر يترل من الهواء على ورق العشر في قولهم ، فيكون بقدرة الله عز وجل من العشر ، وقد يوجد منه شيء في الموضع على غير العشر ، وهو ضرب من المن وهيئة مثل قطع اللبان والمصطكي ، وقد يحمل ويعمل منه سكر كبار مطبع في القوالب ، وقد أهديت منه إلى أخ لي بالعراق فأعجب من رآه ...))** [(٤)] .

ويذكر الهمداني عدداً من أسماء الفواكه الموجودة في نجران وبعض بلاد اليمن فيقول : ((**وجميع الثمار بها من العنب الملاحي ، والدوالي ، والأشهب ، والدربج ، والنواسي ، والزيادي ، والأطراف والعيون ، والجرشي ، والنشاني ، والتابكي ، والرازقي ، والضروع ، وبها الرمان الحلو والحامض ...))** [(٥)] ، ثم أسماء فواكه عديدة مثل : التفاح الحلو والحامض ، والآجاص ، والخوخ (الفرسك) ، واللوز ، والكمثرى ، ثم يقول : ((**وبها جميع أصناف البقول ، وجميع الحبوب ...))** [(٦)] . وكون أشجار النخيل موجودة بكثرة في نجران ويوجد بها أنواع عديدة من التمور التي يأكلها أهل البلاد ، وربما صدروا بعضها إلى خارج نجران ، ونجد الهمداني في موضع آخر يشير إلى النخل وبعض أنواع التمور الموجودة في نجران في عصره فيقول : ((**وبها النخل البعل الذي لا يشرب إلا من السيل ، وربما أسنت فأتى بالتمر عن ري سنة واثنتين ، وبها**

---

(١) مطوان : تثنية مطوى وهي السنبلة السبولة ، وهي لغة حاشد ومغاربها وورد بهذا اللفظ في المساند الحميرية ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٠ ، حاشية (١)

(٢) المصدر نفسه .

(٣) العشر : شجر معروف ، للمزيد انظر الدينوري، النبات (تحقيق محمد حميد الله) جـ٢ ، ص ١٣٣– ١٣٦.

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٠ ، وللمزيد ، انظر : ابن بكار ، جمهرة ، جـ ١ ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(٥) المصدر نفسه ص ٣٥٤ .

(٦) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٥ .

القسب [١] **من التمر الذي يسحق ويحلو مع السويق فذلك بنجران ، وبها المدبس الذي لا يلحق به بردي خيبر ، قال لي أبي – رحمه الله تعالى – : قد دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة ، وأكثر بلاد النخل وطعمت التمران ما رأيت مثل مدبس نجران جودة وعظم تمره خاصة تملأ الكف التمرة ...))** [٢]. ويأتي ابن المجاور في فترة متأخرة عن الهمداني فيقول عن أطعمة أهل نجران ومن جاورهم من أهل صعدة وبلاد السروات حتى الطائف فيقول:((**وجميع زروعهم الحنطة والشعير، وشجرهم الكروم والرمان واللوز ، ويوجد عندهم من جميع الفواكه والخيرات، وأكلهم السمن والعسل))** [٣] .

ويستخلص مما أورد الهمداني أن سكان نجران كانوا يعتمدون بشكل كلي على منتوجاتهم سواء كانت زراعية أو حيوانية ، ثم أنهم كانوا يعتمدون بشكل كبير على ما في حوزتهم من أطعمة ، وربما تبادلوا فيما بينهم بعض الأطعمة اما عن طريق المقايضة التجارية ، أو الهدية أو الصدقة ، ولا يستبعد أنهم كانوا يتاجرون خارج بلاد نجران ببعض الحبوب والحيوانات والمشروبات كالسمن والعسل ، لأنها كانت متوفرة في بلادهم . كما لا يستبعد أنهم كانوا يحصلون على بعض الأطعمة عن طريق الجمع والالتقاط أو الصيد مثل : التقاط بعض الزهور والثمار التي تنبت في بعض الأشجار البرية كالسدر ، والزيتون البري ، والتين الشوكي وما شابه ذلك ، كما أن الغزلان والطيور والعصافير متواجدة بكثرة في بلاد نجران فقد يتم اصطيادها ليقتاتوا بها . كما حصلوا على بعض الأشربة خلاف ما ذكرناه بالإضافة إلى الماء مثل : زيوت السمسم ، وزيت الزيتون وغيرها [٤] .

---

(١) نوع من التمر لا يزال معروفاً حتى اليوم .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٠- ٣٦١ ، وللمزيد عن أنواع الأطعمة في القرون الإسلامية الأولى ، انظر ابن قتيبة ، عيون ، جـ ٣ ، ص ٢١٩ – ٣١٧ ، وللمزيد انظر ، حسين ، الحجاز واليمن ، ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٨ .

(٤) ومن يطالع المتحف التاريخي في نجران ، وكذلك يلتقي ببعض كبار السن ، و يطلع على بعض المقالات والدراسات التي خرجت عن بلاد نجران وغيرها يجد أنه لازال هناك أطعمة يتناولها الناس إلى اليوم ، وهي مستمرة من تراث الماضي . مشاهدات ومقابلات الباحث في بلاد نجران خلال عام (١٤٢٣ – ١٤٢٤ هـ) انظر أيضاً ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ٥٨ – ٦٤ ، آل مريح ، ص ١١١ – ١١٣ ، السلوم ، ص ٦٨ – ٨٠ .

٥- اللباس والزينة :

كان مستوى الألبسة والزينة في نجران ، خلال القرون الإسلامية الأولى بسيطاً ، وإن اختلف لباس أهل نجران حسب مكانة الشخص وطبيعته الاجتماعية ، وتبعاً لاختلاف العوامل الطبيعية من حيث المناخ والحرارة والبرودة ، وكذلك باختلاف المناطق البدوية والحضرية ، بحيث أصبح من اليسير تمييز طبقة الفرد الاجتماعية وحرفته وعمله ، فالأثرياء كانوا أفضل حالاً من الفقراء ومتوسطي الحال ، كما أن طبقة الفقهاء والشيوخ والأعيان والأمراء تختلف ملابسهم عن طبقات عامة الناس [١] .

وكي نحدد مسار حديثنا في هذا العنصر فإننا سوف نشير إلي ألبسة الرأس ، ثم البدن وأخيراً القدمين عند الرجال والنساء ، والصغار والكبار .

فلباس الرأس عند الرجال كان العمامة ولأهميتها ومكانتها عند المجتمعات العربية بشكل عام، وعند الكثير من سكان نجران بشكل خاص ، كان الرجال صغاراً وكباراً يلبسونها ، وهي في العرف العربي ومن قديم الزمان تزيد الرجال وقاراً ، ومن لا يلبسها كان ينظر إليه بعين الازدراء ، ولها فوائد أخرى تحمي الرأس من حرارة الشمس ، وشدة البرد ، وتكسب من يلبسها جمالاً ومنظراً حسناً [٢] . وقد نقل الجاحظ وصف أبي الأسود الدؤلي للعمامة عندما قال : ((**هي جنة في الحرب ، ومكنة من الحر ، ومدفأة من القر ، ووقار في الندى ، وواقية من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعد عادة من عادات العرب**)) [٣] .

---

(١) هذه الظاهرة تكاد تكون عامة في كل زمان ومكان منذ عصور قديمة حتى وقتنا الحاضر ، الحامد ، " الحياة الاجتماعية " ص ٢٠١ حسين ، الحجاز واليمن ، ص ٢٥٢ .

(٢) للمزيد عن اهمية العمامة عند العرب ، انظر رشدي ، الملابس العربية ، ص ٣٧ – ٤٠ ، ابن جريس " العمائم " ، ص ٦٦ ، الحامد ، الحياة " ص ٢٠١ .

(٣) رشدي ، الملابس ، ص ٣٨ (نقلاً عن الجاحظ) .

والعمائم في القرون الأولى من عصر الإسلام كانت متنوعة في أحجامها وأشكالها ، فكان منها الأسود ، والأبيض وأحياناً تكون داكنة أو حمراء ، كما كانت تلف على الرأس بشكل كروي ، أو تسدل على الرأس ويتدلى طرفها على الصدر أو الظهر ، وقد يتقنع بها فتوضع على الرأس ثم تدار من تحت الحنك (١) .

ومنذ العصر العباسي تقريباً أصبحت العمائم متنوعة بتنوع مترلة الناس الاجتماعية ، فكان لكل من الخلفاء وكبار رجال الدولة والفقهاء والبقالين والأعراب واللصوص ، ولمن سكن البلاد العربية والإسلامية من الروم والفرس ، وأهل الذمة عمائم خاصة تميز كلاً منهم عن غيره (٢) .

وقد عرف لبس القلنسوة ، وهي لباس مستدير من الداخل يوضع على الرأس ويصنع من القماش أو الجلد . وكان الناس في صدر الإسلام لا يلبسونها لوحدها بل يجعلون فوقها العمائم وقد اعتبر ذلك من السنة ، وكان الاعتناء بالقلنسوة كالاعتناء بالعمائم ، وإن كانت الأخيرة أكثر شيوعاً ، وتتفاوت القلانس في طولها وقصرها وفي عرضها وضيقها (٣) .

أما لباس الرأس بالنسبة للنساء فكان الخمار هو غطاء تغطي المرأة رأسها ، ويلف حول رقبتها (٤) وكان الخمار ذا ألوان مختلفة فمنه الأسود ، والأحمر ، والأصفر ، والأزرق . ويبدو أن الخمار كان من ألبسة النساء الحراير ، فيروى ابن سعد أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ولاته في أنحاء الدول الإسلامية : ((**أن لا تلبس أمه خمارا ولا يتشبهن بالحرائر**)) (٥) ، أما النساء في بعض نواحي نجران

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٩ ، وللمزيد انظر دوزي ، المعجم ، ص ٢٥١ – ٢٥٢ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠هـ ، ص ٦٦ ، السلوم ، ٨٤ ، ٨٧ .

(٢) الصابي ، رسوم ، ص ٨١ ، رشدي ، الملابس ، ص ٣٨ .

(٣) رشدي ، الملابس ، ص ٤٠ – ٤١ ، محمد ، مخلفات الرسول ﷺ ، ص ٨٤ .

(٤) ابن منظور ، جـ ٤ ، ص ٢١٣ ، مادة (خمر)

(٥) انظر العلي " الألبسة العربية " ، ص ٥٦ .

فكن يلبسن البرقع [١] ، وكان ملونا بمختلف الألـــوان ، ويختلـــف بـــاختلاف الأقمشة المصنوع منها ، فكان أحيانا يصنع من الخز [٢].

أما لباس البدن فقد ذكرته بعض كتب التراث الإسلامي مثل كتب السنن ، والمعاجم اللغوية وكذلك بعض الكتب التاريخية والأدبية الأخرى ، والدكتور / صـــالح العلي أفضل من جمع لنا أسماء وتعريفات وطرق استخدام الألبسة خلال القرون الأولى من عصر الإسلام ففي دراسته الموسومة بـــ ((**الألبسة العربية في القـــرن الأول الهجري**)) [٣] ، عدد ثمانية عشر لباساً للبدن بعضها داخليه وأخرى خارجية مثـــل : الرداء ، والإزار ، والقميص ، والملحفة ، والملاءة ، والريطة ، والدراعة ، والخميصة ، والبرنكان ، والمرط ، والغلالة ، والخمار ، والعباءة ، والقباء ، والسروال ، الجبـــاب ، والبرنس ، والمستقة [٤]. وفي دراسة أخرى بعنوان ((**الأنـــسجة في القـــرنين الأول والثاني**)) [٥] ، فصل فيها أنواع الأنسجة والأقمشة التي كانت متداولة عند المسلمين خلال القرنين الأولين فذكر أنواعها ومواطنها في العالم الإسلامي مثـــل : الأنـــسجة اليمانية ، والبحرينية ، والعمانية ، والشامية ، والمصرية ، والعراقية ، والإيرانية [٦] ، وفي هذه الدراسة أفاض العلي في التفصيلات عن الأنسجة اليمنية وذلك لـــشهرتها في هـــذا المجال ، ونستدل من بعض النصوص على أن النسيج كان من أبرز حرف أهل الـــيمن ،

---

(١) ويذكر ابن منظور ، انه لنساء الاعراب ، جـــ ١ ، ص ٣٨٦ مادة (برقع)

(٢) دوزي ، ص ٥٩ .

(٣) العلي ، ص ٤١ – ٦١ .

(٤) المرجع نفسه ، معظم تعريفات هذه الألبسة موجودة في المعاجم اللغوية مثل المخصص لابن سيدة ، ولـــسان العـــرب لأبن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، وللمزيد انظر ، رشدي ، الملابس ، ص٤٥ – ٦٨، العبيدي ، الملابـــس ، ص ١٨١ وما بعدها .

(٥) العلي ، ص٥٥٠ – ٦٠٠ ، وللمزيد انظر ، دوزي ، ص٣٥ وما بعدها ، العبيدي ، الملابس ص٤٢ وما بعدها.

(٦) المراجع نفسها، وللمزيدعن الأنسجة وانواعها ومواطن وجودها خلال القرون الإســـلامية الأولى،انظـــر معجمـــي المخصص لابن سيدة ، ولسان العرب لابن منظور،فقد افاض في اعطاء تفصيلات عن هذه الجوانب.

فيروي الأصمعي أن خالد بن صفوان أجاب رجلاً أطنب في التفاخر باليمن فقال له : **((وما عسى أن اقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد ، وسائس قرد ...))** [١] ، ثم حصر العلي معظم الأنسجة التي كانت متداولة بين أهل اليمن ، بل كانت تصدر إلى معظم أنحاء العالم الإسلامي آنذاك : مثل البرد ، والحبرة ، والعصب [٢]، والأنسجة الجندية ، والنجرانية ، والمعافرية ، والسحولية ، والعدنية ، والحضرمية ، والحميرية ، ومنسوجات أخرى مثل الملاحف والحلل اليمانية [٣] .

ونستخلص من هاتين الدراستين التي نشرها صالح العلي ، ما يلي :

أ - ذكر أغلب ألبسة البدن المشهورة خلال القرون الإسلامية الأولى والتي كان متعارف عليها عند مجتمعات العالم الإسلامي ، وتستخدم وتلبس في جميع أنحاء البلاد الإسلامية ، بصرف النظر عن الظروف الاقتصادية التي تعيشها كل أسرة أو فرد ، ومقدرة كل واحد على امتلاك إحدى تلك الألبسة أو معظمها .

ب - أن سبب ذكر هذه الألبسة والأنسجة في معظم المصادر الإسلامية المبكرة لدليل على انتشارها عن طريق التجارة والتجار ، فتلك الأنسجة اليمنية المتنوعة مثلاً لم تكن محصورة في بلاد اليمن ، وإنما صدرت إلى جميع حواضر العالم الإسلامي ، وهذا يدل على شهرتها وتوفرها بشكل

---

(١) ابن الفقيه ، ص ٤١ ، العلي " الأنسجة " ص ٥٥٦ ، السيف " الصناعات " ، ص ٣٣١ .

(٢) يقول الأصمعي اربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن " الورس ، والكندر ، والخطر ، والعصب " انظر ، ابن الفقيه ، ص ٣٦ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٤٤٨ .

(٣) ويذكر ابن منظور عدة معان للحلة فيقول : ((الحلة رداء ، وقميص ، وتمامها العمامة ... ولا يزال الثوب الجيد يقال له في الثياب حلة ، ... والحلل الوشي ، والحبرة ،و الخز ، والقز ، والقوهي ، والمروي ، والحرير ... والحلة كل ثوب جيد جديد تلبسه غليظ أو دقيق ، ولا يكون إلا ذا ثوبين ... والحلة القميص والإزار والرداء لاتكون اقل من هذه الثلاثة ...)) لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ .

كبير في اليمن ، مما يؤكد على وجود حرفيين وصناع كثيرين في اليمن يقومون بنسجها وتصديرها إلى كل مكان .

ج - ذكر بعض الأنسجة في اليمن باسم المكان الذي تصنع فيه مثل : المعافرية في بلاد معافر ، والجندية في بلاد الجند ، والحضرمية في حضرموت ، والنجرانية في نجران وغيرها لدليل على توافرها وصنعها بكثرة في مواطنها الأصلية ، ثم تصديرها إلى أنحاء العالم حتى أصبحت معروفة عالمياً بهذا الأسم، فعندما يقول البرد النجرانية أو الحلل النجرانية ، أو الثياب النجرانية يعرف أنها من بلاد نجران وان مصدرها وصناعتها من تلك النواحي .

ومما يؤكد على توفر المنسوجات والملابس في بلاد نجران وجودة صنعها ورد ذكرها في نصوص بعض المصادر الإسلامية المبكرة ، حيث نجد أن الرسول ﷺ يصالح نصارى نجران على ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة [١] ، كما أنه فرض على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد من أهل الذمة بنجران دينار وافٍ، وإن لم يوجد فما يساويه من الثياب [٢] ، وهذا ينهض دليلاً على شهرة نجران في صناعة المنسوجات على اختلافها ، ونلاحظ أن النص لم يوضح ما نوع الثياب التي يستطيع النصراني أو اليهودي تقديمها بدلاً من النقود . وفي الكتاب الذي أرسله الرسول ﷺ إلى عمرو بن حزم في نجران نهى عن الصلاة في ثياب لا تستر العورة فقال ((**وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً واحداً يثني طرفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبي أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء**)) [٣] وهذا مما يدل على أن بعضهم كان يلبس ألبسة لا تكون ساترة للبدن ، كما يتضح أيضاً من فخامة الألبسة

---

(١) أبو يوسف ، ص٧٢ ، ابن سلام ، ص٢٧٢ ، ٢٧٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، اليعقوبي ، تاريخ جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(٢) أبو يوسف ص٧٢ ، ابن هشام جـ ٤، ص ٢٤١، الطبري، جـ ٣ ، ص ١٢٨، ابن خلدون، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣.

(٣) المصادر نفسها .

التي كان يرتديها نصارى نجران عندما قدموا على الرسول ﷺ حيث كـان علـيهم ثيـاب الحبرة ، وأردية مكفوفة بالحرير وفي أعناقهم وأيديهم الصليب [١] .

وإذا كانت الألبسة في الغالب من الأقمشة والمنسوجات ، فإن بعض السكان، وبخاصة الفقراء والبدو ربما لا يستطيعون شراء الألبسة التي تسد حاجتهم ، فنجـدهم يضطرون إلى صنع ألبستهم من أصواف و أوبار حيواناهم ، وقد يصنعون منها بعـض الألبسة التي يغطى بها البدن أثناء مزاولة أعمالهم ، أو يلتحف بها في الليل أثناء النوم ، أو تفرش بها بعض غرف المنازل [٢].

أما ألبسة القدم فكانت أثناء فترة الدراسة قليلة ، وكثيراً من الناس كان يمشي حافيا ، ولكن كان هناك من يلبس النعال المصنوعة من الجلد ،التي بعـضها تـصنع في نجران ، وأخرى ربما صنعت في بعض الأمصار الإسلامية مثل مدن اليمن، أو الحجـاز ، أو العراق ، أو الشام ، أو غيرها . والتجار وعلية القوم في المجتمع النجراني من الأثريـاء والوجهاء والأمراء هم الذين كانوا يستطيعون امتلاك النعـال المتنوعـة في أحجامهـا وأشكالها وألوانها ، وربما لبسوا معها الجوارب [٣] ، وخاصة في أوقات البرد أو بعـض المناسبات والاحتفالات المختلفة [٤] . ويذكر أن المسلمين في القرون الإسـلامية الأولى كانوا يلفون أقدامهم وسيقانهم بخرقة كبيرة ، وفوق هذه اللفافات يلبـسون خفـافهم الواسعة [٥] ، بل يذكر أنهم كانوا يرتدون الجوارب حين طوافهم حول الكعبة لحمايـة أقدامهم من الحرارة اللاهبة [٦] .

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .

(٢) جواد علي ، المفصل ، جـ ٧ ، ص ٥٨٧ وما بعدها .

(٣) الجوارب لباس فارسي اقبل العرب على تقليده ، وكانت تلبسه الرجال والنساء . انظر الصابي ، رسوم ، ص ٩٢ ، دوزي ، ص ١٢٧ .

(٤) الصابي ، ص ٩٢ وما بعدها .

(٥) دوزي ، ص ١٠٩ .

(٦) الصابي ، رسوم ، ص ٩٢ وما بعدها ، انظر رشدي ، الملابس ، ص ٧١ – ٧٣ .

وقد عرف النجرانيون الخف وهو ما يلبس في القدم ويكون طويلاً بحيث يغطي الساق ويكون عريضا ، ويقول الجاحظ : ((**كانت العرب تلهج بذكر النعال ، والفرس تلهج بذكر الخفاف**)) [١] . مع أن الخفاف كانت مستعملة في عهد النبي ﷺ إذ يخبرنا النووي أن الرسول ﷺ كان يلبس الخفاف ، وأنه حرم على المسلمين لبس الخفاف أثناء الحج فقط مع وجوب قطعها أسفل الكعبين [٢]. وألوان الخفاف متعددة فمنها الأسود ، والأحمر ، والأصفر ، ويروى أن الصحابة ﷺ كانوا ينهون نساءهم عن لبس الخفاف الحمراء والصفراء ويقولون هو من زينة آل فرعون ، أي أنها من مظاهر الترف [٣].

أما الزينة فالرجال كانوا يتزينون بلبس السلاح كالخناجر والسيوف والأحزمة المختلفة ، والمصنوعة غالباً من الجلود وبعضهم يحملون العصي بأيديهم ويرون ذلك من السنن المحمودة [٤] . كما كانوا يحرصون على التزين بالأشجار العطرية مثل الريحان ، والشيح ، والكاذي وغيرها من النباتات المحلية والتي تصدر رائحة جميلة ، كما كان بعض الرجال والشباب أحياناً يستخدمون الكحل في العيون والحناء في الأيدي والأرجل ، وربما صبغ كبار السن شعورهم بالحناء ليغيروا لون الشيب إلى لون الحناء ، كما لبس الرجال والشباب بعض الخواتم في أيديهم وقد يحرص الرجال صغاراً وكباراً على لبس الملابس الجميلة في المناسبات مثل حفلات الأعياد والزواج والختان [٥] . وكل حسب مقدرته وإمكاناته المادية ،

---

(١) رشدي، الملابس، ص٧١، نقلاً عن الجاحظ (البيان والتبيين/ طبعة القاهرة/ ١٩٣٨م) جـ٣ ، ص٩٦-٩٧.

(٢) دوزي ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(٣) رشدي ، الملابس ، ص ٧١ ، نقلاً عن الجاحظ (البيان والتبيين) جـ ٣ ، ص ١٠٦ .

(٤) ابن المجاور ، تاريخ ، جـ ١ ، ص٨١ – ٨٢ ، جواد علي ، المفصل ، جـ ٧ ، ص ٥٨٧ وما بعدها ، الحامد " الحياة "، ص٢٠١ ، ابن جريس عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ٦٥ – ٧٤.

(٥) المصادر والمراجع نفسها .

فأهل البوادي والأرياف والفقراء قد لا يجدون ما يتزينون به مقارنةً بأهل المدن والقرى وعلية المجتمع الذين قد يستطيعون الحصول على بعض أدوات الزينة المختلفة .

كما تزينت المرأة النجرانية بعديد من أنواع الزينة لا سيما الحناء والكحل والعطور حيث شاع استخدامهن لبعض النباتات العطرية التي استخدمها الرجال أيضاً ، وقد يزين شعورهن بالتسريح والتمشيط ، ثم يضعن على رؤوسهن الطيب وأحياناً الريحان والشيح وما شابه هذه النباتات ذات الرائحة الجميلة [١] . ويبدو أن بعض الرجال في نجران كانوا يجعلون شعورهم طويلة ، وقد يربطونها بأشكال متنوعة، وقد نهى الرسول ﷺ في كتابه الذي أرسله لابن حزم فقال : ((**وينهي إلا يعقص أحد شعر رأسه إذا عفى في قفاه**)) [٢] ، وربما منعه لهم لأنهم يتشبهون بالنساء وهذا منهي عنه شرعاً . وكان النساء والبنات الصغار يتزين بالحلي المتنوعة من الذهب والفضة ، وربما الخرز والظفار فيلبسون منها القلائد والعصائب ، والأحزمة على الرأس ، والعنق ، والخواتم والأخرصة في الآذان وأصابع اليد والأرجل [٣] .

---

(١) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٨١ ، السلوم ، ص٨٨ – ٩١ ، السعيد ، ص٧٢ – ٨٣ ، الحامد " الحياة " ، ص٢٠١ .

(٢) انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ابن هشام ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون ، ص تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٩ ، ليبتز ، ص١٤٦ – ١٤٧ ، علاقي ، ص١٣٠–١٣١ ، آل مريح ، ص١٠٧ ، السعيد ، ص٧٣ وما بعدها .

٦- الاحتفالات في المناسبات المختلفة :

(أ) الزواج

كانت الخطبة تعد أولى الإجراءات الأساسية التي تسبق الإقدام على عقد القران وإتمام إجراءات الزواج [١] ، وكانت العادة أن يتقدم الشاب الراغب في الزواج إلى أهل العروس ، وإبداء رغبته في الزواج منها ، أو يرسل من يقوم بهذا نيابة عنه [٢] فإذا ما تمت الموافقة على الخطبة ، وأبدى الخاطب استعداده لتلبية كل مطالب أهل العروس من حلي وجهاز وكسوة ، بالإضافة إلى قيمة المهر المطلوب عاجله وآجله وغير ذلك ، يبدأ الطرفان العمل على استكمال مراسم إتمام الزواج . وفي الغالب كان الزواج يتم بين نساء ورجال القبيلة الواحدة وقليلاً ما كانوا يزوجون البنات خارج عشائرهم ، بل إن الزواج من القريبات كبنات العم والخال يفضلن على غيرهن [٣] ، حتى صار عرفاً عند أهل نجران وغيرهم من سكان الجزيرة العربية ((**أن القريب أولى بالبنت من البعيد**)) [٤] ، وربما حرصت كل قبيلة أن تزوج رجالها على نسائها كي تحافظ القبيلة على انسجامها ووحدتها ، أما انتشار الزواج من القريبات ، وبخاصة بنت العم ، فذلك بهدف استمرار خدمتها لأهلها ، سواء كان من طرف أبيها أو عمها ، لأنهم غالباً يعيشون في بيت واحد ، وكذلك الحفاظ على الميراث فلا يخرج إلى أسرة أخرى خارج أفراد الأسرة الواحدة [٥] .

---

(١) ابن بكار ، جمهرة ، جـ ١ ، ص ٣٢٣ ، الفقي ، ص ٢٦٨ .

(٢) المصادر نفسها ، البلاذري ، أنساب ، جـ ٥ ، ص ٢٨٢ .

(٣) جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٣٩ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ٦٣٩ .

(٥) جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٣٨ – ٦٣٩ .

ونجد الرجال في قبائل نجران يحرصون على اختيار الزوجة ، وكـــانوا يهـــدفون أن تكـــون زوجاتهم أكفاء ومن النجيبات [١] ، وليس أدل على ذلك من وصية الحارث ابـــن كعـــب لأبنائه عندما قال لهم : ((**تزوجوا الأكفاء ، وتجنبوا الحمقاء ، فإن ولدها إلى أفـــن مـــا يكون**)) [٢] ، والكفاءة في النكاح يقصد به أن يكون الزوج مساوياً للمـــرأة في حـــسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك . وبالتالي كان ولا يزال يراعى التكافؤ في الزواج ، فأبنـــاء السادة والأشراف وأفراد القبائل العربية عموماً لا يتزوجون إلا من بنات القبائل المناظرة لهم في المكانة الاجتماعية [٣] ، بل كانوا ولا يزالون يرفضون الزواج من بنات أصحاب الحرف والصناعات المختلفة ، كالدباغين ، والخرازين ، والحـــدادين ، والـــصاغة ، والنجـــارين وغيرهم ممن هو في مترلتهم [٤]، وقد ترفعت المرأة النجرانية على أن تتزوج العبـــد أو الحـــر المعتق من العبودية .

وأخذاً بالمنهج الإسلامي فإن على الرجل أن يدفع مهراً أو صداقاً ، لكنـــه لم يحـــدد مقداره وجرت العادة أن المهور كانت تدفع وفقاً لما تم الاتفاق عليه بين الطرفين وبما يتناســـب مع المكانة الاجتماعية للزوجين ، وكان يزاد فيه باعتبار الحسب والنسب ومكانت الأسرتين . وكانت المهور تدفع نقداً [٣] ، وأحياناً يدفع المهر عينياً مثل الإبل ، والأغنام أو بعض الثيـــاب وما شابهها . ويبدو أن الطبقات الفقيرة كانت تدفع مهراً أقل بكثير من مهور الأغنياء وعلية القوم ، فقد يتزوج الرجل بدرهم أو جزء من الدرهم ، وذلك لقلة ذات اليد [٤] .

---

(١) صالح العلي ، محاضرات ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

(٢) المرجع نفسه، ويقصد بـ(أفن ما يكون) أي اغبى واحمق ما يكون، للمزيد انظر،جواد علي،جـ٤، ص٦٤٠.

(٣) هذه عادات درج عليها سكان الجزيرة العربية ولا زالة ممارسة عند كثير من عشائر وقبائل هذه البلاد ، وفي اعتقادي الها ليست من الدين في شيئ فالمرأة تتزوج لأربع : مالها و جمالها و حسبها و دينها والدين هـــو الأفـــضل في هـــذه الصفات اما الرجل من وجهة نظرة الشرع فهو يتزوج لدينة وكفاءته وأمانته .

(٤) هذه عادة معروفة عند العرب من قبل الإسلام ولا زالت ممارسة عند كثير من قبائل الجزيرة العربيـــة ، انظـــر ابـــن جريس ، عسير ، ص ٧٨ – ٨٣ ، المؤلف نفسه ، دراسات ، ص ٢٠٩ .

(٥) ابن بكار ، جمهرة ، جـ ١ ، ص ٦١ ، الزبيري ، نسب قريش ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

(٤) وللمزيد من التفصيلات عن الزواج في جنوبي الجزيرة العربية انظر جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٢٩ – ٦٣٦ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠هـ ، ص ٧٨ – ٨٤ .

أما عن تجهيز العروس فكان يتم أيضاً وفقاً لمكانة العروسين ومقدرة المتقدم للزواج المادية ، وجرت العادة في الزواج كسوة الزوجة وأحياناً كسوة بعض أقاربها مثل أمها وأختها ، ثم يو لم الشخص المتزوج وقد تتولى أسرته القيام بأمور الوليمة ، ويدعى أفراد القبيلة أو العشيرة لهذه المناسبة ، ويصاحب مثل هذه الاحتفالات الضرب بالطبول والأناشيد المحلية ، وقد يمارس الرقص والغناء عند كل من النساء والرجال ، وربما مارسوا مثل هذه المراسيم الاحتفالية على مرأى من الرجال والنساء على حد سواء . وكما هو معلوم بحرمة الغناء ، ولكن فيما يبدو أنه انتشر في بلاد المسلمين خلال القرون الإسلامية الأولى ، ومما يدل على ذلك أن عمر بن عبد العزيز عندما تولى الخلافة أرسل أمراً إلى جميع الأمصار الإسلامية ينهى فيه ممارسة الغناء والضرب ببعض الآلات الموسيقية ، و لم يأذن إلا بالدفوف على أن يقتصر ذلك على حفلات الزواج [١] .

(ب) **الأعياد** :

اعتاد أهل نجران الاحتفال بالمناسبات والأعياد الدينية سواء قبل الإسلام أو بعده ، فتذكر بعض المصادر أن أهل نجران في الجاهلية كانوا على دين العرب ، وهو عبادة الأصنام ، حيث كان لهم نخلة عظيمة لها عيد في كل سنة ، فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجديد وحلي النساء ، ثم يعكفون على عبادتها والتقرب إليها عدة أيام [٢] . وعندما انتشرت النصرانية بينهم وشيَّد آل

---

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر ، ص ١٢٥ . ومن يتتبع تاريخ الزواج في نجران أو غيرها من أجزاء الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المختلفة يجدها تتفاوت في مصروفاتها وفيما يتم ممارسته فيها من فنون ، وعادات وتقاليد تعارف عليها كل بلدة أو ناحية . وللمزيد انظر ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٥٦ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ٧٨ – ٨٣ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٣٨ – ٦٤٣ ، السعيد ، ص ١٠٦ – ١٠٧ ، الفقي ، ص ٢٦٧ – ٢٦٨ ، حسين ، اليمن ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٢) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٦ .

عبد المدان كعبة نجران الشهيرة ، صار بعض أهل نجران يعظموها ويتقربون إليها ، ولم يقتصر الأمر على ذلك وإنما صارت بعض طوائف العرب المجاورة لقبائل مذحج مثل خثعم وعنز وغيرها يحجون إلى تلك الكعبة ولايذهبون إلى الكعبة في مكة المكرمة [(١)] . وفي اعتقادنا أن البعض من أهل نجران كانوا يحتفلون أيضاً ببعض الأعياد الفارسية ومن أهمها عيدي المهرجان والنيروز ، والتي كان أهل المدينة المنورة يحتفلون بها قبل أن يهاجر الرسول ﷺ إليها ، وقد استبدلها الرسول ﷺ بعيدي الفطر والأضحى المباركين [(٢)] .

وعند بزوغ شمس الإسلام ، نهى الرسول ﷺ عن الاحتفال بغير عيدي فطر شهر رمضان ، وأضحى يوم عرفة ، ويظهر أن الرسول الكريم ﷺ قد لا حظ أنه لا بد لكل أمة من عيد يفرح فيه الصغير ، وينشرح فيه صدر الكبير ويروح فيه عن نفسه ، وأنه لا بد لكل عيد من مناسبة ، فعيد الفطر يأتي بعد انقضاء المسلمين من شهر رمضان ، وعيد الأضحى بعد الحج الأكبر والإفاضة من عرفات ، وهذا مما يخالف شرائع الجاهليين ومن كان في حكمهم من المجوس واليهود والنصارى . كما أن في هذين العيدين تنويهاً بشعائر الملة الحنيفة ، ويذكر فيهما قول الله وأبواب من الطاعات لئلا يكون اجتماع المسلمين بمحض اللعب ، ولئلا يخلو الاجتماع فيها من إعلاء كلمة الله . ولما كان أصل العيد الزينة ، استحب اللباس وضرب الدفوف ، ومخالفة الطريق ، والخروج إلى المصلى [(٣)] .

---

(١) البكري ، معجم ، مج١ ، جـ ٢ ، ص ٦٠٣ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٢) للمزيد عن أعياد سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام انظر الألوس ، بلوغ الأرب ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، جواد علي ، جـ ٥ ، ص ١٠٠ – ١٠٤ ، اطلس " الحياة الاجتماعية .. " ص ٢٨٠ .

(٣) الألوسي ، بلوغ ، جـ ١ ص ٣٤٧ ، جواد علي ، جـ ٥ ، ص ١٠١ وما بعدها ، اطلس " الحياة " ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

وكان أهل نجران منذ فجر الإسلام يفرحون ويحتفلون بعيدي الفطر والأضحى ، فتجدهم يهيئون منازلهم قبل العيد بالتنظيف والتجديد لما يستحق تجديدة في منازلهم واحتياجاتهم المادية ، ويغسلون ملابسهم ، أو يشترون لمن لديه القدرة على الشراء ، ويعدون الأضاحي في عيد الأضحى ، وإذا بدأ اليوم الأول من أيام العيد يلبسون الجديد ويجتمع افراد كل أسرة وأحياناً عدد من الأسر المتقاربة فيسلمون على بعضهم بعضاً ويلعبون ويمرحون في جو يسوده الحب والمودة . ثم يقوم الرجال بزيارة الأقارب من الأخوان والأعمام والأخوال والجيران والبنات المتزوجات في قرى ومواطن أخرى [١] . وهكذا يقضون عيدهم كل حسب طاقته ومقدرته المادية والاجتماعية ، فالأمراء والأعيان والتجار والشيوخ يسود أعيادهم نوعاً من البسطة في اللباس والطعام بعكس الفقراء وبعض الاعراب في البوادي فتجدهم يمارسون نشاطاتهم في يوم العيد على قدر إمكاناتهم المتواضعة في المنازل والملابس والطعام وغير ذلك من لوازمهم اليومية [٢] .

(جـ) حفلات الختان :

وتمثل بدورها أحد مظاهر الحياة الاجتماعية في الفترة موضوع البحث ، والتي جرت العادة بالاحتفال بها ، فيقوم كل أب أو كل أسرة بتطهير المولود الذكر ، وهذه الطهارة من السنن الشرعية التي حث عليها الإسلام ، وفترة القيام بتطهير المولود تبدأ من بعد ولادته بأيام وقد تتأخر لعدة شهور أو سنوات ، ويصاحب هذه المناسبة الفرحة والقيام ببعض الفنون الشعبية التي درج عليها الناس ، كما أن أفراد عشيرة المختون قد يساعدون والد أو أسرة الختين بتجهيز

---

(١) اطلس " الحياة " ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ ، آل مريح ، ص ٨٣ ، السعيد ، ص ١٠٧ – ١٠٨ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ٧٦ – ٧٨ .

(٢) المراجع نفسها .

ما يمكن عمله من اعدادات لهذه الفرحة ، كما قد يقدمون لهم الهدايا العينية أو النقدية من باب التعاون والتهادي [(١)] . وكما شاعت إقامة الحفلات في مناسبات الزواج والختان ، درج الناس أيضاً على إقامة حفلات مماثلة ابتهاجاً بشفاء الأطفال من ألم الختان لاسيما في بيوت المياسير وأهل الترف [(٢)] .

٧ – عادات وتقاليد أخرى :

قليل من المؤرخين من قام برصد أخلاق المجتمع النجراني في ذلك الوقت ، وعادات أهلها وتقاليدهم ، ويمكننا من خلال النتف القليلة التي أوردها المصادر ، أن نتعرف على بعض العادات والتقاليد التي سادت المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية ومن بينها نجران ، منها ما بيناه عند الحديث عن عاداتهم في الزواج وما يتصل به من احتفالات ، والختان ، ومنها ما سوف نعرض له في هذه السطور من عادات وتقاليد أخرى منها :

(أ) **التفاخر ، الكرم ، الشجاعة** :

التفاخر عادة من عادات العرب القديمة في الجاهلية ، واستمرت عند كثير من الناس حتى العهد الإسلامي ، وفك الأسير إحدى المفاخر التي كان يتفاخر بها بنو عبد المدان في نجران ، وهذا مما يدل على الشهامة وكرم النفس ، وأكبر مثال على ذلك ما حصل مع ذلك الرجل الثمالي الذي أقام بجوار دريد بن الصمة [(٣)] ، وكان قد أغار

---

(١) لدى الباحث العديد من الوثائق التي تشير إلى معلومات مختلفة عن طريق الختان في بعض أجزاء الجزيرة العربية ، وكذلك الهدايا التي يتم تبادلها في مثل هذه المناسبة ، انظر ، آل مريح ، ص ٨٥ ، السعيد ، ص ١٠٤ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ٨٥ وما بعدها .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) الاصفهاني ، الأغاني (مطبعة بولاق) جـ ٩ ، ص ٢

أنس بن مدرك الخثعمي على بني جشم فأصاب مال للثمالي وجيران لدريد آخرين ، ثم تباطأ دريد في نجدة الثمالي فسمع منه ما يكره (١) ، ثم أشار القوم على دريد بأن يذهب إلى بني عبد المدان في نجران ، لأن من أخلاقهم ومفاخرهم فك الأسرى ، وسرعان ما رحل دريد إلى يزيد بن عبد المدان بنجران (٢) ، فأكرمه يزيد وحقق له مطلبه (٣) ، فقال دريد مادحاً يزيد على ذلك :

مَدَحْتُ يَزِيدَ بنَ عَبْدَ المدَانِ فَأَكْـرِمْ به مِـنْ فَتى مُمْتَدَحْ
حَلَلتُ به دُونَ أَصْحَابه فَأورَى زِنَادِيَ لَمَّا قَـدَحْ
وَرَدْ النِّسَاءَ بِأَطْهَارِهَـا وَلَو كَـانَ غيرُ يَزِيـدٍ فُضِحْ
فَقُلْتُ لَهُ بَعْدَ عِتْقِ النِّساءِ وَفَكِّ الرِّجَـالِ ورد اللقَحْ
أَجْرِ لي فَوَارِسَ مِنْ عَامِرٍ فَأَكْـرِمْ بِنَفْحَتِـهِ إذْ نَفَحْ
وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ في وَجْهِه بِكَرِّ السُّؤَالِ ظُهورَ الفَرَحْ (٤)

ويذكر أن قيس بن عاصم المنقري أغار على بني مرة بن عوف فأسر رجلاً من هوازن فاستغاث أخوه بوجوه بني مرة فلم يغيثوه (٥) ، فركب الهوازني إلى سوق عكاظ وطلب النجدة من شيوخ مذحج أمثال قيس بن مكشوح المرادي ،

---

(١) لقد انشد الثمالي شعراً في دريد أوضح فيه تقاعسه عن نجدته وعدم قدرته على ذلك ، ومطلع ذلك الشعر :

كساك دريد الدهر ثوب خزاية وجدعك الحامي حقيقة أنس

انظر الاصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، كما انظر ذلك الشعر الذي انشده الثمالي في الفصل الثاني من هذا الكتاب ص ٥٤ – ٥٥ .

(٢) انظر الشعر الذي قال دريد بن الصمة في بني عبد المدان بالفصل الثاني من هذا الكتاب ، كما انظر الاصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ١٧ ، علي الهاشمي ، المرأة . ص ٢٥٧ .

(٣) المصادر نفسها .

(٤) الهاشمي ، المرأة ، ص ٢٥٧ ، العقيلي ، نجران ، ص ٧٥ – ٧٧ .

(٥) الافغاني ، أسواق ، ص ٣٠٧ .

وعمرو بن معد يكرب الزُبيدي ، ويزيد بن عبد المدان ، فناصروه جميعاً [١] ، وكان أفضلهم يزيد الذي قال سوف أبعث إلى قيس المنقري فإن وهب لي أخاك شكرته وإلا أغرت عليه حتى يدفع إلي أخيك ، وإلا دفعت اليك كل أسير من قبيلة قيس عندنا بنجران فاشتريت به أخاك ، وسرعان ما أرسل يزيد إلى قيس بن عاصم رسولاً يدعوه إلى فك الأسير [٢] . وعندما بلغ قيس رسول يزيد جمع وجوه تميم وطلب منهم أن يغتنموا الفرصة ، ويطلقوا سراحه ، ولكنهم أبوا إلا المغالاة في فدائه واعتذروا إلى يزيد قائلين : ((**إن الأسير بيد رجل من سعد وقد اشتطوا في ثمنه**)) [٣] ، فأرسل يزيد إلى السعدي وقال : احتكم فقال مائة ناقة ورعاؤها معها فوبخه يزيد على قلة طلبه ، لأنه لو طلب ماله كله لأعطاه له [٤] .

ويظهر أن تلبية قبائل نجران وما جاورها في الحج كانت مختلفة نظراً لاختلاف أصنامهم في الجاهلية [٥] ، إلا أنهم كانوا يشتركون جميعاً في شيء واحد هو الفخر بالآباء في الحج ، فكانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون فيتفاخرون بمآثر آبائهم فيقول بعضهم لبعض ، كان أبي يطعم الطعام ، ويقول آخر كان

---

(١) هناك ابيات من الشعر توضح معانات ذلك الرجل الهوازني في عدم وجود من يناصره ، وقد وجد طريقه عندما اتجه إلى شيوخ مذحج في سوق عكاظ . الافغاني ، أسواق ، ص ٣٠٧ – ٣٠٨ .

(٢) وقد ارسل يزيد مع ذلك الرسول بعض الشعر قائلاً :

فيا قيس أرسل اسيراً من بني جشم ... اني بكل الذي تأتي به حاذي
لا تأمن الدهر أن تشحى بغضته ... فاختر لنفسك احمادي واعزازي
فا فك أخا منقر عنه وقل حسناً ... فيما سئلت وعقبة بانجازي

الافغاني ، ص ٣٠٩ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) لقد استعرض ابن حبيب انواع عديدة من تلبيات قبائل السروات ونجران واليمن في الجاهلية ، وكان من تلبيات بعض عشائر مذحج في نجران قولهم ((لبيك اللهم لبيك ، لبيك احيينا بما لديك ، فنحن عبادك قد صرنا اليك)) ، ابن حبيب ، المحبر ، ص ٣٠٩ – ٣١٥ .

أبي يضرب بالسيف ، وهكذا يتبارون في هذا الشأن [١] ، وطالما كانت هـذه المفاخرات مدعاة إلى وقوع حروب وسفك دماء ، لذلك أبطلها الإسلام ونهى عنها ، في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾ [٢] .

وفيما يبدوا أن آل بني عبد المدان كانوا يتفاخرون بطول أجسامهم وعظمها ، وذلك فيما يدل على أن حسان بـن ثابـت سـفههم بـشعره فقال :

لاَ بَأسَ بِالقَومِ مِنْ طُولٍ وَمِنْ عِظَمٍ جِسْمُ البِغَالِ وأَحْلاَمُ الْعَصَافِيرِ [٣]

فجاءوا إليه وقالوا له : يابن الفُرَيْعَة كنا نفتخر على النـاس بـالعظم والطـول فأفسدته علينا ، فقال سأصلح لكم ما أفسدته ، ثم قال :

وَقَدْ كُنَّا نَقُـولُ إِذَا رَأَيْنَا لِذِي جِسْمٍ يُعَدُّ وَذِي بَيَانِ
كَأَنَّكَ أَيُّهَا الْمُعْطِـي بَيَاناً وَجِسْماً مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ [٤]

وبهذه الأبيات استعادوا الافتخار بذلك [٥] .

ونستخلص من هذه النصوص السابقة عدة أمور مثل :

---

(١) جواد علي ، جـ ٥ ، ص ٢٧٣ ، ٢٨٨ – ٢٨٩ .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٠٠) .
(٣) الجبوري ، شعر ، ٢٣ .
(٤) المرجع نفسه .
(٥) المرجع نفسه .

١ - أن المفاخرة والتفاخر بالأحساب والأنساب وبعض الصفات الحميدة والذميمة كانت صفات من صفات الجاهليين وقد استمرت على مر العصور الإسلامية ، ولو أن الإسلام حارب ما يتعارض منها مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وإذا كان آل عبد المدان قد تفاخروا ببعض صفاتهم الخِلْقية والخُلُقية ، مثل طول الأجسام ، وسعة الصدر ، ومساعدة المحتاج وفك الأسرى ، فهذه صفات تكاد تكون جلها حميدة وقد نادى الإسلام بمعظمها وحث عليها باعتبارها من القيم الخلقية العليا التي اتصف بها العربي وتتوافق مع الفطرة الانسانية السليمة .

٢ - الكرم والشجاعة والمروءة والشهامة من الصفات التي تجلت في هذه النصوص عند بني عبد المدان ، فتجدهم لا يتورعون في دفع أموالهم من أجل مساعدة محتاج أو اكرام ضيف ، اقتداء بحديث الرسول ﷺ ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**)) ، وقد تأصلت فيهم هذه السنة حتى إن من كان منهم في غاية الفقر فإنه يحب الضيف ولا يتضرر من قرائه مع فقره ، ويرى للضيف فضلاً كبيراً باختياره إياه ونزوله لديه ، وتكاد تكون هذه الصفات عامة عند سكان شبه الجزيرة العربية فالكرم ومكارم الأخلاق تميزهم ، وحرصهم على المروءة والشرف ، فإذا لزمت الأمور إلى الحرب ، خاضوها بشجاعة ولا يهابون الموت ، فالعار عندهم يعادل القتل، بل إن القتل أهون من العار، والرجل منهم يفضل أن يقتل دون أن يهان. وهذا يدل على عظم الشجاعة والتي كانت بدورها من الصفات التي تربوا عليها وعاشوها منذ القدم ، فتميزوا بالفروسية واستخدام السلاح وامتطاء صهوات الجياد والمبارزة ،

وكل ما تتطلبه الشجاعة والبطولة من إمكانات جسدية أو عقلية أو مادية وغيرها .

٣ - طلب النجدة من المظلوم أو المقهور الذي لا يستطيع حماية نفسه أو استرداد حقه ، فلا يتورع أن يذهب إلى القوي الذي يناصره ويحميه ويرد له ما سلب منه وهذه من صفات العرب القديمة ، وقد عرفها المسلمون على مر التاريخ الإسلامي ، وأفضل مثال على ذلك رسولنا الكريم ﷺ الذي كان يعمل جاهداً أثناء نزول الوحي وظهور الإسلام ، على وجود من يناصره ويناصر الدين الذي جاء به من عند الله ، و لم يجد ذلك لا في مكة المكرمة أو الطائف وإنما وجد هذه النصرة عند الأوس والخزرج بالمدينة ، الذين رغبوا بهجرته اليهم ، ثم قيام الدولة الإسلامية ، واتخاذ المدينة المنورة عاصمة لها .

٤ - إغارة القبائل والعشائر بعضها على بعض وهذه من النشاطات السياسية التي كانت تمارسها قبائل العرب من قبل الإسلام ، واستمرت إلى عهد قريب في الجزيرة العربية . وهذه الغارات والصراعات تحدث نتيجة ضعف السلطة المركزية التي تحفظ الأمن في البلاد ، وبالتالي تحدث الفوضى السياسية ، وتغلب القوي على الضعيف والكبير على الصغير ، وقد ينجم عن ذلك القتل والخراب ، والتدمير وانتهاك الحرمات ، وأسر الرجال وسبي النساء إلى غير ذلك من السلبيات التي حاربها الإسلام ، وأبدل مكانها التآخي والتآزر في الله ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [١] .

(١) سورة الحجرات آية (١٣) .

(ب) **الوفيات والجنائز (المآتم)** :

تتشابه عادات الوفيات والجنائز (المآتم) في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية ، وأحياناً تختلف في أمور أخرى بسيطة ، فالساكنون في البادية أو الحي أو القرية الواحدة تجدهم على علم بأحوال بعضهم ، فإذا مرض الواحد فيهم زاروه للمواساة والتخفيف مما حل به من آلام ، وإن طال واشتد مرضه تناوب رجال القرية أو الموطن الواحد للبقاء عنده آناء الليل وبعض فترات النهار ، فإن تدهورت صحته وأصبح ميؤوساً من شفائه ، وضعوه تجاه القبلة ، ثم يحرصون على تذكيره الشهادة والدعاء الصالح . ومعظم حالات المرض قديماً كانت تحدث نتيجة الجوع ، والحروب ، والأمراض ، المختلفة ، كالحصبة ، والجدري ، والطاعون ، والعين ، والسحر ، أو نتيجة لاعتداءات الحيوانات المفترسة ، أو بعض الزواحف السامة ، أو الهدم ، أو الغرق ، وذلك من الأسباب التي تؤدي إلى الموت الذي لا بد منه ، قال تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾ (٢) .

وبعد التأكد من صعود روح الميت يتم تغسيله ويوضع في جسمه الحنوط ، ويصلى عليه ، ثم يوارى في قبره ، وأحياناً قد يصاحب الجنازة وهي ذاهبة إلى المقبرة بعض عبارات التكبير والتهليل وأحياناً يقول بعض مشيعي الجنازة عبارات معينة مثل : ((**ارحم يا رحمن ، اغفر يا غفار**)) إلى غير ذلك من العبارات المسجوعة التي يدعى فيها للميت (١) .

---

(٢) سورة آل عمران ، آية رقم (١٨٥) .

(١) ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ٨٨ ، كذلك شاهد الباحث مثل هذه الأعمال في مواطن عديدة من أجزاء جنوب الجزيرة العربية خلال الأربعين سنة الماضية .

ومع أن الإسلام حرم النياحة ، وشق الجيوب ، وضرب الخـدود على الميت ، إلا أن أهل نجران قد تفننوا في كيفية إظهار الحزن على موتاهم مثلهم في ذلك مثل أهل اليمن ، فإذا مات فرد منهم ، أظهر أهله الحزن عليه بشكل صار يمثل عادة من عاداتهم خلال فترة الدراسة ، ففي أثناء خروج الجنازة لتشييع المتوفى إلى مثواه الأخير جرت العادة على صياح الرجال والنساء دفعة واحدة تعد بمثابة وداع للمتوفى ويصحب ذلك لطم الخدود وشق الثياب ، وكان يتبع الجنازة عدد من النسوة يقمن بالنياحة على الميت ، وتكون النياحة بشعر خفيف تلحنه النساء ، ويتخالسنه فيما بينهمن وهن يصحن على المتوفى . كذلك كان بعض الرجال من الموالي ينوحون بدورهم بألحان غريبة التراجيع ، ويؤكد ما ذكرناه الهمداني عند وصفه لمواضع النياحة في نجران وما يليها جنوباً من بلاد اليمن فيقول : ((**ومواضع النياحة على الموتى : خيوان ، ونجران ، والجوف ، وصعدة ، وأعراض نجد ، ومأرب ، وجميع بلدان مذحج**)) [١] ، ثم يذكر بعض التصرفات من النائحين في بعض تلك النواحي ، فيقول : ((... **فإن الرجل المنظور منهم لا يزال يناح إذا مات إلى أن يموت مثله ، فيتصل النواح على الأول بالنواح على الآخر ، وتكون النياحة بشعر خفيف تلحنه النساء ، ويتخالسنه بينهن ، وهن يصحن ، وللرجال من الموالي لحون غير ذلك عجيبة التراجيع بين الرجال والنساء**)) [٢] ، كذلك جرت العادة أن يطرح فوق النعوش الأقمشة (والبشاخانات) الحريرية لا سيما عند علية القوم وأهل اليسار ، وإن كان هناك بعضهم يوصي عند وفاته بألا يغطى نعشه إلا بثوب قطني اتقاء للحرمة [٣] ، وبعد

---

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٥ ، وللمزيد من التفصيلات عن نعي الميت انظر ، جواد علي ، جـ ٥ ، ص ١٥٢ – ١٧٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٦٥ .

(٣) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٢٦٨ .

دفن الميت يقام العزاء على قبره مدة تتراوح بين ثلاثة أيام إلى سبعة أيام كاملة ، ويكون ذلك باحضار المقرئين لتلاوة القرآن [١] .

وكان خلفاء المسلمين وولاتهم والعلماء والفقهاء وأهل الصلاح لا يألون جهداً في محاربة النياحة على الميت ، وكل ما يتعارض مع القرآن والسنة ، فيروي ابن عبد الحكم أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عماله في الدولة الإسلامية قائلاً : ((**ذكر لي أن نساء من أهل السفه والجفاء يخرجن إلى الأسواق عند موت الميت ، ناشرات رؤوسهن ينحن نياحة أهل الجاهلية ، ولعمري ما رخص للنساء في وضع خمرهن منذ أمرن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ، فانه عن هذه النياحة نهياً شديداً ، وتقدم إلى صاحب شرطكم فلا يقرن نوحاً في دار ولا طريق** ...)) [٢]

(جـ) المجالس العلمية والاجتماعية :

لم يخل مجتمع نجران من بعض المجالس العلمية والاجتماعية التي كانت تعكس حياة الناس . فكان هناك بعض مجالس علية القوم من الأمراء والأعيان وشيوخ القبائل التي يناقشون فيها أوضاعهم السياسية والاجتماعية ، فلا يقدمون على اتخاذ قرار في أمر من الأمور حتى يجتمعوا ويتشاوروا ، ويدرسوا السلبيات والإيجابيات التي تحيط بهم ، ثم يتخذوا القرار المناسب ، وقد شاهدنا ذلك واضحاً

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر ، ص ١٠٦ . ونجد اليوم أن هناك عادات عند أهل نجران وغيرهم تتعارض مع السنة ، وهي اقامة العزاء عند بيت الميت لمدة ثلاثة أيام ، ويتبع هذه الأيام أكل وشرب ترهق أهل البيت ، ومن المفروض أن يّعمل طعام لأسرة الميت ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، اخذاً بقول الرسول ﷺ عندما مات جعفر بن أبي طالب ، فقال (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد أتاهم ما يشغلهم) .

عند مشركي وأهل الذمة من نجران عندما أرسل اليهم الرسول ﷺ رسله وكتبه يدعوهم إلى الإسلام وبعد مشاورات فيما بينهم أسلم المشركون ، وبقي أهل الذمة على عقيدتهم على أن يدفعوا الجزية [١] . وهكذا استمرت الاجتماعات والمشاورات بين مثل هذه الفئات من الساسة وصانعي القرار ، خلال العصور الإسلامية ، بل كانت المشاورات والاجتماعات التي تتم في نجران لا بد أن تكون على صلة بالمراكز الإدارية الرئيسة سواءً كانت في الحجاز أثناء عصر الرسول ﷺ والخلافة الراشدة ، أو في الشام والعراق أثناء عصري الدولتين الأموية والعباسية [٢]. ومثل هذه الاجتماعات ضرورة حتمية لاستمرار النسيج الاجتماعي والسياسي في بلاد نجران ، كما أن قبائل وعشائر نجران كانت تسلك نفس المسلك مع بعضها البعض ، أو مع أفراد القبيلة الواحدة وغالباً ما تكون الأمور في أيدي الشيوخ وأعيان القبيلة [٣].

أيضاً عرفت بلاد نجران بعض المجالس العلمية والاجتماعية فكان هناك دعاة إلى الله مثل الفقهاء والعلماء الذين يقومون على تعليم الناس أمور دينهم ، فيوضحون الحلال من الحرام ، وما يجب على كل فرد تجاه ربه ، ثم تجاه الناس ونفسه ، ومثل هذه المجالس الإسلامية الشرعية بدأت مع بداية الإسلام واستمرت على مر العصور [٤]. كما عرفت أيضاً بعض المجالس الأدبية والفكرية والثقافية ، فالشعراء أمثال الأعشى وغيره كانوا يرتادون سادة ووجهاء نجران منذ العصر الجاهلي كي يمدحوهم ويجالسوهم ويحظوا بهباتهم وهداياهم ، وأحياناً

---

(١) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٢) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ .

(٤) سوف نذكر هذه الجزئية بشكل اوسع في الفصل السادس من هذا الكتاب .

بمساعدتهم ونصرهم مما قد يحل عليهم من كوارث [(١)]. وقد استمر هذا النهج عند شعراء وأدباء وخطباء العصر الإسلامي [(٢)] .

أيضاً مجالس السمر والفكاهة والتندر والقصص كانت عادات من عادات الجاهليين ، واستمرت خلال العهود الإسلامية المختلفة ، كل حسب إمكاناته ومستواه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والفكري ، فتجد علية القوم من الأمراء ورجال السياسة وأحياناً العلماء والفقهاء والشعراء والأدباء يلتقون في اجتماعات يسودها السمر والفكاهة وتقال بعض الأخبار والروايات المسموعة أو المقرؤة من أخبار الأوائل . وبعض هذه المجالس قد تكون في أحد بيوت الأعيان سواءٌ كان من رجال السياسة أو العلم والأدب ، وأحياناً أخرى قد تكون في المسجد ، أو في فناء المسجد الخارجي ، وهذه عادات عرفت في معظم مدن وحواضر وقرى الدولة الإسلامية ، وقد يسود بعض مثل هذه المجالس المبالغة ، وأحياناً قد يظهر فيها الكذب والتدليس من بعض القصاص وأصحاب الظرف وأهل الفكاهة والنوادر [(٣)].

كما عرفت نجران مجالس اجتماعية أخرى يسودها الفرح والسرور وعادة ما توجد أيام المناسبات ، كالأعياد ، والزواج ، والختان ، واستقبال المسافر ، وتوديع الجيوش في الحروب ، وأيام الانتصارات في بعض المعارك ، وقدوم رمضان ، ونزول الأمطار ، وولادة المواليد وبخاصة الذكور ، والانتهاء من بناء المنازل أو المساجد أو الآبار وما شابهها من مشاريع عمرانية . وجميع هذه المناسبات الاجتماعية يتخللها الاجتماعات ، وأحياناً الطرب والرقص والغناء

---

(١) انظر الأصفهاني ، الأغاني (مطبعة بولاق) ، جـ ٩ ، ص ١٧ – ١٨ ، ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، بدوي ، الشعراء ، ص ٥٣ ، الهاشمي ، المرأة ، ص ٢٥٧ ، العقيلي ، ص ٧١ .

(٢) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب .

(٣) اطلس " الحياة " ص ٢٨٣ – ٢٨٦ ، الفقي ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

بالإضافة إلى الأكل والشرب وتبادل الأخبار المتنوعة والخاصة بشؤون حياتهم [١] .

(د) **الرياضات ووسائل التسلية** :

هناك العديد من الألعاب الرياضية عرفت في نجران بل في أنحاء عديدة من جزيرة العرب ، ثم اندثر بعضها فلم تعد تمارس ، وبقي بعضها يمارس إلى وقت قريب [٢]، وربما لا زال بعضها عند أبناء البادية والأرياف . ومن أهم الرياضات التي كانت تمارس عند جميع طبقات المجتمع في نجران هي الحركة اليومية التي يقوم بها كل واحد منهم سواءً كان صغيراً أو كبيراً ، أو ذكراً أو أنثى ، وذلك من أجل ممارسة أعمالهم والحصول على أقواتهم وأرزاقهم المختلفة ، وجميع الحرف والمهن التي كانت تمارس في العصور الجاهلية ، وكذلك الإسلامية المبكرة والوسيطة تحتاج إلى جهد حركي عضلي كل حسب مكانه في المجتمع ، فالمرأة مثلاً تجدها تعمل في شؤون البيت المختلفة ، وكذلك في أعمال خارجية عديدة كأن تقوم بمساعدة زوجها أو أهلها في مهنهم التي يزاولونها سواءً كانوا رعاة أو مزارعين أو تجار أو حرفيين ، كما أنها كانت تعمل أيضاً على جلب المياه إلى منزلها سواءً كانت من الآبار أو العيون ، وكذلك جلب الحطب ، أو الحشائش والأعشاب إذا كانوا

---

(١) هذه عادات عرفتها بلاد نجران منذ العصر الجاهلي واستمرت على مر العصور الإسلامية ، ولازال هناك مناسبات واجتماعات متنوعة تمارس في منطقة نجران وغيرها من أجزاء المملكة العربية السعودية . ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ ، ص ٩٣ – ٩٩ ، آل مريح ، ص ٨٤ – ٩٣ ، السعيد ، ص ٩٤ – ١١٠ ، الغدير ، الأدب ، ص ٣٥ – ٩٠ ، آل سالم ، صور ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) لأن المدنية الحالية ، وتوفر وسائل المواصلات من سيارات وغيرها ، وانشغال الناس بأمور أخرى عديدة في حياتهم جعلتهم لا يمارسون تلك الرياضات القديمة ، وقد استبدل بعضها برياضات حديثة مثل لعب الكرة ، وحمل الأثقال ، وغيرها .

أهلها ممن يملكون الحيوانات الأليفة في المنازل . كذلك الشباب والرجال والبنات جميعهم يعملون في الأعمال التي يمارسها آباؤهم وعشائرهم ، فالبدو غالباً تكون مهمتهم رعي حيواناهم والمحافظة عليها وتوفير الجو المناسب لها كي تقتات وتعيش ، أيضاً سكان القرى والأرياف ربما عملوا في رعي الأغنام والحيوانات الأخرى إلى جانب مزاولة الزراعة وكذلك التجار والحرفيين . قد يكون من هؤلاء جميعاً الأشراف والأعيان والأمراء والشيوخ وكذلك أقوام من عامة المجتمع سواء كانوا عرباً أو غير عرب ، أو قد يكونون من المسلمين ، أو من أهل الذمة ، فجميع مهنهم خلال العصور الإسلامية الأولى كانت تحتاج إلى حركة دائمة وعمل مستمر ما بين ذهاب وإياب كل في مجال عمله ومهنته . وهذه تعد من الرياضات الإجبارية لكل الناس ، وفوائدها حسنة حيث تبنى الأجسام ، وتطرد السأم والملل والقلق ، بعكس يومنا الحالي عندما توفرت جميع وسائل الرفاهية وأصبحت الحركة الجسدية قليلة فانتشرت بين الناس أنواع من الأمراض الجسدية والنفسية والعقلية [١].

كما كان هناك رياضات تمارس برغبة وهوى من يمارسها من الرجال والنساء ، وكان بعضها يمارس داخل المنازل وأخرى في الميادين الفسيحة حول البيوت ، أو في الجبال والأودية والصحاري . ففي المناسبات الاجتماعية المختلفة كان بعض الرجال والنساء يمارسون بعض الرقصات الشعبية المختلفة التي تعكس فرحهم بتلك المناسبات ، وبخاصة في حفلات الزواج ، والختان ، واستقبال المواليد الجدد أو الضيوف ، وكثير من الرقصات المختلفة تحتاج إلى تحريك الجسم أو بعض أجزائه في اتجاهات معينة ، وهذه تعد من الرياضات المحببة إلى كثير من

(١) جواد علي ، المفصل ، جـ ٧ ، ص ٢٤ وما بعدها ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ ، ص ١٠٨ - ١١١

السكان في نجران ، كما كان هناك ألعاب تمارس بواسطة الرجال والشباب البالغين في حلبات واسعة تخصص لذلك مثل : السباق بالخيول ، أو الحمير ، أو الأبل ، أو على الأقدام حيث كانت تحدد المسافة التي يـراد التـسابق عليهـا ويحـدد المتسابقوم ، وأحياناً يكون هناك جمهوراً من المشاهدين ، وبعض الجمهـور قـد يكون من علية القوم في المجتمع النجراني مثل الأمـراء والـشيوخ والأعيـان والأغنياء والتجار ، وغالباً ما يحدد الفائز بمجرد انتهاء السباق [١] .

أيضاً كان هناك رياضة السباحة لبعض الشباب والرجال وعادة كانـت تمارس في الآبار التي توجد بكثرة في منطقة نجران وبعض العيون والغدران [٢]. ومن الألعاب الرياضية الشائعة في ذلك العصر الرماية بالقوس والنبال ، حيث كانـت تحدد علامة أو قطعة حجر أو هدف معين ، وعلى مسافة معلومـة ، ثم يتبـارى المتسابقون في إصابة ذلك الهدف اختباراً للمقدرة الحربية . كمـا كـان هنـاك مسابقات تعتمد على القفز ، وعلى قوة الساقين ، كان يتم القفز (الوثب) مـن جدار إلى جدار أو فوق حفرة تكون باتساع معين ، أو مسافة معينة حتى يظهـر الأقوى في المتسابقين فيحقق أبعد مسافة في نوعية القفز الممارس ، والهدف مـن ممارسة مثل هذه الألعاب قضاء وقت الفراغ ، وإضفاء روح المرح ، وبـث روح الشجاعة في النفوس ، وتعويد الجسم على بعض المهارات والألعاب الموروثة منـذ القدم [٣].

---

(١) جواد علي ، المفصل ، جـ ٥ ، ص ١٠١ وما بعدها ، اطلس " الحياة " ، ص ٢٨٣ ، ابن جـريس ، عـسير ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٢) الغدير وجمعه (غُدُر وغدران) القطعة من السيل يغادرها السيل أي يتركها ، وقيل هو مستنقع الماء ، مـاء المطـر ، صغيراً كان أو كبيراً ، للمزيد انظر ، ابن منظور ، جـ ١٠ ، ص ٢٢ فعل (غدر) .

(٣) جواد علي ، المفصل ، جـ ٥ ، ص ١٠١ وما بعدها ، ابن جـريس عـسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـــ ، ص ١٠٨ وما بعدها .

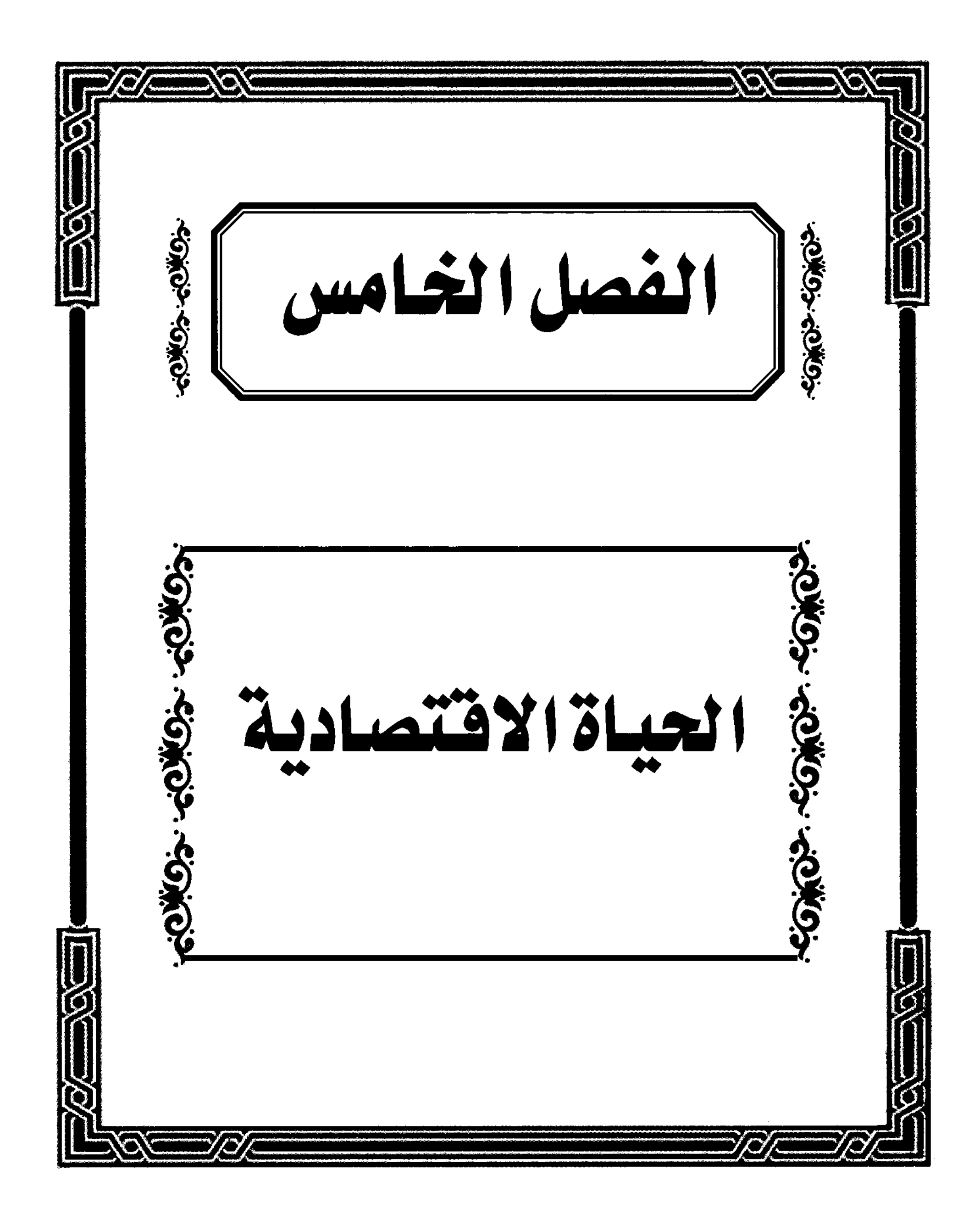
ومن الألعاب الرياضية ووسائل التسلية عند أهل نجران المصارعة وكانت تمارس داخل البيوت أو خارجها ، وفي الغالب كان لا يشترك فيها أكثر من اثنين ، وهدفها اختبار القوة عند المتصارعين ، وأحياناً كانت تتم أمام بعض المشاهدين للتشجيع ، والحكم للفائز في نفس الوقت [١] . كذلك كان من ضروب التسلية الذائعة عند أهل الترف واليسار من أهل نجران والأمراء هو الخروج للتزهة وارتياد البساتين والمزارع المتفرقة في أنحاء البلاد ، وحول جداول المياه والعيون ، وقد يصطحبون معهم بعض الظرفاء أو الشعراء كي يسرّوا عنهم ويسمعوهم بعض الروايات أو الأشعار الجميلة التي تضفي على النفس مرحاً وسروراً [٢] . كما كان التتره في البراري والجبال والأودية من عادات بعض النجرانيين كي يقضوا وقتاً ممتعاً ، وغالباً ما يكون ذلك في بعض أوقات النهار أو الأجزاء الأولى من الليل ، وقد يصاحب هذه التتره صيد الطيور والغزلان وبعض الحيوانات البرية التي يؤكل لحمها وتوجد في جبال ووهاد وصحاري بلاد نجران ، وكانت طريقة الصيد أن يكمن لها في عدة مواضع فإذا ظهرت الحيوانات ، يطلقون وراءها الجوارح الصائدة ، أو كلاب الصيد ، أو يتبعونها على الخيول فيتناوشونها بالسهام [٣].

---

(١) اطلس " الحياة " ، ص ٢٨٣ ، ابن جريس ، عسير ، ص ١٠٩ .

(٢) ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٨ وما بعدها ، ليبتز ، ص ١٤٤. Philby, pp . 219 – 7 , 228 – 9



الفصل الخامس

الحياة الاقتصادية

بلاد نجران إحدى الأجزاء الهامة الواقعة بين نجد واليمن والحجاز ، ولها ظروف طبيعية وبشرية جعلتها تستوعب حياة اقتصادية متعددة الفروع ، وسوف نركز في الصفحات التالية على عدد من تلك الجوانب الاقتصادية مثل : الجمع ، والالتقاط ، والصيد ، والرعي ، والزراعة ، والصناعات التقليدية ، والحرف اليدوية ، والتجارة وما يتعلق بها .

أولاً : الجمع والالتقاط ، الصيد ، الرعي :

١ - الجمع والالتقاط :

مهنة الجمع والالتقاط معروفة عند العرب منذ أقدم العصور ، وقد مارسها بعض الرجال والنساء في البلاد النجرانية ، ولم تكن تمتهن بمفردها ، وإنما كان يمارس معها أعمال أخرى كالرعي ، أو الصيد ، أو الزراعة ، وغيرها ، والأشياء التي كانت تجمع وتلتقط إما للاستعمال الذاتي فقط ، أو للاستخدام الشخصي ، ثم التجارة فيما زاد عن الحاجة ، وجميع المواد الملتقطة ، أو المجموعة كانت من البيئة الطبيعية التي يعيش فيها السكان ، فالحطب وجمعه كان من أهم الأشياء التي مارسها النجرانيون بجميع طبقاتهم ، لما له من أهمية في حياتهم ، فيستخدمونه في إشعال النيران التي يستدفئون بها ، ويطهون عليه أطعمتهم التي يأكلون ، ويستخلصون منه الفحم الذي يخزنون ، ليستخدموه وقت الحاجة ، ولم يخل بيت أو أسرة من جمع الحطب

واقتنائه [١] ، ولهذا فقد كان السواد الأعظم من السكان رجالاً ونساءً يذهبون لجلب ما يحتاجون من الحطب من الأودية ، والجبال ، والهضاب ، والغابات ، والصحارى القريبة من مواطن استقرارهم ، والخاصة بقبائلهم وعشائرهم التي ينتمون إليها ، أما الأغنياء والتجار وعلية القوم في المجتمع النجراني فقد يكلفون من يجلب لهم الحطب من الرقيق والموالي وغيرهم ، وغالباً ما كان يجمع وينقل على ظهور الإبل ودواب النقل الأخرى ، وأحياناً على ظهور وأكتاف الرجال والنساء .

ومن يلق نظرة على بلاد نجران في وقتنا الحاضر يجد بها أعداد كثيرة من الجبال ، والوهاد ، والسهول ، والأودية المليئة بأنواع كثيرة من الأشجار والنباتات الجيدة والرديئة للإشعال ، والتي كان يجمع السكان منها حطبهم الذي يحتاجونه ومن أفضل الأشجار التي كان يحرص الناس على التزود بحطبها ، شجر القرظ ، والسلم ، والسمر ، والندغ ، والمظ ، والنشم ، والأراك ، وغيرها كثير . ونجد العالم المسلم أبا حنيفة الدينوري يذكر لنا خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في معجمه المعروف بـ (**كتاب النبات**) ، أعداداً كثيرة من الأشجار والنباتات الموجودة في شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة في اليمن ، ونجران ، والسروات ، والحجاز [٢] . ولم يكن الدينوري يكتفي بسرد ووصف أهمية كل نبات، وإنما أفرد في أحد أجزاء الكتاب فصولاً مستقلة، كان بعضها يدور حول النار ، ومن تلك الفصول ، فصلان سماهما : ((**باب الزناد**)) [٣] ، والآخر ((**باب في ألوان النيران والأرمدة والأدخنة**)) [٤]، وفصل فيهما أنواع

---

(١) للمزيد انظر جواد علي ، جـ٧ ، ص ٦٦ – ٩٦ ، ١١١ – ١١٥ .

(٢) ولا زالت الثروة النباتية الطبيعية في نجران وما حولها بحاجة ماسة إلى دراسة علمية جادة ومفصلة ، وللمزيد عن النباتات والأشجار في الجزيرة العربية ، انظر ، السلمي ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ – ٤٠٢ ، ٤١٧ وما بعدها ، الدمياطي ، ص ٧ وما بعدها ، ابن جريس ، صفحات ، جـ ١ ، ص ٣١ – ٤٣ .

(٣) الدينوري ، كتاب النبات (بفيسبادن) جـ ٣ ، ص ١٢٢ – ١٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥٣ – ١٦٤ .

الشجر الجيد والرديء لمن يقوم بمهنة جمع والتقاط الحطب ، وبين نوعية النار ، والأدخنة ، والأرمدة التي تخرج عن كثير من الأشجار التي يستخدم حطبها في الإشعال [١] .

وتُعد الحشائش وبعض الأعشاب والشجيرات من الأشياء التي كان يجمعها النجرانيون ، وغيرهم من سكان الجزيرة العربية ويستخدموها علفاً لمواشيهم ودوابهم وبخاصة الفلاحين وأصحاب المزارع الذين كانوا يملكون بعض الحيوانات في منازلهم لأجل استخدامها في الحراثة والري ، أو النقل ، أو الحصول على ألبان بعضها ، وبالتالي كان عليهم أن يحضروا لها ما تقتات به من حشائش ، وأعشاب وغيرها ، وكانوا يحضرون هذه الأعلاف من مزارعهم ، أو من بعض الأحماء التابعة لهم ، وكثيراً ما وجد في المناطق الريفية من يمارس مهنة جمع الحشائش والأعلاف لبهائمهم ، وغالباً كان النساء يقمن بهذا العمل [٢] .

وجمع الثمار أو الفواكه أو الخضراوات أو التمر من المهن التي عرفها ومارسها سكان الجزيرة العربية ، بما فيهم أهل نجران واليمن وغيرهم ، فعند موسم النضج والحصاد يقوم أفراد الأسرة المالكة للمزارع والبساتين بجمع ما ينضج من ثمار وفواكه وتمور ، فإذا كانت قليلة استخدمت للأغراض الشخصية ، وقد يتصدقون منها على الجيران والفقراء في مواطنهم ، وإن كانت كثيرة فيزكى ما يجب الزكاة فيه ، ثم يصدرون الفائض عن حاجتهم إلى الأسواق لبيعها [٣] ، وفي وقت حصاد المحاصيل ، كالقمح ، والذرة ، والتمر ، والفواكه يخرج بعض

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ – ١٦٤ ، انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٩٢ .

(٢) جواد علي ، جـ٧ ، ص١٠٤–١١٠ ، ١٥٢ – ١٢٦ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص١٢٨.

(٣) ابن آدم ، ص ١١٢ – ١١٣ ، ابن سلام ، ص ٦٥١ ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٧ – ٣٦٠ .

الفقراء ، أو من لا يملك حبوباً ومحاصيل زراعية ، فيتجولون في البلاد بهدف الصدقات ممن لديهم محاصيل ومنتوجات زراعية ، وغالباً لا يرد طلبهم ، وإنما كل واحد من ملاك المزارع كان يعطي ما تجود به نفسه .

ونوع آخر من الجمع يقتصر على بعض الثمار وما شابهها في الجبال والأودية ، والوهاد التي لا تخص فرداً أو أسرة بعينها ، والتي توجد ببعضها أشجار ونباتات مثمرة يأكلها الإنسان أو يستخدمها في حياته اليومية ، وبعضها قد يجمعها ويبيعها من أجل الحصول على سلع ومواد أخرى يستخدمها مثل : التين الشوكي ، أو الزيتون البري ، أو أوراق وثمار شجر السدر المعروف باسم ((**النبق**)) [(١)] ، أو بعض الأسوكة التي يتم الحصول عليها من أشجار الأراك والعتم وغيرها [(٢)]

٢ - الصيد :

لقد كان الصيد في نجران وغيرها من أجزاء الجزيرة العربية رغبة وحاجة ، فهو رغبة للأثرياء والأغنياء والوجهاء بهدف التسلية والترويح عن النفس ، وهو حاجة عند عامة الناس وبخاصة الفقراء الذين لا يملكون شيئاً ، فلحم الصيد نعمة كبرى لهم وغذاء طيب لا يصل إليهم دائماً [(٢)] .

وتنوع التضاريس في بلاد نجران من جبال ووهاد إلى أودية وسهول جعلت مهنة الصيد منتشرة عند كثير من الناس سواء من أهل القرى والأرياف ، أو من قاطني

---

(١) ابن منظور ، مادة (نبق) جـ ١٤ ، ص ٢٤ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٧٦ ، ٣٠١ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٦ – ٩٦ ، وللمزيد عن تلك الثمار والأشجار المفيدة في بلاد نجران وغيرها من أجزاء الجزيرة العربية انظر كتاب النبات للدينوري .

(٢) جواد علي، جـ٤ ، ص٦٧٦، الالوسي ، جـ١، ص٣٠١. للمزيد انظر ، حمزة ، ص٢٣، الحامد ، ص٢٠٤.

البوادي والصحاري ، فقد تميزت البيئة الطبيعية لنجران أسوة بغيرها من أنحاء شبه الجزيرة العربية بوجود عدد من الحيوانات والطيور البرية كالأسود، والفهود ، والنمور ، والضباع ، والذئاب ، والقرود ، والنسور ، والحمام وغيرها ، ومعظم هذه الكائنات كانت تعيش في الجبال والأودية ، وأحياناً في الغابات والمزارع ، ولا يزال بعضها موجوداً في المناطق المعزولة عن التنمية العمرانية ، وبخاصة في بلاد تهامة والسراة الممتدة من اليمن إلى الحجاز [١] . كما عرف أهل نجران واليمن والحجاز ونجد كثيراً من الحيوانات الأخرى الصالحة للصيد كالغزلان ، والظباء ، وكذلك الحمر الوحشية، ويظهر أن الناس كانوا يأكلونها ، بدليل ما ورد في كتب الفقه من النهي عن أكل لحوم الحمر الوحشية [٢] . والنعام من الحيوانات المعروفة أيضاً في جزيرة العرب ، وقد ذكر علماء اللغة ألفاظاً كثيرة قالوا أن العرب أطلقوها على النعام ، على ذكر النعام وعلى إناثها وعلى صغار النعام ، ومنها (الجعول) ويراد بها ولد النعام ، وكذلك لأصوات النعام وجماعاتها ، وورود مثل هذه الألفاظ وشيوعها على ألسنة العرب تنهض دليلاً على كثرة النعام في جميع أنحاء جزيرة العرب ، وبخاصة جنوبها [٣] .

وقد استخدمت كلاب الصيد والجوارح من الطير كالصقور والبزاة في صيد الطيور ، ومثل هذه الوسائل لا يستخدمها إلاّ علية القوم من الوجهاء والمقتدرين مادياً [٤] ، بالإضافة إلى بعض الخيول التي كان يدربها أصحابها بهدف ممارسة مهنة الصيد كنوع من أنواع التسلية [٥] ، كما استخدم الصيادون الجلاهق

---

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٦ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٧٨ ، ليبتر ، ص ١٤٤ ، Philby , p .296 ، كان يتم اصطياد مثل هذه الحيوانات المفترسة إما بهدف التخلص منها لتهديدها حياة الناس ، وأحياناً يتم اصطيادها بسبب الحصول على جلودها وشحومها التي يستفاد منها في فوائد عديدة .

(٢) جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٧٩ ، الحامد ، ص ٢٠٢ .

(٣) انظر ابن منظور ، جـ ١٤ ، ص ٢١٠ – ٢١١ .

(٤) ابن بكار ،الأخبار، ص ٢٥٠ – ٢٥١ ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٢٣ ، جواد علي جـ ٤ ، ص ٦٧٧ وما بعدها .

(٥) جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٧٦ .

وهي أداة صيد تتكون من قوس يرمي به البندق ، والبندق كرات صغيرة تصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص ، وترمى بالأقواس كما ترمى النبال ، ولقد ظهرت في أواخر عصر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ وعدوا ظهورها في ذلك العصر منكراً [١] ، حتى ألفها الناس ، ثم استمروا في استعمالها وتحسينها حتى أصبحت إحدى وسائل الصيد المعروفة [٢] .

وكان الصيادون يسلكون طرقاً وحيلاً عديدة بل يستخدمون أدوات متنوعة أثناء ممارسة الصيد ، فقد يحفرون حفرة عميقة ثم يغطوها للتمويه على الحيوانات مثل : الأسد ، والضباع ، والذئاب وغيرها ، وعندما تسلك مثل هذه الحيوانات الطريق التي عملت بها الحفرة يتم سقوطها ، وبالتالي يسهل قتلها واصطيادها . كما استخدم بعض الصيادين قطعة من الخشب طولها نحو الذراع يحمل في رأسها كفة ، وفي وسطها حبل ، فإذا نشب فيها الغزال أو الظبي ناوصها واضطرب ، فإذا غلبته استقر فيها [٣] ، وهناك السهام والنبال والقوس وربما الرمح من الأدوات الرئيسة التي كان يحملها الصيادون لاصطياد أنواع عديدة من الطيور والحيوانات المختلفة ، ونجد كتب الأدب العربي مليئة بالروايات والأشعار التي تؤكد استخدام مثل هذه الأدوات في ممارسة الصيد [٤]

وكون الصيد من الممارسات الرياضية المهمة عند العرب منذ الجاهلية ، فلما جاء الإسلام أقر هذه الرياضة المحببة وشجع عليها ، وتطورت ممارساتها عند الخلفاء

---

(١) الطبري ، جـ ٤ ، ص ٣٩٨ .

(٢) المصدر نفسه ، للمزيد ، انظر ، الصالحي ، ص ٢٣٦ ، أطلس ، ص ٢٨٦ – ٣٠٠ .

(٣) جواد علي ، جـ ٤ ، ص ٦٧٧ ، انظر الصالحي ، ص ٢٣٨ ، وما بعدها .

(٤) انظر ابن منظور ، جـ ٥ ، ص ٣٠٩ ، جـ ٦ ، ص ٤١٣ ، جـ ١٤ ، ص ٢٧ ، الصالحي ، ص ٢٢١ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٢٤ ، كما نجد الدينوري يورد في كتابه النبات فصلاً كاملاً بعنوان : ((القسي والسهام)) شرح فيه أنواع القسي والسهام الجيدة والرديئة التي كانت تستخدم في مهنة الصيد وفي أعمال أخرى مثل الحروب وغيرها ، مع الاستدلال عليها بمقطوعات شعرية وأدبية كثيرة ، انظر (طبعة بفيسبان) ص ٢٩٧ – ٣٩٨ .

وأمراء المسلمين ، بل صار الشعراء والأدباء وأرباب القلم يخصونها بمقطوعات شعرية مطولة ، أو كتب علمية مستقلة ، فهذا أبو نواس في العصر العباسي الأول قد ألف في ذلك قصائد كثيرة وأراجيز أكثر ، وطردياته مشهورة ممتعة برع فيها في وصف كلاب الصيد وحيواناته وفنونه ورحلاته وما يجري فيها من لهو ومرح ورياضة [١]

وأما الآثار التي ألفت في الصيد والطرد وما إليه ، فكثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ، ولكن أكثر هذه الآثار قد ضاع ، ولعل أقدم من ألف في هذا الفن فيما نعلم هو اللغوي المشهور أبو عبيدة معمر بن المثنى [٢] ، فقد ذكر له ابن النديم كتابين : أحدهما كتاب (الباز) والآخر كتاب (الحمام) ، وللأصمعي أيضاً كتاب (الوحوش) ولأبي حاتم السجستاني [٣] ، كذلك كتاب في الوحوش ، وآخر في الطير ، وثالث في الحشرات ، ورابع في القسي والنبال والسهام والسيوف والرماح [٤] . ونحن وإن كنا لم نر شيئاً من هذه الآثار ، ونجهل ما ذكر فيها لأنها لم تصلنا ، إلا أننا نجزم بعدة أمور منها :

أ - أهمية رياضة الصيد عند العرب من قبل الإسلام ، ثم استمرارها على مر العصور الإسلامية حتى وقتنا الحاضر ، وهذا مما يدل على محبتها وأن لها جمهوراً من الممارسين لها والمستمتعين بمزاولتها .

---

(١) من أنفس المجموعات التي حوت مقطوعات رائعة في أدب الصيد كتاب : ربيع الأبرار للزمخشري ، الجزء الثاني من كتاب الزهرة للأصفهاني .

(٢) عاش في الفترة الممتدة من (١١٤ – ٢١٠ هـ)

(٣) المتوفي عام (٢٥٥ هـ)

(٤) الصالحي ، ص ٢٠٥ وما بعدها ، أطلس ، ص ٢٨٦ – ٣٠٠ ، وللمزيد عن القسي والسهام انظر ، الدينوري (طبعة بفيسبادن) ص ٢٩٧ – ٣٩٦ .

ب - انتشار كتب التراث ، وبخاصة الأدبية منها ، وأحياناً التاريخية ، وكذلك الفقهية التي حددت ووضحت الشروط الشرعية للصيد ، لدليل على انتشارها عند شيوخ وأعيان القبائل العربية ، بالإضافة إلى عامة الناس من أهل الأرياف والبوادي المختلفة .

٣ - الرعي :

يبدو أن رعي المواشي والحيوانات الأليفة المختلفة مثل : الأغنام ، والماعز ، والأبقار ، والإبل كانت من المهن الرئيسة عند سكان نجران ، وذلك لعدة أسباب نذكر منها ما يلي :

أ - تنوع التضاريس في بلاد نجران من جبال إلى هضاب وسهول ، وأودية ، بالإضافة إلى توفر المياه بها ، سواء مصادر المياه بها عن طريق الأمطار وخزنها وراء السدود ، أو في الينابيع ، والغيول ، والآبار الجوفية ، وكل هذا يجعل الغطاء النباتي في تلك البلاد وفيراً مما ساعد على نماء الثروة الحيوانية حيث تجد الحيوانات المختلفة ما ترعاه في تلك الديار.

ب - الكتب والرسائل المتعددة التي بعثها الرسول ﷺ إلى أهل نجران مع رسله مثل : عمرو بن حزم وعلي بن أبي طالب ، وأبي سفيان ، وأبي عبيدة عامر بن الجراح ، والمغيرة بن أبي شعبة ، وخالد بن الوليد ، ومعاذ بن جبل وغيرهم رضي الله عنهم [(١)] . وكذلك كتبه إلى بعض

---

(١) جميع هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم أرسلو إلى اليمن وأغلبهم إن لم يكونوا جميعهم ذهبوا إلى نجران وبقوا فيها بعض الوقت ، انظر ابن خياط ، ص ٩٤ ، ٩٧ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ ، ٥٣٨ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٢ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٥ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ .

أعيان وشيوخ بعض الأسر والعشائر في نجران ، والتي يتضح من نصوصها مدى حرص الرسول ﷺ على توضيح كثير من المسائل المتصلة بالنصاب الشرعي في زكاة السائمة بل حث الرسول ﷺ رسله وأهل نجران على التعاون فيما بينهم على جمع تلك الزكاة والحفاظ عليها حتى تصرف في مصارفها الشرعية وإقطاعه بعض النجرانيين إقطاعات معينة ، وحمى لهم أحميتهم التي يرعون فيها مواشيهم . فكل هذه التصرفات من الرسول ﷺ تنهض دليلاً قوياً على توفر الحيوانات الكثيرة الصالحة للرعي في نجران ، وامتهان العديد من أهلها لتلك الحرف [١]

ج - من خلال غارات القبائل بعضها على بعض في نجران وما حولها من البلدان ، وكذلك وقائع الحروب وأحداث الثورات والفتن التي حفظتها لنا بعض الكتب التاريخية ، نجد المنتصرين في تلك الصراعات ينالون غنائم كثيرة من المهزومين ، وكان جل تلك الغنائم من المواشي والسائمة على اختلاف أنواعها ، وهذا مما يدل على كثرتها في جميع أنحاء البلاد [٢] .

---

(١) انظر أبو يوسف ، ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، البلاذري ، فتوح ، ص٧٦ ، اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، الطبري ، جـ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٥٨ ، حميدالله ، ص ١٧٢ ، الحامد ، ص ٢٠٤ .

(٢) انظر الطبري، جـ٧ ، ص٣٧٤، ٣٩٣ ، جـ٨ ، ص١٩٣ ، ٥٢٨ ، جـ٩ ، ص٢٧١ وما بعدها ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٤٨ ، الأصفهاني ، الأغاني ، (مطبعة بولاق) جـ ٩ ، ص١٧ – ١٨ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٤ ، ص ٢٩٧ ، جـ٥ ، ص١٧٣ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص٧٤ ، الهاشمي ، المرأة ، ص٢٥٧.

د - يظهر أن شيوخ القبائل وعلية القوم في نجران كانوا يمتلكون أعـداداً كبيرة من الحيوانات وبخاصة الإبل ، وأكبر دليل على ذلك إغاثة يزيد ابن عبد المدان لذلك الرجل الهوازني الذي استغاث به عنـدما أُسـر أخوه من قبل قيس بن عاصم المنقري وقومه (بني تميم) ، فكتب ابن عبد المدان إلى المنقري وقومه طالباً منهم فك أسيرهم ، أخي الهوازني ، ويحتكمون ، فقال من كان في يده الأسير ، وهو رجل من بني سعد ، إحدى عشائر بني تميم ((**مئة ناقة ورعاؤها**)) فوبخهم يزيد على قلة طلبه ودفع له ما طلب [1]

ويمكن القول : إن القبائل العربية في نجران ، ومعظمهم من أهل البـوادي والأرياف كانوا هم الذين يعتمدون بدرجة أساسية في حياقم الاقتـصادية علـى اقتناء القطعان الكثيرة من الأغنام والجمال إلى جانب بعض الحمير والخيول وربمـا الأبقار ، وكانوا يحرصون أيضاً على امتلاك الكلاب الجيدة ، والخاصة لحراسـة منازلهم المصنوعة من الشعر ، ومواشيهم التي يقومون برعيها ، وربما كانوا قليلاً ما يمتلكون الطيور كالدجاج ، والبط ، والحمام وما شابهها ، بعكس السكان العاملين في الزراعة والمهن الاقتصادية الأخرى الذين هم أكثر استقراراً من البدو الرحل ، فكانوا يجمعون بين ممارسة أعمالهم الزراعية واقتناء بعض المواشـي والحيوانـات الأليفة والتي تعود عليهم بعدد من الفوائد مثل : أكل لحومها ، وشـرب ألبـان بعضها ، أو حمل أثقالهم عليها ، أو الاستفادة من جلودها وأصوافها أو شـحوم

---

(١) **الأفغاني ، ص ٣٠٧ وما بعدها ، ويروي الأصفهاني القصة كاملة ، ومما ذكر يزيد رداً علـى الـسعدي ، الذي في يده الأسير الهوازني ، أن قال :** ((... إنّك لقصير الهمة ، قريب الغنى ، جاهل بأخطار بني الحارث ، أما والله لقد غبنتك يا أخا بني سعد، ولقد كنت أخاف أن يأتي ثمنه على جل أموالنا ، ولكنكم يابني تميم قوم قصار الهمم)) ، **الأغاني (طبعة دار احياء التراث) جـ ١٢ ، ص ١٨ – ١٩ .**

البعض منها [١]، وقد بين الله أهميتها في كتابه الكريم ، فقال تعالى : ﴿ **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ، وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ **وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشاً كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [٣].

وللأسف الشديد فإن المصادر المبكرة لا توضح لنا تفاصيل حياة الرعي والرعاة في نجران ، ولكن نجد بعض الشذرات التي تنوه إلى طبيعة الرعي في اليمن ونجد والحجاز ، ولا نعتقد أنها تختلف كثيراً في بلاد نجران عن تلك النواحي المجاورة . فالنجرانيون ومن جاورهم من أهل اليمن وأهل السراة ونجد كانوا يرعون قطعان الأغنام والإبل وغيرها من دواب النقل كالحمير ، في المراعي المنتشرة في الجبال والأودية المختلفة ، أما الأبقار وكذلك الخيول فكانت تربى في المنازل ويعتنى بها بشكل جيد ، لأن الخيول يستفاد منها في السباق والحروب وما شابه ذلك ، أما الأبقار وربما بعض الإبل يستعان بها في حرث الأرض وزراعتها وإدارة المعاصر ودرس الحبوب وغير ذلك [٤] وأفراد الأسرة أو العشيرة الواحدة هم أنفسهم الذين يقومون على رعاية مواشيهم وحيواناتهم وحراستها مما قد يهدد حياتها ، وأحياناً قد يستخدم الرقيق والموالي في مزاولة مهنة الرعي ، وبخاصة عند المقتدرين وأهل الثروات الكبيرة ،

---

(١) للمزيد ، انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٩٧ – ١٢٧ .

(٢) سورة النحل ، الآيات (٥ – ٨) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١٤٢)

(٤) مالك، المدونة، جـ ٣، ص ٩٤، انظر ابن جريس، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠هـ ، ص ١٢١ – ١٢٧ .

أو أعيان ووجهاء البلاد [(١)]. ولا تقتصر مهنة هؤلاء الرعاة وملاك المواشي على الرعي ، وإنما قد يصدرون من حيواناتهم إلى الأسواق المحلية كي يبيعوها أو يقايضوها في سلع وتجارات أخرى هم في حاجة إليها في حياتهم اليومية . والرعي غالباً ما يتم في الأماكن التي يتوافر فيها العشب والحشائش وغيرها من الأشجار الصالحة للرعي ، وبالتالي كانت العشائر البدوية في حاجة مستمرة إلى التنقل بحثاً عن المراعي الخصبة التي تستطيع قطعان الماشية الرعي فيها ، وكان هذا مما يؤدي دائماً إلى نشوء المنافسات القبلية على هذه المراعي، ويلاحظ أن تلك الصراعات قد خفت كثيراً في العصور الإسلامية عنها في العهد الجاهلي، لأن الإسلام أوجد ما عرف بـ ((**الحمى**)) الذي ترعى فيه الحيوانات والمواشي المختلفة ، بل جعل الناس شركاء في ثلاث هي : الماء ، والنار ، والكلأ [(٢)] . وكان الحمى في صدر الإسلام مخصصاً لإبل الصدقة ومواشيها ، ولكن في أوائل القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) وبخاصة في نهاية عصر الخليفة عمر بن عبد العزيز صار الحمى مباحاً لجميع المسلمين ، كما يذكر ابن عبد الحكم أنه كتب إلى جميع أمصار المسلمين قائلاً :

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني (طبعة احياء التراث)، جـ ١٢، ص ١٩، حميد الله ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ - ٢٣٥ ، وللمزيد من التفصيلات عن طريقة الرعي ، وأساليب الرعاة في رعي مواشيهم وحيواناتهم ، وكذلك أنواع الأشجار والحشائش التي ترعى من قبل الحيوانات ، انظر فصلاً مستقلاً للدينوري (كتاب النبات) (طبعة بفيسبادن) بعنوان : (باب الرعي والمراعي) حيث يوجد به معلومات قيمة من الصعب أن نجدها في مصدر آخر ، ص ٣ - ٥٢ .

(٢) كان هناك كثير من الأحمية التي حماها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين لخيل المسلمين وابل الصدقة ومواشيها ، للمزيد انظر ، البكري ، معجم ، مج ٢ ، جـ ٣ ، ص ٨٦٠ ، العلي ((الحمى)) ، ص ٥٩٤ وما بعدها ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠- ١٤٠٠ هـ ، ص١٢٢ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٥٣ - ١٥٤.

((ونرى أن الحمى يباح للمسلمين عامة ، وقد كانت تحمى فتجعل فيها نعم الصدقات ، فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات ، وأدخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس فنرى في ترك حماها والتتره عنها خيراً إذا كان ذلك من أمرها ، وإنما الإمام فيها كرجل من المسلمين ، وإنما هو الغيث يترله الله لعباده فهم فيه سواء)) [١] .

وكان لبني الحارث بن كعب أصحاب نجران عدد من موارد المياه والأحمية التي ذكر الهمداني بعضها فقال لهم : **((حمى ماء بأطراف جبال غاذ ابن مريع ، والغائط ، ومريع، وعبالم ... ويقال له يدمات** [٢] **، والملحات ، والوزة وشسعي ... [و] الكوكب ماء أسفل من حمى بجبل منقطع بالغائط دون العارض ... والزيادية بحبونن ، والحصينية أسفل منها على شط الوادي دون النهية ، نهية حبونن ، والربيعية بأسفل نجران ، ومذود ، والهرار ، والبتراء ...))** [٣] ، وكثير من هذه المواقع لا زال يحمل نفس الاسم ، وربما جرى على بعضها تغييرات طفيفة في المسميات مثل : يدمات التي أصبح اسمها اليوم (يدمة) ، وحبونن التي تنطق اليوم (حبونة) أو (حبونا) [٤]

---

(١) ابن عبد الحكم ، سيرة ، ص ٩٧ للمزيد انظر Gibb , p.5 .

(٢) يدمات ربما اشتق منها اسم (يدمه) المركز الحكومي المعروف حالياً في شمال نجران ، وبخاصة أن جميع هذه الأسماء التي ذكرها الهمداني تقع في الأجزاء الشمالية من بلاد بني الحارث في عصره . الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٤ ، العجمي ، ص ١٠ وما بعدها .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٤ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٨ .

(٤) الهمداني، ص١٦٦ ، ٢٥١ ، البلادي ، ص١٩٩، للمزيد انظر، الغباري ، ص٢١– ٢٨ ، السعيد ، ص١٢.

وعرف عند أهل نجران أحمية خاصة لبعض الأسر والعشائر ، حتى إن بعضها قد أقطعها الرسول ﷺ لأصحابها ، وكتب لهم فيها كتباً يقرهم في أرضهم وأحميتهم التي يرعون فيها بهائمهم ، فقد كتب إلى بني قره بن عبد الله بن أبي نجيح النهديين وأعطاهم أماكن تسمى المظلة جميعها أرضها ، وماءها ، وسهلها ، وجبلها ثم قال : ((**يرعون فيها مواشيهم**)) [١] ، كما كتب لمالك بن النمط وقومه من همدان قال : ((**بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لمخلاف خارف ، ويام ، وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل ، مع وافدها ذي المشعار ، لمالك ابن النمط ولمن أسلم من قومه : لكم فراعها و وهاطها وعزازها ، تأكلون عِلافها وترعون عفاءها**)) [٢] .

وقد استمرت الأحمية الخاصة بالأفراد، أو الأسر ، أو العشائر المختلفة عبر العصور الإسلامية، فتجدهم يحرسونها ، ويحيطونها بأسوار تتباين في الطول والارتفاع كي يمنعوا غيرهم من استخدامها والرعي فيها ، ولا زلنا نشاهد آثار هذه الأحمية في البلاد الممتده من اليمن إلى الحجاز ، مع أنه مؤخراً اندثرت وانهجرت من أهلها بسبب هجرة الناس من الريف إلى المدينة ، وأسباب أخرى عديدة واكبت التنمية الحضارية التي تعيشها البلاد في هذه الأيام [٣].

---

(١) حميد الله ، ص ١٧٢ ، للمزيد ، انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٦.

(٢) حميد الله ، ص ٢٣٣ ، انظر ، ابن منظور ، جـ ٣ ، ص ٣٨٦ .

(٣) ابن جريس ، عسير ١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ ، ص ١٢١ - ١٢٦ ، مشاهدات الباحث خلال العام الدراسي (١٤٢٣ - ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م)

ثانياً: الزراعة

١ - مقومات الثروة الزراعية :

تعد الزراعة أو الفلاحة أساس التحضر والعمران ، وهي من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان لكونها تؤدي لحصوله على القوت الضروري اللازم لاستمرار حياته . ويعرف ابن خلدون هذه الحرفة ، ويوضح أهميتها لحياة الإنسان بقوله : ((**هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب ، والقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها ، وعلاج نباتها ، وتعهده بالسقي والتنميه إلى بلوغ غايته ، ثم حصاد سنبله ، واستخراج حبه من غلافه ... وهي من أقدم الصنائع ، كما أنها محصله للقوت المكمل لحياة الإنسان غالباً ، إذ يمكن وجوده من دون جميع الأشياء إلاّ من دون القوت ...**)) [١] .

ومما لاشك فيه أن الزراعة في نجران كانت بمثابة العمود الفقري لاقتصادها ، ومن الحرف الرئيسة التي مارسها عدد كبير من سكانها ، وكانت تمثل إلى جانب التجارة الدعامة الرئيسة التي يرتكز عليها التقدم الحضاري لمجتمع نجران منذ القدم ، وعبر العصور المختلفة ومنها العصر موضوع الدراسة . والزراعة شانها شان غيرها من النشاطات الاقتصادية الأخرى ، لابد لها من مقومات تساعد على ممارستها وتنميتها ، ولقد حظيت نجران بعدد من المقومات البشرية والطبيعية التي ساعدت على تنمية هذه الحرفة وازدهارها في فترة موضوع البحث .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٠٦ .

أما من حيث المقومات البشرية فمن يستقرئ التركيبة الطبيعية والبشرية لـــبلاد نجران ، فيلاحظ أن مزارعيها امتازوا شأنهم شأن غيرهم من أهل التهائم والسروات وعامة بلاد اليمن بالمهارة الفائقة في أعمال الفلاحة ، والعمل المتواصل في سبيل استغلال الأرض للإنتاج الزراعي . فقد اتسمت منطقة نجران بنشاط الأيدي العاملة وتوفرها ، فكانـــت هناك شريحة من المجتمع تمارس مهنة الرعي بشكل أساس ، ووجدت إلى جانبها شريحة أخرى زاولت وجمعت بين الرعي والزراعة ، بل هناك شريحة ثالثة امتهنت الزراعة فقط حرفةً أساسية لها ، وبخاصة عامة أهل نجران ، فكانوا يقومون على مزارعهم بأنفسهم ، وربما تعاون بعضهم مع بعض ، فأفراد الأسرة والقرية والعشيرة الواحدة يتعاونون فيمـــا بينهم لخدمة مزارعهم والقيام عليها ، وهذه العادة كانت سارية المفعول عند معظم المجتمع النجراني ، وغيره من مجتمعات الجزيرة العربية [1] بل كان هناك أيضاً فئة مـــن المجتمـــع النجراني مثل : الأمراء ، والشيوخ ، وأعيان القبائل ، والوجهاء ، والأغنياء من المسلمين والنصارى يمتلكون عقارات وأراضي زراعية واسعة يستثمرونها لأنفسهم ، ويقوم علـــى خدمتها عبيدهم ومواليهم ، وقد أشارت عدد من المصادر إلى كثرة مثل هذه العناصر في نجران وعملهم في مهن عديدة مثل الري والزراعة [2] . ونستدل على مهاراتهم الزراعية ودأبهم المتواصل في العملية الزراعية بمختلف نواحيها من الجهود التي بذلوها عبر العصور للحيلولة دون تجريف الأرض بفعل السيول ، واستغلال المنحدرات الجبلية وجوانـــب الوديان للزراعة ، وإقامة السدود للتحكم فـــي مياه السيول والاســـتفادة منـــها في

---

(١) الفقي ، ص٢٢٠ – ٢٢١ ، السيف ((الزراعة في اليمامة)) ، ص ١٠٨– ١٠٩ ، للمؤلف نفـــسه ((الزراعة في الحجاز)) ، ص ١٨٤ – ١٨٥ ، الحامد ٢٠٤ .

(٢) للمزيد انظر ، أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص٢٤١ ، قدامه ، ص ١٨٨ ، البيهقـــي ، جـ١ ، ص ١٠٦ ، أبو حاتم الرازي ، ص ٣٢ ، شمسان ، ص ٧٩ .

Crone , The Mawli pp. 60 ff , Crone , slaves , pp . 72 ff

أغراض الري ، وهو أمر ألفوه منذ ما قبل الإسلام ، وتوارثته الأجيال عبر حقب التاريخ ، فابتدعوا النظم الدقيقة لتوجيه مياه السدود والغيول نحو السهول الزراعية ، وتوزيعها بالعدل بين المزارعين ، كما برعوا في إقامة البرك التي تتجمع فيها مياه الأمطار ، واحتفروا الآبار العديدة في الأرض التي لا تصل إليها المياه الجارية ، ولكن تتوفر في الصهاريج الجوفية بها فاستعانوا بها في زيادة المساحة المزروعة [1] .

أما المقومات الطبيعية والتي كان لها أثرها في الحياة الاقتصادية بنجران ، ونعني بها المناخ ، والتضاريس ، وموارد المياه ، والتربة ، وسوف نوجزها على النحو التالي :

أ - تنوع تضاريس نجران من جبال إلى وهاد وهضاب وسهول وأودية ، ثم وقوعها ضمن المناخ المداري الجاف لغرب القارات ، إلى جانب وجودها في منطقة الضغط المرتفع المداري شتاءاً ، وبعدها عن البحر الذي يولد الرطوبة ، كل هذا أدى إلى سقوط الأمطار عليها بشكل جيد ، وتوفر الجو المناسب لزراعة كثير من المزروعات [2] . ونجد الهمداني يعدد مواسم المطر في نجران واليمن والسروات وما جاورها من البلدان ، ثم يذكر أسماء وأوقات سقوطها ومن أهمها ما يعرف بالوسمي ، ثم الربيع ، والصيف ، والخريف [3] ، ونجد ابن الفقيه يشير

---

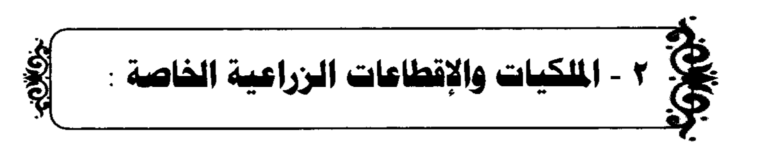
(١) للمزيد انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٥٧ ، وما بعدها ، متولي ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .

(٢) الهمداني ، ص ٣٤٧ ، سليمان ، ص ١٢٧ ، جودة ، ص ٥٨ ، الشريف ، جـ ١ ، ص ٦١ ، للمزيد انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٦٠ وما بعدها .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٢٩٩ ، وللمزيد عن مواسم فصول السنة وسقوط الأمطار ، والأوقات الجيدة للزراعة ، وعلاقة المزارعين بالأنواء ، ودوران الفلك وظهور النجوم وممارسة مهنهم الزراعية انظر : كتاب الأنواء في مواسم العرب ، لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المطبوع في حيدر أباد بالهند عام (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م) ، وفي اعتقادنا أنه لا غنى للرجوع لمثل هذا الكتاب وبخاصة الدارسين في علم الزراعة وعلاقتها بالأفلاك السماوية .

إلى وقت سقوط الأمطار في اليمن ، ونجران ، والسروات ، والحجـــاز فيذكر أهم ((**يُمّطرون الصيف كله ويخصبون في الشتاء**)) [(١)] .

ب - كما أن بلاد نجران تتمتع بتربة خصبة صالحة للزراعة ، فهي تقع على جانبي الوادي الذي عرف باسمها ((**وادي نجران**)) فهو يخترقها من الجنـــوب إلى الشمال ، وقد أكسب تربتها خصوبة عالية بفضل ما تلقيه المياه من الطمـــي على جانبي الوادي [(٢)] ، وميزة الخصوبة بالإضافة إلى جودة المناخ جعلـــت أحد الدارسين المعاصرين يقول : ((**أن أطيب بلاد اليمن نجـــران**)) [(٣)] ، وذلك لصلاحيتها لزراعة أنواع مختلفة من المزروعات . وهكذا يمكن القول بأن اختلاف تضاريس نجران وتنوعها قد أدى لتنوع المناخ ، وبالتالي أثر على الإنتاج الزراعي واختلافه من جهة لأخرى ، علاوة على توافر المياه ، كمـــا أوردنا ، من عدة مصادر مما كان له أثره البالغ على قدرات السكان في نجران وبالتالي تأثيرهم على الإنتاج الزراعي بعامة .



٢ - الملكيات والإقطاعات الزراعية الخاصة :

إذا ألقينا نظرة فاحصة على الأرض الزراعية بنجران ، لأمكننا القول بأن معظمها كانت ملكيات خاصة ، بالإضافة إلى بعض أراضي الإقطاع وغيرها ، وكانت الملكية الخاصة تمثل النوع الشائع في أرض نجران ، ونعني بها الأراضي التي

---

(١) ابن الفقيه ، ص ٣٤ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٥٣ ، ١٦٣ ، الأكوع ، اليمن ، ص ١٤٠ وما بعـــدها ، العقيلـــي ، ص ٤٩ ، المسري ، ص ٤٤ .

(٣) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

يمتلكها بعض الناس سواء أفراداً وأسراً أو عشائر وآلت إليهم ملكيتها عن طريق البيع والشراء والميراث وغير ذلك ، وكانت هذه الملكية الخاصة موزعة بين صغار الملاك كما هي العادة ، وهم يمثلون السواد الأعظم من الملاك ، وبين مجموعة من كبار الملاك ، وهم قلة يمتلكون أراضي شاسعة ، وتشير عدد من النصوص إلى تلك الملكية الخاصة ومنها الكتاب الذي أرسله الرسول ﷺ مع عمرو بن حزم الأنصاري ﷺ إلى نجران ، وكذلك الكتاب الذي أرسله ﷺ إلى خالد بن الوليد ﷺ يخبره فيه القدوم عليه في المدينة مع وفد نجران الذين دخلوا الإسلام حديثا ، وأيضاً الكتاب الذي كتبه الرسول ﷺ لنصارى نجران [1]، ومن هذه الكتب الثلاثة اتضح لنا عدة أمور منها:

أ - موافقة الرسول ﷺ لأهل نجران الذين أسلموا أن يبقوا في بلادهم يملكون عقاراتهم وزروعهم على أن يدفعوا عشر الثمرة التي تسقى بماء السماء ، ونصف العشر على الزروع والثمار التي تسقى بالسواني وما شابهها ،كذلك النصارى الذين بقوا على نصرانيتهم يظلوا مالكين لعقاراتهم ومزارعهم على أن يلتزموا بدفع الجزية .

ب - لم يظهر من تلك الكتب الثلاثة التي كتبها الرسول ﷺ أن الزروع والعقارات التي كان يملكها أهل نجران قبل الإسلام أو بعده كانت أملاك عامه ، وإنما كانت وبقيت في العصر الإسلامي يملكها أفراد وأسر

---

(١) انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، انظر نصوص تلك الكتب في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، وكذلك في بعض الملاحق المدونة في نهاية هذا الكتاب .

معينة تقوم على خدمتها وزراعتها ثم دفع جزيتها أو خراجها لعمال الرسول ﷺ الذين كان يبعثهم ويرسلهم الخلفاء من بعده [١] .

ج - حرص وتشجيع الرسول ﷺ للملكيات الخاصة من العقار والمزارع وما شابهها ، لأن ذلك يعود على الإسلام والمسلمين بالفائدة ، كما أن أصحاب الأرض والعقار يعملون بجد وإخلاص من أجل كسب الرزق الحلال الذي يحث عليه الإسلام ، كذلك مضاعفة الجهود التي تؤدي إلى إنتاجيه عالية تعود على المسلمين بالخير الكثير عن طريق جباية الزكاة والخراج والعشور ثم صرفها في مصارفها الشرعية التي بينها الشارع الإسلامي.

وقد استمرت الملكية الخاصة في عصر الخلفاء الراشدين وعصور بني أمية وبني العباس ، حيث نجد الخليفتين أبا بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب يكتبان إلى نصارى نجران فيقروهم على ما كاتبهم الرسول ﷺ عليه ولكن بعد نقضهم العهود والمواثيق أضطر الخليفة عمر على إجلائهم عن نجران إلى الشام والعراق وأعطاهم أراضي زراعية وعقارية هناك بدلاً من أراضيهم التي انتزعها منهم في نجران ثم وزعت أراضي وعقارات نصارى نجران على المسلمين على أن يدفعوا عليها الزكاة [٢].

---

(١) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، للمؤلف نفسه ، فتوح ، ص ٨٠ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ ، الزرقاني ، جـ ٣ ، ص ٣٦٣ ، الشماخي ، ٧٨ .

(٢) ابن سلام ، ص ١٤٥ ، ابن زنجويه ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٤٥١ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ ، وللمزيد عن نظام الملكية وطرق توزيعها في الدولة الإسلامية وبخاصة في الحجاز ، انظر العلي ، ((ملكيات الأراضي)) ، ص ٩٦١ – ١٠٠٥ .

وهكذا استمر المسلم النجراني يمتلك العقار والأرض الزراعية على أن يدفع زكاة محاصيلها ،وله أن يشتري ويقايض ما أراد من العقار بعكس الذمي فإنه لا يجوز له أن يشتري أرض المسلم حتى لا يزداد ثراء الذميين على حساب المسلمين ، ولكن في ظل الاضطرابات السياسية التي حدثت في بلاد السراة ونجران واليمن في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) نجد بعض الذميين يظهرون في نجران مرة ثانية ويشترون أراضي زراعية من المسلمين مستغلين حاجتهم إلى بيعها، وبقيت هذه الأراضي أرض عشرية ، ولما ظهر الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في اليمن ، ومد نفوذه إلى نجران ، رأى أنه من الصعب إعادة هذه الأراضي إلى أصحابها ، ووجد في نفس الوقت أنه لا يجوز أن يتساوى المسلمون والذميون في أن تبقى أرضهم عشريه ، لذلك كتب صلحا بين المسلمين والذميين في نجران ، على أن تبقى تلك الأراضي المشتراة من المسلمين بأيدي الذميين على أن يدفع عليها ضريبة التسع ، وأصبحت أرضا تسعيه [1].

كذلك وجدت في بلاد نجران وما حولها أرض زراعية على شكل إقطاعات ولكن للأسف الشديد لا تروي المصادر التي تحت أيدينا ظمأ معرفة ماهية هذه الإقطاعات من ناحية المساحة والمُلاّك ، وبقدر الغموض الذي يكتنف المصادر بشأن أرض نجران فإننا على العكس تماماً بالنسبة للحجاز حيث نجد مصادر كثيرة تمدنا بروايات متعددة واضحة وصريحة عن الاقطاعات الحجازية ومنها تلك الاقطاعات التي اقطعها الرسول ﷺ وبعض الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية من بعده لعدد من رجالات وأسر الحجاز في بلاد الحجاز نفسها ، بالإضافة إلى أن بعض النصوص ذكرت تفصيلات دقيقة عن مساحة بعض تلك الإقطاعات ، وما تحتويه من موارد

---

(١) العلوي ، سيرة الامام الهادي ، ص١٢٥ وما بعدها ، انظر نص ذلك الصلح ملحق رقم (٨) في نهاية هذا الكتاب .

مائية ، وما تنتجه من محاصيل زراعية [١] ، وأما بلاد نجران ، ففي اعتقادنا أنها لم تخل من بعض الإقطاعات التي أقطعها الرسول ﷺ والخلفاء من بعده ، ولو أننا لم نعثر على نصوص صريحة تذكر ذلك ، ولكن هناك العديد من المؤشرات التي جعلتنا نؤمن بمثل هذا الاعتقاد منها :

أ - إقرار الرسول ﷺ أهل نجران (مسلمين وذمِّيين) على ما في أيديهم من عقار وأملاك ، على أن يدفعوا الجزية والخراج المفروض عليهم وهذا يعد بمثابة الإقطاع والمنحة من رسول الله ﷺ .

ب - كذلك نجد عدداً من عشائر وأفخاذ وشيوخ وأعيان نجران مثل : بني الضباب من بلحارث [٢] ويزيد بن الطفيل من بلحارث ، وبني قنان من بلحارث [٣] ، وعبد يغوث من بلحارث ، وبني زياد من بني الحارث ، ويزيد من المحجل من بلحارث [٤] ، وعاصم بن الحارث من بلحارث ، وذي الغصة في بني الحارث ، وبني قرة من بني نهد [٥] ، وجميعهم يمنحهم الرسول ﷺ الأمان والاستقرار في أوطانهم على أملاكهم وعقاراتهم على أن يسلموا ويدفعوا ما فرض الله عليهم من زكاة في أموالهم ، وفيما يتضح من صيغة كتب الرسول ﷺ أنه ترك بعضهم على أملاكهم من قبل إسلامهم ، حيث تبقى لهم وتدفع مثل ما فعل مع غيرهم من عشائر وأعيان وشيوخ

---

(١) لمزيد من التفصيلات انظر العلي ((ملكيات الأراضي)) ، ص ٩٦١ - ١٠٠٥ .
(٢) حميد الله ، ص ١٦٨ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٩ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ١٧٠ - ١٧١ .
(٥) المرجع نفسه ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

القبائل الأخرى في الجزيرة العربية [(١)] ، كما يظهر من نصوص أخرى في بعض تلك الرسائل أنه منحهم وأعطاهم أعطيات ربما لم تكن لهم ولكن في محيط عشائرهم وقبائلهم ، فنجده ﷺ يبدأ عدداً من تلك الكتب بعد الديباجة الأولى ، ثم يقول : ((**أن لهم كذا وكذا**)) ويسمي أماكن في نواحيهم [(٢)] ، وهناك نصوص أخرى يبدؤها الرسول ﷺ بقوله : ((**هذا ما أعطى محمد رسول الله بني قرة بن عبد الله بن أبي نجيح** ...)) [(٣)] ، وكلمة ((**أعطى**)) هنا تفيد معنى المنح والعطاء .

ج - يظهر في بعض كتب الرسول ﷺ إلى عدد من شيوخ همدان مثل : قيس ابن مالك بن سعد بن لأئي الهمداني الذي كتب له عهداً على قومه همدان على أن يسمعوا له ويطيعوا ، وأن لهم ذمة الله وذمة رسوله ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، ثم أطعمه ثلاث مئة فرق ذرة وزبيب من بلاد خيوان في أرض همدان [(٤)] ، ونجد كتاباً آخر أكثر صراحة بإقطاع اقطعه الرسول ﷺ إلى قيس بن مالك قال فيه : ((**باسمك اللهم ، من محمد رسول الله ﷺ إلى قيس بن مالك، سلام عليك ، أما بعد : فإني استعملتك على قومك غرهم** [(٥)] ، **وأحمورهم** [(٦)]**، ومواليهم ، وأقطعتك من ذرة نسار مائتي صاع، ومن زبيب خيوان مائتي**

---

(١) كتاب محمد حميد الله مليء بكتب ونصوص من هذا النوع إلى عشائر وقبائل عديدة في أنحاء شبه الجزيرة العربية .

(٢) حميد الله ، ص ١٦٥ – ١٧٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٧٢ .

(٤) حميد الله ، ص ٢٣٣ ، ولمزيد من التفصيلات عن بلاد خيوان ، انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ٩٧ ، ٩٩ ، ٣٦٠ ، ٤١٢ .

(٥) يقصد بـ (غرهم) أي عدد من عشائر همدان مثل : (أرحب ، ونهم ، وشاكر ، ووادعة ، ويام ، ومرهبة، ودالان ، وخارف ، وعذر ، وحجور) حميد الله ، ص ٢٣٢ .

(٦) يقصد بـ (حمورهم) أي بعض من عشائر همدان مثل : (آل ذي مران ، وال ذي لعوه ، وأذواء ، وهمدان) حميد الله ، ص ٢٣٢ .

صاع ، جار لك ولعقبك من بعدك أبداً، أبداً، أبداً))[١]. فالاقطاع هنا لم يقتصر على إعطاء الأرض فقط ، وإنما اقطع من ناتج ومحاصيل الأراضي ، ومثل هذه النصوص والدلائل تعطينا مؤشراً قوياً إلى أن الاقطاع من قبل الرسول ﷺ والخلفاء من بعده لم يقتصر على الحجاز وما حولها وإنما امتدت إلى بلاد نجران وغيرها من النواحي في الجزيرة العربية .

كما أن الملكيات والإقطاعات في نجران لم تكن محصورة على النجرانيين فقط ، وإنما وجدنا بعض الدلائل التي تذكر وجود ملكيات واقطاعات لبعض الأمراء الذين كان يرسلهم الخلفاء في العصر الراشد ، وفي عصر بني أمية وبني العباس [٢] ، بل بعض الخلفاء والأمراء في العصرين الأموي والعباسي ، وكذلك بعض الأئمة والقادة في عصر الدولة الزيدية في صعدة ، عندما كانت تمد سيطرتها على نجران من وقت لآخر، كانوا هم أيضاً يملكون إقطاعات وأملاكاً واسعة في نجران ، وأحياناً يتركون عبيدهم ومواليهم هم الذين يقومون على شؤونها والمحافظة عليها [٣] .

٣ - الموارد المائية ووسائل الري :

من المعروف أن شبه الجزيرة العربية بخلاف مصر والعراق والشام تخلوا من الأنهار الجارية ، ولذا فهي تعتمد اعتماداً كاملاً على مياه الأمطار التي تسقي الأرض ، أما بطريقة مباشرة أو عن طريق ما يسيل منها على سطح الأرض

---

(١) حميد الله ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٢) للمزيد انظر ابن سلام ، ص ٤٤٥ ، الطبري ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، البيهقي ، جـ ١ ، ص ١٠٦ – ١٠٧ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج٣ ، جـ٦، ص ٣٥٣، شرف الدين ، تاريخ الفكر، ص٢١– ٢٢، دلال ، ص٢٤٢ .

(٣) البيهقي ، جـ ١ ، ص ١٠٦ ، أبو نعيم ، جـ ٩ ، ص ٧٦ ، أبو حاتم الرازي ، ص ٣٢ – ٣٣ .

مكوناً ما يعرف بالمجاري السطحية (الغيول) أو عن طريق ما يتجمع على شكل سيول في الأودية تحجزها السدود ، أو ما يغوص منها في جوف الأرض وتختزنه التربة وتتكون منه المياه الجوفية التي تغذي الينابيع والآبار والعيون [١] .

وكانت نجران بوصفها قطعة من شبه الجزيرة العربية تعتمد في زراعتها في المقام الأول على الأمطار التي تنحدر إلى الأراضي الخصبة عبر وادي نجران الشهير ، وغيره من الأودية والمجاري المائية الأخرى ، ونجد الهمداني يشير إلى بعض أوقات نزول المطر في جنوب شبه الجزيرة العربية ومن بينها نجران فيقول : ((**والخريف وهو عند الحساب الصيف ، وهو عصر السرطان والأسد والسنبلة به كثير الأمطار والصواعق فيه كثيرة**)) [٢] ، كما يشير في مكان آخر إلى أوقات نزول الأمطار في تلك البلاد ، ويذكرها بمصطلحات معينة مثل : ((**الوسمي أولها وله من الأنواء ، الحوت، والسرطان ، والبطين ، والثريا ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة ، إذا طلعت عشاء أو طلعت نظائرها بكرة ، ثم يتلوه الربيع من الذراع إلى السماك ، ثم الصيف من السماك إلى النعائم ، ثم الخريف من النعائم إلى الحوت ولا مطر فيه هناك بعد**)) [٣]، ويذكر ابن الفقيه وقت سقوط المطر في الحجاز والسروات ونجران واليمن الذي يكون خلال فصل الصيف ، ثم ينوه إلى الشهور التي يترل المطر فيها على صنعاء وما جاورها من البلدان مثل صعدة ونجران وغيرها فتكون في ((**حزيران ، وتموز ، وآب ، وبعض أيلول من الزوال إلى المغرب ، يلقي الرجل الآخر منهم ، فيكلمه فيقول عجل قبل الغيث ، لأنه لا بد من المطر في هذه الأيام**)) [٤] .

---

(١) متولي ، جغرافية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٩ ولمزيد من التفصيلات عن تعريف هذه المصطلحات انظر : كتاب الأنواء في المواسم ، لابن قتيبة ، ص ٤ وما بعدها . كما نجد بعض علماء اللغة مثل : ابن منظور ، وابن سيدة ، وابن دريد ، والزبيدي وغيرهم يشيرون إلى المطر ومراتب نزولة ، فيذكرون ، أن اول المطر الوسمي ، ثم الشتوي ، ثم الدفيء ، ثم الصيف ، ثم الحميم ، ثم الخريف ، انظر ابن جريس ، عسير ١١٠٠– ١٤٠٠هـ ، ص ١٣٧ .

(٤) ابن الفقيه ، ص ٣٤ .

ومن الواضح من خلال هذه النصوص أن الأمطار كانت ذات أثر واضح في نشأة حياة مستقرة في تلك المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة العربية والتي انفردت كما نرى دون غيرها من أنحاء شبه الجزيرة العربية بوفرة الأمطار ، فتحظى بموسمين للمطر موسمي وصيفي أحدهما رئيسي يتركز في شهر يوليو ويمتد حتى شهر سبتمبر . ويُعد موسماً عظيم الأهمية لاعتماد الغلات الزراعية وأصناف الفواكه عليه ، والآخر ثانوي وأقصر من الموسم الأول ويتركز في شهري إبريل ومايو وترتكز على مطره زراعة الذرة وبعض البقوليات [١].

وهكذا يكون نزول الأمطار ذا أثر جيد على المزروعات التي تسقى بماء السماء ، ونجد كتب الرسول ﷺ التي أرسلها إلى أهل نجران أن فرض عليهم الزكاة ومقدارها العشر على الزروع والثمار التي تسقى بماء الأمطار ، ونصف العشر على ما يسقى بماء الآبار وما شابهها [٢] ، وهذا يدل على أن هناك محاصيل كثيرة تسقى بمياه الأمطار ، وقد تسقط الأمطار من السماء على الزروع فتسقيها بما يكفيها حتى يتم حصادها ، وقد تسقط ثم تجري في وادي نجران وغيرها من المجاري والأودية الأخرى ، وبالتالي يقوم المزارعون بالزراعة على جنبات تلك الأودية ، ثم يعملون على بناء قنوات على شكل أحواض وصهاريج يقصد بها توجيه قسم من مجرى المياه في تلك الأودية نحو الحقول ، وبذلك يجري الماء من صهريج إلى آخر في هذه السلسلة من المحطات ، وأحياناً تنقطع هذه السلسلة قبل أن تتمكن من ري بقية الحقول رياً كافياً ، فيظل الري في هذه الناحية ناقصاً [٣] .

كما أن أهل نجران سعوا إلى إقامة بعض السدود المتواضعة كي يحبسوا فيها بعض مياه الأمطار لتستخدم في ري المزروعات [٤] ، ولكن في اعتقادنا أن مثل تلك السدود لم تكن ذا أهمية كبيرة بسبب وهنها وضآلتها العمرانية ، وذلك لعدم وجود الإمكانات

---

(١) للمزيد انظر ، Varisco , p . 309

(٢) أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، حميد الله ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٣) الفقي ، ص ٢٢٢ ، السيف " الزراعة في اليمامة " ، ص ١١١ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠– ١٤٠٠ هـ ، ص ١٣٧ .

(٤) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٦٢ ، وكان الفلاح النجراني يواجه مشاكل كبيرة أثناء جمع المياه الجارية ، وأحياناً كانوا يقومون على بناء الخزانات والمصانع التي يرصفونها من جوانبها بالحجارة من أجل تخزين المياه وحفظها من الضياع، الفقي، ص ٢٢٢ .

اللازمة لإقامة سدود عملاقة تستطيع حفظ مياه الأمطار الكثيرة التي تجري معظم أيام السنة ، وتمنعها من الذهاب عبثاً إلى الصحاري والرمال .

وقد تكون الأمطار الموسمية غير كافية للزراعة ،لذا اتجه السكان إلى حفر الآبار ، وإقامة بعض القنوات التي ساعدت على استصلاح كثير من الأراضي الزراعية . وكانت الآبار من مصادر الري الرئيسة في بلاد نجران ، بل في معظم أجزاء الجزيرة العربية ، وهذا مما يدل على كثرة المياه الجوفية في باطن الأرض ، وبالتالي فالسكان يلجؤون إلى الحصول على هذه المياه عن طريق حفر الآبار التي تتفاوت في أطوالها ، وكذلك في المجهود المبذول في حفرها ، كل حسب المكان الذي تحفر فيه كل بئر ، فإن كان ذا تربة سهلة الحفر ، خالية من الصخور ، كان الحصول على الماء يسيراً ، بعكس المواقع الصلبة المليئة بالصخور والأحجار القوية التي يصعب تفتيتها وإزالتها عن طريق الحفارين [1] ، ونجد الهمداني يذكر أسماء العديد من الآبار في بلاد نجران والتي كانت تستخدم في ري المزروعات ، وكذلك يستفاد منها في منافع أخرى ، مثل : استخدامها للشرب وما يحتاجه الإنسان من طهي وغسيل وأغراض مترلية أخرى ، بالإضافة إلى سقاية حيوانات مواشي الرعاة والتجار وغيرها [2]، ويذكر فؤاد حمزة إلى أن آبار

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن تحديد مواقع المياه الجوفية ، ثم طريقة حفر الآبار والأدوات التي تستخدم في الحفر ، وحماية الآبار بعد حفرها ببعض الأبنية ، انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٨٢ – ١٩٦ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ١٣٨ ، الغباري ، ص ٣٤ .

(٢) الهمداني ، ٢٩٨ ، ٣١٨ ، ٣٦١ ، للمزيد انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٨٢ وما بعدها . من يتجول في بلاد نجران ، أو اليمن ، أو السروات ، أو الحجاز فانه يجد آبار كثيرة في هذه البلاد ، وبعضها يعود تاريخه إلى مئات السنين ، والمدهش على بعض الآبار التي لاحظناها في هذه الأجزاء عمقها الشديد الذي يصل أحياناً إلى (٥٠ – ٦٠) متراً ، وربما أعمق من ذلك ، كما أن كثيراً من الآبار التي شاهدناها في نجران وبلاد السروات ترى معظمها محفوراً في الصخر الصلب ، وهذا مما جعلنا نتساءل عن ذلك الجهد وتلك الآلات التي حفرت مثل هذه الآبار في وقت لم يكن فيه امكانات قوية تجعلهم يقومون بمثل هذا العمل ، مشاهدات الباحث خلال الأعوام (١٤٢٠ – ١٤٢٤ هـ / ١٩٩٩ – ٢٠٠٣ م) .

عديدة جاهلية في نجران نظفت وأصلحت، فعادت إليها الحياة ، واستغلت مياهها في إحياء الأراضي التي كانت خصبة ثم تحولت إلى موات (١)

أما عن وسائل الري فتختلف باختلاف الموارد المائية فالزروع التي تعتمد على الأمطار فكل بلد تحصل على نصيبها بقدر ما نزل عليها من المطر ، والذي لا يستطيع الإنسان التدخل فيه ، ولكن عندما تنزل الأمطار ، ثم تحبس مياهها في قنوات وعيون وصهاريج ، وخاصة على ضفاف الأودية ، أو عند سفوح الجبال والوهاد ، فإن من يقوم بهذه الطرق يكون له نصيبٌ مما خزنه من مياه الأمطار فيسقى به زروعه وتعود عليه بمنافع أخرى عديدة ، وغالباً ما يكون هناك أكثر من فرد أو أسرة أو عشيرة قامت بهذه الإصلاحات فهم فيه سواء يتوزعونه حسب حصصهم ، وحسب احتياج كل واحد منهم (٢) . أيضاً الآبار قد يكون على البئر الواحدة أكثر من شريك ، فهم يحددون نصيب كل واحد منهم ، كل حسب استهلاكه وحسب سعة مزارعه ، والتحديد يكون بالزمن ، فيعطى كل واحد أوقات محددة ، وربما تكون بالساعات ، أو الأيام ، يقوم فيها بجلب الماء من البئر لري زرعه ، وقد تقع الخصومات بين الشركاء من جراء التجاوز وعدم ضبط الأوقات المتفق عليها (٣) .

---

(١) حمزة ، ص ١٩٠ للمزيد انظر جواد علي ، جـ٧ ، ص١٩٥. ولا يزال الناس إلى اليوم يستغلون في نجران وفي غير نجران بعض الآبار القديمة للشرب وري المزارع ، كما يظهر وجود بعض الآبار القديمة في كثير من البراري والسهول والأودية كانت في محلات مأهولة بالسكان ، ثم تركها أهلها ورحلوا فأصابها الخراب والدمار. جولات الباحث في بلاد نجران واليمن والسروات والحجاز في عامي (١٤٢٠- ١٤٢٤ هـ) .

(٢) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٢١٣ – ٢١٤ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ١٤٠ .

(٣) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٢١٤ – ٢١٥ ، كما أن الباحث اطلع على عشرات الوثائق عند سكان السروات الممتدة من اليمن إلى الحجاز ، وكان كثير منها يعكس اتفاقيات بعض الشركاء في بعض الآبار أو العيون ، أو القنوات ، ومقدار الزمن الذي حدد لكل واحد منهم لاستخدام مثل تلك الموارد المائية في الري والزراعة ، أو في الشرب والبناء و الطهي وغير ذلك .

أما الري بمياه الآبار فهي طريقة أساسية اعتمد عليها أهل شبه الجزيرة العربية في سقاية أراضيهم ، وكانوا يستخدمون العبيد والحيوانات المختلفة كالإبل والبقر وغيرها في رفع مياه الآبار ويتم ذلك عن طريق ربط دلواً كبير ، مصنوع من الجلد ، بعدة حبال ، ثم يشد أطرافها الأخرى بواسطة العبيد أو بربط الطرف الآخر للحبل في عنق الحيوانات ، فيجر هؤلاء الدلو على أعمدة من خشب أقيمت حول البئر ، وبالتالي يصب الماء في صهريج مقام بجانب الآبار ينطلق منه الماء في جداول صغيرة حتى يصل الأرض التي يراد ريها ، وتتولى عملية الإنزال والرفع حتى يتجمع قدر كافٍ من المياه ، ثم يتم دفعه إلى الأراضي عن طريق السواني ومفردها سانية [(١)] ، وهذه الوسيلة تعد أهم الوسائل التي عرفها النجرانيون وغيرهم من سكان شبه الجزيرة العربية [(٢)] .

٤ - طرق التعامل الزراعي :

كان كثير من سكان القرى والأرياف في نجران يعملون في الزراعة ، ومنهم من كان يمتلك الأراضي الواسعة التي يزرعها لحسابه الخاص [(٣)] ، وأحياناً كان هناك من يستخدم الرقيق والموالي والأجراء في زراعة مثل تلك الأملاك الكثيرة ، علماً أنه لا يقوم بمثل هذا العمل إلا الأعيان والأمراء والشيوخ والأغنياء ، وأصحاب

---

(١) ويعرّف ابن منظور (السانية) فيقول : ((الغرب وأداته ، والسانية الناضحة ، وهي الناقة التي يستقى عليها ... والسانية وجمعها السواني ، ما يسقى عليه الزرع والحيوان من بعير وغيره ...)) للمزيد انظر ابن منظور ، جـ ٦ ، ص ٤٠٥ ، فعل (سنا) .

(٢) الفقي ، ص ٢٢٢ ، الحامد ، ص ٢٠٥ ، للمزيد عن طريقة استخدام الآبار في الري الزراعي ، وعن هيئة البئر ، والأدوات التي تستخدم أثناء رفع المياه منها ، انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٨٢ – ١٩٦ ، ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، السيف ((الزراعة في الحجاز)) ص ١٩٥ ، الغباري ، ص ٣٤ – ٣٦ .

(٣) رأينا العديد من كتب الرسول ﷺ إلى بعض النجرانيين ومن حولهم ، وهو يقرهم على أراضيهم ، بل يمنحهم إقطاعات وأراضي زراعية أخرى ، كي يقوموا عليها ويؤدوا زكاتها أو خراجها ، انظر حميد الله ، ص ١٦٥ – ٢٤٠ .

القدرات المالية الجيدة ، أما السواد الأعظم من السكان ، فكان أفراد كل أسـرة ، نساءً ورجالاً ، هم الذين يمارسون الزراعة في مزارعهم من بداية استصلاح الأرض وبذرها ، ثم حمايتها وسقيها ، إلى حصادها ودرسها ثم خزنها (١) ، ومـن العوامـل الأساسية لنجاح العمل الزراعي التعاون بين أفراد الأسرة ، أو الأسر المتقاربة أو القرية أو العشيرة في كسب لقمة عيشهم من مزارعهم ، لأن طرق الزراعة قـديماً كانـت تقليدية تعتمد على جهد الإنسان العضلي ، وعلى ما يقتنون من إمكانات محدودة ، و لم تكن ظاهرة التعاون في مساعدة بعضهم بعضاً ، أو تبادل الأدوات الزراعيـة المختلفـة مقصوراً على أفراد الأسرة أو القرية ، وإنما كانت ظاهرة عامة تشمل أنحاء شبه الجزيـرة العربية ، فتجدهم يتبادلون الحيوانات التي تستخدم في الحرث ، أو الري ، بل يتعاونون أيام بذر الحب ، أو في أوقات الحصاد ، أو درس المحاصيل ، وغير ذلك من الأعمال اللازمة للري والزراعة (٢) .

وكان في نجران بل في معظم شبه الجزيرة العربية من يعمل مع أصحاب المـزارع مقابل أجرة تدفع له من الثمار والمحاصيل الزراعية ، ومن النجرانيين من كان يزارع علـى أرض غيره ، كأن يدفع له خمس ، أو ثلث ، أو ربع ، أو نصف المحـصول ممـا تنتجـه الأرض، وقد يكون المالك للأرض هو الذي بذر الحب وسقاه ، وليس علـى الطـرف الآخر ، إلا الحصاد والدرس ، ثم القسمة والخزن ، وأحياناً أخرى يكون المزارع هو الذي قام بخدمة الأرض من البداية حتى النهاية ، وكان هناك من يتقاسم الحب الذي تبـذر بـه الأرض ، أو الحيوانات والأدوات التي يحتاجها المزارع أثناء الزراعة والـري والحـصاد ، ووجد من كان يؤجر أرضه بالدراهم ، أو ببعض السلع الأخرى (١) .

---

(١) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١٣٠ – ١٤٢ ، ٢١٦ وما بعدها ، ابن جريس ، عسير ، ص ١٣٢ .

(٢) هذه عادات قديمة واستمرت إلى اواخر القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ثم اندثرت مع ظهـور الآلات الحديثـة المستخدمة في الزراعة ، وكذلك مع التطور التنموي الذي شمل المملكة العربية السعودية بعد اكتشاف البترول .

(٣) وللمزيد عن المعاملات الزراعية قديماً في نجران وأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية ، انظـر ، جـواد علـي ، جـ ٧ ، ص ٢١٦ – ٢٢٢ ، ابن جريس ، عسير ، ص ١٣٣ ، الغباري ، ص ٣٠ وما بعدها .



٥ - المحاصيل الزراعية:

اشتهرت نجران بكثرة النخيل ، ولكثرته كانت له أسماء كثيرة مثل : البعل ، والسمراء ، التي يتجاوز ارتفاعها حد المألوف ، ويكون إنتاجها أضعاف ما تنتجه أشجار النخيل الأخرى [(١)] ، وأجود أنواع التمور توجد بنجران ، وكمياتها وفيرة وذات أنواع مختلفة ، منها نوع يطلق عليه ((**المدبس**)) ، وقد امتدحه الهمداني بقوله : ((**وبها المدبس الذي لا يلحق به بردي خيبر**)) [(٢)] ، ويتحدث الهمداني في مكان آخر من كتابه ((**صفة جزيرة العرب**)) فيقول : يوجد في نجران ((**النخل البعل الذي لا يشرب إلا من السيل ، وربما أسنت فأتى بالتمر عن ري سنة أو ثنتين، وبها القسب من التمر الذي يسحق، ويحلو مع السويق فذاك بنجران**)) [(٣)]، ويواصل الهمداني امتداحه بعض تمور نجران التي فاقت شهرتها العالم الإسلامي آنذاك ، فيذكر أن أباه كان يقول له : ((**دخلت الكوفة وبغداد والبصرة وعمان ومصر ومكة ، وأكثر بلاد النخل ، وطعمت التمران ما رأيت مثل مدبس نجران وجودة وعظم تمره خاصة تملأ الكف التمرة**)) [(٤)] .

كما كانت أرض نجران تنتج عدداً من صنوف الحبوب والخضراوات والفواكه ، ويؤكد الهمداني ذلك بسرده لعدد من أصناف هذه المنتجات الزراعية فيشير إلى جودة حبوب الحنطة ، والذرة ، والسمسم، والدخن، واللوبياء ، والقثاء، والبطيخ ، والقرع ، والجزر ، والقرع ، والحلبة ، والخوخ ، والتين ، والعنب متعدد الأشكال في الطعم واللون [(٥)] . ويفصل بعض المعلومات عن حبوب البر والذرة، فيقول :

---

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ ، الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٢ ، انظر عنصر الأطعمة والأشربة في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٢) الهمداني، صفة،ص٣٦٠–٣٦١،والبردي ضرب من تمر الحجاز جيد معروف، انظر ابن منظور، جـ ١، ص ٣٦٨ ، فعل (برد) .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦١ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٤ – ٣٦١ .

((**والميساني والنسول والهلباء لا يكون إلا بنجران** [(١)] ، **ومنه الأدرع الأملس والأحمر الأحرش ...**)) [(٢)] ، ويقول أيضاً ((**ومن ذلك الذرة بنجران في قابل يام من ناحية رعاش وراحة ، يكون في قصبة الذرة مطوان وثلاثة وأكثر**)) [(٣)] .

وهناك عدد آخر من مدوني التراث في العصور الإسلامية الوسيطة ينوهون إلى غناء بلاد نجران وما جاورها من أرض اليمن زراعياً ، فهذا الأصطخري وابن حوقل يشيران إلى كثرة النخل في نجران [(٤)] . وكذلك ابن الفقيه يشير إلى خصوبة نجران وعموم بلاد اليمن فيذكر أن بها ((**من أنواع الخصب ، وغرائب الثمر ، وطرائف الشجر مالا ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة**)) [(٥)] ، ويتعرض الإدريسي لزراعة بلاد نجران فيذكر أن بها مزارع وضياعاً كثيرة [(٦)] ويقول أبو الفداء: ((**نجران بليدة بها نخل ... بين قرى ومدائن وعمائر ومياه**)) [(٧)] ، كذلك القلقشندي الذي أشار إلى أن قرى نجران وعموم بلاد اليمن لا تخلوا من أشجار ذات فواكه ، وأكثرها العنب واللوز [(٨)] .

ومما يؤسف له أنه في الوقت الذي توافرت فيه المصادر التي أمدتنا بتفاصيل طيبة عن زراعة المحاصيل وأنواعها وطرق حصادها ، فإنها هي ذاتها وغيرها تصمت عن إمدادنا بمعلومات وافية عن القيمة الإنتاجية للمحاصيل المزروعة على اختلافها ، فصار إنتاج هذه المحاصيل غير معلوم ، مما يدفعنا للقول بأن تلك الأراضي الزراعية النجرانية لم

---

(١) هذه الأنواع من الحبوب تسمى بـ (البر العربي) قريبة الشبه من حبوب الحنطة .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ – ٣٦٠ ، ويقصد بـ (المطوان) أي السنبلة ، للمزيد انظر عنصر الأطعمة والأشربة في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

(٤) الأصطخري ، ص ٢٤ ، ابن حوقل ، ص ٣٦ .

(٥) ابن الفقيه ، ص ٣٤ .

(٦) الادريسي ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

(٧) أبو الفداء ، ص ٩٣ .

(٨) القلقشندي ، صبح الأعشى (طبعة دار الكتب في بيروت / ١٩٨٧ م) جـ ٥ ، ص ٣٦ .

تكن تدر محصولاً ثابتاً على مدار الأعوام ، وإنما يتغير الإنتاج تبعاً لكميات الأمطار ، ومدى عناية الفلاح بأرضه ، علاوة على المناخ اعتدلاً وقسوة ، وظروف الآفات والأضرار الزراعية من عدمها ، علاوة على الاستقرار السياسي .

٦ - أثر الآفات والفتن على الزراعة :

لا تمدنا المصادر بمعلومات مفصلة عن الأوبئة والآفات التي تعرضت لها الزراعة في نجران ، لكن بعضها تتضمن ما قد يعطي فكرة عامة عن هذه الآفات الزراعية ، التي كانت كثيراً ما تتعرض لها الزروع والثمار مما يؤثر تأثيراً كبيراً على الثروتين الزراعية والحيوانية للبلاد ، ومن هذه الأضرار الجدب أو الجفاف الذي كان يصيب المزارعين في بعض السنوات ، فيهلك الحرث والنسل ، ويفقر الناس فيعم القحط ، بل ويموت كثير منهم ومن مواشيهم (١) . وأحياناً كانت تأتي سيول غزيرة فتهلك الزروع وتخرب المحاصيل ، وتنتشر الأوبئة والأمراض في بعض الثمار والمحاصيل ، أيضاً مشكلة زحف الرمال على الأراضي الزراعية قد تفسدها فلا يستفاد منها زراعياً (٢) . وكان الجراد أخطر الآفات التي تتعرض لها الزراعة في نجران وغيرها من بلاد اليمن ، وكانت هجماته تفتك بالمزروعات بشكل مدمر ، وجرت العادة في هذه الحالات أن يخرج الأهالي لجمع الجراد في أكياس تعبيراً عن شدة هجومه عليهم (٣) ، وكذلك كان يداهم المحاصيل الزراعية الجرذان (٤) ، أو الطيور ، أو القرود (٥) ، أو الديدان ، وجميع هذه الآفات

---

(١) ابن بكار ، جهرة ، ص ٢٢٣ ، ٢٦٦ ، ابن جريس ، عسير ، ص ١٤٥ .

(٢) انظر عرام ، ص ٣٩٨ ، البكري ، مج ٢ ، جـ ٣ ، ص ٨٣٦

(٣) ابن بكار ، جهرة ، ص ٢٢٣ ، السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ٧٢ .

(٤) الدينوري ذكر في كتاب النبات (طبعة بفيسبان) معلومات جيدة تحت عنوان : ((ومن آفات الحرث والنخل الجرذان)) ، ص ٣ وما بعدها ،

(٥) يذكر عرام السلمي أن جبال السروات الممتدة من اليمن إلى الحجاز كانت مأوى للقرود التي كانت تفسد على أهل تلك البلاد الكثير من انتاجهم ، انظر ، ص ٤١٧ .

تدمر ما أصلح المزارع إذا تمكنت منه ، وبالتالي قد لا يخرج من الثمر أو الحبوب إلا القليل ، وأحياناً قد لا يخرج منها شيء [(١)].

أما الفتن والثورات التي شهدتها نجران خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى والتي صاحبتها الفوضى وعدم الاستقرار ، وانتشار الفساد واللصوصية مما أثر بالسلب على العمران والتحضر ، وسلبت المحاصيل ، ودمرت المزروعات بل وراح ضحية هذا العنف عدد كبير من السكان ، وهذا مما ترك أثراً كبيراً على الزراعة ، فالوقت الذي خرج فيه الأسود العنسي في بلاد اليمن ، وامتداد نفوذه إلى نجران ، وصاحب ذلك الثائر انتشار الفوضى ، وترويع الناس ، وبخاصة من تمسك بدينه الإسلامي وتصدى لهذا المرتد ومن شايعه ، كما انشلّت حركة المزارعين أيام ثورته وتعطلت مصالح المسلمين حتى قضي عليه ، ثم عادت الأمور إلى حالتها الطبيعية [(٢)] . كما ساد بلاد نجران بعض الفوضى أيام الفتنة الكبرى ، وأيام الصراع بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وبخاصة عندما أرسل معاوية قائده بسر بن أبي أرطأة إلى الحجاز ، ثم نجران واليمن فعاث في الأرض فساداً، وقتل وخرب الكثير من العقارات المختلفة ، التي كان من بينها البساتين والمزارع المتعددة [(٣)] . كما أن ثورة أبي حمزة الخارجي ، في نهاية العصر الأموي ، وكذلك ثورة بعض العلويين في عصر الخليفة المأمون التي امتدت آثارها إلى الحجاز ونجران واليمن ، وقيام بعض الدويلات المستقلة في اليمن وبخاصة الحركة الزيدية في صعدة ثم مد نفوذها إلى نجران. كل هذه الثورات ،

---

(١) للمزيد انظر الدينوري ، المصدر السابق ، ص٣ ، عرام ، ص ٤١٧ ، الحامد ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ ، ابن جريس ، عسير ، ص ١٤٥ - ١٤٧ .

(٢) للمزيد انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ ، ٢٣٠ ، الكلاعي ، ص ١٥١ ، البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ ، مجهول المؤلف ، ورقة ٣٢ (ب) .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ ، ابن أعثم ، جـ ٤ ص ٥٦ وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص١٩٢ - ١٩٤ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٩٨ ، النويري ، نهاية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ .

بالإضافة إلى الصراعات بين القبائل مثل مذحج وهمدان والأزد وغيرها كانت جميعها لها آثار سلبية على الناحية الاقتصادية وبخاصة الزراعية التي كان ينالها النصيب الأكبر من الدمار والخراب والحريق من جراء تلك الصراعات السياسية متعددة الأهداف والنوايا لكل من قام بها وحركها على مدار تلك العهود الإسلامية المختلفة (١) .



ثالثاً : الصناعات التقليدية والحرف اليدوية :

الصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة ، ويقال رجل صنع ، أي حاذق في الصنعة ، وعماد الصانع يداه يستعملهما في صنع الأشياء ، كما يعتمد على ذكائه في تحويل الأشياء إلى أشياء أخرى أهم منها ، أو أي شيء آخر يريده ، أو يطلب منه . والحرفة والصنعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب ، وكل ما اشتغل الإنسان به، أي أمر كان ، فإنه عند العرب يسمى (الصنعة) أو (الحرفة) يقولون : صنعة فلان أن يعمل كذا ، وحرفة فلان أن يفعل كذا (٢) . ويذكر عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال : ((**إني لأرى الرجل فيعجبني ، فأقول ، هل له حرفة ؟ فإن قالوا : لا ، سقط من عيني**)) (٣) ، وكثير من السكان في المجتمع النجراني عملوا في عدد من الصناعات والحرف التقليدية ، والتي سوف نناقش أهمها في الصفحات التالية :

---

(١) للمزيد عن الآثار السلبية الناجمة عن تلك الحروب والصراعات المختلفة ، انظر ، الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٩٣ ، ٥١٧ ، جـ ٨ ص١٩٣ ، ٥٢٨ ، جـ ٩ ، ص٢٧١ ، ابن الأثير، الكامل ، جـ ٤ ، ص٢٩٧ ، جـ ٥ ، ص ٢٧٣ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٦ ، ص ١٠٩ ، الخزرجي ، ص ٧٤ ، الجرافي ، ص ١١١ ، الواسعي ، ص ١٦٩ ، البلادي ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٢) ابن منظور ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، فعل (حرف) ، جـ ٧ ، ص ٤٢٠ ، فعل (صنع) ، وللمزيد عن الصناعات والحرف التقليدية ، انظر ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٣) انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٠٥ .

١ - صناعة التعدين وما يتعلق بها:

كان لتوافر أنواع متعددة من المعادن بالمنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية ومن بينها نجران ، أثرها البالغ في قيام عدد من الصناعات المعدنية عليها ، فصارت صناعة التعدين من أهم الصناعات التي قامت بنجران حيث توافرت معادن الفضة ، والذهب ، والحديد ، والعقيق ، والجزع ، والرصاص وغير ذلك ، والتي كانت صالحة للاستثمار ، ولعل الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى عام (٣٣٤ هـ/ ٩٤٥ م) يعد أفضل المؤلفين الأوائل الذين تحدثوا عن المعادن ومواطنها في الجزيرة العربية ، وبخاصة في اليمن ، ونجران ، وتهامة والسراة ، والحجاز ، ونجد ، ويجد القارئ التفاصيل الكثيرة في كتبه ، وخاصة في كتاب ((**صفة جزيرة العرب**)) ، وكتاب ((**الإكليل**)) ، والأهم من ذلك كله ((**كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء**)) ، الذي أكد فيه على كثرة معادن الذهب والفضة في شبه الجزيرة العربية، بل أوضح كثيراً من التفصيلات عن طريقة العمل في بعض المعادن وكيفية استخراج نتاجها [١] ، كما حدد بعض مواقع المعادن في نجران وما جاورها من البلدان . ويعد معدن الفضة المعروف باسم (معدن الرضراض) من أشهر مناجم الفضة في الجزيرة العربية، ويذكر الهمداني أنه ((**معدن لا نظير له في العزازة**))[٢] ، وكان الذين يعملون فيه من الفرس الذين ربما قدموا إليه في الجاهلية وأيام بني أمية وبني العباس وكانوا يسمون فرس المعدن ، وكان فيه أربعمائة تنور لسبك الفضة ، ويروي الهمداني أن إنتاجه من الفضة في الأسبوع ((**حمل**

---

(١) انظر الهمداني ، الجوهرتين ، ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ١٥١– ١٥٢ ، ويذكر الهمداني أيضاً أن هذا المعدن يقع في حد نهم ومخلاف يام من أرض همدان ، الجوهرتين ، ص ٩٠ ، ويقول حمد الجاسر : ((وهذا المعدن واقع في شرق اليمن وجنوب نجران يميل نحو الغرب ، وجبل يام الأصحر (**والذي يعرف اليوم باسم الأسحر**) يدعه المتجه إلى الجوف (**جوف مراد**) عن يمينه ...)) انظر تعليقاته في نهاية كتاب الجوهرتين ، ص ٩٢ ، ٣٥٩ .

فضة وهو عشرون ألف درهم)) [١] ، واستمر إنتاج هذا المعدن منذ العهود الإسلامية الأولى وحتى نهاية العصر العباسي الأول ، وفي سنة (٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) تدهور إنتاج هذا المنجم بسبب الصراعات القبلية ، يقول الهمداني : ((**فلما قتل محمد بن يعفر وافتتنت هذه القبائل عليه عدا بعضهم على ساكنه فقتلوا منهم ونهبوا ، وهرب من بقي فتفرقوا في البلاد))** [٢] .

وفي نجران وبلاد اليمن ونجد المجاورة وجدت كثير من مواقع استخراج معادن الذهب ، مثل معدن الهجيرة من نهد ويأتي رطله بالعيار العلوي ثمانية وتسعين وأقل [٣] ، ومعدن ذهب المخلفة من أرض همدان الذي يقول عنه الهمداني ، هو معدن ((**بأرض بني سابقة ، بالحد ما بين صعدة ونجران ، وهو معدن جيد ، يأتي رطله بالعيار العلوي مائة دينار وأربعة ، وأقل شيئاً))** [٤] ، وكذلك ((**معدن العقيق ، عقيق جرم** [٥] ، **بين نجران والفلج ، وموضعه صعاد من العقيق ، وهو غزير جداً ويسمون القطعة هناك دقة ، ولو كان فيها أرطال** [٦] ، ويشير الهمداني إلى الطريق الواصلة بين نجران

---

(١) السيف ((الصناعات في الجزيرة العربية)) ص ٣٢٨ .

(٢) الهمداني الجوهرتين ، ص ٩٠ ، وللمزيد عن هذا المعدن ومعادن أخرى في اليمن ، وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية ، انظر الهمداني ، صفة ، ص ١٥٢ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥١٥ ، السيف ((الصناعات في الجزيرة)) ، ص ٣٢٥ – ٣٥٢ ، كما انظر تعليقات جيدة لحمد الجاسر في نهاية كتاب الجوهرتين ، تحدث فيها عن بعض المعادن المعروفة قديماً في الجزيرة العربية ، ص ٣٣١ – ٤٣٩ ، Dunlop , pp . 29

(٣) الهمداني ، الجوهرتين ، ص ٨٧ ، ذكر الهمداني عدة معادن في الجزيرة العربية ، منها معدن الهجيرة ، وذكر أن موقعه على محجة نجران إلى مكة قبل تثليث ، للمزيد ، انظر ، كتاب الصفة ، ص ٢٢٩ ، ٣٤٣ ، تعليقات الجاسر في كتاب الجوهرتين ، ص ٤٢٠ – ٤٢١ .

(٤) الهمداني ، الجوهرتين ، ص ٨٧ ، وللمزيد عن هذا المعدن انظر تفصيلات الجاسر عن المعادن نهاية كتاب الجوهرتين ، ص ٤١٠ – ٤١١ ، السيف " الصناعات ... " ، ص ٣٢٧ . ويبدو أنه حصل خلط عند الهمداني بين المخلفة ، وبين سابقة ، وقد وضح ذلك حمد الجاسر ، فذكر أن المخلفة في تهامة على حد قول الهمداني عندما قال : ((المخلفة سوق الحجور يتسوقه أهل تهامة وأهل الجبال)) ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٤٨ ، أما بلاد بني سابقة ، والتي يوجد بها المعدن المذكور أعلاه ، فهي في شرق اليمن ، شرق صعدة ، على ما حدد الهمداني أيضاً في كلامه على مخلاف صعدة وهم مع أخوانهم من وادعة في بلادهم المجاورة لبلاد يام ، في أعلى وادي نجران . انظر تعليقات الجاسر ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .

(٥) لمزيد من التفصيلات عن غزارة هذا المعدن وموقعه ، انظر تعليقات الجاسر في نهاية كتاب الجوهرتين ، ص ٣٧٨ – ٣٩٠ .

(٦) الهمداني ، الجوهرتين ، ص ٨٧ .

واليمامة ، والذي يوجد هذا المعدن عليها ، فيقول : ((**فأما مراحل نجران إلى العقيق فأولها الكوكب ، وهو قلت ، ثم الحفر ، ثم ثلاث مراحل من العقيق ، ويسمى عقيقاً لأنه معدن يعق عن الذهب ، وهو لجرم وكندة ...**)) (١) .

كما أشار الهمداني إلى معادن عديدة للذهب والفضة ليست في حدود بلاد نجران ، لكنها توجد في بعض أجزاء اليمن ، أو نجد ، أو تهامة والسراة ، ولكن ناتجها قد يصل إلى أسواق نجران للاستفادة منها ، أو تسويقها إلى أماكن أخرى (٢) .

ويبدو أن أهل نجران كانوا يمتلكون معادن الذهب والفضة ، وربما حصلوا عليها من المعادن الموجودة في نجران وما جاورها، وربما من البيع والشراء والمضاربات التجارية ، وبخاصة أهل الذمة منهم ، ويتضح ذلك من الكتب التي كتبها الرسول ﷺ معهم ، عندما قال : ((**ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يفتن عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار وافٍ أو عرضه ثياباً**)) (٣) ، أو عندما صالح نصارى نجران على ألفي حلة من حلل الأواقي، وكل حلة تساوي أوقية من الفضة (٤).

كما أن مناجم الذهب والفضة خلال القرون الإسلامية الأولى كانت وقفاً على ملاكها ، الذين كان عليهم أن يدفعوا زكاة ما يخرج منها بواقع ربع العشر (٥) ، كما يروي الإمام مالك على أن المعادن ما زالت حتى عصره في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) : ((**تظهر في أرض العرب ويعمل فيها الناس ، وتكون زكاتها للسلطان**)) (٦) .

---

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٣١٢ ، وللمزيد ، انظر الهمداني ، صفة ، ص ٢٩٧ ، الجوهرتين ، ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٢) للمزيد انظر ، تعليقات الجاسر في نهاية كتاب الجوهرتين ، ص ٣١٩ وما بعدها ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٢٥ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥١٢ وما بعدها .

(٣) أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٤) أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(٥) مالك ، المدونة ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ابن سلام ، ص ٤٦٧ وما بعدها .

(٦) مالك ، المدونة ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ ، وللمزيد انظر ، ابن سلام ، ص ٤٦٧ ، وما بعدها .

أما عن مناجم الحديد فذكر ياقوت معدن رغافة في بلاد صعدة على مقربة من نجران حيث كان فيه خمسة عشر كيراً لسبك الحديد [١] ، كما أن نجران نفسها كانت تحتوي على معادن الحديد ، وكان أهل نجران أنفسهم يعملون على استخراجه والاستفادة منه في حياقم العامة [٢] ، أيضاً وجدت كثير من معادن الحديد في أجزاء عديدة من بلاد اليمن ونجد ، وكان بعض من نتاجها يصدر إلى أسواق نجران لسيتخدم في الصناعات الحديدية المختلفة [٣] . ومن مناجم المعادن الأخرى في اليمن وبلاد نجران وما جاورها معادن العقيق والجزع التي كان يصنع منها الخرز والفصوص والأواني البقرانية والسعوانية ، وكان الفص من البقران ثميناً جداً حيث كان يباع بمئة دينار [٤] ، ويروي الهمداني أن معدن الجزع أنواع وأثمن هذه الأنواع وأجودها البقراني المثلث الألوان وهو الذي يكون وجهه أحمر ، فوق عرق أبيض ، فوق عرق أسود ، ومن هذا المعدن تعمل الفصوص الثمينة [٥] ، ومن أنواع الجزع المعرق الذي كانت تتخذ منه الأواني لكُبره وعظمه [٦] ، ويذكر الجاحظ أن خير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه خطوط [٧] .

وقد ترتب على وجود المعادن في نجران وما جاورها من بلاد اليمن ونجد والسراة قيام بعض الصناعات المعدنية مثل صناعة الحديد والصياغة ، فكان ينسب إلى سكان جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة بلاد اليمن ، ونجران وجرش كل ((**سيف قاطع ، أو درع حصينة ، أو حلة مصونة ، أو درة مكنونة**)) [٨] ، ولقد كانت صناعة الحديد

---

(١) ياقوت ، جـ ٣ ، ص ٥٣ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥١٦ .

(٢) الألوس ، جـ ١ ، ص ٢٠٤ .

(٣) للمزيد انظر ابن الفقيه ، ص٣٦ ، جواد علي، جـ ٧ ، ص ٥١٧ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٢٩ .

(٤) ابن رسته ، ص ١١٢ ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٤ ، السيف " الصناعات " ، ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٤ ، ابن رسته ، ص ١١٢ ، ص الحديثي ، ص ٤١ .

(٦) المصادر والمراجع نفسها ، ابن الفقيه ، ص ٣٦ ، بحث الجاسر عن المعادن بنهاية كتاب الجوهرتين ، ص ٣٦٢ .

(٧) الجاحظ ، التبصر ، ص ٢٠ .

(٨) ابن الفقيه ، ص ٣٩ .

موجودة في نجران ، منذ العهد الجاهلي وخلال العصور الإسلامية المختلفة ، فنجد الرسول ﷺ يشترط على نصارى نجران بعض الدروع الحديدية التي يجب عليهم إعارتها إلى رسله الذين أرسلهم إلى نجران ، أو عموم بلاد اليمن فقال : ((**وعليهم عارية ثلاثين درعاً ... وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض ، فهو ضمين على رسلي حتى يؤدوه اليهم**)) (١) . وهذا النص يؤكد على أن صناعة الحديد ، وبخاصة ما يتعلق ببعض الأسلحة وعتاد الحروب كان موجوداً بوفرة عند النجرانيين ، كما سبق أن ذكرنا وجود خمسة عشر كيراً لسبك الحديد في معدن رغافة القريب من نجران (٢) . ولما كانت بلاد نجران زراعية وتجارية ، بالإضافة إلى ما قام فيها من حروب وصراعات متعددة ، فلابد من وجود بعض الصناعات الحديدية التي تتطلبها تلك المجالات المختلفة مثل صناعة السيوف ، والخناجر ، والأسلحة المتنوعة ، وكذلك المساحي ، والفؤوس ، والمحاريث ، والمناجل ، والموازين ، والسروج وغيرها من الآلات التي تعتمد عليها الزراعة والتجارة وكذلك الحرف والمهن الصناعية المختلفة .

كما استفاد الحدادون في نجران وعموم بلاد اليمن من وجود جميع أنواع معدن الجزع، وبالذات الشزب (٣) ، وهو معدن سهل التشكيل يمكن التحكم فيه بيسر ولذا استغله النجرانيون فكان ((**يُعمل منه ألواح وصفائح وقوائم سيوف ونصب سكاكين ومداهن وقِحفة**)) (٤)، كما يروي الهمداني أن المسي وهو نوع من الجزع أيضاً ويعد أفضلها وجد في أجزاء عديدة من جنوبي شبه الجزيرة العربية وكانت تصنع منه نصب ومقابض السكاكين (٥) .

---

(١) انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(٢) ياقوت ، جـ ٣ ، ص ٥٣ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥١٦ .

(٣) الشزب نوع من أنواع الجِزعْ ، والجزعْ من الأحجار الثمينة يفضل أمثاله في الصلابة . انظر تعليقات الجاسر والواردة بذيل كتاب الجوهرتين ، ص ٢٣٧ .

(٤) الهمداني، صفة ، ص٣٦٤ ، وقِحفة آنية تشبه قحف الراس ، المصدر نفسه ، ص٣٦٥ ، حاشية رقم (١).

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٤ .

أما الصياغة أو صناعة الحلي والجوهرات فكانت موجودة في بلاد نجران شأن غيرها من الأقطار ، فمن المعروف أن وجود مثل هذه الصناعة في أي مجتمع يعد انعكاسا لما كان ينعم به هذا المجتمع من ثراء ورقي حضاري ساعد بالتالي على ازدهار هذه الصناعة التي تدخل في صناعات الترف ، ومما لاشك فيه أن تلك الصناعة قد انتشر في نجران وما حولها من أقطار منذ القدم ، وربما على نطاق واسع ، ودليلنا على ذلك يعود إلى عدة أمور منها :

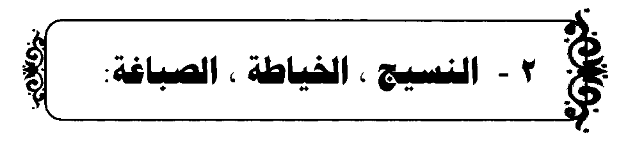
أ - وفرة معادن الذهب والفضة وغيرها من المعادن التي كانت موجودة في مواطن عديدة من نجران وما جاورها من البلدان ، وتوفر مثل هذه المادة الخام تجعل السكان وبخاصة الموالي والرقيق يعملون فيها ويصوغون منها أنواعاً عديدة تستخدم للباس والزينة مثل : القلائد ، والأساور ، والدمالج ، والخلاخيل ، والخواتم ، والأقرطه ، والخناجر ، والعصائب وغيرها من الأدوات ا لتي عرفها سكان العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة . ويفهم ذلك من سؤال بعض العلماء والفقهاء ، فيذكر أن أحد السائلين قال للإمام مالك بن أنس ((**أرأيت إن دفعت إلى صائغ فضة ليصوغها فصاغها سوارين ، فقلت إنما أمرتك بخلخالين ... قال مالك القول قول الصائغ**)) [(١)] ، فالصاغة هم القادرون على تحويل المعادن إلى أدوات متعددت الأغراض في حياة الناس .

ب - اتضح من كتب الرسول ﷺ إلى مسلمي ونصارى نجران ، وكذلك إلى ملاك المعادن في أجزاء عديدة من جزيرة العرب ، وبخاصة بلاد اليمن ونجران وما جاورها إلى توفر المعادن وتواجد الصناعات المحلية القائمة على المعدنين الذهب والفضة ، والتي كانت تستخدم لأغراض عديدة في حياة الناس اليومية ، ومنها ما كان يصدر إلى أسواق عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها [(١)].

---

(١) مالك ، جـ ٣ ، ص ٣٧٨ . وعن صناعة الحلي من الذهب والفضة والنحاس وغيرها ، انظر الهمداني ، الجوهرتين ، ص ١٥٠ وما بعدها ، السيف ، " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٢٦ – ٣٣٠ .

(١) للمزيد انظر أبو يوسف، ص ٧٢، اين سلام، ص ٢٧٢، ٢٧٣، البلاذري، فتوح، ص ٧٦، ابن هشام،جـ٤،ص ٢٤١، الطبري جـ٣،ص ١٢٨ ،ابن خلدون جـ٢،ص٤٧٣ ،حميد الله،ص١٧٥ومابعدها،السيف،الصناعات في الجزيرة،ص٣٣٠



٢ - النسيج ، الخياطة ، الصباغة:

أن صناعة النسيج ، وحرفتي الخياطة والصباغة متكاملتان في عملهما فلا يمكن ممارسة الخياطة أو الصباغة دون أن تتوافر الأقمشة التي على ضوئها يتم للخياطين والصباغين ممارسة أعمالهم ، وكل هذه الحرف وجدت عند العرب في الجزيرة العربية منذ العصور القديمة واستمرت تمارس في بلاد نجران وغيرها خلال العهود الإسلامية المختلفة [١].

أ – النسيج :

إذا ما تحدثنا عن صناعة النسيج في الجزيرة العربية ، فبلاد اليمن ونجران وما جاورها تأتي في المرتبة الأولى بين أقاليم الجزيرة العربية إذ يستفاد من حديث خالد بن صفوان أمام الخليفة العباسي السفاح أن صناعة المنسوجات ودباغة الجلود كانت من أهم الحرف التي كان يزاولها سكان تلك البلاد عندما قال : ((**وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ، ودابغ جلد** ...)) [٢] ، ومن أشهر أنسجة اليمن عامة ونجران خاصة

---

(١) انظر ابن خلدون المقدمة ، ص ٤١١ ، جواد علي جـ ٧ ، ص ٥٢٤ – ٥٣١ ، ٥٩٤– ٦١٩ ، العلي ((الانسجة)) ص ٥٥٠ وما بعدها ، للمؤلف نفسة "الألبسة" ، ص ٤١ وما بعدها ، للمؤلف نفسه، ((الألوان)) ، ص ٧١ وما بعدها .

Ahsan , pp . 29 ff , Serjeant , pp . 7 ff

(٢) ابن الفقيه ، ص ٤١ وللمزيد انظر العلي "الأنسجة" ، ص ٥٥٦ ، السيف "الصناعات في الجزيرة..."، ص ٣٣١ .

البرود [١] ، وقد ورد ذكر البرد النجرانية فيروي يحيى بن بكير عن مالك بن إسحاق بن عبد الله بن أنس بن مالك : ((**كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية**)) [٢] ، ويروي دينار جد سليمان المكتب قوله : ((**رأيت على علي بردين نجرانيين**)) [٣] ، وتعد اليمن وبلاد نجران أكبر مصدر للبرد لأنحاء شبه الجزيرة العربية وقد ظلت محتفظة بهذه المكانة حتى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، فيذكر ابن رسته ان برد بلاد اليمن غالية الأسعار حتى إنه يبلغ البرد الواحد منها بخمسمائة دينار [٤].

ومن الأنسجة التي ذكرتها المصادر عصب اليمن ونجران وما جاورها ، حيث كانت تلك البلاد معدن العصائب [٥]، ويذكر ابن منظور أن العصب : ((**ضرب من برود اليمن ، وسمي عصباً لأن غزله يعصب أي يدرج ثم يصبغ ثم يحاك**)) [٦] ، ويذكر الإمام الشافعي ﷺ أن عصب اليمن يصبغ غزله قبل أن ينسج [٧] ، ويقول الأصمعي : ((**أربعة أشياء قد ملأت الدنيا لا تكون إلا باليمن الورس والكندر ، والخطر ، والعصب**)) [٨] .

---

(١) ابن رسته ، ص١١٢ ، الهمداني ، صفه ، ص٤٣٩ ، القزويني ، ص٦٩ ، البرد : ثوب فيه خطوط ، وخص بعضهم به الوشي ، وثوب أبيض فيه لمع سواد وبياض ، ابن منظور جـ ١ ، ص ٣٦٨ ، فعل (برد)

(٢) البخاري ، صحيح ، مج ٤ ، جـ ٧ ، ص ٤٠ ، (كتاب اللباس) ، العلي ، " الأنسجة " ، ص ٥٦٧ .

(٣) العلي " الأنسجة " ، ص ٥٦٧ .

(٤) ابن رسته ، ص ١١٢ ومن البرد اليمانية الأخرى السحولية ، والسعيدية ، والقدمية ، الجاحظ ، التبصر ، ص ٣٥ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٩٨ ، ابن الفقيه ، ص ٣٦ .

(٥) للمزيد انظر مالك ، المدونة جـ ١ ، ص ٣٤٣ ، المقدسي ، احسن ، ص ٩٨ .

(٦) ابن منظور جـ ٩ ، ص ٢٣٢ ، فعل " عصب " .

(٧) المصدر نفسه ، للمزيد انظر العلي ، " الأنسجة " ، ص ٥٦٤ – ٥٦٥ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٣٠ .

(٨) ابن الفقيه ، ص ٣٦ .

والحبرة من المنسوجات التي عرفتها نجران ، وهي نوع من أنواع البرد بل هي نوع من أنواع الحلل، قال ابن منظور : ((**الحلل الوشي والحبرة والخز**)) [١] ، والحبرة نوع من الثياب ، وربما تكون من ألبسة علية القوم، فقد رأينا نصارى نجران عندما قدموا على النبي ﷺ في المدينة كان عليهم ثياب الحبرة ، وأردية مكفوفة بالحرير [٢].

أيضاً الحلل والثياب كانت من المنسوجات التي عرفها واستخدمها النجرانيون ، وأكبر دليل على ذلك العهود التي كتبها الرسول ﷺ مع نصارى نجران ، فقد صالحهم على ألفي حلة من حلل الأواقي [٣]، بل فرض على كل حالم ذكر أو أنثى حر أو عبد ديناراً وافياً أو ما يقابله من الثياب [٤]، وهذا ينهض دليلاً قوياً على ازدهار صناعة المنسوجات في بلاد نجران على اختلافها وإلا ما كاتبهم الرسول ﷺ على هذه الأنواع . وذاعت شهرة نجران في صناعة الحلل والمقصود بها الحلل اليمانية التي تغنى بها الشعراء وهي ما تشتمل على القميص والإزار والرداء ، ويطعّم نسيجها بخيوط الحرير [٥]، وقد طلب الأمويون في عهدهم من أهل نجران أن يصنعوا لهم الحلل من أجل كساء الكعبة الشريفة ، وكانت هذه الألبسة مطعمة بالديباج [٦].

---

(١) ابن منظور جـ ٣ ، ص ١٦ ، ٣٠٢ ، فعل (حبر) (حلل) ، يقول ابن منظور " برود وحبرة ، قال : ليست حبرة موضعا أو شيئا معلوما إنما هو وشي كقوله ثوب قرمز ". لسان العرب جـ ٣ ، ص ١٦ .

(٢) اليعقوبي جـ٢ ، ص٨٢ ، ابن سعد جـ١ ، ص٣٥٧ ، للمزيد انظر العلي " الأنسجة "، ص٥٦٢ – ٥٦٣ .

(٣) أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، اليعقوبي جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(٤) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، حميد الله ، ص ٢٠٧ .

(٥) أمين ، فجر ، ص ٢٦ ، الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٢.

(٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٦٠ ، المسري ، ص ٨٣ .

ولا تشير المصادر إلى مصانع النسيج في نجران ولا في أنحاء الجزيرة العربية الأخرى ، في هذه الفترة الزمنية وبخاصة من ناحية تكوينها أو ما يواجهها من مشكلات كتوفر رأس المال ، أو الأيدي العاملة ، أو المواد الأولية التي كانت تستخدم في هذه الصناعة ، ومن المحتمل أن ذلك راجع إلى انتقال مركز الثقل من الجزيرة العربية إلى الأمصار الإسلامية الأخرى (١) ، وتركيز المؤرخين والرواة على مركز الخلافة والأقاليم التي لها علاقة قوية بها ، ولكن من الشذرات اليسيرة التي أشارت إليه المصادر نستطيع أن نذكر بعض الأدوات التي كانت تستخدم في حياكة المنسوجات مثل آلة الحرير الملوكية النفيسة (٢)، وآلة المنوال والمنسج الذي يدعى الحف ، أما الخامات والمواد الأولية التي كانت تصنع منها المنسوجات فيبدو أنها كانت من القطن، والقز ، والحرير ، والصوف ، والكتان (٣).

ب - الخياطة ،

تتوفر المنسوجات في نجران وبلاد اليمن بشكل عام ، أما عن طريق الإنتاج المحلي ، وربما عن طريق الاستيراد من الخارج ، وقد وجدت حرفة الخياطة التي تعتمد بالدرجة الأولى على توافر الأقمشة والمنسوجات التي تستخدم في هذه الحرفة . وقد أشارت بعض المصادر إلى وجود مهنيين في كل من نجران، وصنعاء ،

---

(١) العلي ، " الأنسجة "، ص ٥٥١ ، السيف ، "الصناعات في الجزيرة" ، ص ٣٣٤ .
Serjeant , pp . 7ff ,Ahsan , pp . 68 ff

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٣٥٢ ، ياقوت ، جـ٥ ، ص٢٨١ ، ابن المجاور ، جـ١ ، ص٨٩ ، السيف " الصناعات في الجزيرة ... " ، ص٣٣٤ .

ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، يقومون بإحضار الأقمشة وبيعها إلى الخياطين للاستمرار في مهنهم ، علماً أن بعض أولئك الحرفيين لم يكونوا من العرب ، وأحياناً لم يكونوا من سكان تلك المدن ، وإنما كانوا يأتون إلى أسواقها من أماكن عديدة من داخل الجزيرة العربية ومن خارجها ، إلى جانب أنه كان في نجران وبعض مدن الجزيرة العربية الأخرى من يقيم بشكل دائم ويمارس تجارة البيع للمنسوجات بأنواعها ، حتى أصبحت لهم أماكن معروفة باسم مهنتهم كأسواق القماشين أو البزازين [١] .

وطالما وجدت الأقمشة والمنسوجات في بلاد نجران فلم يكن هناك مشكلة للخياطين الذين كانوا يشتغلون في الأسواق ، فيدفع إليهم القماش لتفصيله مقابل أجرة معلومة ، كما كانوا أحياناً أخرى يستأجرون للعمل وتفصيل الثياب في بيوت الأثرياء وعلية القوم من المجتمع النجراني [٢] . إلى جانب وجود خياطين بدائيين لم يكن لديهم الدراية الجيدة بفن الخياطة وتفصيل الملابس ، إلا أنهم قد يسدون حاجتهم في خياطة ملابسهم الخاصة ، وعادة ينتشر أفراد هذه الفئة بين الأسر الفقيرة في القرى وعند أهل البوادي والأرياف ، أما العاملون في المدن والمراكز الحضارية الكبرى والذين يمارسون حرفة الخياطة على مستوى واسع فليسوا إلا من طبقة الموالي والعبيد حتى إنه ليذكر أن غالبية الحرفيين في هذه المهنة من هذه الفئات [٣] .

---

(١) الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ والحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢) للمزيد انظر ، أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ، الفاسي ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ ، والحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ .

(٣) مالك ، المدونة ، جـ ١٦ ، ص ٣ ، امين ، ضحي ، جـ ١ ، ص ٧٠ ، الدوري ، مقدمة ، ص ٤٢ .

ومع أننا لا ننكر وجود العاملين في مهنة الخياطة إلا أنه لا يزال لـــدينا النقص واضحاً في معرفة المستوى الذي وصلوا إليه من حيث إخراج تـــصاميم ونماذج جيدة ، ثم النسبة في الإنتاج هل كانت كافية لخياطة ما يسد حاجـــة المجتمع النجراني ، ونرجح أن الإنتاج المحلي كان لا يكفـــي حاجـــة المجتمـــع النجراني ، بدليل ما أوردت بعض المصادر من إشارات تفيد أن علية القوم في حواضر شبه الجزيرة العربية ، بما فيها نجران ، خلال القرون الإسلامية الأولى ، كانوا يعتمدون اعتماداً كبيراً على استيراد أنواع عديدة من الألبسة من البلاد الأكثر إنتاجاً من الجزيرة العربية ، إلى جانب أن خلفاء بني أمية وبني العبـــاس كانوا يذهبون إلى الجزيرة العربية ، وبخاصة الحجاز فيتصلون بالأمراء والشيوخ والأعيان فيهدوهم الألبسة المتنوعة والجاهزة التفصيل ، وربما ذهب أمراء وموالي أولئك الخلفاء إلى نجران وحواضر اليمن الكبرى ففعلوا مثلما فعل الخلفـــاء في مدن الحجاز الرئيسة [١] . ومثل هذه الملبوسات سواءٌ أكانت عن طريق التجارة أم عن طريق الهدايا لا بد أن يكون قد أثرت في مـــستوى الإنتـــاج وأنـــواع التصميم في الحجاز ، أو نجران ، أو صنعاء أو غيرها ، لأنه بدون شك كانت هذه الأنواع تستورد إلى أسواق تلك البلاد لعلية القوم ولن يهدى إلا نوعيـــة جيدة من الألبسة ، والتي ربما لا يقدر الخياطون في الحجاز العمل مثلها ، علماً أن هناك مصادر كثيرة تذكر عدداً من الألبسة التي كانت تلـــبس في نجـــران وغيرها من حواضر الجزيرة العربية ، ولكن لم تذكر هل صنعت محلياً أو أنه تم استيرادها من خارج شبه الجزيرة العربية [٢] .

---

(١) العلي ((الأنسجة)) ، ص ٥٨٥ وما بعدها ، Ahsan , pp . 29 ff

(٢) ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ابـــن ســـعد ، جـــ ١ ، ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ ، الحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٤٣ .

ج ـ الصباغة

إن حرفة الصباغة قد تسبق عملية الخياطة ، وأحياناً أخرى قد تليها ، وعملية التقديم أو التأخير تعود إلى الأهمية في ما يراد نسجه وخياطته ثم صبغه أو العكس ، إلا أنه بتوافر كل من حرفتي النسيج والخياطة لا بد أن تكون قد وجدت حرفة الصباغة كذلك ، ولو أننا نجد الدكتور / صالح العلي [١] يشير في إحدى مقالاته أنه بعد أن بذل جهداً جهيداً في مصادر عديدة محـــاولاً أن يجد اشارات تدل على وجود مكان للصباغين في المدن الحجازية ، إلا أنه لم يوفق إلى ذلك ، ونحن نوافق الدكتور / العلي لأنه بعد البحث والتقـــصي في بلاد نجران وما حولها قابلت النتيجة نفسها التي قابلها ، فلم أجد أي مصدر يذكر أي مكان يعرف باسم سوق أو مكان الصباغين ، بخلاف عـــدد مـــن الحرف الأخرى [٢] . إلا أن عدم وجود مكان معين يسمى بحرفة الصباغة لا يعني أنه لم يكن هناك من يمارس هذه الحرفة ، وإنما هو على العكس من ذلك فلا بد أن تكون قد وجدت خلال القرون الإسلامية المبكرة ، والدلائل على ذلك عديدة من أهمها :

١- أن عدداً من المصادر ذكرت عدداً من الأشخاص الذين كانوا يرتـــدون ألبسة ذات ألوان متعددة : كالأزرق ، والأحمر ، والأصفر ، والأسود وغيرها ، وهذه الألبسة لا يمكن أن تكون قد وردت كلها من خـــارج نجران أو من خارج شبه الجزيرة العربية ، وإنما لا بد أن تكون بعضها

---

(١) العلي ((ألوان الملابس العربية ...)) ص ١٠٦ .

(٢) المرجع نفسه ، للمزيد ، انظر كتاب الازرقي ، وفي الجزء الخاص بالفهرس من الجزء الثاني فقد أشـــار إلى عدد من الحرف التي كانت معروفة في بعض مدن الحجاز ، وبخاصة مكة المكرمة باسم الحرفيين ، فمثلاً نجد سوق الحدادين ، والبزازين ، والدقاقين وغيرها من الحرف اليدوية .

قد صنعت في نجران أو في الإقليم المجاور لها [١]. وذلك أن من يطلع على كتاب النبات للدينوري يجده قد ناقش في فصل مستقل سماه : ((**باب ما يصبغ به**)) ، من الأشجار والنباتات التي تستخدم في الصبغ لاعطاء ألوان متعددة مع ذكر أماكنها في شبه الجزيرة العربية [٢]، كما أن المعاجم العربية الأخرى كاللسان لابن منظور ، والمخصص لابن سيدة، والتاج للزبيدي، وفقه اللغة للثعالبي قد أشارت إلى بعض الألبسة الملونة والأشجار المتعددة والمستخدمة في حرفة الصباغة والتي كانت معروفة عند النجرانيين وغيرهم من سكان الجزيرة العربية [٣] .

٢- هناك مصادر أخرى تشير إلى بعض المواد المستخدمة في الأصباغ مثل مادة العصفر [٤] ، والزعفران ، والنيل ، والورس [٥]، والإيداع [٦] ، والتي عرفها أهل نجران فاستخدمها بعضهم بل تم البيع والشراء فيها في

---

(١) مالك ، جـ ١٠ ، ص ١٦٩ ، جـ ١١ ، ص ٣٤ ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ والحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .

(٢) الدينوري (تحقيق بفيسبادن) جـ ٣ ، ص ١٦٥ – ١٨٤ .

(٣) بن جريس ، بحوث في التاريخ والحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

(٤) العصفر : نبات يوجد في بعض أجزاء من شبه الجزيرة العربية ، كاليمن وغيرها ، إلى جانب استيراده من أماكن متعددة في العالم الإسلامي كمصر وبلاد فارس ، وعند ما يستخدم في الصباغة يعطي اللون الأصفر . للمزيد انظر الدينوري ، جـ ٢ ، ص ١٣٩ ، مالك ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٥) الورس : شجرة تنبت في بلاد اليمن ، وتستخدم في الصبغ إذ تعطي اللون الأصفر المائل إلى الحمرة ، الهمداني ، صفة ، ص ٢١٤ – ٢١٥ ، وللمزيد انظر مالك ، جـ ١ ، ص ٢٩٥ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٣٤ .

(٦) الإيداع : شجرة كبيرة ذو أوراق تشبه أوراق العنب ، ويوجد بكثرة في بلاد الحجاز وجبال السروات ، ويستخدم في الصباغة ، ويعطي اللون الأحمر ، الدينوري ، جـ ١ ، ص ٥٧ – ٥٨ ، جـ ٣ ، ص ١٧٧ ، السلمي ، ص ٣٩٩ – ٤٠٠ .

أسواق اليمن ونجران ، والحجاز وغيرها من أسواق العرب ، علماً أن بعضها كان متوفراً في النباتات والأشجار التي في نجران وما جاورها من البلدان ، في حين أن البعض الآخر كان يتم استيراده من داخل وخارج شبه الجزيرة العربية على حد سواء [١] .

٣ - دباغة الجلود وخرازتها :

عرفت نجران منذ أقدم العصور فن دباغة الجلود ومعالجتها وإنتاج مختلف الأدوات الجلدية ، وتعد هذه الحرفة من أقدم الحرف لديهم وأكثرها شهرة ، وقد ساعد على ذلك توفر الثروة الحيوانية ومواد الدباغة اللازمة لمعالجة الأنطاع وقد انتشرت هذه الصناعة واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفة فيشير ابن المجاور إلى أن الأديم يدبغ ((**في جميع أقاليم اليمن والحجاز ونواحيها**)) [٢] ، وعلى الرغم من المبالغة الظاهرة في هذه العبارة إلا أنها تدل على أن هذين الأقليمين وما بينهما من البلاد مثل نجران وجرش كانت مشهورة بدباغة الجلود ، ويذكر الأدريسي إلى أن مدابغ الجلود تركزت في مدينة نجران، وجرش، وخيوان ، ثم يقول : وبهذه المدن ((**تدبغ الجلود التي لا يبلغها شيء في الجودة**)) [٣] . ويؤكد في موضع آخر على أهمية هذه الصناعة لأهل نجران وجرش فيقول أن هذه الصناعة بضائعهم [٤] . وكانت نجران والمدن التي ذكرناها تصدر هذه الجلود

---

(١) للمزيد انظر مالك ، جـ ١٠ ، ص ١٦٩ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢١٤ ، السلمي ، ص ٣٩٩ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ والحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٤٤ .

(٢) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٣ .

(٣) الادريسي ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

(٤) المصدر نفسه . ، جـ ١ ، ص ١٤٦ .

المدبوغة إلى الخارج ، وقامت على الجلود تجارة واسعة مربحة ، فكانت تصدَّر إلى نواحي اليمن وإلى العراق وخراسان وما وراء النهر ، وإلى مكة ، ويُعدُّ تجار البصرة هم الوسطاء الذين يقومون بنقل هذه السلعة (١) . وقد استخدم النجرانيون شأنهم شأن اليمنيين جلود الأغنام والماعز والإبل والبقر منذ القدم لعمل الأنطاع ، كما صنعوا منها البُسط لكسوة أرضيات القاعات وبيوت الصلاة في المساجد ، والغَرَبْ لحفظ الماء ، وأغمدة السيوف والخناجر والجنابي (٢) .

وهكذا كانت معظم بلاد جنوب شبه الجزيرة العربية ذات شهرة كبيرة في دباغة الجلود ، ونتج من هذه الصناعة ما يزيد عن حاجتها ، فكانت تصدر إنتاجها من الجلود المدبوغة إلى داخل الجزيرة العربية وخارجها (٣) ، ويذكر أبو الفداء أن في بلاد نجران أدم كثيرة (٤) ، وكذلك ابن حوقل والإصطخري يذكران انه ((**يتخذ بنجران ، وجرش ، والطائف أدم كثير ، غزير وأكثره من صعدة** ...)) (٥) ، ويقول الرحالة ناصر خسرو بأن الجلود كانت تجلب من اليمن ونجران إلى الفلج (٦) ، وكان تجار اليمامة يشترونها ويحملونها لبيعها في مدينة الأحساء (٧) .

---

(١) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٨٩ ، ٩٧ ، ١٤٠ ، وللمزيد انظر ، المقدسي ، أحسن ، ص ٩٨ ، الجاحظ ، التبصر ، ص ٣٤ ، فاروق " دباغة الجلود " ص ٥٣٩ وما بعدها ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٣٥ – ٣٣٦ .

(٢) محمد المتيمي " الصناعات الحرفية في مدينة صنعاء وأفاق تطورها "، مجلة دراسات يمنية ، العدد (٣٢) (ابريل – يونية) (صنعاء ١٩٨٨ م) ، ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(٣) المقدسي ، أحسن ، ص ٩٨ ، الجاحظ ، التبصر ، ص ٣٤ .

(٤) أبو الفداء ، ص ٩٣ .

(٥) ابن حوقل ، ٣٦ ، الاصطخري ، ص ٢٤ ، وللمزيد انظر فاروق ، " دباغة الجلود " ، ص ٥٤٢ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٨٧ وما بعدها .

(٦) الفلج : يقع في الجزء الجنوبي من اليمامة ويعرف اليوم باسم الأفلاج، السيف" الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٤٨ .

(٧) ناصر خسرو " جزيرة العرب " ، ص ٤٠ . لقد زار خسرو الجزيرة العربية في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي تقريباً (ت ٤٨١ هـ) .

ونجد الهمداني يورد لنا تفصيلات عن الأدم الموجودة في مدينتي صعدة ونجران ، كونها مدينتين متجاورتين في الأجزاء المرتفعة من جنوبي شبه الجزيرة العربية، ويفيض في التفصيلات عن جودة الأدم الموجودة في صعدة ويذكر ألبسة وأدوات عديدة كانت تصنع من تلك الجلود هناك [١] . كما يذكر بعض المصنوعات الجلدية التي كانت تصنع في نجران وما جاورها من البلدان ، فيذكر ريدة الصيعر التي كان ينسب إليها الأشلة الصيعرية [٢] ، وكذلك من المصنوعات الجلدية الأخرى ((**الأنطاع الصت**)) ، التي لا ينفذ منها الماء لمتانة صنعها [٣] . ويعدد مصنوعات جلدية أخرى في نجران واليمن وما جاورها فيقول : ((**وبها جلود النمر النفيسة ، المحلوكة السواد ، اليقق البياض ، ويبلغ الجلد دنانير . ويتخذ منها مع السروج الفرش النفيس ، وكذلك بها فرش العباء الملون النفيس ، ويكون جلالاً للخيل ، وهي من أحسن شيء ، وهي ملبن ، مثل تلبين الوشي لبنة بيضاء ، وإلى جنبها لبنة سوداء جرداء غير مخملة ، وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية ، والأنطاع الصت** ...)) [٤] ، كما أشار إلى دقة صناعة المحافظ ، وتسمى ((**الجرب**)) ، التي تصنع من الجلود السميكة وبأحجام مختلفة ، وهذه الجرب والمحافظ لها استعمالات كثيرة ، منها ما يوضع به الطعام للأسفار ، وأحياناً توضع بها النقود ، الدراهم والفضة والدنانير الذهبية ، وكانت من الكبر بمكان حتى تتسع لوضع ما يقارب من عشرين ألف دينار من الذهب [٥] .

---

(١) الهمداني ، صفه ، ص ٢٤٩ ، وللمزيد انظر ، ابن خرداذبة ، ص ١٣٥ ، قدامة ، الخراج ، ص ١٨٩ ، الاصطخري،ص ٢٤، ابن حوقل، ص٣٦، المقدسي، أحسن، ص ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٨، أبو الفداء، ص ٩٥.

(٢) الهمداني ، صفة ، ص١٦٨- ١٦٩ ، الأشلة : هي جلد من صوف أو شعر مطرز يجعل على عجز البعير ، المصدر نفسه ، ص ١٦٩ ، حاشية رقم (١) .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٣ ، الصت جمع الأصت وهي التي لا ينفذ منها الماء لمتانة الصنعة ، فيقال : ثوب صت ، أو صتيت ، أي لا يكف منه الماء ، بل يبقى فيه ، الهمداني ، صفة ، ص٣٦٣ ، حاشية رقم (٤) .

(٤) المصدر نفسه . ، ص ٣٦٣ .

(٥) المسري ، ص ٨٤ .

وربما أن أي حرفة أو صناعة تحتاج إلى عوامل مساعدة ومواد أولية ، فإن دباغة الجلود تحتاج إلى الجو الملائم للدباغة كأن يكون جافاً وذا هواء عليل ، ثم يستلزم وجود المواد الأولية للدباغة ألا وهي جلود الحيوانات الصالحة لمزاولة حرفة الدباغة، ثم المواد والمحتويات التي تضاف إلى الجلود أثناء دباغتها وعادة تكون أوراق ولحاء بعض الأشجار المخصصة لمثل هذه المهنة ، وإذا كانت هذه اللوازم التي يحتاج إليها من يحترف مهنة الدباغة ، فإنه لحسن الحظ أنها كانت متوفرة في نجران ، وبعض مدن اليمن الرئيسة ، فهي ذات جو مناسب لممارسة الدباغة ، ثم إن الحيوانات والأشجار الضرورية للدباغة كانت موجودة وبكثرة في بلاد نجران وما جاورها من بلاد اليمن والسروات والحجاز [(١)] ، ولهذا فلم يكن هناك عقبة لمزاولة مهنة الدباغة .

أما الموارد الأساسية التي تضاف إلى الجلود أثناء دباغتها ، والتي يمكن الحصول عليها من بعض الأشجار والنباتات ، فنجد أن الدينوري [(٢)] ، وابن سيدة [(٣)]، يذكران قائمة بأسماء الأشجار والنباتات التي تستخدم أوراقها في حرفة ودباغة الجلود، و لم يكونا يكتفيان بذكر الأسماء فقط لهذه الأشجار وإنما استطردا في وصف كل شجر أو نبات ونوعية الجلد الذي يتم دبغه مع التوضيح لبعض الأشجار المهمة والتي تكون أكثر صلاحية من غيرها في دباغة الجلود وإعطاء صفات جيدة كالنعومة، واللون للجلد المدبوغ . ومن يطّلع على أسماء الأشجار

---

(١) للمزيد انظر ، الجاحظ ، التبصر ، ص ٣٤ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٦٠ ، ٣٦٣ ، السلمي ، ص ٤٠٣ ، ٤٣١ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٧٩ ، فاروق ، ص ٥٤٠ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٨٧ ، وما بعدها ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ والحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٦ .

(٢) الدينوري ، النبات (طبعة بفيسبادن) جـ ٣ ، ص ١٠٤ – ١٢١ .

(٣) ابن سيدة ، جـ ٤ ، ص ١٠٤ – ١١٦ .

والنباتات التي ذكرها كل من الدينوري وابن سيدة ، فإنه سيجدها جميعاً في شبه الجزيرة العربية وخصوصاً أراضي اليمن ونجران والحجاز ، مع العلم أن أهم وأحسن الأشجار التي تُستخدم والموجودة بوفرة في هذه المناطق هي أشجار القرظ [1] ، التي لا تزال تغطي أجزاء واسعة من أودية وجبال اليمن والسروات والحجاز والتي كانت من أهم المواد الأساسية التي يعتمد عليها العاملون في مهنة الدباغة ، إذ كانوا يذهبون هم بأنفسهم لجمعها من أماكنها وإحضارها إلى الأماكن التي تمارس فيها المهنة ، أو أنه كان هناك من هو متخصص في جمع الأخشاب والأشجار المتنوعة ومن ضمنها شجر وأوراق القرظ الذي يحضر إلى الأسواق والأماكن المتخصصة في بيعها فيتصل الدّباغون بهؤلاء المهنيين ويشترون منهم ما أرادوا لكي يمارسوا حرفتهم في الدباغة [2] .

وحيث إن المصادر الأولية أكدت على نشاط حرفة الدباغة في بلاد اليمن ونجران والحجاز خلال العهود الإسلامية الأولى ، إلا أنه لا يزال لدينا بعض الغموض عن الطرق المتبعة ، والخطوات التي تتخذ أثناء عملية الدباغة ، ثم إننا لا ندري هل كان يعمل الدباغون في كل من مكة والطائف وصنعاء ونجران وغيرها على شكل نقابات وجماعات يتعاونون لمزاولة هذه الحرفة ، أو أنهم فقط كانوا يعملون على شكل أفراد أو أسر مستقلة بعضهم عن الآخر ، مع العلم أن الدينوري وابن سيدة في فصليهما الذين خصصاهما للدباغة زودانا بمعلومات قيمة عن بعض الخطوات التي تتبع أثناء الدباغة ، وزيادة على ذلك فقد ذكرا الأشجار

---

(١) القرظ : نوع من الأشجار التي تنبت في الجبال والأودية ، وله سيقان غليظة ، واوراق صفراء تشبه ورق التفاح ، وله حب يدبغ ويتداوى به ويستخرج منه أصباغ يصبغ بها الأدم ، الدينوري ، النبات ، جـ ٣ ، ص ١٠٥ ، ابن سيدة ، جـ ٤ ، ص ١٠٥ .

(٢) للمزيد ، انظر ، الدينوري ، النبات ، جـ ٣ ، ص ١٠٥ – ١٠٦ ، السلمي ، ص ٣٩٩ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٥ ، ٣٢ .

وبعض الأدوات التي يستخدمها الدباغون أثناء مزاولة أعمالهم [١] . وبالرغم من وجود هذا كله فالنقص لا يزال واضحاً ، وخصوصاً في الطرق التكتيكية لممارسة هذه الحرفة ، ثم مدى ثقلها وعلاقتها بالأسواق والحرف الأخرى ، ثم أيضاً التحديد والتعريف بالأماكن التي كانت تقام فيها المدابغ ، علماً بأن عملية الدباغة قد تسبب مخلفات قذرة وكذلك رائحة غير طيبة ، فلهذا لا ندري عن العاملين في هذه الحرفة وكذلك القائمين على الحفاظ على نظافة المدن ، هل كانوا يحتاطون لمثل هذه الأمور أو لا ؟!

وطالما أن حرفة الدباغة تُمارس بشكل جيد في مناطق نجران وما جاورها ، لهذا لا بد أن يكون هناك حرفة الخرازة التي هي في الأساس تابعة لمهنة الدباغة ، فبعد عملية الدبغ تأتي صناعة هذه الجلود المدبوغة وتشكيلها على نمط أدوات مختلفة ، وقد يكون هناك من فئة الدباغين من يجيد حرفتي الدباغة والخرازة معاً ، أو أن الخرازين المتخصصين يقومون بالاتصال بالدباغين والتعاون معهم لكي يحولوا إنتاجهم إلى أدوات أكثر صلاحية للاستعمال . فكانوا يصنعون منها القباب [٢] ، ونجد بعض المصادر تشير إلى أن بني عبد المدان في نجران قد بالغوا خلال العهد

---

(١) الدينوري ، النبات ، جـ ٣ ، ص ١٠٤ – ١٢١ ، ابن سيده ، جـ ٤ ، ص ١٠٤ – ١١٦ ، وللمزيد عن ما أشارا إليه كل من الدينوري وابن سيدة حول بعض الأدوات التي يستخدمها من يمارس مهنة الدباغة ، فذكرا المحط الذي كان يستعمل لصقل الأدم وتنميقه ، وكان مصنوعاً من الخشب واحياناً من الحديد ، أما المجلاة فكانت تستخدم لتنظيف الوسخ الذي يبقى عالقاً في الجلد ، وكان هناك عدة الآت تستخدم في أغراض شتى للدباغة والخرازة مثل المنحاز ، والمبقر ، والمسرد ، والمقراض ، والمخصف . فاروق " دباغة " ص٥٤٥ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٣٧ ، ٥٨٧ وما بعدها ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ص ٣٣٨ .

(٢) ومن القباب ما يضرب للملوك والأشراف إمارة على الرئاسة والسيادة ، وتصنع جلودها بلون أحمر في الغالب ، وكانت غالية ، لذلك لم يستعملها إلا أصحاب الجاه والسلطان والمال . للمزيد انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٣٨ .

الجاهلي في تشييد كعبة نجران ، فكانت على هيئة قبة من أدم من ثلاث مئة جلد [١] ، وهذا يدل على وفرة الجلود المدبوغة ، وكذلك على المهارة الفائقة لدى العاملين في صناعة الجلود ، لأنه لا يقوم بصناعة جلود القباب إلا من كان على خبرة جيدة في التعامل مع هذه المهنة . كما كانت تصنع البسط الجلدية ، والسرج ، والخيام ، والحياض ، والأواني الجلدية التي كان أهل نجران يستخدموها لحفظ الماء والزيت والعسل والسمن والتمر واللبن ، لأن الشمس الحارة ، وبخاصة في الصيف لا يقاومها من الأوعية التي كانت تستعمل في البيوت غير الجلود [٢] .

وعندما نبحث في المصادر الإسلامية المبكرة نجد بعض الإشارات التي تذكر تواجد محلات ودكاكين الخرازين في كل من مكة المكرمة و المدينة المنورة ، بل نجد بعض المصادر تذكر مواطن وأزقه تحمل اسم الخرازين ، وهذا يدل على كثرقم ونشاط مهنتهم في مدن الحجاز الرئيسة [٣] ، ولكن عندما نحاول العثور على مثل هذه النشاطات في مدن أخرى من شبه الجزيرة العربية مثل : نجران ، أو جرش ، أو بعض مدن اليمامة واليمن الأخرى ، فإننا لا نجد ما نسعى إلى معرفته ، مع العلم أن كثير من المصادر تشير إلى كثرة الجلود المدبوغة في هذه النواحي ، بل تذكر بعض المصادر صراحة اعتماد مدن الحجاز على كل ما يأتيها من هذه النواحي من سلع الجلود الجاهزة للصنع . وفي اعتقادنا أن تلك المدن البعيدة عن بلاد الحجاز كانت ربما لا تقل عن مستوى صُنّاعْ الجلود الموجودين في مكة والمدينة ، لكن مدوني التراث لم يلقوا لهم بالاً ، ولم يذكروا مقدار نشاطاقم في خرازة الجلود وصناعتها ، وذلك لعدم ذهاب الكثير

---

(١) انظر ياقوت ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ ، القزويني ، ص ١٢٦ .

(٢) للمزيد ، انظر ، الهمداني ، صفة ، ٣٦٣ ، المقدسي ، احسن ، ص ٨٦ - ٨٧ ، السلمي ، ص ٤١١ ، ابن بكار ، جمهرة ، ص٣٧٠ ، ابن سيدة (باب الجلود) جـ ٤ ، ص١٠٠ - ١١٥ ، فاروق " دباغة " ، ص٥٣٨ ، السيف" الصناعات في الجزيرة" ، ص٣٣٨ ، جواد علي ، جـ٧ ، ص٥٣٧ ، ٥٨٧ وما بعدها.

(٣) انظر الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، الزبيري ، ص ١٧٨ ، الجاحظ ، التبصر ، ٣٤ ، الهمداني ، صفة ، ٢٦٠ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٣ ، ٩٧ ، ٩٨ .

منهم إلى هذه المواطن ، أو تجاهل التدوين في مثل هذه الأبواب ، وبخاصة في بلاد نائية عن مراكز الحضارة الإسلامية الرئيسة في الشام والعراق ومصر وغيرها .

٤ - الصناعات الخشبية :

تعد هذه الصناعة من ضروريات العمران ، عرفتها المجتمعات منذ القدم ، إذ تصنع منها الأسقف الخشبية للمنازل ، والأبواب ، والنوافذ ، والأثاث بأنواعه ، وفي العمائر الدينية تصنع منها المنابر وكراسي المصاحف ، وغيرها من ألوان العمارة في المساجد . وعن الصناعات الخشبية يقول ابن خلدون : ((**إن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته ، أو حاجاته ، وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع مالا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ، ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا يبست ، وأول منافعه أن يكون وقوداً للنيران في معاشهم ، وعصياً للاتكاء والذود وغيرهما من ضرورياتهم ، ودعامة لما يخشى ميله من أثقالهم ، ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والحضر . فأما أهل البدو فيتخذون منها العمد والأوتاد لخيامهم ، والرماح والقسي والسهام لسلاحهم . وأهل الحضر فالسقف لبيوتهم ، والأغلاق لأبوابهم ، والكراسي لجلوسهم ، وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ، ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة ، والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها ... ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف ، أو باب ، أو كرسي ، أو ماعون حدث التأنق في صناعة ذلك ...**)) [1] .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤١٠ .

وحرفة النجارة عرفتها المجتمعات منذ القدم ، ومن يطلع على تاريخ شبه الجزيـــرة العربية بشكل عام وتاريخ نجران وما جاورها من البلدان بشكل خاص ، يجـــد أن سكان هذه المناطق قد عرفوا مهنة النجارة والصناعات الخـــشبية المختلفـــة ، وأن هناك من كان يعالج الأدوات الخشبية عن طريق النجارة على المستويين الفـــردي والجماعي ، ولأهداف تجارية عامة ، وكذلك لاستخدامات شخصية ، فعندئذٍ يتم إنتاج أدوات خشبية متنوعة في الأشكال والأغراض [1] .

ونظراً لوجود مهنة النجارة في أي مكان ، فإنه يتطلب لها بعض المقومات الأساسية التي تستند عليها ، ومن أهم هذه المقومات توافر الأيدي الفنية العاملة من الخشابين والنجارين سواء من أهل البلاد أو الوافدين إليها ، ثم توافر المواد الأولية لصناعة الأخشاب التي تتمثل في الخشب نفسه ، الذي يتوافر في الأشجار الصالحة لمزاولة هذه الحرفة .

ومن حسن الحظ فإن هذه المقومات الأساسية تتوافر في منطقة نجران وما جاورها من البلدان ، حيث تنمو أنواعاً متعددة من الشجر الصالح للاستخدام ، فتروي لنا بعض المصادر عن وجود النجارين في كل من نجران ، وصعدة ، وصنعاء وما حولها من البلاد ، وان مزاولتهم لمهنة النجارة لم تكن قاصرة على سد الحاجة للفرد ، وإنما كانوا يمارسونها كحرفة تجارية يسعون من وراء مزاولتها إلى الكسب وسد الحاجة في وقت واحد ، ثم إن الأماكن التي كانوا يتخذونها للعمل لم تكـــن قاصرة على البيوت فقط ، وإنما كان لبعضهم أجزاء خاصة بهم في الأسواق وبعض الأماكن الأخرى القريبة من المزارع ، أو مواطن الأشجار والأخشاب في بعـــض

---

(١) للمزيد انظر ابن رسته ، ص ٢١٥ ، الأزرقي ، جـ ١ ، ص ١٥٧ – ١٥٨ ، جواد علي ، جـــ ٧ ، ص ٥٤٢ ، ٥٥٢ ، ابن جريس ، بحوث في التاريخ والحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٣٨ .

الجبال والأودية وغيرها [١] . ومع أن المؤرخين الأوائل يخبروننا بتواجد من يزاول صناعة الخشب في نجران وغيرها من مدن وقرى الجزيرة العربيـة ، إلا أنهـم لم يفصحوا عن الطرق والأدوات التي كانوا يتبعونها أثناء مزاولتهم حرفتهم ، بل ولا كمية إنتاجهم هل كان يكفي حاجة المجتمع النجراني ؟ وهل كان يصدر منه شيء إلى خارج نجران ؟. كل هذه النقاط للأسف لم توضحها المصادر ، ولكن نعتقد أن حرفة النجارة والصناعات الخشبية المختلفة وممارستها في بلاد نجران كانت جيدة ونشطة ، وهذا الاعتقاد مبني على عدة أُسس .

أ - توفر الأيدي العاملة في نجران ، وبخاصة من الموالي والعبيد الذين كان جلـهم يمارس الحرف والصناعات المختلفة كالنجارة وغيرها ، وربما البعض من ألئك الرقيق والموالي عاشوا في مدن وحواضر حضارية كبرى خارج وداخل شـبه الجزيرة العربية ، ثم استقر بهم القرار في نجران وغيرها من مدن اليمن والحجاز ، ومارسوا مهنة النجارة فأبدعوا في صناعة بعض الأدوات الخشبية المتنوعة . ومما يؤكد هذا القول أن بعض الأمراء والأغنياء وعلية القـوم في العـصرين الأموي والعباسي كانوا يمتلكون عقارات متنوعة في صنعاء ونجران ومكـة والمدينة ، وكانت بعض الأدوات الخشبية من الأشـياء الرئيـسة في تلـك العقارات مثل المنازل والبساتين وغيرها ، وبالتالي فكانوا يحرصـون علـى النوعية والجودة في تلك المصنوعات، والمنتجون لها كانوا من النجارين المحليين والمستقدمين من الشام والعراق وبلاد فارس ومصر على حد سواء [٢] . ولا

---

(١) للمزيد انظر ، الهمداني ، صفة ، ص٢٠٩ ، المؤلف نفسه ، الأكليل (تحقيق الأكوع / القـاهرة / ١٣٨٣ هـ) جـ ١ ، ص ٣٢٥ ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٦٢ ، ابن جبير ، رحلة ، ص ١١٢ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ .

(٢) للمزيد انظر الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ١٠٣ ، الفاسي، شفاء، جـ ٢ ، ص ٣٤٦ ، طاهر العميد " التوسعات القديمة والحديثة في عمارة المسجد الحرام " مجلة كلية الاداب ببغداد (١٩٧٠ – ١٩٧١ م) ، جـ ١٤ ، ص ٥٢١ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٤٧ .

يستبعد أن النجارين الوافدين من الحواضر الإسلامية الكبرى قد أثروا على هذه الصنعة وأضفوا عليها بعض التطورات والنماذج الجديدة التي تعلموها في البلاد التي قدموا منها (١) .

ب - توفر الأخشاب والأشجار الصالحة لحرفة النجارة ، فالدينوري ذكر لنا أعداد كثيرة من الأخشاب الصالحة لعمل النجارة ، وكثير من الأشجار التي توجد منها تلك الأخشاب توجد في بلاد اليمن ، ونجران ، والسروات والحجاز (٢)، ومن أفضل تلك الأشجار للصناعات الخشبية: الغرب ، والتألب ، والنشم ، والنضار ، والأثل ، والطلح ، والعتم ، والشوحط ، وهذه الأنواع كلها توجد ولا تزال في مناطق اليمن ، ونجران، والحجاز ، حيث يستطيع النجارون أن ينتجوا من هذه الأشجار أشكالاً خشبية متنوعة ومتعددة الأغراض (٣) .

ج - نشاط جميع المجالات السياسية والحضارية في نجران ، وبالتالي فالحاجة إلى الصناعات الخشبية أمر ملح جداً ، لأن هذه الحرفة تكاد تدخل في أغلب مهن وحياة الناس ، فالمزارعون مثلاً يحتاجون إلى الكثير من الأدوات الخشبية كي يمارسوا حياتهم الزراعية بشكل طبيعي ، وكذلك أصحاب الحرف والصناعات الأخرى المتنوعة والمتعددة ، كل حسب طاقته واحتياجه .

د - عرفت نجران وغيرها من حواضر الجزيرة العربية طائفة الخشابين الذين يعملون على قطع وجمع الأخشاب وجلبها إلى الأسواق أو إلى أماكن الصناع المهرة من النجارين ، كي يقوموا بصناعتها وتحويرها لأغراض

---

(١) للمزيد انظر ، اين جريس " بحوث في التاريخ والحضارة " ، جـ ١ ، ص ٢٣٩ .

(٢) للمزيد انظر ، كتاب النبات للدينوري ، تحقيق محمد حميد الله جـ ٢ ، والجزء المترجم إلى اللغة الانجليزية في جامعة ارزونا في أمريكا ، ويعد الجزء الأول ، وهو الذي اعتمدنا عليه في هذه الدراسة .

(٣) للمزيد عن هذه الأشجار وأماكن تواجدها في الجزيرة العربية انظر ، السلمي ، ص ٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، ٤١٣ ، ٤١٧ ، القزويني ، ص ٨٦ ، ٨٩ ، العلي " منازل الطريق " ، ص ٣٥ .

عديدة . و لم يكن جلب الأخشاب للنجارين مقصوراً على مواطنهم التي يسكنون فيها ، وإنما قد تجلب إليهم الأخشاب الجيدة والقوية من خارج شبه الجزيرة العربية ، وغالباً ما تكون تلك الأخشاب المجلوبة من الهند أو أفريقية، ومن النوع الجيد الصلب القوي المقاوم، بل هو ثمين وغالي ، فلا يستورده إلا الأغنياء والمقتدرين مادياً ، وغالباً ما يستعمل في صنع الأثاث الفاخر الثمين ، وفي الأدوات التي تحتاج إلى خشب صلب مقاوم، وفي القصور والأبنية الهامة . ومن أهم هذه الأنواع من الأخشاب المستوردة : الساج ، والأبنوس ، والصندل [١] .

هـ – اتضح لنا من بعض الرسوم، والدراسات الأثرية التي شاهدناها في نجران ، وفي بعض المتاحف المحلية والإقليمية والعالمية وجود كثير من الأدوات الخشبية التي كانت تستخدم لأغراض عديدة مثل : بعض الأسلحة كالرماح ، والنبال ، والسهام ، والأقواس ، المختلفة الأحجام، وكذلك أدوات أخرى تستخدم في حرف الزراعة ، والحراثة، والتجارة، والرعي ، والصيد وغيرها من الأدوات الخشبية متنوعة الأشكال والأهداف [٢] . كما شاهدنا بعض الأدوات التي كان يستخدمها النجارون في الصناعات الخشبية التقليدية مثل : المنشار لقطع الخشب ،

---

(١) للمزيد انظر ، الدينوري ، جـ ٢ ، ص ٢٥ ، الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٤٣ ، ابن رسته ، ص ٤٣ ، ٤٩ ، ٥١ ، ١٣٤ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٤٧ – ٥٤٨ .

(٢) زيارة الباحث لبلاد نجران خلال عام ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، واطلاعه على بعض الأدوات التراثية القديمة في متحف نجران وكذلك عند بعض الأسر النجرانية . كذلك مشاهدات مثل هذه الأدوات في بعض المتاحف المحلية في المملكة العربية السعودية وكذلك في اليمن ومصر ، للمزيد انظر الهمداني ، الاكليل (القاهرة ، ١٣٨٣ هـ) جـ ١ ، ص ٣٢٥ ، ابن جبير ، رحلة ، ص١١٢ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٥١ – ٥٥٢ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٣٠ وما بعدها .

والمنقار المصنوع من الحديد ويستخدم لحفر الخشب ونقشه ، وتعـرف هذه الأداة بالمحفار [١] ، وكذلك المثقب الذي يثقـب بـه الخـشب والكلبتان التي يستخدمها الحداد والنجار على حد سواء [٢] .



٥ - صناعات وحرف أخرى :

وإلى جانب الصناعات والحرف السابقة وجدت صناعات وحرف أخرى صغيرة في نجران منها صناعة الأواني من الفخار والأحجار ، فيروي الهمداني أن الأكواب والقدور كانت تصنع من الفخار [٣] ، وكانت قدور البرم توجد في نجران وصنعاء وبعض مدن الحجاز ، وهي تنحت من الحجارة [٤] ، وكانت تعمل الآنية في بلاد اليمن من حجر الهيصمي ، يقول الهمداني : ((**وهو حجر يشاكل الرخام ، إلا أنه أشد بياضاً يخرط منه كثير من الآنية**)) [٥] .

ومن الأحجار والتراب عرفت حرفة البناء التي كان يمارسها النجرانيون في بناء منازلهم ، والمرافق العمرانية التي عرفوها منذ العهد الجاهلي [٦] . أيضاً كان هناك بعض المهرة الذين يمتهنون نقش الحجارة أو تشكيلها لتستخدم لبعض الأهداف الاجتماعية والاقتصادية . فمثلاً استخدمت الرحى في طحن الحبوب

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) الهمداني ، صفه ، ص ٣٥٥ .

(٤) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٣ . كما شاهد الباحث نماذج من الصناعات الفخارية عند بعض الأسر النجرانية ، وكذلك في متحف الآثار الموجودة بمدينة نجران .

(٦) انظر عنصر " العمارة وأنواعها " في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

واستخدامها للإعاشة . ولا يكاد بيت في نجران يخلوا من وجود الرحى التي يقوم على استخدامها أهل البيت ، وأحياناً يقوم على استعمالها الرقيق والخدم ، وبخاصة في منازل الأغنياء والوجهاء والأمراء والتجار [١] .

ولمكانة الرحى عند أهل نجران ، بل عند جميع سكان الجزيرة العربية ، أن تخصص أناس بإصلاح الحجر لتحويله إلى رحى صالحة لطحن الحبوب ، أو لعصر الزيوت ، ولا يصلح كل حجر لصناعة الرحى ، ولهذا فعلى الخبير بالرحى اختيار الحجر الصالح ثم عليه إصلاحه ليكتسب الاستدارة وعمل ثقب فيه ونقره وغير ذلك مما يتعلق بهذا العمل الذي يوكل إليها أداؤه ، فبعض الرحى كبيرة ثقيلة ذات قطر واسع ، تستخدم في طحن بعض المواد الصلبة مثل العفص ومواد الدباغة الأخرى ، والمواد التي تستخدم في إنتاج الزيوت والطحين ، ويستخدم الحيوان لإدارة مثل هذه الرحى . وقد شاهدنا في نجران رحى ضخمة استخدمها النجرانيون ربما قبل الإسلام في تلك الأغراض [٢] .

ولما كانت بلاد نجران أرضاً زراعية ، لذلك قامت بعض الصناعات المعتمدة على الزراعة والإنتاج الزراعي ، ويبدو أنه كانت تعمل الأقفاص من جريد النخل ، وكذلك القفاف ، والمكاتل ، والأطباق من سعف النخيل [٣] ، كما كانت تصنع الخيام من الجريد والسعف [٤] . كذلك عرف النجرانيون صناعة الخصف والحبال ، فكانوا يستخدمون أوراق الأشجار ، وسعف النخل في عمل الأثاث المنزلي كموائد الأسمطة والأبسطة ، كما أن صناعة الحبال والخيوط المتنوعة كانت معروفة ويمارسها بعض

---

(١) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٧١ – ٥٧٢ .

(٢) المرجع نفسه . مشاهدات الباحث وجولاته في بلاد نجران خلال عام ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

(٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٦٣ ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٤٠ ، وللمزيد انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٨٥ – ٥٨٦ .

(٤) انظر الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٦٣ ، وللمزيد انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٨٥ وما بعدها ، السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٤٠ .

السكان ، ومن يلقي نظرة على كتاب النبات للدينوري يجد أنه أفرد باباً في صناعة الحبال ، موضحاً نوعية الحبال التي كانت تصنع ، ذاكراً الأشجار التي تستخدم لاستخراج المواد الأساسية لعمل أنواع متعددة من الحبال ، مع التركز على شجر الخزم الذي يوجد بكثرة في جبال اليمن ونجران والحجاز ، والذي يعد أفضل أنواع الأشجار في استخراج نوعية جيدة من الحبال (١) .

ومن الصناعات الأخرى صناعة العطور وتركيبها ، وتأتي الغالية التي تركب من العود والعنبر والمسك والدهن في مقدمة العطور . ونجد الدينوري أيضاً يفرد باباً سماه ((باب الروائح الطيبة ...)) ويذكر فيه أسماء الأشجار التي يستخلص منها الدهون والروائح الطيبة ، ومعظم تلك الأشجار التي أوردها في هذا الباب تتوافر في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية (٢) . ومنها نجران وأجزاء عديدة من بلاد اليمن حيث أشار إلى وجود شجر الكاذي ، المتميز برائحتها الطيبة ، والذي يصنع منه نوع من الطيب النفيس الذي لا مثيل له (٣) ، وقد اشتهرت بعض مدن اليمن كصنعاء وعدن وغيرها بصناعة العطور ، وتصديرها إلى البلدان الأخرى ، ويروي المرزوقي أن : ((**طيب الخلق جميعاً بها يعبأ ، ولم يكن أحد يحسن صنعه من غير العرب**)) (٤) . وترتب على كثرة الطلب على العطور وجود العطارين في أنحاء الجزيرة العربية ، فكان هناك أسواق خاصة بهم في مدن الحجاز واليمن الرئيسة ، وربما في نجران ، واليمامة وغيرها من حواضر شبه الجزيرة العربية (٥) .

---

(١) انظر الدينوري (طبعة بفيسبادن) جـ ٣ ، ص ٢٣١ – ٢٥٦ .

(٢) المصدر نفسه، ص١٨٤–٢٢٢ ، وللمزيد عن حرفة العطار،انظر، جواد علي ، جـ٧ ، ص٥٧٠ – ٥٧١ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٣ .

(٤) المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة (الدكن . حيدر آباد / ١٣٣٢ هـ) جـ ٢ ، ص ص ١٦٤ ، وللمزيد انظر السيف " الصناعات في الجزيرة " ، ص ٣٤٠ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٧٠ .

(٥) للمزيد انظر مالك ، المدونة ، جـ١ ، ص ٣٤١ ، الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٥٤ ، خسرو " جزيرة العرب " ، ص٢٣ ، المرزوقي ، جـ٢، ص ١٦٤ ، الهمداني ، صفة ، ص٣٥٥ ، ٣٦٣ ، المقدسي ، احسن ، ص ٩٧.

كما عمل أهل نجران في حرف الإعاشة والطبخ ، حيث لا يخلو بيت من ممارسة هذه الحرفة التي يقوم على ممارستها النساء في إعداد الأطعمة وتقديمها لأفراد أسرهن ، لكننا لا ندري هل كان هناك من يمتهن هذه الحرفة للمتاجرة فيها وكسب الرزق من خلالها ، ولكن في اعتقادنا أن الأغنياء والوجهاء والأمراء في المجتمع النجراني كانوا يمتلكون الرقيق والخدم الذين يقومون على خدمتهم ، وإعداد الموائد والأطعمة لهم ولضيوفهم ، وهذه عادة معروفة عند العرب منذ القدم [(١)] . كما عرفت نجران أيضاً صناعة أصناف متعددة من الحلوى ، مثل غيرها من حواضر الجزيرة العربية الكبرى ، حيث تفنن أهلها في صناعتها ، واكتسبوا شهرة في ذلك ، وغالبية هذه الأنواع كانت من العسل والسكر المعقود والفواكه [(٢)] . كما كان بعضها في نجران وبعض أجزاء اليمن تعمل بالسمن [(٣)] . أما بلاد السروات ونجران ، وأجزاء من بلاد اليمن ، حيث يتوفر عسل النحل ، حتى إنه كان للرجل الواحد عشرات المناحل [(٤)] ، فقد ترتب على ذلك صناعة العديد من ألوان الحلوى ومنها صناعة الشهد الحضوري الجامد الذي يقطع بالسكاكين ، وكان يصدر إلى الحجاز والعراق وسائر البلدان [(٥)] . كما كان يوجد سكر العشر في جنوب الجزيرة العربية وكان يصنع منه في بلاد اليمن قطع من السكر بأحجام كبيرة على شكل قوالب ، ويذكر الهمداني بأنه بعث من هذا السكر إلى أخ له في العراق فأعجب به كل من رآه نظراً لجودته [(٦)] . ومن الحرف التي مارسها النجرانيون الحلاقة والحجامة ، ويجمع الحلاق في الغالب بين حلاقة الشعر والحجامة ،

---

(١) للمزيد انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٧١ وما بعدها .
(٢) ابن جبير ، ص ٩٨ .
(٣) الهمداني ، صفه ، ص ٣٥٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥٠ ، وعن أهمية العسل وأنواعه وطرق الحصول عليه ، وبخاصة في اليمن والحجاز وأجزاء أخرى من الجزيرة العربية ، انظر باباً مستقلاً للدينوري في كتاب النبات ، جـ ٣ ، ص ٢٥٧ – ٢٩٦ .
(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٦٠ . حسن المسري . تجارة العراق في العصر العباسي (الكويت / ١٤٠٢ هـ) ، ص ٣٨٤ .

ويستعمل الحلاق الموسى والمقص في الحلاقة ، ويتخذ المرآة أداة يتابع من خلالها المحلوق شعره وكيفية قصه ، وكذلك يتخذ أدوات زينة وطيب لتطييب الشخص ، إذ تعد الحلاقة نوعاً من أنواع الزينة أيضاً ، وكانت حلاقة الرأس مختلفة ، لا تجري على طريقة واحدة ، فللقبائل عادات مختلفة في طريقة تصفيف الشعر وحلاقته وقصه (١) ، كما أن الأعراب يختلفون عن أهل المدن في تنظيم شعر رؤوسهم وحلاقته ، وهم يدهنون شعورهم ويربطونها وراء رؤوسهم ، وأحياناً يتركونها تتدلى ، وقد يجعلونها ضفائر وجدائل تتدلى على الأكتاف (٢) .

واعتماد الحجام على الموسى يشرط به جروحاً خفيفة يمص منها الدم بكأس من الزجاج توضع فوق الشرط ، ثم يسحب الحجام الهواء من الفتحة الضيقة المتصلة بقناة داخل الكأس ، فيخرج الدم إلى داخل الكأس ، وقد كانت الحجامة من وسائل التداوي خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة ولا تزال هذه الطريقة معروفة عند بعض الأعراب وأهل القرى والمدن في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية (٣) .

ولم تكن كل الصناعات والحرف التي عرفها أهل نجران قاصرة على ما سبق ذكره فقط ، بل هناك فنوناً وصناعات أخرى ، واقتصر الباحث في هذا الفصل على مناقشة وشرح أهمها . وفي اعتقادنا أن ما وجد وعرف من حرف وصناعات خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة لا يمكن حصره في صفحات محدودة ، وإنما قد يحتاج إلى دراسة تفرد بذاتها لهذا الموضوع ، حتى يمكن الإلمام بصورة واضحة بهذا الجانب الحضاري الهام .

---

(١) للمزيد انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٨٣ وما بعدها .

(٢) المصادر نفسها .

(٣) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٥٨٣ - ٥٨٤ ، كما شاهد الباحث بعض الحجامين وهم يمارسون عملية الحجامة في أجزاء عديدة من جنوب الجزيرة العربية خلال العشرين سنة الماضية ، ولازال بعضهم يمارس هذه المهنة إلى الآن .

رابعًا : التجارة :

١ - مقومات الحياة التجارية في نجران:

تلعب التجارة دائماً دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية للمجتمعات والشعوب، وبالنسبة لنجران فقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على ازدهار التجارة فيها ، ومن أبرزها ما يلي :

أ - الموقع الجغرافي المهم فقد تفردت نجران بموقع جغرافي متميز جعلها على صلات جيدة بالمراكز التجارية الكبرى في اليمن ، والحجاز ، واليمامة والبحرين ، بل وامتدت علاقاتها إلى حواضر الإسلام الكبرى في فارس والعراق ، وبلاد الشام وأجزاء أخرى من العالم الإسلامي .

ب - توافر السلع وتنوعها ما بين محاصيل وحبوب ، وثروات حيوانية متنوعة، وسلع محلية مختلفة كالمصنوعات والمنتجات النجرانية التي كانت تشتهر بها ، وتعمل على تصريفها من خلال أسواق تجارية مزدهرة ، مما جعل الحياة التجارية عند الكثير من النجرانيين مورداً مهماً يعولون عليه في كسب أرزاقهم [(١)] .

ج - توفر وسائل النقل التي تقوم على نقل البضائع والسلع التجارية من مكان لآخر ، بل تستخدم في نقل التجار أنفسهم مع صكوكهم وحوالاتهم ونقودهم . فالخيل مثلاً استخدمت عند النجرانيين في وسائل الانتقال ، وعادة ينتقل عليها بعض التجار أو الرسل المرسلين من مكان لآخر ، وفي

(١) المسري ، ص ٨٢ وما بعدها .

اعتقادنا أن استخدام الخيل كان محدوداً على الوجهاء والأغنياء ، وربما كبار التجار من طبقات المجتمع سواءً كانوا من المسلمين أو أهل الذمة [(١)] .

ومن المعلوم أن الخيل لها مكانة خاصة عند العرب فهي في الغالب لا تستخدم لحمل الأثقال ، فقد قال أحدهم: ((**لا تسمه حصاني بل سمه ولدي**))[(٢)].

أما الإبل ، التي تعد سفينة الصحراء لتحملها الجوع والعطش ، وملاءمتها لظروف الطبيعة القاسية ، فكانت موجودة بكثرة عند أهل نجران وتعد من أهم وسائل التنقل وحمل البضائع والتجارات عند النجرانيين ، وكانت تستخدم في بعض الأحيان للركوب والذهاب من مكان لآخر [(٣)] . ويذكر أن النجائب من الإبل كانت من وسائل الانتقال وحمل التجارات ، بل كانت تكرى لحمل الأثقال ما بين نجران، وصعدة ، وصنعاء ، والطائف ، ومكة ، والمدينة [(٤)] . وكان يوجد في نجران الكثير من البغال والحمير التي تستعمل في التجارة بل يستخدمها معظم سكان نجران في نقل أمتعتهم وأثقالهم المختلفة [(٥)] .

د - تشجيع الإسلام على التجارة والعمل في البيع والشراء بالطرق الشرعية، وقد لاحظنا ذلك في كتب ونصائح الرسول ﷺ، وصحابته من بعده لأهل نجران، وغيرهم من المسلمين [(٦)] . بل تعددت الآيات التي توضح ما يجب أن

---

(١) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

(٢) المسري ، ص ٨٦ (نقلاً عن ول دورنت ، قصة الحضارة) مج ٤ ، جـ ٢ ، ص ١٠٩ .

(٣) للمزيد انظر ، ابن بكار ، جمهرة ، ص٣٦٩ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ٤ ، ص ١٣٦ ، جواد علي ، جـ ٧، ص ١١٢ وما بعدها ، المسري ، ص ٨٦ .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٦ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١١١ وما بعدها .

(٥) الزبيري ، نسب ، ص ٢٨٥ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ٤ ، ص ٣٩ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ١١١ وما بعدها ، المسري ، ص ٨٦ .

(٦) للمزيد انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، البلادري ، فتوح ، ص ٧٦ ، ابن سعد، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ، حميدالله ، ص ١٧٥ وما بعدها .

يتحلى به المسلم من خلق في شؤون البيع والشراء فأوجبت الإيفاء في الكيل والميزان ، وعدم بخس الناس أشياءهم [(١)] ، وتضمنت الأحاديث النبوية الشريفة تفصيلات كثيرة عن الصدق والأمانة وعدم التدليس [(٢)] ، وبالتالي فالنجرانيون استفادوا من هذا كله وعمل كثير منهم في التجارات الداخلية والخارجية المختلفة .

هـ - اهتمام الحكام والولاة بالنشاط التجاري وتشجيع التجارة في نجران وغيرها من أجزاء شبه الجزيرة العربية ، وقد ازداد هذا الاهتمام بعد دخول النجرانيون في الإسلام ، وقيام الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده بتوطيد الصلات مع أهل نجران بإرسال الولاة والرسل الذين يساعدونهم على إقامة حياة حضارية كريمة تستمد تعاليمها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن ضمن ما كان يفعل الرسول ﷺ والصحابة هو تعليم الناس أمور دينهم وإقامة مجتمعاتهم على أسس اقتصادية واجتماعية وسياسية وعلمية إسلامية صحيحة خالية من سبل الحرام [(٣)] . كما كان الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده يحرصون على توفير الأمن والاستقرار على طول الطرق التي تربط بين الحجاز وبلاد اليمن بما فيها

---

(١) انظر سورة البقرة ، آية (٢٨٢) ، سورة النساء ، آية (٢٩) ، سورة التوبة ، آية (٢٤) ، سورة الجمعة ، آية (١١) ، سورة المطففين ، الآيات (١ –٣) ، سورة الرحمن ، الآيات (٧ – ٩) ، سورة الأنعام ، آية (١٥٢) سورة هود ، آية (٨٤) ، سورة الاسراء ، آية (٣٥) ، سورة الأعراف ، آية (٨٥) .

(٢) للمزيد انظر ، صحيح البخاري (القاهرة / ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) ، جـ ١ ، ص ٩٩ ، سنن ابن ماجة (القاهرة / ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٤ م) جـ ٢ ، ص ٧٤٩ .

(٣) للمزيد انظر ، حميد الله ، ص ١٧٦ وما بعدها ، الحديثي ، ص ١٢٥ وما بعدها ، الشجاع ، ص ٢٩٣ وما بعدها ، دلال ، ص ٢٥٤ وما بعدها ، ابن جريس " تاريخ مخلاف جرش ... " ، ص ٦٣ وما بعدها .

أرض نجران ، وبالتالي فالتجار كانوا يسيرون في تلك الطرق لممارسة تجارتهم بحرية وأمان ، مما ساعد على تنميتها وازدهارها .

واستمرت أرض نجران وما جاورها من بلاد اليمن والحجاز على أهميتها لخلفاء الدولتين الأموية والعباسية ، فكانوا يرسلون من قبلهم من يتولى بلاد الحجاز ويمد نفوذه إلى نجران ، وأحياناً كانت تجمع اليمن والحجاز ونجران وغيرها إلى والٍ واحد يقيم في الحجاز ، ويرسل من قبله من يتولى شؤون تلك البلاد البعيدة ، بل كان أولئك العمال يتعاونون مع أعيان وشيوخ القبائل في نجران وغيرها من بلاد اليمن والسروات من أجل استقرار الأمن ، وحماية الطرق والأسواق ، وأعراض وممتلكات الناس[١] .

وتشير المصادر إلى مظاهر اهتمام الخلفاء والحكام عبر حقب التاريخ الإسلامي بالطرق التجارية المارة بأنحاء شبه الجزيرة العربية ، لا سيما جنوبها ، لكونها تخدم أغراضاً مختلفة متعددة يأتي على رأسها تسهيل وصول قافلة الحج من بلاد اليمن ونجران عبر أرض تهامة والسراة [٢] ، وسير الجيوش من موقع إلى آخر للدفاع عن المدن المختلفة بهذه الأرجاء ، وأيضاً حرصاً على خدمة التجارة سواءً الداخلية منها أو الخارجية [٣] . ومن بين هذه الاهتمامات عناية الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٣ – ٧٤٢ م) ببلاد السراة ، ونجران ، واليمن ، فكان يرسل بعض ولاته ومعهم أعداد من الموالي والعبيد لحراسة وحفظ مواطن المعادن في تلك البلاد [٤] ، كما

---

(١) للمزيد انظر الأزرقي ، جـ ١ ، ص ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٢ الفاسي ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ وما بعدها ، الفقي ، ص ٢١٩ وما بعدها ، دلال ، ص ٢٥٠ وما بعدها ، الشجاع ، ص ٢٩٣ وما بعدها .

Jrais, " The Governarship" pp . 13 ff

(٢) للمزيد انظر ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٤٢ – ٣٤٣ .

(٣) للمزيد انظر دلال ، ص ٢٥٠ ، الفقي ، ص ٢١٩ ، ابن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة " ، ص ٧٨ وما بعدها .

(٤) الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار الكتب المصرية) جـ ٣ ، ص ٦٤ ، الجمحي ، جـ ٢ ، ص ٥٨٣ ، ٥٩٣ ، ٦٢٥ ، وللمزيد عن المعادن ومواطنها في نجران واليمن وبلاد تهامة والسراة انظر كتاب الجوهرتين للهمداني ، ص ٨٦ وما بعدها .

كان يرسل رجال الحسبة والجباة للحفاظ على حركة التجارة بالأسواق المنتشرة هناك ، إلى جانب جمعهم زكاة المال التي كانت ترسل لبيت مال المسلمين [١] . كذلك تشير مصادر أخرى إلى اهتمام الخليفة المهدي العباسي (١٥٨ – ١٦٩ هـ / ٧٧٤ – ٧٨٥ م) بالأراضي الواقعة إلى الجنوب من مكة ، والطائف ، وبخاصة الطرق التجارية المارة بها إلى نجران ، وحواضر اليمن الكبرى ، فيذكر عنه أنه أمر بحماية وإصلاح الطريق الشرقي الذي يخرج من الطائف ثم يصل إلى بيشة ، ونجران ، وصعدة ، وصنعاء ، وحضرموت ، كما أمر بوضع محطات للبريد على الطريق الواصل من صنعاء إلى مكة عبر الطائف ، ومنها إلى بغداد حاضرة بني العباس [٢] .

وتورد عدد من المصادر أن الاهتمام ببلاد الطائف ، والسراة إلى نجران ثم صنعاء لم يقتصر على خلفاء بني أمية وبني العباس ، وإنما امتد هذا الاهتمام أيضاً إلى صغار الأمراء وعبيد وموالي الخلفاء ، حيث نجد ذكراً لبعض موالي بني العباس الذين كانوا يقتنون دوراً وزروعاً ومزارع في الطائف ، وبيشة ، ونجران [٣] . ولعل الخليفة المهدي قد اهتم بجنوبي الجزيرة العربية لأن زوجته الخيزران قدمت في الأساس من تلك البلاد ، فتذكر بعض الروايات أنها بيعت في أسواق جرش (عسير حالياً) ، ثم أخذت إلى مكة وأخيراً استقر بها المقام في بغداد لتصبح زوجة للمهدي ، وينجب منها الخليفتين الهادي والرشيد [٤] .

---

(١) للمزيد انظر ، الفقي ، ص ٢١٩ وما بعدها ، دلال ، ص ٢٥٠ ، وما بعدها ، ابن جريس ، " دراسات "، ص ٣٤٣ ، للمؤلف نفسه " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة .. " ، ص ٧٨ وما بعدها . وعن الحسبة وما يقوم به المحتسب من أعمال انظر ، ابن عمر ، ص ٦٥ وما بعدها ، ابن الأخوة ، ص ٧٧ وما بعدها .

(٢) القلقشندي ، مآثر الأنافة ، جـ ١ ، ص ١٨٦ ، المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص ٤٥ ، العلي " طرق المواصلات " ، ص ٩٧٥ ، المسري ، ص ٨٥ وما بعدها .

(٣) للمزيد انظر قدامة ، ص ١٨٨ – ١٨٩ ، البيهقي ، جـ ١ ، ص ١٠٦ وما بعدها ، أبو نعيم ، جـ ٩ ، ص ٧٦ – ٧٧ ، أبو حاتم الرازي ، ص ٣٢ – ٣٣ ، دلال ، ص ٢٨١ ، ابن جريس " بلاد تهامة والسراة كما وصفها ... "" ص ٧٤ وما بعدها .

(٤) انظر تفصيلات اكثر عن الخيزران ، ابن حلكان ، وفيات الأعيان (طبعة بيروت / ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) جـ ١ ، ص ٢٧٣ وما بعدها ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ وما بعدها ، جـ ٤ ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

ونلاحظ أيضاً اهتمام كل من الخليفتين الرشيد وولده المأمون ببلاد اليمن ، ونجران ، والسروات ، والحجاز حيث حرصا على بعث الولاة إلى تلك البلاد لجباية الزكوات والمحافظة على الأمن وضبط الأسواق بها [١] ، ونهج أمراء بني العباس مثل البرامكة وغيرهم منهج الخلفاء من حيث الاهتمام نوعاً ما بتلك المناطق ، فكانوا يرتادونها ويتملكون ببعض مراكزها الحضارية الدور والبساتين ، حتى إننا وجدنا بعض كتب التراث أطلقت أسماء بعض رجالات البرامكة ، وغيرهم من المشاهير في بلاط الدولة العباسية ، على بعض المواقع في مكة ، والطائف ، وبيشة ، ونجران ، وصنعاء ، وهذا ينهض دليلاً على أن تلك البلاد كانت موضع اهتمام واضح عند خلفاء وأمراء بني العباس الأول [٢] .

ومن منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) لا نجد تفصيلات عن اهتمام الخلفاء والولاة بشبه الجزيرة العربية عامة ، وجنوبها بشكل خاص ، وذلك يعود لأسباب عدة منها :

أ - ضعف الخلافة العباسية في العراق جعلها لا تستطيع مد نفوذها إلى هذه المواطن البعيدة ، كي تحافظ عليها وتقوم على خدمتها .

ب - انتشار الفوضى في هذه البلاد وبخاصة عندما ضعفت السلطة المركزية في بغداد ، وظهر هناك بعض الطامعين الذين رغبوا في الاستقلال ببعض الأجزاء في اليمن ، ونجران وبلاد تهامة والسراة . وقد شاهدنا ذلك مع ظهور الدويلات المستقلة هناك ، مثل : الدولة الزيادية ، والدولة

---

(١) انظر القلقشندي ، مآثر الأنافة ، جـ ١ ، ص ٨٦ ، المسري ، ص ٨٣ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٤٤ .

(٢) للمزيد انظر الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، قدامة ، ص ١٨٨ ، المقريزي ، الذهب المسبوك ، ص ٤٥ ، المسري ، ص ٨٥ - ٨٦ .

اليعفرية، والدولة الزيدية ، والدولة الإسماعيلية القرمطية ، وغيرها من الدويلات التي توالت في الظهور خلال القرون الإسلامية الوسيطة [١] .

ج - تزايد نفوذ القبائل العربية ، حتى صار شيوخ القبائل هم الآمرين الناهين في تلك البلاد ، ويتضح ذلك من قول ناصر خسرو عن تلك المواطن فقال :((وفي كل بادية حاكم مستبد لا يخضع لأية سلطة مركزية)) [٢]، ويأتي بعده ابن المجاور ثم يقول : ((ويحكم كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ، ذو عقل وفطنة ، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم)) [٣] . ومن هذه النصوص نرى أن الزعامات المحلية ممثلة في شيوخ القبائل أصبحت لهم السلطة المطلقة في مواطنهم ، فهم الذين يسوسون أهلها ويعملون على حفظ الأمن بها ، ولكن في اعتقادنا أن حمايتهم كانت حماية محدودة قاصرة لعدم وجود السلطة الرئيسة المركزية التي تحفظ الأمن والاستقرار في المناطق الفاصلة بين القبائل وعلى الطرق والمحطات التجارية .

٢ - الطرق التجارية :

توافرت لبلاد نجران عدد من الطرق التجارية ، منها ما هو داخلي ، وآخر خارجي . فالطرق الداخلية هي التي تربط أجزاء بلاد نجران الداخلية بعضها ببعض ، وهي – في اعتقادنا – كثيرة جداً ، فلا تخلو قرية أو بادية من طريق تربط

---

(١) للمزيد انظر شرف الدين ، اليمن ، ص ١٨٧ – ٢٦٢ ، الفقي ، ص ٧٩ وما بعدها ، الجرافي ، ص ١٠٥ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٥٤ وما بعدها .

(٢) خسرو ، سفرنامة ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٣) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٧ .

بعضها ببعض ، كما لا يوجد قبيلة أو عشيرة أو حتى مترل أو حصن إلا ويربطه طريق ، وأحياناً طرق عدة تصله بقرى أو بيوت أخرى . ومن يتجول في بلاد نجران ، بل في أجزاء عديدة من اليمن ، والحجاز ، ونجد ، والسروات ، ويدقق النظر في أماكن الاستيطان القديمة ، وموارد المياه ، ومواطن الرعي ، والأراضي الزراعية ، وكثير من الجبال ، والوهاد ، والأودية فإنه يجد آثاراً كثيرة من الطرق القديمة التي كانت تستخدم لمرور الناس ، أو لمرور المواشي والحيوانات عليها . كما سيشاهد طرقاً أخرى تربط أماكن التجمعات السكانية بالأسواق الأسبوعية [١] . ويغلب على مثل هذه الطرق أمور عديدة منها :

أ - صعوبة بعضها وبخاصة التي تربط ما بين الأجزاء الجبلية وبعض الأرياف والقرى التي توجد في بعض السهول المنبسطة ، أو في بعض الصحاري والوهاد . وأحياناً توجد طرق ضيقة جداً في القرية الواحدة أو بين بعض القرى ، أو من خلال المنافذ والعقبات التي تربط الأجزاء الجبلية بالأجزاء السهلية [٢] .

ب - اعتماد هذه الطرق الداخلية على الجهود المحلية التي يقوم بها سكان كل قرية أو كل ريف أو بادية ، فهم الذين كانوا يقومون على تعميرها وتعبيدها وصيانتها والحفاظ عليها ، مع العلم أن كل ما يُقدم لهذه الطرق من صيانة يعد بدائياً وبسيطاً ، وذلك لبساطة الحياة وقلة ذات اليد عند عامة الناس .

---

(١) مشاهدات الباحث في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية خلال الثلاثة عقود الماضية .

(٢) المراجع نفسها .

ج - شاهدنا تفاوت الطرق من قرية إلى أخرى ، أو من مكان لآخر ، فبعض الطرق يظهر عليها الاتساع ، وكذلك المتانة في رصفها وبناء حوافها ، وذلك على العكس من بعض الطرق التي أصبح من الصعب مشاهدة معالمها ، وربما ذلك يعود إلى أهمية كل طريق فكلما كانت مرتادة من عموم الناس ، ولها أغراض تجارية واقتصادية واجتماعية متنوعة كانت ذات أهمية كبيرة في الاستخدام والعناية .

د - ساد جميع الطرق القديمة الدمار والخراب والنسيان ، فحبذا لو بذلت الدولة بعض الجهود لصيانة الطرق الهامة في كل قرية أو موطن فأوجدت من يرممها ويوجد معلومات مختصرة عن تاريخها حتى يستفاد منها في النشاطات السياحية ، وكذلك يحفظ بعض تاريخ وتراث وحضارة ما كان مهماً منها.

أما الطرق الخارجية فهي تلك الطرق التي تربط نجران بغيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية ، وهي عديدة من أهمها ما يلي :

أ - الطريق الذي يربط صنعاء بالطائف ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية من جبال السروات ، وهذا الطريق لا يأتي بشكل مباشر على منطقة نجران ، ولكن يأتي من حولها غرباً ، وربما كانت هناك فروعٌ صغيرة تخرج من هذا الطريق الرئيس إلى نجران ، وجرش وغيرها من المراكز الحضارية الموجودة في الأجزاء المرتفعة من جنوبي الجزيرة العربية [(١)] . وهذا الطريق يعد من أهم الطرق التي كانت تربط بين اليمن والحجاز ، وقد سلكته الجيوش والتجار منذ عهود قديمة قبل الإسلام [(٢)] ، واستمرت جيوش الخلافة الإسلامية ، ورجال الدولة وعلماؤها ، وتجارها يسلكونه على مر التاريخ الإسلامي .

---

(١) للمزيد انظر ابن جريس " مخلاف جرش " ، ص ٦٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسة ، دراسات ، ص ٩٣ — ١١٥ ، ٣٤٨ وما بعدها .

(٢) القران الكريم (سورة الفيل) ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ٤ ، ص ٥٨٦ ، الأزرقي ، جـ ١ ، ص ١٣٦ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٥٨ وما بعدها .

ونجد كثيراً من الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل يذكرون تفصيلات دقيقة عن هذا الطريق ، من حيث محطاته ، والمسافات بينها ، ومواقعها ، وأهميتها التجارية والاجتماعية والزراعية [١] .

وقد أطلق على هذا الطريق الواصل بين اليمن والحجاز عدة أسماء منها : الطريق الجبلي بحكم أنه يصعد إلى الجبال مخترقاً السلسلة الوسطى من جبال اليمن طولاً ، ويسير من عدن إلى ذمار ، وصنعاء حتى بيشة ، ومنها إلى الطائف ومكة المكرمة [٢] ، وكذلك أطلق عليها طريق السلطان ، أو الجادة السلطانية ، لكونها الطريق الرئيسي الذي كان محل اهتمام خلفاء وأمراء المسلمين الأوائل [٣] . ومع قيام الدويلات المستقلة باليمن كالدولة الزيادية ، والدولة النجاحية ، ودولة الصلحيين وغيرها بدأت أهمية هذا الطريق في التضاؤل تدريجياً لتحول حكم هذه الدويلات عن هذا الطريق ، وتفضيلهم الطريق الساحلي عبر تهامة ، وقد ساعد على ذلك التحول العداء التقليدي القائم بين دولة الأئمة الزيدية بصعدة وبين حكام الدويلات اليمنية في الوسط والجنوب ، مما كان يعرقل سير القوافل إذا ما اتخذت طريقها عبر الجبال عند صعدة فتهاجمهم قوات الإمام وتستخلص أموالهم ، كما ساعد على التحول أيضاً تدني الاهتمام بتعبيد الطريق ، فزادت وعورة

---

(١) انظر ابن خرداذبة ، ص ١٣٣ وما بعدها ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٦ وما بعدها ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٩ وما بعدها ، قدامة ، ص ١٨٨ – ١٨٩ ، ١٩٢ – ١٩٣ ، المقدسي ، أحسن ، ص ١١١ ، الأدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٥ وما بعدها ، المسري ، ص ٧٧ وما بعدها ، دلال ، ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٢) هناك العديد من الطرق الرئيسة التي تاتي من اجزاء عديدة في العالم إلى مكة المكرمة ، وبالتالي فالطرق التي تأتي من اليمن ونجران والسروات وتهامة وغيرها تتصل بطرق عديدة عالمية من خلال مكة المكرمة . انظر بحث لنا ضمن كتابنا : بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية الجزء الأول ، بعنوان " الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة " ، ص ٤١ – ٥٨ .

(٣) للمزيد انظر الفقي ، ص ٢٢٧ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥ ، ٣٦١ وما بعدها ، جميل حسين ، الحجاز ، ص ١١٧ وما بعدها ، المسري ، ص ٨٢ ، وما بعدها .

مسالكه عبر المضائق والممرات الجبلية التي كانت لا تسمح في بعض أجزائها إلا بمرور الواحد تلو الآخر مما أدى في النهاية لتقلص النشاط التجاري عبره وتحوله لطريق تهامة الساحلي .

ب - هناك طرق عديدة تخرج من نجران إلى جهات الشمال والغرب والجنوب ، أما من جهة الشرق فربما أن القفار والصحاري الواسعة لا تجعل سبيلاً لطرق معلومة مطروقة ، ومن أهم الطرق التي تربط الشمال ، والجنوب ، والغرب ببلاد نجران ما يلي :

١ - طريق تخرج من نجران شمالاً إلى مخلاف جرش (عسير حالياً) ، ثم تتصل بعدد من الطرق التي تتفرع من مخلاف جرش شمالاً إلى الحجاز ، وغرباً إلى سواحل البحر الأحمر [١] . وهذه الطريق التي تربط بين نجران وجرش تقطع مع المشاة وجمال الحمل في مدة تتراوح ما بين سبعة إلى ثمانية أيام [٢] ، وهي في الغالب تمر على العديد من القرى والعشائر اليمانية ، وربما مرت على بعض المحطات الرئيسة الموجودة على طريق الجادة الذي يربط الحجاز باليمن والذي سبق الإشارة إليه [٣] .

٢ - طريق يربط نجران بحضرموت، وتسمى ((**محجة حضرموت السفلى**))، وتقطع المسافة بين الناحيتين في ثمانية أيام ، يقول الهمداني عن هذا الطريق ، أما محجة حضرموت السفلى ((**فمن العبر في شيئز صيهد إلى نجران شبه من ثمانية أيام، ثم من نجران إلى حبونن ...**)) [٤] ، وقد يمتد هذا الطريق شمالاً حتى يلتقي بطريق الجادة السلطانية

---

(١) للمزيد انظر ابن جريس " ملامح النشاط التجاري " ، ص ٣٤٨ وما بعدها ، للمؤلف نفسه " مخلاف جرش " ، ص ٦٣ وما بعدها .

(٢) انظر حمزة ، ص ١٨٨ – ١٨٩ ، وللمزيد انظر تفصيلات اكثر عن الطريق الموصلة إلى نجران ، الهمداني ، صفة ، ص ٣١٢ ، ٣٤٢ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٣٤ ، حمزة ، ص ١٨٧ – ١٩٠ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص٣٣٩ وما بعدها ، ابن خرداذبة ، ص١٣٣ وما بعدها ، حمزة ، ص١٨٨ وما بعدها.

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ٣٤٢ .

الواصل بين اليمن والحجاز عبر بلاد السروات عند محطة تبالة القريبة من بيشة [١] .

٣ - طريق يربط نجران باليمامة ثم البصرة ، وقد أشار الهمداني إلى هذا الطريق ، وذكر بعض محطاته ، وعدد المراحل بين تلك المحطات ، فقال: ((**فأما مراحل نجران إلى العقيق فأولها الكوكب ، وهو قلت ، ثم الحفرة على ثلاث مراحل ، ثم العقيق ، وسمي عقيقاً لأنه معدن يعق عن الذهب ... والمقترب بين العقيق والفلج ، وهو من العقيق على مرحلة ، ومن نجران إلى العقيق أربع مراحل ، ومن العقيق إلى الفلج سبع لطاف ، ومن الفلج إلى الخرج ثلاث مراحل خفاف ، ومن الخرج إلى الخضرمة مرحلة ، وبين الخضرمة والفقي ، وهو طرف اليمامة أربع مراحل ، وبين الفقي والبصرة عشرة مراحل ...**)) [٢] .

٤ - طريق يربط نجران بصعدة وأجزاء أخرى من بلاد اليمن ، وربما استغرق الماشي بين الناحيتين يومين أو ثلاثة أيام [٣] . كما أن قرب نجران من بلاد اليمن قد ربطها بطرق أخرى عديدة بحكم الجوار الجغرافي بين تلك البلاد ، ويحكم العادات والأعراف والمصالح الاجتماعية والاقتصادية التي تكاد تكون متشابهة في نجران وما جاورها من بلاد اليمن الأخرى .

---

(١) المصدر نفسه . ، ص ٣٤٣ ، وللمزيد عن المحطات التجارية الواقعة على طريق الجادة السلطانية ، انظر الأدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٥ وما بعدها ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٦ وما بعدها .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣١٢ – ٣١٣ ، وللمزيد انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٣) ابن المجاور ، جـ ٢ ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ ، حمزة ، ص ١٨٩ – ١٩٠ .

ومع أن المصادر والمراجع التي أشارت إلى الطرق الواصلة من وإلى بلاد نجران لا تفصل الحديث في كثير من القضايا عن تلك الطرق ، حيث لا تذكر المسافات بينها ، اللهم إلاَّ الهمداني الذي ذكر معلومات طفيفة عن بعض المراحل على الطريق الواصل بين نجران والبصرة عبر بلاد اليمامة [1] ، ومثل هذه المعلومات لا تفيد كثيراً حيث لا نعلم حجم المسافرين والمرتادين لتلك الطرق ، ولا حجم المحطات الواقعة على تلك الطرق ، وهل كانت مخدومة من قبل السالكين لها أو من قبل الحكومات في اليمن أو نجران أو غيرها من المراكز الحضارية في الجزيرة العربية . والذي نعتقده أن بعض تلك الطرق كانت نشطة وبخاصة التي تخرج من نجران إلى اليمن ، أو اليمامة ، أو الحجاز ، وذلك لبعض الأسباب منها :

أ - أهمية الثقل السياسي والحضاري في كل من الحجاز واليمن واليمامة ، ولهذا فإن أهالي نجران وبخاصة رجال العلم ، والدولة ، والتجار كانوا حريصين على الاتصال بهذه المراكز الحضارية الكبرى في الجزيرة العربية ، والتي سوف يكتسبون من خلالها فوائد جمة بصفتها الحضارية ، وكذلك صلاتها مع العالم الخارجي من شبه الجزيرة العربية .

ب - وقوع نجران في الوسط بين اليمامة ، واليمن، والحجاز تجعل المرور على نجران أمراً حتمياً لمن يقدم من هذه المراكز، وبخاصة رجال الدولة، والتجار وغيرهم من طبقات المجتمع .

---

(١) الهمداني ، صفة ، ٣١٢ - ٣١٣ ، انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

ج - أهمية نجران التجارية لما يوجد فيها من تجارات وسلع متنوعة، ثم قربها من مدن اليمن وأسواق اليمن الكبرى تجعل التجار القادمين أو المسافرين من وإلى اليمن يعرجون على نجران كي يفيدوا ويستفيدوا من أسواق نجران ، ومما يرد إليها من سلع وتجارات مختلفة .

٣ - الأسواق التجارية :

من يستقرئ النشاط التجاري في نجران ، فإنه يجد بها نشاطاً ملموساً ، وبخاصة سوقها حيث يعد واحداً من الأسواق التجارية المشهورة في العصر الجاهلي ، ولا غرو في ذلك فهي من المدن التاريخية القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، وذكرها الهمداني أثناء حديثه عن أسواق العرب ، وقال : إن الأسواق المشهورة عند العرب في العصر الجاهلي هي : ((عدن ، ومكة ، والجند ، ونجران ، وذو المجاز ، وعكاظ ، وبدر ، ومجنة ، ومنى ، وحجر اليمامة ، وهجر البحرين)) (١) .

وعلى الرغم من نشاط أسواق نجران ، وربما تنوعها ، إلا أن الغالب عليها ، كما يبدو نظام الأسواق الأسبوعية التي كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع ، وكان هذا النوع من الأسواق أكثر شهرة وذيوعاً ، ولا سيما في القرى والتجمعات السكانية ، فكان لكل قبيلة أو عشيرة في نجران سوق يقام في أرضها ، ويسمى باليوم الذي يقام فيه ، فمثلاً : يقال سوق الجمعة ، وسوق السبت ، وسوق الثلاثاء ، وهكذا نسبة إلى اليوم الذي يقام فيه السوق من كل أسبوع (٢) . ويخرج أرباب الصناعات

---

(١) الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٢ ، وللمزيد انظر جواد على ، جـ ٧ ، ص ٣٧١ ، والمسري ، ص ٨٤ .

(٢) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ، ابن جريس " مخلاف جرش " ، ص ٦٥ وما بعدها ، المسري ، ص ٨٢ ، وما بعدها . ولازال العديد من الأسواق الاسبوعية موجودة في نجران إلى يومنا هذا ، وكان بها بعض الأسواق المشهورة خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، حيث اشار إليها أحد المؤرخين المتأخرين فقال : //

والتجارات تجاراتهم وسلعهم على اختلافها ، ويبدأ السوق من الصباح الباكر ، ويستمر إلى آخر النهار ، ويزدحم طوال اليوم براغبي البيع والشراء ، وكانت القبيلة التي يقوم السوق على أرضها غالباً ما تتولى حمايته من أي اعتداء ، وتوفير الأمن والراحة للتجار ومرتادي الأسواق (١) .

ولم تكن وظيفة الأسواق في نجران تقتصر على مزاولة البيع والشراء ، وإنما كان الناس يتبادلون فيها الآراء ، ويتناقلون الأخبار ، ويتم فيها الوعظ والإرشاد ، وبعض الأسواق يكون فيها مكان مرتفع يسمى بـ (الراية) يستخدم للوعظ أو الإعلان من فوقه عن خبر معين . ويذكر أن بعض سكان جنوب الجزيرة العربية ، وربما أهل نجران من ضمنهم ، كانوا يستخدمون مثل هذا المكان في رفع راية أو علم أبيض لمن فعل أمراً حميداً ليشكره الناس ، وينوهون بفضله ، وقد يرفعون علماً أسود لمن غدر ، أو لم يف بالتزاماته نحو عشيرته ، أو غيرهم (٢) .

ومعظم السلع في أسواق نجران الأسبوعية كانت تعرض على الأرض ، فيفرش البائع لها قطعة من القماش ، وأحياناً تكون على الأرض بدون أي فرش ، والسوق الواحد يكون في مكان محدد من أرض القبيلة (٣) . وقد عرفت نجران

// ((أما نجران ففيها عدة أسواق نذكرها كما يأتي (١) – سوق الأحد في دحضة بحماية ابن منيف . (٢) – سوق الأثنين في بني سلمان بحماية ابن منيف . (٣) – سوق الثلاثاء في بدر بحماية أبو ساق . (٤) – سوق الأربعاء في قرب العان بحماية ابن نصيب . (٥)– سوق الخميس في القابل بحماية ابن منيف . (٦)– سوق الجمعة في صاغر بحماية أبو ساق)) . انظر ، حمزة ، في بلاد عسير ، ص ١٨٧ .

(١) قدامة ، الخراج ، ص ١٨٩ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٧ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٧٩ وما بعدها ، حمزة ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

(٢) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٨١ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧٠ ، للمؤلف نفسه " ملامح النشاط التجاري " ، ص ١٦١ وما بعدها .

(٣) حمزة ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ، Philby , p . 233 ، كما شاهد الباحث العديد من الأسواق الأسبوعية في جنوبي البلاد السعودية خلال الثلاثة عقود الماضية ، وجميعها تكون في ساحة فسيحة من أرض القبيلة التي تقام على أرضها ، وغالباً ما تكون تلك الأسواق قريبة من التجمعات السكانية . (مشاهدات الباحث) .

بالأسواق المتخصصة ، حيث كان السوق الواحد يضم عدة أسواق ، كل منها قائم بذاته على بيع وشراء سلع معينة، فكان هناك سوق للحبوب، وأخر للماشية ، وثالث للبز ، كما كان هناك حرفيون متخصصون في مزاولة مهنهم في السوق ، مثل : الجزارين ، والحمالين ، والحطابين ، والحدادين ، والخياطين ، وغيرهم كثير لبيع أغراض وسلع متنوعة في الأشكال والأهداف [١] .

وإلى جانب ذلك عرفت بلاد نجران وما جاورها من بلاد اليمن والسروات ، واليمامة ، والحجاز الأسواق الدائمة ، حيث شهدت بعض تلك الأسواق وجود حوانيت ومحال صغيرة في أطرافها ، وخاصة في الأسواق الكبيرة منها [٢] . وكانت هذه الأسواق على غرار الأسواق الإسلامية في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة بالمدن والحواضر الكبرى ، حيث تتألف من شارع طويل تكتنفه الحوانيت والمحال من الجانبين ، وكان يتقدم كل حانوت مصطبة مرتفعة يجلس عليها البائع أو صاحب الحانوت مع عملائه لعقد الصفقات ، وأجراء عملية البيع والشراء ، وأحياناً كانت بعض الحوانيت الكبرى تنقسم إلى قسمين أحدهما داخل الآخر ، ويتخذ القسم الداخلي مخزناً للبضائع ، بينما الجزء الخارجي يعد معرضاً لها ، ومجلساً للعملاء [٣] .

---

(١) ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧١ ، بالإضافة إلى مشاهدات الباحث خلال العقدين الماضيين .

(٢) المراجع نفسها . . ونجد فيلبي يذكر بعض التفصيلات عن سوق نجران في منتصف القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) فيقول ((وكان يوم الاثنين هو إحدى اليومين اللذين يفتح فيهما سوق نجران ، واليوم الثاني هو يوم الخميس ، فيقام يوم الاثنين على مساحة واسعة من الأرض ... ويقوم في الجانب البعيد من ساحة السوق صف من الحوانيت ذات الدور الواحد ، المبنية من الحجر والطين ، وقد أنشأتها الحكومة واستأجرها التجار مقابل عرض بضائعهم وسلعهم فيها ، أما ما تبقى من الباعة ، فقد وقفوا في أي مكان مناسب لذلك ، وكان الجمهور الكبير يمشي الهوينى في السوق ، أو إنه يتجمع حول الحوانيت ...)) **Philby , p . 233** .

(٣) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٨٧ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧١ ، Philby , p . 233 .

وعندما طالعنا أوضاع الطرق التجارية التي تربط نجران بغيرها من المراكز الحضارية الكبرى داخل الجزيرة العربية وخارجها ، شاهدنا مرور بعضها بمحطات عديدة حفلت بالنشاطات البشرية المتنوعة ، وبخاصة الأسواق التجارية التي كانت مقصداً للتجار السالكين لتلك الطرق ، حيث اعتادوا النزول في بعضها ، وعقد الصفقات التجارية مع من يصادفونهم من التجار بكل محطة ، أو مع سكان القرى والبوادي المحيطة بكل محطة تجارية ، وبعض الأسواق التجارية في هذه المحطات ترجع شهرتها التجارية ربما إلى العصر الجاهلي واستمرت خلال العصور الإسلامية المختلفة ، ومن أبرز هذه المحطات العقيق ، والفلج ، والخرج ، والخضرمة ، والفقي على الطريق الواصل بين نجران والبصر[(١)] ، وكذلك بيشة ، وتبالة ، والطائف على الطريق الذي يصل بين اليمن والحجاز عبر الأجزاء الشرقية لجبال السروات [(٢)] ، وكذلك المحطات التي تصل بين مدن اليمن الكبرى كصعدة ، وصنعاء وغيرها [(٣)] . وكانت جميعها تعج بالحركة التجارية ، ويرتادها الكثير من التجار من داخل الجزيرة العربية ومن خارجها [(٤)] . ونجد بعض الجغرافيين والمؤرخين الأوائل ينوهون في مدوناتهم عن نشاط الأسواق في نجران في العصور الإسلامية الأولى ، فابن المجاور يشيد بأسواق نجران وما حولها ، ويقول : ((**وعليها المعول في البيع والشراء**)) [(٥)] ، فكان التبادل التجاري يتم في أسواقها بين التجار القادمين إليها من العراق وفارس وبلاد الروم ، بل كان التجار يجلبون إليها سلعهم ويبيعونها بالمقايضة بسلع أفريقية وهندية ويمنية تصل إلى أسواق نجران [(٦)] .

---

(١) انظر الهمداني ، صفة ، ٣١٢ – ٣١٣ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٢) للمزيد انظر ابن خرداذبة ، ص ١٣٣ ، اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣١٦ وما بعدها ، الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٩ وما بعدها ، المقدسي ، أحسن ، ص ١١١ ، الأدريسي ، جـ ١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٣) المصار نفسها ، وللمزيد انظر ابن جريس " ملامح النشاط التجاري ... " ، ص ١٦١ وما بعدها .

(٤) المصادر والمراجع نفسها .

(٥) ابن المجاور ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ .

(٦) المسري ، ص ٨٥ ، وللمزيد انظر الهمداني ، صفة ، ٧٦ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٨٦ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧٢ .

ونلاحظ كثرة الأسواق الأسبوعية في نجران ، بل في جميع مناطق جنوب الجزيرة العربية ، وقد لمست ذلك من خلال مشاهداتي الشخصية أثناء تجوالي وزياراتي لعدد من مناطق جازان ، ونجران ، وعسير ، والباحة ، والطائف خلال السنوات الماضية ، فوجدت معظم القبائل لا تخلو نواحيها من سوق أسبوعي قديم ، كما اطلعت على عشرات الوثائق التي تنص على مسمى بعض هذه الأسواق ، ومن المسؤول عن حمايتها ، وبنود أخرى عديدة تضمنتها هذه الوثائق ، وأغلبها تشير وتؤكد على استقرار الأمن بها [١] . كما شاهدنا عدداً من الآثار والنقوش التي لا زالت واضحة للعيان في بعض الأسواق ، والتي تحتاج إلى تضافر جهود الدارسين والمهتمين لدراستها والتنقيب عن آثارها ، خصوصاً أن بعض الأسواق يبدو عليها القدم التاريخي ، ومن الصعب تحديد عمرها التاريخي إلاَّ عن طريق الدراسات والتنقيبات الأثرية [٢] . كما أن بعض الجهات الرسمية في حكومة المملكة العربية السعودية بدأت منذ عدة سنوات تولي بعض هذه الأسواق الأسبوعية نوعاً من الجهود في صيانتها والحفاظ على ما يوجد بها من تراث وآثار قديمة ، ونرجو من هذه المؤسسات الحكومية ، بل نرجو من المؤسسات التعليمية في البلاد أن تضاعف الجهود في الحفاظ على هذه الأسواق ، وما تمثله من تراث وفكر حضاريين ، ولعل الاهتمام بصيانة هذه الأسواق الاقتصادية الأثرية ، والعمل على ترميمها والإبقاء عليها يمثل أحد مظاهر التطور الحضاري الذي تشهده البلاد في الآونة الحالية [٣] .

---

(١) الأسواق الأسبوعية القديمة تعد بالمئات في جنوبي البلاد السعودية ، والباحث في احدى جولاته في عسير ، والباحة ، وجازان ، ونجران ، خلال السنوات الماضية ، حصر ما يقارب من ثلاثمائة سوق ، وشاهد أن البعض من تلك الأسواق لا زالت تعمل في أيام معلومة من كل أسبوع . المصدر : مشاهدات الباحث وانطباعاته منذ عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م حتى عام ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) . كما يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق التي تعكس قواعد واتفاقيات بين بعض القبائل من أجل الحفاظ وتوفير الحماية لأسواقها الأسبوعية .

(٢) مشاهدات وانطباعات الباحث في جنوبي البلاد السعودية خلال العقد الماضي ، وبخاصة منذ عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .

(٣) المرجع نفسه .

ومن المعلوم - كما سبق القول - أن الأسواق الأسبوعية تكون في الغالب تحت حماية القبائل والعشائر التي تقام في أرضها ، لكن الدولة في العصر الإسلامي أصبحت هي المسؤول الأول عن حماية الأسواق التجارية . والمصادر تذكر وظيفة عامل السوق والمحتسب الذي كان يقوم بالإشراف على سير الحياة التجارية في الأسواق ، وكثيراً ما نجد تفصيلات عن مهام عامل السوق (المحتسب) في المراكز الحضارية الكبرى في العراق، ومصر ، والشام ، والأندلس ، وغيرها من أجزاء العالم الإسلامي [١] . لكن عندما نبحث عن الدور الذي قام به عمال الأسواق في الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المختلفة ، فإننا لا نجد تفصيلات شافية تشرح لنا نشاطاتهم ، وما يقومون به من أعمال لحفظ الأمن واستقرار الحياة في الأسواق ، مع العلم أننا نجد كتب الرسول ﷺ إلى معظم أنحاء الجزيرة العربية كانت واضحة وشاملة لجميع مناحي الحياة [٢] ، وكذلك الخلفاء الراشدين من بعده ، ولهذا فإن الدولة الإسلامية في عصري الرسالة والخلافة الراشدة كانت تولي حماية الأسواق أهمية كبرى كي يسير الناس على منهج كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وعندما خرجت الخلافة من الجزيرة العربية إلى الشام ثم العراق أصبحت أسواق الجزيرة العربية ربما من اهتمام الولاة والأمراء فهم الذين يشرفون عليها ويعينون من قبلهم من يتولى أمرها ، وقد يقوم بعضهم بالإشراف على بعضها وتفقد أحوال التجار وعامة الناس فيها . فيروي أن الإمام الهادي إلى الحق ، يحيى بن الحسين ، كان يطوف بالأسواق والشوارع في صعدة، وربما في نجران ، لتفقد ما قد

---

(١) للمزيد انظر الماوردي ، الأحكام ، ص ٣٩١ وما بعدها ، ابن عمر ، ص ٢٦ وما بعدها ، ابن الأخـوة ، ص ٧٥ وما بعدها ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٢) للمزيد انظر ، ابن خياط ، ص ٩٤ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٢ وما بعدها ، حميد الله ، ص ١٧٥ وما بعدها .

يكون فيها من المنكرات ويقف على أهل كل بضاعة يأمرهم ويحذرهم بعدم غش بضائعهم وينقيها من الغش ، ويسعر ما يبيعه التجار ، ويكفل الحياة الآمنة للتجار الغرباء ، فكانوا يقيمون الأشهر الطوال آمنين على أموالهم وأرواحهم ، ومارسوا أعمالهم التجارية بحرية واطمئنان ، الأمر الذي أدى إلى انتعاش التجارة ، وكفل للمواطنين الحصول على ما يحتاجونه بسعر مناسب وليس فيما يشترونه غش سواءً في البضاعة أو الميزان أو المكيال [١] .

٤ - الصادرات والواردات :

أ – الصادرات :

إن بلاد نجران كانت تتمتع بنشاط تجاري زاهر ، فلا تقتصر المتاجرة على أهل البلاد أنفسهم ، وإنما توسعوا للمتاجرة مع الأقاليم والأجزاء المجاورة لهم داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها .

ففي نطاق التجارة الداخلية ، كان النجرانيون يتاجرون مع بعضهم البعض ، فتجد أهل القرى والأرياف يتاجرون في أسواقهم الأسبوعية ، ويتبادلون السلع المحلية فيما بينهم ، بل يتاجرون مع أهل البوادي ، وأحياناً يقايضونهم ببعض السلع الزراعية ، أو الأدوات الصناعية والحرفية التي تتواجد بكثرة في القرى ، ويحصلون على بعض السلع التي يحضرها أهل البادية إلى الأسواق مثل : الحيوانات

---

(١) انظر ، الفقي ، ص ٢٢٩ ، وللمزيد عن الأسواق في الجزيرة العربية انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٦٥ – ٣٨٦ .

والمواشي المختلفة ، وكذلك مشتقات بعض الحيوانات كالجلود ، والسمن ، وأصواف الأغنام وغيرها [١].

أما في ميدان التجارة الخارجية مع بلاد نجران ، فالملاحظ أن كثيراً من القبائل ، بل معظم القرى الكبيرة كانت تحتوي على أسواق أسبوعية تكتظ بأنواع عديدة من السلع ، سواء المحلية منها كالمصنوعات ، والمنتجات النجرانية التي كانت تشتهر بها وتعمل على تصريفها في الأسواق الخارجية . أو تلك الواردة إليها من اليمن والشرق الأقصى وسواحل أفريقيا الجنوبية الشرقية ، أو من اليمامة ، والبحرين ، والعراق ، وبلاد فارس ، أو من الحجاز ، والشام ، ومصر ، وبلاد المغرب مما أدى إلى التنوع الشديد في حركة الصادرات والواردات [٣] . وقد توافر في أسواق نجران المحلية كثير من السلع المحلية ، كالحبوب بأنواعها ، والصناعات اليدوية المتنوعة ، كأدوات الزراعة ، والنجارة والحدادة والمنسوجات والجلود بأنواعها وغيرها [٤] .

وإذا ما نظرنا في بعض المنتجات التي كانت تتوافر في بلاد نجران وما جاورها من بلاد اليمن والسراة ، ثم تصدر إلى الحجاز واليمامة ، والبحرين ، وأحياناً إلى خارج جزيرة العرب كالعراق ، والشام ، وبلاد فارس ، ومصر فإن الحبوب تأتي على رأس قائمة تلك السلع ، وقد وجدنا عدداً من المؤرخين والجغرافيين الأوائل يذكرون كثرة إنتاج الحبوب في البلاد الممتدة من الطائف شمالاً حتى نجران وصنعاء جنوباً [٢] . بل إن

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧٥ – ٣٧٦ ، للمؤلف نفسه ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ١٧١ – ١٧٢ ، المسري ، ص ٨٢ – ٨٦ ، وللمزيد انظر السيد يوسف " علاقات العرب " ص ١٢ وما بعدها ، زغروت " العلاقات التجارية " ، ص ١١٧ وما بعدها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) انظر الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٣ وما بعدها ، قدامة ، الخراج ، ص ١٨٩ – ١٩٠ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٨٧ – ٩٨ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ ، ٣٧ ، وللمزيد انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ وما بعدها ، المسري ، ص ٨٣ وما بعدها ، زغروت " العلاقات التجارية " ص ١١٩ وما بعدها .

ابن المجاور يذكر كثرة الحصون والقصور في تلك البلاد ، وكان من فوائد تلك الحصون والقصور اتخاذها مخازن للحبوب ، لكثرة ما تنتج بلادهم [١] .

كما تعد الخضراوات والفواكه من السلع المهمة التي توافرت في بلاد نجران وما جاورها من أرض اليمن والسروات نظراً لكثرة زراعتها ، وخصوبة أراضيها ، والتي أشار إليها غير واحد من الرحالة والمؤرخين مثال ذلك ابن جبير الذي ذكر أنها ((**أرض خصبة متسعة كثيرة التين والعنب ، واسعة الحرث ، وافرت الغلات**)) [٢]، ومن ثم اضطلع سكان هذه البلاد بمهمة تصدير الفائض منها إلى اليمامة، والبحرين ، والحجاز ، وأفريقية عبر موانئ البحر الأحمر ، ويأتي في مقدمة هذه السلع الكروم بأنواعها ، والرمان ، والتين ، والتمور علاوة على بعض السلع الأخرى كالسمن والعسل [٣] . كذلك أشاد الهمداني بأرض نجران وبلاد اليمن والسروات وخصوبتها التي تبرز في تنوع ووفرة محاصيلها الزراعية التي عدد بعضها مثل : الذرة ، والبر ، والشعير ، والتفاح ، والخوخ ، والتمر ، والعسل .[٤] ويوافق قدامة ، والمقدسي ، وابن جبير الهمداني ، ويذكرون تصدير منتوجات هذه البلاد إلى الحجاز ، وبخاصة إلى أسواق مكة في مواسم الحج والعمرة [٥] . كما ذكرت مصادر أخرى وفرة المزروعات المختلفة في بلاد نجران

---

(١) انظر ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٦ ، ٣٧ ، شاهد الباحث خلال العقود الأربعة الماضية العديد من الحصون والقصور المتناثرة في البلاد الممتدة من صنعاء إلى نجران ثم جرش (عسير حالياً) ثم الطائف ، كما لاحظ بعض الحصون في الأجزاء التهامية الممتدة من مكة حتى زبيد والحديدة في اليمن . وقد سأل بعض أهل القرى في تلك البلاد عن أهمية تلك الحصون فذكروا فوائد كثيرة لهذه الحصون ، ومنها خزن الحبوب المحلية لأهل القرية أو العشيرة التي تمتلك الحصن أو القصر . وكثير من تلك الحصون بدأ عليها الخراب والدمار بسبب الإهمال .

(٢) ابن جبير ، رحلة ، ص ١٠٤ ، للمزيد انظر المسري ، ص ٨٣ – ٨٦ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٦ وما بعدها ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٣٧ ، للمزيد انظر زغروت " العلاقات التجارية " ، ص ١١٥ وما بعدها .

(٤) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٦ وما بعدها ، وللمزيد انظر ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧٧ ، المسري ، ص ٨٣ .

(٥) انظر قدامة ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٨٦ ، ٩٧ – ٩٨ ، ابن جبير ، رحلة ، ٩٨ – ٩٩ ، ١٠٤ .

وما حولها ، وقد وصفت أرض نجران بـــ ((نجران الحقول)) [(١)]، كما أشادت بعض الروايات بتمور نجران وجودها ، وذكر الهمداني نوعين من تمور نجران هما : المدبس ، والقسب ، وأشاد بجودة وحسن مذاق هذين النوعين من التمور فقال : ((**وبها القسب الذي يسحق ويحلو مع السويق كالقند فذاك بنجران ، وبها المدبس الذي لا يلحق به بردي خيبر ...**)) [(٢)] .

كذلك اشتهرت نجران وما جاورها من البلدان بوفرة ثرواتها النباتية الطبيعية، وقد حفظ لنا الدينوري أسماء مئات الأشجار والنباتات المتنوعة ، والموجودة بعضها في نجران ، والمستخدمة لأغراض عديدة ، كما تحدث عن جودة بعض تلك الأشجار وتزايد الطلب عليها فكانت تصدر أخشابها وأوراقها وبعض ثمارها إلى بعض أسواق الحجاز واليمامة ، والبحرين ، وغيرها ، كي يستفاد منها في منافع عديدة [(٣)] . وقد ساعد توافر هذه الأشجار والنباتات الطبيعية المتنوعة على تكاثر حشرة لها أهمية في المجال الاقتصادي ، ونعني بها النحل ، مما أدى إلى توفر العسل الذي يزيد عن حاجة أهل نجران ومن حولها من بلاد السراة واليمن ، وبالتالي دخل في قائمة صادراتها ، ودلالة على كثرته ، أن بعض المواطنين في تلك البلاد كانوا يدفعون عليه زكاة منذ عهد الرسول ﷺ ، وعندما جاء عصر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه امتنع بعضهم عن دفع زكاته ، فلم يكن من أمير بلاد السروات ونجران واليمن إلا أن يكتب للخليفة عمر بذلك ، فكتب عمر إلى الوالي قائلاً : ((**إن أدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبي ﷺ فاحم لهم أوديتهم ،**

---

(١) البكري ، معجم ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ١١٢٩ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٣٦٠ – ٣٦١ ، للمزيد انظر المسري ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٣) للمزيد انظر الدينوري ، النبات ، الأجزاء الأول والثاني ، والثالث ، والنصف الأول من الجزء الرابع .

وإن لم يؤدوا إليك ما كانوا يؤدونه إلى النبي ﷺ فلا تحم لهم)) [١] . ويذكر أن خلفاء وأمراء بني أمية وبني العباس كانوا يرسلون إلى ولاتهم ، ومواليهم في جنوب الجزيرة العربية كي يزودوهم بعسل السدر، والندغ ، والسحاء ، والضرم المتوفر عند أهل الحجاز ، والسروات ، ونجران واليمن [٢] . ولم تقتصر صادرات تلك البلاد من العسل على شبه الجزيرة العربية ، والشام ، والعراق ، بل عرف طريقه أيضاً ، نظراً لجودته الفائقة ، إلى مصر والمغرب ، وعبر موانى البحر الأحمر إلى بعض الأجزاء الأفريقية الأخرى ، كما اشتد عليه الطلب ببلاد فارس ، وربما وصل إلى بلاد الهند والسند [٣] .

كذلك كانت الجلود والمنسوجات من السلع الهامة التي تصدر إلى خارج بلاد نجران فيشيد ابن حوقل ويشاركه الأصطخري وقدامة بجودة أديم نجران [٤] ، ويذكر الأدريسي شهرة بلاد نجران بالمصنوعات الجلدية ، حيث تعد دباغة الجلود بها صناعة رئيسة [٥] ، وقد بلغت الجلود المدبوغة فيها درجة عالية من الجودة ، ويؤكد ذلك الأدريسي بقوله : ((**وبها تدبغ الجلود اليمانية التي لا يبلغها شيء في الجودة**)) [٦]، وفي موضع آخر يؤكد أهمية هذه الصناعات لأهل نجران فيقول: إن هذه الصناعات هي : ((**بضائعهم وبها تجاراتهم وأهلها**

---

(١) أبو يوسف ، ص٧٠–٧١ ، وللمزيد انظر ، ابن سلام ، ص٦٦٧ – ٦٧١ ، ابـن ادم ، ص١٤٦ وما بعدها .

(٢) انظر ، الدينوري ، النبات ، جـ ٣ (طبعة بفيسبادن) ، ص ٢٦٤ وما بعدها ، قدامة ، ص ١٨٩ .

(٣) الهمداني ، صفة ، ص ٣٥٨ ، وللمزيد انظر السيد يوسف " علاقات العرب التجارية " ، ص ١٤ وما بعدها ، زغروت ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٤) ابن حوقل ، ص ٣٦ ، الأصطخري ، ص ٢٤ ، قدامة ، ص ١٨٩ .

(٥) الأدريسي ، جـ ١ ، ص ١٥١ ، وللمزيد انظر ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧٨ ، المسري ، ص ٨٤ .

(٦) الأدريسي ، جـ ١ ، ص ١٥١ .

مشهورون بذلك)) [(١)]، وهذه السلعة كانت تصدر إلى حواضر عديدة في العالم الإسلامي ، بل كانت تهدى بعض المصنوعات الجلدية النجرانية واليمانية إلى بعض الخلفاء والأمراء ، وهذا يدل على جودتها وعلو قيمتها [(٢)]، كما تفنن أهل نجران وصعدة ، وصنعاء ، وجرش ، والطائف في تزيين الجلود وزخرفتها برسوم وزخارف متنوعة ، وعمدوا إلى الضغط عليها بالآت معينة ، كما تفننوا في تذهيب بعض الجلود الأخرى وحملها إلى أسواق الحجاز ، وبخاصة في مواسم الحج والعمرة ، مما عرف بـــ (المذهب) وهو من أرقى الجلود وأغلاها ، ويشتريها الأغنياء ، والأمراء لاستعمالها في الأشياء الغالية [(٣)] ، ولكثرة الجلود ودباغتها في نجران وما حولها فكانت تستخدم لباساً وغطاءً أثناء الليل ، وتصنع منه النعال وأدوات أخرى عديدة [(٤)] ، كما أن الهمداني أثناء تجواله في بلاد اليمن ، ونجران ، وتهامة والسراة أشاد بدقة صناعة الجلود في تلك البلاد ، وبخاصة في مدن نجران ، وصعدة ، وجرش ، وبيشة وغيرها ، وذكر ما يصنعون من المحافظ وتسمى (الجراب) وتصنع من الجلود السميكة ، وبأحجام مختلفة ، وهذه الجراب أو المحافظ لها استعمالات كثيرة منها ما يوضع به الطعام للأسفار ، وأحياناً توضع به النقود : الدراهم الفضية ، والدنانير الذهبية ، ومثل هذه المصنوعات كانت تصدر إلى بلاد فارس والعراق وإلى مواطن عديدة في العالم آنذاك [(٥)] .

---

(١) المصدر نفسه ، جـــ ١ ، ص ١٤٦ .

(٢) انظر ابن المجاور ، جـــ ١ ، ص ٨٩ ، ٩٧ ، ١٤٠ ، المقدسي ، أحسن ، ٨٧ ، ٩٧ ، ٩٨ ، المسري ، ص ٨٤ ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧٩ .

(٣) جواد علي ، جـــ ٧ ، ص ٢٩٣ .

(٤) المقدسي ، أحسن ، ص ٨٧ ، الهمداني ، صفة ، ص٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠ .

(٥) الجاحظ ، التبصر ، ص ٣٤ ، المسري ، ص ٨٤ ، وللمزيد انظر الفقي ، ص ٢٣١ ، وما بعدها ، السيد يوسف " علاقات العرب التجارية " ، ص ١٥ وما بعدها ، زغروت ، ص ١١٩ وما بعدها .

كذلك عرفت المنسوجات الموجودة في جنوب الجزيرة العربية طريقها للتصدير ، وبخاصة ما ينتجه أهل نجران ، فتشير المصادر إلى مصالحة الرسول ﷺ لنصارى نجران على ألفي حلة يؤدوها كل عام ، وثمن الحلة آنذاك كان أربعين درهماً (١) ، كما ذكر عن الرسول ﷺ أنه كفن في ثلاثة أثواب نجرانية ، بل كان ﷺ يلبس بعض البرد والمنسوجات النجرانية (٢) . وهذا ينهض دليلاً على بروز نشاط نجران وتقدمها في مجال صناعة وتصدير المنسوجات ، لاسيما القطنية بوجه خاص ، وكذلك الحلل اليمانية المشهورة التي تغنى بها الشعراء ، ويطعم نسيجها بخيوط الحرير (٣) .

ومما ضاعف من شهرة بلاد نجران في صناعة المنسوجات ، وساعد على تقدمها وازدهارها ، ازدياد الطلب عليها من أجل كسوة الكعبة ، فتروي المصادر أن خلفاء بني أمية طلبوا من أهل نجران صناعة الحلل النفيسة لكسوة الكعبة المشرفة (٤) ، وكانت هذه الحلل مطعمة بالديباج (٥) .

كما كان أهل نجران ومن جاورهم من بلاد صعدة أو أرض السروات يصدرون إلى أسواق جزيرة العرب في الحجاز ، واليمامة ، والبحرين ، بعض الأدوات الحديدية والمعادن التي كانت تستخرج أو تصنع في بلادهم مثل : بعض الحلي ، وأدوات للزينة عند النساء والرجال ، وكذلك الخناجر ، والسيوف ، وأدوات أخرى مستخدمة في الزراعة والصيد وغيرها (٦) ، أيضاً كانت الحيوانات توجد في هذه البلاد بكثرة وغالباً ما كانوا يصدروها إلى مكة المكرمة أثناء موسم الحج ، وربما صدروا

---

(١) انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(٢) ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٧٩ ، وللمزيد انظر ، العلي " الأنسجة ... " ، ص ٥٦٧ .

(٣) الأكوع ، اليمن ، ص ١٥٢ ، أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٢٦ ، العلي " الأنسجة " ، ص ٥٧٣ ، ٥٧٦ .

(٤) البلاذري ، فتوح ، ص ٦٠ ، المسري ، ص ٨٣ .

(٥) المصادر والمراجع نفسها ، وللمزيد انظر البندري ، ص ٢٠٨ .

(٦) انظر الجاحظ ، التبصر ، ص٣٤ – ٣٥ ، المقدسي ، أحسن ، ص٨٧، ٩٧، ابن المجاور ، جـ١ ، ص٥٢ .

بعضها إلى اليمامة أو اليمن ، أو إلى موانئ البحر الأحمر كي تنقل عبر تلك الموانئ إلى أفريقية ، أو إلى أجزاء عديدة ، شرقاً وغرباً ، من العالم الإسلامي [١] .

ب – **الواردات** :

وإذا كان أهل نجران قد صدروا العديد من سلعهم المحلية إلى أسواق عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فإنهم أيضاً كانوا يستوردون بدورهم كثيراً من السلع التي يحتاجونها في تصريف حياتهم اليومية ، وأحياناً يقايضون بها سلعهم التي جلبوها من بلادهم ، ومعظم الأسواق النشطة في نجران كانت ترد إليها السلع من خارج حدود منطقة نجران ، وذلك بهدف البيع والشراء ، وذلك ما أكده ابن المجاور عندما أشار إلى أسواق نجران فقال : ((وعليها المعول في البيع والشراء)) [٢] .

وكان النجرانيون يستوردون من حواضر اليمن الكبرى كثيراً من السلع ، مثل الألبسة ، وبعض المنسوجات المتسمة بالدقة في صنعها ، وجمال الألوان والزخرفة، علاوة على السلع الشرقية ، لا سيما الأفاويه الواردة من الشرق الأقصى ، والتي كانت تجد سوقاً نافقة عندهم ، وغيرهم من سكان الجزيرة العربية ، لعدم وجودها ببلادهم ، وكانت هذه السلع تصل إليهم عن طريق موانئ البحر الأحمر مثل : ميناء عدن ، وجازان ، والبرك ، وجدة ، وغيرها [٣] . كما كانوا يستوردون من مكة المكرمة أيضاً بعض الملاحف والعباءات ، وغير ذلك من أدوات الزينة ، وكثير من هذه السلع

---

(١) للمزيد انظر ، المقدسي ، أحسن ، ٨٦ ، ابن المجاور ، جـ١ ، ص ٥٣ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٤٤ – ٣٤٥ ، المسري ، ص ٨٢ وما بعدها ، زغروت " العلاقات التجارية " ، ص ١١٦ وما بعدها ، السيد يوسف " علاقات العرب التجارية " ، ص ١١٥ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٨٠ .

(٢) ابن المجاور ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ ، وللمزيد انظر المسري ، ص ٨٤ – ٨٥ .

(٣) للمزيد انظر ، السيد يوسف " علاقات العرب التجارية " ، ص ٩ وما بعدها ، زغروت ، ص ١١٦ ، وما بعدها ، Magbul Ahmad , pp . 141 ff .

المستوردة كانت ترد إلى الحجاز ، وربما البحرين ، واليمامة من بلاد الشام ، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ، وفارس ، والعراق ، وبلاد ما وراء النهرين [١] .

ولقد أشارت بعض المصادر إلى عمق العلاقات التجارية القائمة بين سكان الحجاز ، وبخاصة أهل مكة المكرمة ، وبين سكان البلاد الممتدة من الطائف حتى نجران وصعدة وصنعاء فـي بلاد اليمن ، فيذكر ابن حبيب أن تجار تلك البلاد كانوا يرتادون بسلعهم أسواق مكة ، لاسيما السلع الغذائية ، فيجدون حسن الاستقبال ، والترحاب من المكيين وبخاصة تجارهم ، وذلك لجودة ما جلبوا من سلع قيمة [٢] . كما يشير الأزرقي أيضاً من أهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلى تعيين مكان محدد في أسواق مكة كانت ترتاده عير تجار البلاد المرتفعة والممتدة من الطائف حتى صعدة ونجران فتقيم به مدة إقامتها وممارستها التجارية في مكة [٣] ، ويأتي ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) فيذكر نشاط تجار تلك البلاد إذا قدموا أسواق الحجاز ، وما يجلبونه معهم من حبوب ومواشٍ وسلع متنوعة يقايضونها بما يفيض بأسواق مكة المكرمة من سلع لا تتوفر في بلادهم [٤] ، كما يذكر ابن جبير ، وابن المجاور ، وابن بطوطة تفصيلات دقيقة يوضحون فيها هيئة تجار تلك البلاد الجبلية والصحراوية الذين يقدمون من ديارهم ما بين اليمن والحجاز ، ومعهم أنواع عديدة من السلع المتنوعة فيبيعونها في أسواق الحجاز ، ويستبدلون غيرها سلع وجدت أو وردت إلى الحجاز من داخل وخارج شبه الجزيرة العربية [٥] .

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) ابن حبيب ، كتاب المنمق ، ص ٢٨٠ – ٢٨١ .

(٣) الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٤) خسرو ، سفرنامة ، ص ١٥٤ .

(٥) انظر ابن جبير ، ص١١٠–١١١ ، ابن المجاور ، جـ١ ، ص٢٧ ، ابن بطوطة ، رحلة ، جـ١ ، ص ١٨٣ . وقد ظل هذا النشاط التجاري مستمراً خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة إلى عهد قريب ، فكنا نرى أهل السراة ، والنجرانيون ، وأهل اليمن يسوقون مواشيهم ، ويحملون بعض سلعهم إلى اسواق مكة المكرمة ، وربما المدينة المنورة ، وبخاصة في مواسم الحج كي يبيعوها هناك ويستبدلوا بأثمانها سلعاً أخرى تفيدهم في حياتهم اليومية كالألبسة المختلفة ، وبعض الأطعمة ، وأدوات الزينة ، وغيرها ، (مشاهدات الباحث خلال الأربعة العقود الماضية) .

٥ - المعاملات التجارية :

إن دراسة أوجه النشاط التجاري لبلاد نجران ، في ضوء الازدهار الذي شهدته تلك المنطقة في مجال التجارة داخلياً وخارجياً ، تستلزم من الباحث بطبيعة الحال ، استجلاء طرق التعامل التجاري المتبعة آنذاك في أسواقها ، ودرج التجار من أبنائها والوافدين عليها على التعامل بها .

وفيما يلي دراسة موجزة لأوجه التعامل :

أ – المقايضة :

كانت المقايضة من أهم وسائل التعامل التجاري داخل أرض نجران ، وقد لجأ إليها التجار لإبرام الصفقات التجارية نظراً لقلة العملة الذهبية في أسواقهم ، فاستعاضوا بها عن النقد ، وكانوا يعمدون إلى تقدير قيمة البضائع بالدنانير الذهبية عند إتمام إجراءات المقايضة . وقد شملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة في الأسواق ، حيث كان المنتجون يقومون بنقل إنتاجهم للأسواق المحلية ، حيث يجدون فيها سلعاً أخرى هم في حاجة إليها ، فيتم تبادل السلع بعضها ببعض كل حسب حاجته ، ولم تكن المقايضة بوصفها إحدى وسائل التعامل التجاري ، مقتصرة على الأسواق المحلية ، وإنما كانت سائدة أيضاً داخل شبه الجزيرة العربية وخارجها ، ويؤكد ذلك كل من الأزرقي ، وناصر خسرو ، وابن جبير ، وابن المجاور ، وابن بطوطة خلال حديثهم عن النشاط التجاري لأهل السراة ، ونجران ، واليمن ، وكيف أنهم كانوا يحملون من بلادهم سلعاً عديدة مثل الحبوب بأنواعها ، والسمن ، والعسل ، والزبيب ، واللوز وغيرها ، فيأتون بها إلى أسواق الحجاز فيقايضون بها سلعاً أخرى

يحتاجونها في ديارهم [١] . وقد نص ابن جبير على أن المقايضة وسيلة للتعامل التجاري أساسية بين تجار اليمن ، ونجران ، والسروات ، وأهل مكة بشكل صريح فيقول : ((**ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم ، وإنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل ، فأهل مكة يعدون لهم من ذلك مع الأقنعة والملاحف المتان ، وما أشبه ذلك مما يلبسه الأعراب ، ويبايعونهم ويشاورونهم**)) [٢] .

ب – التعامل النقدي :

تُعد وحدات النقد العمود الفقري للاقتصاد النقدي ، فهي تمثل سلطة الدولة وشرعيتها ، وتمنح المستهلك قوة شرائية عامة ، ومرونة قصوى في سبيل تحقيق مطالبه وإشباع رغباته الشرائية [٣] . وقد عرفت أسواق نجران مثل غيرها من أسواق الشرق الإسلامي التعامل النقدي كواحد من أهم أوجه التعامل المختلفة التي سادت في الأوساط التجارية في العصور الإسلامية ، ولا سيما ما يتعلق منها بالتبادل التجاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها .

ولم يكن للعرب ، ومن ضمنهم أهل نجران عملة خاصة بهم ، وكانت العملة المتداولة أثناء ظهور الإسلام في بلاد العرب هي الدنانير البيزنطية [٤] ، أو الدراهم الساسانية [٥] . وقد ذكرت بعض المصادر أن الرسول ﷺ فرض على نصارى نجران

---

(١) انظر الأزرقي ، جـ ٢ ، ص ٢٦٠ ، خسرو ، سفرنامة ، ص ١٥٤ ، ابن جبير ، ص ١١٠– ١١١ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٢٧ ، ابن بطوطة ، جـ ١ ، ص ١٨٣ ، وللمزيد عن أنواع البيع والشراء في بلاد العرب قبل وأثناء ظهور الإسلام ، انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٢) ابن جبير ، ص ١١٠ – ١١١ .

(٣) انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٦٥ وما بعدها ، الفقي ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

(٤) وقد ورد ذكر الدينار في القران الكريم ، قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ﴾ سورة آل عمران ، آية (٧٥) ، وللمزيد انظر ، جواد علي ، جـ٧ ، ص٤٩٦–٤٩٧.

(٥) الدراهم الساسانية : هي عبارة عن قطعة مستديرة من الفضة على أحد وجهيها نقش يمثل الجزء العلوي منه صورة كسرى فارس ، ويظهر وجهه في وضع جانبي وعلى رأسه التاج الساساني ، وعلى الوجه الثاني للدراهم حارسان بالسلاح ، //

جزية مقدارها دينار عن كل حالم ذكر أو أنثى حراً أو عبداً [(١)] . وذكر المقريزي أن الرسول ﷺ أقر النقود في الإسلام على ما كانت عليه [(٢)] ، وكذلك فعل الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ ولم يغير منها شيئاً وعندما تولى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ضرب الدراهم على نقش الكسرويه وشكلها ، غير أنه زاد في بعضها " الحمد لله " وفي بعضها " محمد رسول الله " ، وفي بعض آخر " لا إله إلا الله وحده " [(٣)] .

أما الدنانير البيزنطية فقد خضعت لتطور تدريجي فبدأت الشارات المسيحية تختفي من فوق تيجان الأباطرة ، وظهرت الكتابات العربية وصور الخلفاء إلى أن أصبحت هذه الدنانير عربية تماماً في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان [(٤)] .

ويمكننا أن نقسم الوحدات التي سادت أسواق شبه الجزيرة العربية بما فيها أسواق نجران وجرى بها التعامل التجاري في الفترة موضوع البحث إلى ثلاث وحدات نقدية وهي : النقود الذهبية (الدنانير) . ويمثل الوحدة النقدية الرئيسة لا سيما في المعاملات والصفقات التجارية الكبرى ، ثم النقود الفضية (الدراهم) ، وكانت تجرى بها عمليات البيع والشراء في الأسواق الداخلية لا سيما السلع الغذائية ، والنقود النحاسية (الفلوس) وهي بمثابة الوحدات النقدية المساعدة [(٥)] .

// أو بدونه وعندئذ يمكن اعتبارهما كاهنين بينهما معبد النار الذي يسهران على خدمته أو حراسته . للمزيد انظر ، فهمي ، النقود العربية ، ص ٢٢ وما بعدها ، جواد علي، جـ ٧ ، ص ٤٩٥ .

(١) انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٨ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، ابن القيم ، أحكام ، ص ٢٩ ، حميد الله ، ص ٢٠٧ .

(٢) المقريزي ، النقود ، ص ٣٠ .

(٣) المصدر نفسه ، وللمزيد انظر فهمي ، موسوعه النقود ، ص ٣٠ .

(٤) فهمي ، النقود العربية ، ص ٢٨ ، وللمزيد من التفصيلات عن تطور العملة عند المسلمين انظر ، المقريزي ، النقود ، ص ٤١ وما بعدها ، البلاذري ، كتاب النقود ، ص ١٥ – ١٦ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٤٩٦ – ٥٠٤ ، الفقي ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٥) للمزيد انظر ، المقريزي ، النقود ، ص ٤١ وما بعدها ، فهمي ، موسوعة النقود ، ص ٣١ وما بعدها ، جواد علي جـ ٧ ، ص ٤٩٦ وما بعدها ، الزيلعي ، مكة ، ص ١٦٠ – ١٦١ . الفقي ، ٢٣٩ وما بعدها .

ونلاحظ أن أهل نجران قد استخدموا العملة على اختلاف وحداتها في نشاطهم التجاري بوجه خاص لا سيما مع تجار المناطق المجاورة كبلاد الحجاز واليمن ، وقد أشارت المصادر إلى أن العملة التي استخدمها تجار بلاد الحجاز واليمن في تجارتهم الداخلية والخارجية ، ومن بينها تجارتهم مع بلاد نجران ، كانت هي العملة الذهبية السائدة في العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي المبكر ، وبالتحديد زمن الدولتين الأموية والعباسية [١] .

أما عن أنواع العملة المستخدمة في التعامل التجاري بين سكان نجران وكذلك أهل مكة واليمن ، فيذكر المقدسي أنهم استخدموا النقود المحلية المطوقة ، وهي العثرية ثلثا المثقال [٢] ، حيث يقول ((وتؤخذ كدراهم اليمن عدداً ، وتفضل العثرية حتى ربما كان بينها دُريهم ، ودينار عدن قيمته سبعة دراهم ، وهو ثلثا البغوي توزن ولا تعد ... والدراهم المستعملة في الأقاليم – يقصد بلاد اليمن – تسمى بمكة المحمدية ... ولأهل اليمن العلوية)) [٣] .

كما عرفت بلاد الحجاز عملة " المزبقة " [٤] ولكن هذه العملة كثيراً ما كانت تتعرض للتزييف مثلها في ذلك مثل الدراهم النقية التي كانت هي الأخرى تتعرض للتزييف ، وتبلغ قيمة هذا النوع من العملة ($\frac{1}{24}$) من الدرهم النقي ، أي أن كل أربعة وعشرين درهماً من المزيفة ، تساوي درهماً واحداً من الدراهم النقية [٥] . ولوحظ أن أهل نجران والسراة كانوا يتعاملون أحياناً بهذه العملة عند قدومهم إلى أسواق الحجاز ، وربما حملوها إلى ديارهم للتعامل بها هناك .

---

(١) الزيلعي ، مكة ، ص ١٦٠ ، وما بعدها ، السيف ، الحياة ، الاقتصادية والاجتماعية ، ١٥٠ ، الفقي ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٢) المقدسي ، أحسن ، ص ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه ، وللمزيد انظر ، الزيلعي ، مكة ، ص ١٦١ .

(٥) المقدسي ، أحسن ، ص ٩٩ .

وهناك نوع ثالث من العملة كانت سائدة بدورها أيضاً في الأوساط التجارية ببلاد اليمن والحجاز ، والأرجح أنه تم التعامل بها أيضاً في بلاد نجران ، وهذه العملة هي الذهب المصري ، والذي عُرف أيضاً باسم الدينار المصري [١] ، أو الدينار الأحمر [٢] ، وقد أشار إلى هذه العملة المؤرخ ابن المجاور والذي حدّد استخدامها في هذه المناطق وأشار إلى سعر صرفه مقارنة بالدينار السائد في اليمن ويعرف بالدينار الملكي [٣] .

كما راجت في أسواق المنطقة موضوع الدراسة الدراهم الفضية وكانت تعرف بالدراهم العباسية [٤] ، وقد ظلت سائدة في أسواق نجران واليمن وتهامة والسراة حتى بدايات (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) عندما أقدم الأئمة الزيدية على ضرب عملة فضية بأسمائهم في صعدة ، ولكنها لم تنتشر انتشار الدراهم العباسية لنقص أوزانها عنها من ناحية ، وتطرق الزُغل " التزييف " إليها [٥] . ومع قلة الواصل من معدن الذهب إلى أسواق الشرق الأدنى والساحل الشرقي للبحر الأحمر بصفة خاصة مع تزايد أخطار الحركة الصليبية ، بدأ الناس في الاعتماد على الفضة واستخدامها بشكل رئيس في ضرب العملة ، وبدأ النظام النقدي يعتمد على ما يضرب من دراهم كعملة أساسية ، وتحول الذهب إلى مجرد وسيلة لتقرير القيمة المدفوعة من القطع الفضية .

---

(١) انظر، Goitien ,"letter and Documents... ,"pp.199 ff" pp . 60 ff from Goitien "Aden...

(٢) لعل تسمية هذا الدينار بـــ (الأحمر) لأن لونه يميل إلى اللون الأحمر .

(٣) انظر ابن المجاور ، جـــ ١ ، ص ١٢ – ١٣ ، ٨٠ .

(٤) الحسين ، غاية ، جـــ ١ ، ص ٣٨٨ . ظلت بلاد اليمن ، ونجران ، وتهامة والسراة تتعامل بالدنانير والدراهم الأموية ، ثم العباسية ، وأبقى بنو زياد في بداية حكمهم على العملة العباسية ، لاعترافهم بالسيادة العباسية ، ولكن الأمير الزيادي أبا الجيش اسحاق بن ابراهيم (ت ٣٩١ هـــ / ١٠٠٠ م) لم يلتزم بسياسة اسلافه في جعل العملة السائدة عملة بني العباس ، وضرب دنانير باسمه ، سميت بالعشرية ، نسبة إلى عثر التي ضربت فيها . انظر الفقي ، ص ٢٤٠ ، الجرافي ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

(٥) انظر ، الفقي ، ص ٢٣٩ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٨٦ .

جـ - الدفع بالأجل :

وهي إحدى طرق ثلاث عُرفت في أوجه التعامل بعد الدفع نقداً عند إتمام الصفقة التجارية بين البائع والمشتري ، وبعد الصكوك أو الحوالات ، ثم البيع والدفع بالأجل، فكان بإمكان التاجر الصدوق أن ينال الثقة لدى التجار الكبار ، فيأخذ ما يشاء من البضائع دون مال حتى يبيع ثم يسدد ما عليه من أثمان البضائع من عملية البيع طالما لا يستطيع الدفع نقداً ، وأحياناً يقوم هؤلاء الباعة الصغار بدفع ما عليهم من ديون لتجار الجملة تقسيطاً ، ويحدد يوم من أيام الأسبوع يتم الاتفاق عليه بين الطرفين موعداً للسداد وقد شاعت هذه الطريقة في شبه الجزيرة العربية عامة وفي بلاد اليمن خاصة في بيع صفقات التمور ، ولا نستبعد تعامل أهل نجران بها في ضوء انتشار هذه الطريقة في شتى مناحي الديار الإسلامية [(١)] .

د – الموازين والمكاييل والمقاييس :

اختلفت المكاييل والموازين ووحدات القياس من قطر إلى آخر من أقطار العالم الإسلامي ، كما كانت تختلف أيضاً في القطر الواحد من مدينة إلى أخرى ، كما يظهر هذا الاختلاف أيضاً من عصر إلى عصر [(٢)] .

---

(١) وكان الدفع بالأجل يعرف في بلاد الأندلس باسم القبالة (copala) بينما عرفت في اليمن باسم التقبيل ، حيث يترل تجار التمور في موسم جني ثمرة التمر ، فيأخذ كل تاجر على قدر استطاعته ثم يسدد الثمن من عملية البيع في يوم محدد يتم الاتفاق عليه بين التاجر وصاحب الثمرة . انظر ، ابن المجاور ، ص جـ ١ ، ص ٧٩ – ٨٠ ، وللمزيد انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٣٨٧ وما بعدها .

(٢) انظر ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٨٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، وللمزيد انظر ، السامر " ملاحظات في الأوزان ..." ، ص ٦٩٣ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٢٠ وما بعدها .

ويبدو واضحاً اختلاف وحدة الموازين والمكاييل والقياس من سلعة إلى أخرى باختلاف نوعية السلعة من حيث السيولة والصلابة ، فوحدة المكيال تعرف في السلع السائلة باسم الوعاء الذي يحتويها ، فالسمن على سبيل المثال يباع بالجَمَنة وهي تساوي خمسة أمنان [(١)] ، وكذلك كان الشيرج ((السليط)) يباع بالجرة أو بالمن ، والجمنة والجرة هما اللذان يحفظ بهما السمن والشيرج " السليط أو الزيت " لسيولتهما [(٢)] .

١- الموازين :

أما عن وحدات الوزن المعروفة في شبه الجزيرة العربية ، ومنها الحجاز واليمن واليمامة وبلاد نجران فأولها المن . وهو وحدة الميزان الرئيس في هذه المناطق ويطلق عليه أحياناً مسمى " رطل " وكان الرطل المكي يساوي مائتي درهم [(٣)] . وكانت معظم السلع التجارية وفي مقدمتها العطور والحلويات والعسل ، وكذا الثياب الحريرية تباع في بلاد نجران وعموم بلاد الحجاز واليمن بالرطل أو المن [(٤)] .وجدير بالذكر أن عيار المن أو الرطل يختلف باختلاف نوعية السلعة الموزون بها ، وبالتالي يختلف عياره عن المن أو الرطل الرسمي السابق . فكان المن أو الرطل المستخدم في وزن اللحم والشحم

---

(١) المن في بيع ووزن السمن = (٨٠٠) درهم ، فيكون وزن الجمنة تقريبا حوالي (١٢,٥) كجم .

(٢) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

(٣) انظر المقدسي ، احسن ، ص ٩٩ ، ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٢ . لقد استخدم الرطل للوزن في صدر الإسلام ، خلال القرون الإسلامية الأولى ، فكان يساوي في اغلب حواضر شبه الجزيرة العربية (١٢) أوقية ، كل أوقية تساوي (٤٠) درهماً ، أي يساوي (١,٥) كجم . انظر فالترهنتس ، ص ٣٠ ، السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠ . والرطل اليمني يساوي الرطل البغدادي ، وكلاهما حدده ابن المجاور بـ (١٣٠) درهماً ، أي ما يساوي (٤٠٦,٢٥) جرام على اساس أن الوزن الدقيق للدرهم = (٣,١٢٥) جم، انظر ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٢ ، هنتس ، ص ٣٠ – ٣١ . وللمزيد انظر السامر " ملاحظات ..." ص ٧٠٦ – ٧١٠ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٢٧ وما بعدها .

(٤) بينما يذكر ابن المجاور أن المن في اليمن = (٣٢٠) درهماً ويباع به الحرير ويوزن به العود والزعفران، وطبقاً لذلك فهو يساوي في اليمن (١٠٠٠) جم أي كيلاً واحداً ، في حين أن مَنَّ الحرير في مناطق أخرى كان يساوي (٢٦٠) درهماً ، أي حوالي (½ ٨١٢) جرام ، انظر ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٢ ، ٨٩ ، ١٤٤ ، بامخرمة ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧٠٨ .

والهريس [١] ، والجنيه يعادل (٤٠٠) درهم [٢] فيكون وزنه بالجرامات حوالي (١٢٥٠) جم وهو بذلك يساوي ما كان معروفاً في القطر المصري حتى وقت قريب بالأقة [٣] . بينما يبلغ عياره – كما سبق القول – في وزن السمن ثمان مئة درهم ، كذلك يستخدم هذا العيار للمن في بيع الزيت والخل [٤] . فيصبح مساوياً لـــ ($2\frac{1}{2}$) كيلو جراماً . ولا يزال حتى عصرنا الحالي يتم التعامل بالأرطال في بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية عند بيع بعض الحاجيات كرطل المسك والعنبر والبخور [٥] .

كما لا يزال يستخدم حتى الآن عدة أنواع أخرى من الأرطال يختلف وزنها باختلاف البلد المنسوب إليه من بلاد اليمن ، ونجران ، والسروات ، والحجاز ، مثل الرطل الحجري ، والبندري ، والبارقي وغيرها ، كما استخدم في الموازين أيضاً الدينار ، والدرهم ، والدانق [٦] ، والقيراط [٧] ، ومن الثابت عن اختلاف عيار النقد كان يتم التعامل بالنقود وزناً لا عداً [٨] ، فكان وزن الدرهم ستة

---

(١) للمزيد انظر ، المقدسي ، أحسن ، ص ٩٩ ، ابن المجـاور ، ص جـــ ١٢ ، ٨٩ ، ١٤٤ ، بامخرمـة ، جـ ٢ ، ص ١٩٥ ، السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٤٩ – ١٥٠ ، هنتس ، ص ٣٠ ، الســامر " ملاحظات "، ص ٧٠٦ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٢٧ – ٦٣١ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) المصادر والمراجع نفسها .

(٤) المصادر والمراجع نفسها .

(٥) المصادر والمراجع نفسها .

(٦) الدانق : كلمة فارسية ، ويعنى بها السدس ، وهي كوحدة وزن نقد من الدرهم ، أو (٠,٤٩٥) من الجرام (فضة) ، وقيراط العملة الفضة (الدرهم) (٠,٢٤٧٥) من الجرام ، أي نصف دانق . هنتس ، ص ٢٩ ، السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠ ، السامر " ملاحظات ..." ، ص ٧١٠ .

(٧) القيراط : جزء من الدينار ، وكان يستخدم في عيار النقود وضربها ووزن الأحجار الكريمة ، ويعـادل في جزيرة العرب حوالي (٠,١٩٥) من الجرام ، وربما نزل احياناً إلى (٠,١٧٧) من الجرام ز انظر ابـن المجاور ، جـ ١ ، ص ٨٩ ، ١٤٣ ، هنتس ، ص ٤٤ ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧١٠ .

(٨) ابن بكار ، جمهرة ، جـ ١ ، ص ٤٩ .

دوانق ، كل عشرة دراهم تساوي سبعة مثاقيل [١] ، والدانق يساوي قيراطين ونصفاً [٢] .

أ - الأوقية :

وحددها ابن المجاور بحوالي ($21\frac{1}{3}$) درهم وبحساب الدرهم (٣٫١٢٥) جم يكون وزن الوقية في (القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) بلغ (٦٧٫٠٧٠٨) جم بينما ذكر هنتس أن وزنها في شبه جزيرة العرب في صدر الإسلام كان حوالي (٤٠) درهماً أي (١٢٥) جم [١] .

ب - البيعة :

وتعتمد كوحدة وزن لبيع الأديم وقدرها ابن المجاور بمائة مَنّ ، ويذكر أن حمل الجمل يبلغ بيعتين ونصفاً ومن ثم يتراوح وزن البيعة الواحدة طبقاً لوزن المن ما بين ($81\frac{1}{4}$)كيلو جراماً ، أو (١٠٠) كيلو [٢] .

---

(٧) ابن سلام ، ص ٦٣٠ . الدينار كوحدة وزن يساوي نظرياً مثقالاً واحداً ، وكوزن سبيكة ذهبية يساوي (٤,٣٣٣) جم . انظر ، هنتس ، ص ٢٩ .

(٨) السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠ ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧١٠.

(١) انظر ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٢ ، هنتس ، ص ١٩ ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧١٠ ، وقد لاحظنا الصلح الذي عقده الرسول ﷺ مع نصارى نجران أنه يقدر بألفي حلة ، وكل حلة أوقية من الفضة (أي ما يعادل أربعين درهماً) انظر ، أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٨٣ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ .

(٢) ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ١٣ .

٢- المكاييل :

تعددت أنواع وأسماء المكاييل التي استخدمها أهل نجران في التعامل مع الحبوب والغلال والتمور وما شاهها فكان هناك :

أ - المُد :

اختلف الفقهاء في تقديره ، ولذا اختلف عياره من منطقة إلى أخرى في العالم الإسلامي ، ففي بلاد اليمن ، ونجران ، والحجاز ، حيث يستخدم وحدة كيل للتمور والغلال وسائر الأطعمة فيبلغ وزنه خمسة أرطال وثلثاً أو ما يعادل ربع الصاع [١] .

ب – الصاع :

ويستخدم في بيع الحنطة وسائر الحبوب في بلاد اليمن ونجران ، أو تلك المجلوبة إلى أسواق الحجاز ، ويقدره ابن المجاور بأربعة أمداد . كما استخدم الفرق في الكيل، وهو يعادل ثلاثة صيعان [٢] .

ويلاحظ أن المكاييل شأنها شأن النقود ، كانت تتعرض أحياناً لحالات الغش والتطفيف ، لا سيما عند أرباب السفن في الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، يؤكد ذلك المقدسي بقوله ((ولهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما (وهو الأصغر) جرايات الملاحين ، ويتعاملون بالكبير)) [٢] .

---

(١) للمزيد عن المد والصاع انظر ابن سلام ، ص ٣٢٩ ، ٦٢٣ ، المقدسي ، أحسن ، ص ٩٨ – ٩٩ ، السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠ ، هنتس ، ص ٦٤ .

(٢) ابن المجاور ، جـ١ ، ص١٣ ، وللمزيد ، انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٣٢ ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧١١ .

(٢) انظر المقدسي ، أحسن ، ص ٩٩ .

جـ - القفيز :

من المكاييل القديمة المستعملة عند أهل نجران وغيرهم من سكان الجزيرة العربية لتقدير كميات الأشياء الجامدة ، ويتسع لنحو عشرة (جالونات) [١] .

د - الوسـق :

وهو من أدوات المكاييل ، ويقدر بـ (٦٠) صاعاً ، وقيل هو حمل بعير ، أو مائة وستون منّاً ، ويذكر أن خمسة أوسق هي خمسة عشر قفيزاً ، والوسق الواحد يقدر بـ (٣٢٠) رطلاً عند أهل الجزيرة العربية ، وبخاصة سكان الحجاز ، واربع مئة رطل عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد ، والأصل في الوسق هو الحمل ، وقيل الوسق العِدْل ، وقيل العدلان ، وقيل هو الحمل عامة [٢] .

هـ - الصبرة :

مما جمع من الطعام بدون كيل أو وزن بعضه فوق بعض ، فهي : الطعام المجتمع كالكومة ، ومن ذلك بيع (الصبرة) من التمر ، وقد وجدت عند أهل

---

(١) للمزيد انظر ، ابن منظور ، جـ ١١ ، ص ٢٥٥ ، فعل (قفز) ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٣٢ ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧١١ .

(٢) انظر ابن منظور، جـ ١٥ ، ص ٢٩٩ ، فعل (وسق) جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٣٢ — ٦٣٣ ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧١١ . وقد استعمل سكان الجزيرة العربية الحمل كيلاً ، وهو مقدار ما يحمله الحيوان، فهو شيء تقديري غير مضبوط تماماً ، وقد ورد ذلك في القران الكريم ، قال تعالى : ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ سورة يوسف ، آية (٧٢) . ولا يزال العرف جارياً عند أهل القرى والبوادي في نجران وغيرها من بلاد الجزيرة العربية ، فيقال (حمل بعير) أو (حمل حمار) وغير ذلك من الدواب التي تنقل السلع والأغراض المتنوعة . انظر ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٣٣ (مشاهدات الباحث خلال الثلاثة العقود الماضية) .

نجران وغيرهم من سكان الجزيرة العربية [١] وقد نهي الإسلام عن هذا النوع من البيع [٢] .

و - الفرق :

هو مكيال في الجزيرة العربية ، وبخاصة في المدينة المنورة ، وقد اختلف فيه فقيل يسع ستة عشر مداً ، أو يسع ستة عشر رطلاً ، وهي اثنا عشر مداً وثلاثة أصوعة ، وقيل الفرق خمسة أقساط ، والقسط نصف الصاع [٣] ، ويذكر أن الفرق هو مكيال لأهل نجران واليمن وربما بلاد السروات ، وقد ذكر ذلك في خطاب كتبه الرسول ﷺ لقيس بن مالك بن سعد بن لأئي الهمداني ، والذي جاء فيه ((وأطعمه ثلاث مئة فرق من خيوان مائتا زبيب وذرة شطران ، ومن عمران الجوف مائة فرق بر)) [٤] .

٣- المقاييس :

وكانت أهم وحدات قياس الأطوال المستخدمة في أسواق نجران هي :

---

(١) وهذه الطريقة لا زالت تمارس عند بعض سكان البوادي والقرى في أجزاء عديدة من الجزيرة العربية ، وهذا ما شاهدناه اثناء جولاتنا المتعددة في أماكن عديدة من جنوب ووسط وشرق الجزيرة العربية .

(٢) والحديث يشير إلى أن الرسول ﷺ مر على صبرة طعام في السوق ، فأدخل يده فيها فوجدها مبلولة من الداخل، فقال : ((من غشنا فليس منا)) وسبب النهي أنه قد يغش البائع المشترى إذا شراء الصبرة أو الكومة بدون أن يعرف ما بداخلها ، انظر ، ابن منظور ، جـ ٧ ، ص ٢٧٧ ، فعل (صبر) ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٣٥ - ٦٣٦ .

(٣) للمزيد عن الفرق انظر ، ابن منظور ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٨ ، فعل (فرق)

(٤) المصدر نفسه ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٣٦ ، حميد الله ، ص ٢٣٣ .

أ - الذراع :[١]

ويختلف طوله حسب الزمان والمكان ، وينقص في المواسم ويعود إلى ما كان عليه قبل الموسم ، وهو عدة أنواع منها الذراع اليدوي ، والذراع الحديدي ، أما ذراع اليد فيستخدم وحدة قياس في بيع وشراء الأقمشة كالبرود ، وشقق الحرير وغيرها ويتراوح طول ذراع اليد ما بين (٤٨,٥٤سم) إلى (٥٠,٣ سم) [٢] .

أما الذراع الحديدي ، فكان يستخدم في قياس وبيع ألواح الساج ، وأيضاً بعض الأقمشة كالبز وغيرها وطوله حوالي (٥٨ر١٨٧سم) [٣] . ويضاف إلى هذه الأنواع من الأذرع ذراع خاص بقياس الأراضي وتقدير مساحتها عُرف بالذراع الشرعي أو ذراع المساحة ، وكان يبلغ طوله حوالي (٤٩ر٨٧٥سم) [٤] .

ب - مقاييس أخرى :

كما عُرفت مقاييس وأطوال أخرى مثل قدم الإنسان وخطوته ، وشبر الكف ، والباع ، وعُرف أيضاً الميل عند أهل اليمن ونجران والحجاز . وذلك من خلال ما ذكره الهمداني عند تقديره لمسافات الطرق الواصلة بين اليمن والحجاز عبر الأراضي الشرقية لجبال السروات فقدرها بالأميال [٥] .

كما استخدم النجرانيون مصطلحات خاصة في تقدير المسافات والأبعاد ، لا سيما في الأسفار ، فاستعملوا مصطلح : مسيرة ساعة ، ومسيرة ليلة ، ومسيرة نهار ، ومسيرة قافلة ، وأمثال ذلك ، وقصدوا بذلك معدل ما يقطعه الإنسان والقافلة في المدد

---

(١) انظر السيف ، الحياة الاقتصادية ، ص ١٥٠ ، هنتس ، ص٩٣ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٢٠ – ٦٢٦ .

(٢) المراجع نفسها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) المراجع نفسها .

(٥) الهمداني ، صفة ، ص ٣٣٨ – ٣٤٠ ابن جريس " دراسات " ، ص ١٤٨ – ١٥١ ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص٦٢٠ وما بعدها .

المذكورة [١] . كما استعمل سكان الجزيرة العربية ، بما فيهم النجرانيون البريد في تقدير الأبعاد والمسافات ، والبريد فرسخان ، كل فرسخ ثلاثة أميال ، والميل أربعة الآف ذراع ، أو أربعة فراسخ ، وهو اثنا عشر ميلاً ، وفي الحديث : لا تقصر الصلاة في أقل من أربعة برد [٢] ، وهو ستة عشر فرسخاً ، وفي كتب الفقه : السفر الذي يجوز فيه القصر أربعة برد ، وهي ثمانية وأربعون ميلاً بالأميال الهاشمية في طريق مكة المكرمة [٣] .

وقد قاس سكان الجزيرة العربية قبل وأثناء ظهور الإسلام المساحات ، مثل مساحات البيع أو العقار كالأراضي بالذراع ، إن كانت غير كبيرة ، أما إذا كانت كبيرة فقد قيست بمقدار متوسط ما يحرثه (الفدان) في اليوم [٤] . وذكر علماء اللغة أن (الفدان) الثوران اللذان يقرنان فيحرث عليهما ، وأن الفدان المزرعة ، والآلة ، ومقدار محدود من الأرض اصطلح الناس على تحديد مقداره [٥] .

وتقاس الأرض بالجريب أيضاً [٦] ، قال علماء اللغة : الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة ، وهو عشرة أقفزة ، كل قفيز منها عشرة أَعشِراء ، فالعشير جزء من مائة جز من الجريب ، وقيل الجريب المزرعة وقدر ما يزرع فيها من الأرض ، وقد استعمل للطعام ولتقدير غلة الأرض ، أي وحدة قياس للأراضين ، ومكيلة في آن واحد [٧] ، وقال بعض العلماء أنه يختلف باختلاف البلدان [٨] .

---

(١) وهذه الطريقة وجدت منذ العهد الجاهلي واستمرت بشكل واسع إلى أواخر القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) . للمزيد انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٢٤ ، مشاهدات الباحث وجولاته في جنوب البلاد السعودية خلال العقود الثلاثة الماضية .

(٢) للمزيد انظر ، ابن منظور ، ص جـ ١ ، ص ٣٦٧ – ٣٦٨ ، فعل (برد) .

(٣) انظر ابن منظور ، جـ ١٣ ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ ، فعل (ميل) .

(٤) للمزيد انظر ، ابن منظور ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٤ ، فعل (فدن) .

(٥) للمزيد من تعليقات بعض علماء اللغة على كلمة (فدان) انظر ابن منظور ، جـ ١٠ ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ، فعل (فدن) ، كما انظر جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٢٥ .

(٦) انظر ، ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ، فعل (جرب) .

(٧) المصدر نفسه ، وللمزيد انظر ، السامر " ملاحظات " ، ص ٧١١ .

(٨) انظر ابن منظور ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ، ابن سيدة ، جـ ١٢ ، ص ٢٦٤ ، وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٧ ، ص ٦٢٦ .

٦ - معوقات التجارة :

رغم هذا النشاط التجاري الذي عرفته بلاد نجران في العهود الإسلامية الأولى ، إلا انه نشاط قد تأثر سلباً ببعض المعوقات ، والملاحظ أن هذه المعوقات لم تلق بظلالها على التجارة فقط ، بل أيضاً على جوانب أخرى من الأنشطة البشرية في هذه البلاد المعنية بالدراسة ، وغيرها من أجزاء جنوب الجزيرة العربية ، ولعل أهم هذه المعوقات هي :

أ - صعوبة تضاريس بلاد نجران ، ليس مع أجزائها الجغرافية فحسب ، بل أيضاً مع ما جاورها من البلدان ، ومن ينظر إلى طبيعة نجران اليوم ، وما يوجد بها من الجبال والوهاد ، والأودية والتضاريس المتنوعة ، فإنه يدرك أن التجار والمسافرين قديماً كانوا يعانون الأمرين ، لعدم وجود طرق سهلة الأرتياد ، بالإضافة إلى اعتمادهم بالدرجة الأولى على الحيوانات التي تنقل بضائعهم وتجارتهم مثل : الجمال ، والحمير ، والبغال ، وغيرها ، وكثيراً ما كانت تلك الحيوانات تتعرض لمخاطر الطرق الوعرة علاوة على الأمراض والأوبئة المتنوعة فتموت (١) .

ب - قيام كثير من الفتن والاضطرابات الداخلية في بلاد نجران ومن أهمها : حروب الردة التي قادها الأسود العنسي في أواخر عصر الرسالة ،

---

(١) مشاهدات الباحث وجولاته في اجزاء عديدة من بلاد نجران ، والسروات ، والحجاز ، خلال السنوات الثلاث الماضية ، انظر أيضاً . ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٩٢ ، ٤٢١ .

وبداية عصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم [١] ، وأثناء الفتنة الكبرى التي على أثرها قتل أمير المؤمنين الخليفة عثمان بن عفان ، ثم قيام الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وما حصل بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، عندما أرسل الأخير أحد قادته ، وهو بسر بن أبي أرطاة ، إلى نجران وبلاد اليمن فنكل بعدد كثير من الناس هناك [٢] ، وكذلك ثورات أخرى عديدة حصلت في عهد خلفاء بني أمية وبني العباس ، وكان موطنها الرئيس بلاد نجران واليمن والسروات وما جاورها ، مثل : ثورة أبي حمزة الخارجي في عهد الخليفة الأموي مروان بن محمد [٣] ، وعدد من الثورات العلوية خلال العصر العباسي الأول ، والتي امتد شرها من الحجاز حتى نجران وصنعاء وما حولها [٤] ، بالإضافة إلى قيام عدد من الدويلات المستقلة في بلاد اليمن والمناوئة للخلافة العباسية في بغداد ، والمعادية لبعضها البعض . مثل : الدولة الزيادية ، والدولة اليعفرية ، ودولة القرامطة الإسماعيلية ، والدولة الزيدية في صعدة ، والتي مدت نفوذها إلى نجران [٥] .

---

(١) للمزيد انظر البلاذري ، فتوح ، ص ١١٣ ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ٢٢٩ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٣١١ – ٣١٢ ، الشجاع ، ص ٣٠ – ٣١ ، ٩٧ – ٩٨ ، ١١٩ – ١٢٧ ، الحداد ، ص ١٤٧ .

(٢) للمزيد انظر ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٩٧ وما بعدها ، ابن اعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٤ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ١٩٢ – ١٩٤ ، النويري ، نهاية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٩ وما بعدها .

(٣) الطبري ، جـ ٧ ، ص ٣٧٤ – ٣٧٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٤ ، ص ٢٩٧ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(٤) للمزيد انظر الطبري ، جـ ٨ ، ص ٥٢٨ – ٥٣٦ ، ٥٩٣ ، اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٨ – ٤٤٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ٥ ، ص١٧٧ ، المقدسي ، البدء ، جـ٦ ، ص١٠٩ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص٩٩.

(٥) انظر الجرافي ، ص ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٦٥ ، الواسعي ، ص١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٧٩ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٤٥ .

كل هذه الحروب والثورات والدويلات المستقلة قد أفرزت كثيراً من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي ألقت بظلالها وتأثيراتها السلبية على سكان جنوب الجزيرة العربية ، وقد اكتوى النجرانيون بنارها ، فلم يسلموا من مواجهة العديد من قادتها وجيوشها ، فنكلوا بهم، وسلبوا أموالهم ، وأحرقوا مزارعهم ، وخربوا أسواقهم [١].

ج - التركيبة السكانية لبلاد نجران ، وقوامها القبائل ، ونشوب الصراعات بينها في مناطق عديدة من نجران وما جاورها من البلدان ، وقد ساعد بُعد مواطن هذه القبائل عن المركز السياسي للخلافة الإسلامية ، على اندلاع العديد من الحروب القبلية بينهم لأسباب متعددة منها الخلافات على حدود الأراضي ، والأسواق ، والطرق ، والأودية ، والتراع على ملكية الأراضي ، والتعدي على حقوق الجيران ، وانتشار ظاهرة الأخذ بالثأر ، وأسباب أخرى عديدة ، مما أدى إلى انشغال أفراد هذه القبائل عن نشاطاتهم الحياتية المتنوعة ، ومنها العمل التجاري ، كما تخوف تجار المناطق البعيدة من الحضور إلى ديار المنازعات خوفاً على حياتهم وعلى تجاراتهم بسبب غياب الأمن في هذه المناطق في كثير من الأحيان . وتؤكد بعض الروايات ، التي ترجع إلى القرنين الهجريين الماضيين استمرار هذه التراعات ، وتذكر تفاصيل مثل هذه الاشتباكات التي كانت تقلق مضاجع الناس ، وتشل حركتهم في شتى المجالات [٢] .

---

(١) للمزيد انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب ، كما انظر المصادر السابقة التي ذكرت في هذا العنصر " معوقات التجارة " .

(٢) مقابلة الباحث للعديد من المسنين في البلاد الممتدة من صعدة حتى الطائف خلال السنوات الثلاث الماضية ، بالإضافة إلى حصوله على العديد من الوثائق المحلية التي تصور هذه الحياة وما كان يسودها من اضطرابات وفوضى .

د - تهديد قطاع الطرق واللصوص لطرق التجارة والحج ، وتهدد أمن طرق التجار والحجاج من بلادهم في اليمن ، ونجران ، وتهامة والسراة إلى بلاد الحجاز ، وقد أمدتنا المصادر التاريخية بمعلومات غزيرة عن جرائم قطاع الطرق ، والاعتداءات التي كانوا يقومون بها على الحجاج والتجار فيقتلونهم ويأخذون أموالهم ، وغالباً ما كان أفراد من بعض القبائل والعشائر الواقعة على الطريق هم الذين يقومون بهذه الأعمال . وفقدان الأمن في البلاد ، ثم الجوع والحاجة كانا من الأسباب الرئيسة التي دفعت هذه القبائل إلى الاعتداء على قوافل الحجاج والتجار ونهب أموالهم . ويذكر ابن المجاور ، خلال القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وضع السكان في إحدى أجزاء جنوب الجزيرة العربية ، وقطعهم طريق الحج والتجار ، مما ينهض دليلاً على استمرار هذه القرصنة البرية طوال العصور الإسلامية الوسيطة ، فيقول : ((... **لم يكن في جميع العالم أضل من هؤلاء القوم ، ولا أسرف ، ولا أجرم ، ولا أخسر منهم في أخذ مال الحاج ، لأنهم يسمون الحاج جفنة الله ، فإذا قيل لهم ذلك يقولون : إذا حضر جفنة الله لخلقه أكل منها الصادر والوارد ، وإذا قلت لأحدهم : قطع الله رزقك من الحرام ، يقول : لا بل قطع الله رزقك من الحلال ، ما ترى عندنا من الخير سوى هذه الجبال السود لا لنا زرع ولا ضرع ، ولا أخذ ولا عطاء، وجميع ما تعملونه أنتم مع حاج آخر جاء مقابل الكعبة من الفضائح**

والغنائم فسلطنا الله عليكم حتى نستقضي للحاج منكم الحق وثلث الباطل)) [(١)] .

هـ - معاناة التجار والحجاج اليمنيين والنجرانيين من الجوع والعطش أثناء رحلاتهم ذهاباً وإياباً ما بين بلادهم وبلاد اليمامة والحجاز وغيرها ، مما يؤدي إلى موت كثير منهم . هذا ما حفظته لنا بعض المصادر المتأخرة عن فترة دراستنا فتذكر أنه في عام (٧٨٢ هـ / ١٣٨٢ م) قد أصاب حجاج اليمن عطش شديد هلك على أثره حوالي ألف نسمة [(٢)]. وفي عام (٨٠٠ هـ / ١٣٩٧ م) يذكر ابن حجر أنه أصاب الحجاج في طريقهم إلى مكة المكرمة ، في ذلك الموسم ، عطش أودى بحياة كثير منهم [(٣)] ، وهذه الروايات وإن كانت متأخرة عن فترة دراستنا إلا أنها تعطينا مؤشرات على وجود مثل هذه الأمثلة خلال العصور الإسلامية البكرة والوسيطة ، بل إنها كانت موجودة حتى القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) [(٤)] .

و - كذلك كان الجفاف والجدب والغلاء ، والجوع من الأسباب الرئيسة التي عانى منها سكان نجران ، بل معظم سكان الجزيرة العربية منذ

---

(١) انظر ابن المجاور ، جـ ١ ، ص ٥٢ - ٥٣ . وقد كانت طريقة السلب والنهب وقطع طريق التجار والحجاج إلى وقت قريب في القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، ولكن بعد ظهور الدولة السعودية الحالية ، استطاع الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل أن يوطد الأمن في جميع أجزاء البلاد ، وأن يقضي على ظاهرة السلب والنهب التي كانت سائدة عند القبائل خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(٢) انظر ، الفاسي ، العقد الثمين ، جـ ٤ ، ص ٨٦ .

(٣) ابن حجر ، انباء الغمر ، جـ ٤ ، ص ١٧٧ .

(٤) امتلاك الباحث العديد من الوثائق التي تؤكد على معانات التجار و الحجاج في الجزيرة العربية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) .

العهد الجاهلي حتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) ، ومع أننا لا نجد روايات دقيقة توضح تأثير هذه العوامل على أهل نجران خلال فترة دراستنا ، ولكننا نجد معلومات متأخرة تذكر تأثير هـــذه الجوانب على بعض أجزاء الحجاز ، واليمن ، وتهامة والسراة ، ونجران، فهذا هو عبد الله الضمدي يشير إلى بعض تلك السلبيات في الأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية ، فيقول : ((**حصل فيها غلاء عظيم عن السهل والجبل ... كان ابتداؤه في سنة (٩٧٢ هــ / ١٥٦٤ م) وامتد إلى سنة (٩٧٨ هــ / ١٥٧٠ م) حتى كادت عقود شعائر الإسلام أن تتخرم وأجلت الناس عن أوطانها ... وخرجت المخدرات من بنات الناس سائرات في الأسواق ، ويقلون الدم ويأكلونه ، وانقطعت السبل والقوافل ... وتعطلت من الأيادي المأكولات والنفائس والأموال ...**))[١] . ويذكر أيضاً في عام (٩٧٩ هــ / ١٥٧١ م) أنه ((**وقع القحط والغلاء في أرض الحجاز ، وانقطعت المأكولات في الأسواق وهلكت الدواب**))[٢]. وفي عام (١٠٦٣ هــ/ ١٦٥٢ م) ((**اشتد الغلاء علـــى الناس فـــي الحبوب والسمن والألبان ، والعسل**))[٣] ، وفـــي سنة

---

(١) الضمدي ، العقيق ، جــ ٢ ، ص ٢٤٢ . وظواهر الغلاء ، والقحط ، والجوع كانت منتشرة وســائدة على معظم سكان الجزيرة العربية ، وهذا ما سمعناه من بعض الرواة الأوائل الذين عاشوا خــلال القــرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) .

(٢) المصدر نفسه ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٩٢ .

(٣) الضمدي ، جــ ٤ ، ص ٤٠٨ ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٩٢ .

(١٠٧٩ هـ / ١٦٦٨ م) ((تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجدب والقحط في صبيا والتهائم ونواحيها ... وكذلك أهل الحجاز الأعلى هربوا من بلادهم وتركوها ، وغالب أهل القرى والبادية جاؤوا إلى مكة هاربين وإلى رب البيت ملتجئين وخاضعين ، وهم يصيحون الجوع الجوع ، ويتضرعون وفي الطريق يتصرعون)) ، ويذكر أنه في صفر عام (١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م) ((ابتدأ ترافع الأسعار وشمل ذلك أكثر النواحي والأقطار ... وكان ينقل الطعام من أرض اليمن كزبيد ونواحيها ، ولم يزل الترافع في ازدياد حتى بلغ حمل الجمل أربعين قرشاً ... ومات عالم كثير بالجوع والمرض وهلكت الأنعام))[١] .

(١) العصامي ، جـ ٤ ، ص ٥٠٢ ، وللمزيد انظر ، ابن جريس ، دراسات ، ص ٣٩٢ .



الفصل السادس

ملامح الحياة العلمية والفكرية في نجران

أولاً : تمهيد :

من يستقرئ تاريخ نجران القديم بشكل خاص ، وبلاد اليمن بشكل عام ، فإنه سوف يجد تاريخاً حافلاً بحضارات عريقة تعاقبت على هذه الأجزاء من الجزيرة العربية ، بل سيجد أن مرحلة الاستيطان في هذه البلاد يعود إلى الآف السنين قبل ظهور الإسلام ، وهكذا استمرت تتقلب على حكمها عدد من الحكومات والممالك المتتالية والمختلفة في سياساتها ومقوماتها . وإذا كانت المعتقدات الوثنية قد عرفت سبيلها إلى نجران ، فإن النجرانيين قد عرفوا أيضاً معتقدات أخرى منها ما هو سماوي وآخر وضعي ، كاليهودية ، والنصرانية ، والحنفية ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وكذلك عبادات الفرس ، كالصابئة ، والمجوسية ، والزرادشتية وغيرها .

كل هذه التقلبات السياسية والعقدية كان لها من المؤكد إفرازات حضارية وفكرية وثقافية متنوعة ، وبالتالي فإن بلاد نجران وما جاورها من بلدان اليمن ، لم تكن بلاداً خاليةً من الحضارات السابقة ، وإن كانت في حقيقة الأمر تدهورت الأوضاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية خلال العصور السابقة لظهور الإسلام مباشرة، ولكن جذور حضارات جنوب الجزيرة العربية ظلت تجري في عروق سكانها ، وتؤثر في نفوسهم ، وكانت في حاجة إلى من يبعثها من جديد ويعيد إليها الحياة ويغذيها ، فجاء الإسلام ، وأقبل النجرانيون ومن جاورهم من أهل اليمن ، وبلاد تهامة والسراة على اعتناقه . وقد أحيا فيهم الإسلام طاقاتهم الكامنة ، وبفضله عادت إلى سكان هذه البلاد أصالتهم الفكرية التي جمدها الاستعمار

الذي تعرضوا له [١] ، وكذلك صراع القبائل الذي شغلهم عن توجيه جهودهم للسير قدماً في ركب الحضارة . ولذلك أقبل النجرانيون ومعظم سكان الجزيرة العربية على دراسة العلوم الدينية واللغوية بشغف شديد ، وساهموا مساهمة فعالة في ازدهار علوم الإسلام [٢] .

وفي الصفحات التالية من هذا الفصل سوف نركز حديثنا على ملامح الحياة العلمية والفكرية في بلاد نجران ، وما جاورها من البلدان التي لم تنل حظاً من الدراسة والتحليل ، وأخص بذلك أجزاء من بلاد السروات والهضاب القريبة من بلاد نجران من النواحي الغربية والشمالية [٣] ، وربما نشير إلى بلاد صعدة في

---

(١) لقد وقعت بلاد جنوب الجزيرة العربية تحت عدد من القوى الاستعمارية ، خلال العصور السابقة لظهور الإسلام ومن تلك القوى ، الفرس ، والروم ، والأحباش ، وجميعهم عاثوا في هذه البلاد الفساد ، وزادوا من حدة التمزق والتخلف والتدهور الذي خيم على جميع الأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية ، ثم جاء الإسلام ، فأنقذ هذه البلاد مما حل بها . للمزيد انظر جواد علي ، جـ ٣ ، ص ٤٥٣ وما بعدها ، جـ ٧ ، ص ١٥٨ وما بعدها ، الألوسي ، جـ ١ ، ص ٢٥١ ، عابدين ، ص ٤٨ ، عامر ، ص ٧ – ٨ ، الفقي ، ص ٢٦ ، الشجاع ، ص ٢٣ وما بعدها .

(٢) لو حاولنا معرفة الجهود التي بذلها سكان الجزيرة العربية ، خلال القرون الإسلامية الأولى في خدمة الحياة العلمية والفكرية داخل بلادهم ، بل وفي معظم أنحاء العالم الإسلامي انذاك ، فإننا سوف نجد المصادر الإسلامية المبكرة افاضت الحديث عن علماء الجزيرة العربية ، وبخاصة علماء الحجاز واليمن ، وبعض الحواضر الكبرى في جزيرة العرب ، كما سنجد منهم من برز في علوم عديدة ، ومنهم من برز في علم معين . وإن أمعنا النظر في أوضاع الحياة العلمية والفكرية في بعض الأجزاء النائية أو الصغيرة في الجزيرة العربية مثل نجران ، وتهامة والسراة ، واليمامة على سبيل المثال ، فإننا سوف نجد آثار للحياة العلمية ، لكنها ليست بالمستوى الذي لمسناه في حواضر اليمن والحجاز الكبرى ، وذلك ربما يعود إلى عدم اهتمام مدوني التراث بتدوين ما حدث في هذه البلدان الصغيرة ، مع العلم أننا نجزم بأن أوضاعها العلمية كانت جيدة ، وبخاصة نجران ، وتهامة والسراة ، التي كانت تمثل حلقة وصل ما بين اليمن والحجاز ، بل ما بين الشمال والجنوب من جزيرة العرب . وللمزيد انظر ، الفقي ، ٢٧٢ وما بعدها ، السباعي ، ص ١١٥ ، ١٥٣ ، ٢١٧ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٤ وما بعدها .

(٣) لن نذهب بعيداً للحديث عن بلاد السروات الممتدة من نجران وصعدة جنوباً حتى الطائف شمالاً ، لأننا سبق وأن افردنا دراسة لهذه الأجزاء مع الأجزاء التهامية في بحث بعنوان : " ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة " وتم نشره في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، حصاد (٩) (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ، ص ١٩٥ – ٢٥٦ ، كما أعدنا نشره في كتابنا : " دراسات في تاريخ تهامة والسراة ... " جـ ١ ، ص ٢٤٩ – ٣٣٤ .

النواحي الجنوبية من نجران [١] . ومنهجنا في دراسة هذا الفصل سوف تتركز على أسماء العلوم والعلماء الذين حفظتهم لنا كتب التراث ، مع ذكر نماذج من تلك العلوم وأصحابها ، وقد قسمنا هذه العلوم إلى عدة أقسام هي : العلوم الدينية ، والعلوم اللغوية والأدبية ، وعلوم ومعارف أخرى متنوعة سوف نذكرها في مواقعها من هذا الفصل .

ثانيًا : العلوم الدينية :

وهذه العلوم تدور في فلك علوم الشريعة الإسلامية مثل : علوم القرآن وتفسيره ، وعلوم الحديث ، والفقه ، وما يتعلق بالعقيدة الإسلامية ، وكان لها أثر في بلاد نجران وما جاورها من البلدان خلال فترة دراستنا .

١- علوم القرآن وتفسيره :

ونحن ندرك أن الرسول ﷺ حرص على نشر الإسلام في جميع أصقاع الجزيرة العربية ، ولم تأت السنة العاشرة من الهجرة ، إلا ونجده يرسل خالد ابن الوليد ﷺ إلى أهل نجران ، فيسلم من يسلم منهم على يد خالد ، ويتوافدون على المدينة لإشهار إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم يتعلمون

---

(١) قلنا – ربما – وهذا يفيد اننا قد نشير إلى صعدة وعلاقتها بنجران ، وبخاصة بعد أن ظهرت فيها الدولة الزيدية وسعى أئمتها إلى مد نفوذهم إلى بلاد نجران منذ نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) . للمزيد عن الدولة الزيدية ، انظر ، شرف الدين ، اليمن ، ص ٢٤٥ وما بعدها ، الواسعي ، ص ١٧٩ وما بعدها ، البلادي ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

على يديه علوم الشريعة [١] . كذلك وفد على الرسول ﷺ في العام نفسه وفد نصارى نجران ، وحصل بينهم وبين الرسول ﷺ ما حدث من نقاشات أدت في نهاية المطاف إلى بقائهم على نصرانيتهم وصالحهم الرسول ﷺ على ألفي حلة يؤدونها إليه وإلى خلفاء المسلمين من بعده كل عام [٢] . وعلى إثر هاتين الوفادتين نجد بلاد نجران تنضوي تحت لواء الدولة الإسلامية ، وبالتالي أصبحت من المواطن المرتادة من قبل صحابة رسول الله ﷺ ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد أرسل إليها ، بل وإلى عموم بلاد تهامة والسراة ، وبلاد اليمن عدد كبير من الصحابة ﷺ ليقوموا على أمر هذه الجهات ويتولون إدارتها وجمع زكواتها وصدقاتها . ومنهم : علي بن أبي طالب ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وعمرو بن حزم ، وخالد بن الوليد ، وأبو سفيان بن حرب ، وعبد الله بن جرير البجلي ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وفروة بن مسيك المراد ي ، وأبو موسى الأشعري ، وقيس بن مكشوح المرادي ، والمهاجر بن أبي أمية ، ويعلى بن أمية ، وعمرو بن معد كرب الزبيدي ، ويزيد بن عبد المدان وغيرهم

---

(١) ابن خياط ، ص ٩٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ ، ونجد الهدف الرئيسي من إرسال خالد هو تعليم أهل نجران كتاب الله وسنة رسوله ، ظهر ذلك في نص رسالة الرسول ﷺ ، وذلك يتضح من كلام خالد بن الوليد عندما كتب إلى الرسول ﷺ فقال : ((أما بعدُ يا رسول الله : فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أُقاتلهم ثلاثة أيام ، وأدعوهم إلى الإسلام ، فإن اسلموا قَبلتُ منهم ، وعلّمتُهم معالم الإسلام ، وكتابَ الله وسنةَ نبيّه ..)) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(٢) انظر أبو يوسف ، الخراج ، ص ٧٢ ، ابن سلام ، ص ٢٧٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٦ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٨ ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ .

كثير ﷺ [(١)] . وكان كل واحد من هؤلاء يأتي إلى نجران ومعه توجيه من رسول الله ﷺ بأداء مهمة محددة ، فقد يكون والياً على نجران كعمرو بن حزم [(٢)] ، وقد يكون مصلحاً ومعلماً وموجهاً لسكان نجران ، مسلمهم أو ذميهم ، كما فعل أبو عبيدة عامر بن الجراح عند ما أرسله الرسول ﷺ مع نصارى نجران ليكون حكماً بينهم فيما يختلفون فيه [(٣)] ، أو مثل معاذ بن جبل الذي أرسله معلماً وقاضياً ، ومرشداً لأهل اليمن ، فكان يتنقل بين قرى ومدن اليمن يعلم الناس ويرشدهم [(٤)] ، وهناك من أرسل لجباية خراج وجزية أهل نجران ، وأجزاء أخرى من بلاد اليمن ، كما فعل علي بن أبي طالب الذي قام بهذه المهمة أكثر من مرة [(٥)] ، وهناك من أرسل إلى نجران ليؤم الناس في صلواتهم كما كان أبو سفيان بن حرب [(٦)] ، أو القضاء بين المسلمين فيما اختصموا فيه كما كان علي بن أبي طالب ، وراشد بن عبد ربه [(٧)] . وهؤلاء الصحابة ﷺ ، وغيرهم من التابعين وتابعي التابعين ، الذين توافدوا على نجران وغيرها من بلاد اليمن وأنحاء شبه الجزيرة العربية المختلفة ، كان معظمهم إن لم يكن كلهم علماء أفذاذاً في علوم الشريعة وعلى رأسها القرآن الكريم ،

---

(١) انظر الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ ، البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ، ابن سعد، جـ ٢ ، ص١٦٩ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص٣١٢ ، وكيع ، جـ ١ ، ص ٩٧ .

(٢) انظر البلاذري ، فتوح ، ص ٨٠ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٢٢٨ ، ابن سمرة ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ٤٨١

(٣) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ .

(٤) البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٢٩ ، وكيع ، جـ ١ ، ص ٩٧ – ٩٨ .

(٥) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٧٦ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص١٤٧ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ٢ ، ص٤٨٢ .

(٦) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(٧) المصدر نفسه ، كما انظر ، وكيع ، جـ ١ ، ص ٩١ – ٩٥ ، أبو يوسف ، ص ١١٧ وما بعدها ، الماوردي ، أدب القاضي ، جـ ١ ، ص ١٣١ .

الذي حفظه كثير منهم ، وعرف معانيه وتفسيره على يدي رسول الله ﷺ . فهذا علي بن أبي طالب ، وعمرو بن حزم ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسعيد بن العاص ، وخالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة ، جميعهم خريجو مدرسة رسول الله ﷺ ، وقد قدموا إلى نجران وما جاورها من بلدان جنوب الجزيرة العربية لأجل تعليم وتفقيه الناس أمور دينهم ، وترسيخ قدم الإسلام في تلك البلاد ، ومحاربة الشرك وأعوانه [١] .

وهؤلاء الصحابة هم الذين نقلوا القرآن وعلومه من رسول الله ﷺ إلى أهل نجران وعموم بلاد اليمن ، ثم تداول هذا العلم التابعون من بعدهم ، ونقلوا عنهم ، ولم يزل متناقلاً ، حتى صارت المعارف علوماً ، فدونت هذه الأقوال ، وهذا ما يسمى بالتفسير المأثور ، وكان المفسرون إذا احتاجوا شيئاً عن بدء الخليقة والكون وأسرار الوجود يسألون أهل الكتاب ، ويأخذون برواياتهم ، فامتلأت التفاسير بالأخبار التي نقلت عنهم [٢] . وقد أخطأ المفسرون الذين نقلوا هذه الأخبار من كتبهم دون مناقشة ، على الرغم من أن الكثيراً منها غير صحيح ، وكان رائد هذا النوع من التفسير يمنياً تابعياً ، يسمى كعب الأحبار ، وقد ترك ديانته اليهودية واعتنق الإسلام في عهد الخليفة أبي بكر الصديق [٣] . كما كتب وهب بن منبه اليمني أيضاً في التفسير على نمط كعب الأحبار ، وقد قرأ الكثيراً من الكتب السماوية ، وامتلأت كتبه بالإسرائيليات ، ونقل المفسرون المتأخرون عن كعب الأحبار ، ووهب بن منبه الكثير من معلوماتهم عن الأمم الغابرة والأنبياء

---

(١) للمزيد انظر ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٤ وما بعدها ، الشماخي ، ص ٧٨ - ٧٩ .
(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ٤٣٩ - ٤٤٠ .
(٣) للمزيد عن كعب الأحبار ، انظر السوحمي ، جـ ١ ، ص ٥٠ - ٥٤ ، ٤٣٨ - ٤٤٠ .

السابقين للرسول ﷺ ، ومن كتب وهب بن منبه ((**الزهر الأنيق في قصة يوسف الصديق**)) . [١]

وظل المفسرون في جنوب الجزيرة العربية يتبعون منهج وهب بن منبه ، وكعب الأحبار في التفسير حتى ظهرت مدرسة الحديث في اليمن على يد معمر بن راشد الأزدي [٢] ، (ت ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م) ، فكتب تفسيراً يعتمد على الرواية الصحيحة عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، وتبعه تلاميذه ، ومن أبرز المفسرين أيضاً ، نشوان الحميري ، ومن كتبه في التفسير ((**التبيان في تفسير القران**)) و ((**العدل والميزان في موافقة القرآن**)) [٣] .

وهناك بعض علماء الزيدية الذين ظهروا في صعدة وسعوا لنشر علومهم إلى نجران أمثال : عبد الله بن الحسين بن قاسم بن إبراهيم المعروف بصاحب الزعفرانة ، وقد جاء من الحجاز إلى صعدة مع أخيه الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، ومن كتبه : كتاب الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم ، وكتاب تفسير القرآن الكريم ، وكتاب مطلع البدور ، وكتاب طبقات الزيدية الكبرى [٤] .

وكذلك من علماء أهل السنة خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) موسى بن طارق اللحجي ، الذي كان عالماً بعلوم القرآن ، له

---

(١) انظر الفقي ، ص ٢٧٤ ، وللمزيد عن حياة وهب بن منبه انظر ابن سمرة ، ص ٥٧ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢٧ – ٢٨ ، السوحي ، جـ ١ ، ص ٥٠ – ٥٤ ، ٤٤٥ – ٤٤٩ .

(٢) يعتبر معمر بن راشد الأزدي من أهل الطبقة الثانية في رواية الحديث ، ولكن يعد أول من جمع الحديث في الإسلام ، مات في صنعاء عام (١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) وقيل عام (١٥٣ هـ / ٧٧٠ م) . ابن سمرة ، ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٧٤ ، انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣١ ، الفقي ، ص ٢٧٤ .

(٣) الفقي ، ص ٢٧٤ نقلاً عن كتاب المفيد لعمارة اليمني ، ص ٥٧٣ .

(٤) الفقي ، ص ٢٧٤ ، وللمزيد انظر ، الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص١٥ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ١٦٨ وما بعدها . ومع أن أئمة الزيدية وعلمائها عملوا جاهدين في السيطرة على نجران منذ نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وقد نجحوا لبعض الوقت ، إلا أنهم لم يستطيعوا ترسيخ مبادئ المذهب الزيدي في البلاد النجرانية .

كتاب ((الجامع المشهور)) وله دراسات قرآنية اقتبسها من الإمام مالك ، والإمام أبي حنيفة وابن جريج ، وسفيان الثوري ، وقد استفاد من أساتذته مثل : القارئ نافع بن أبي نعيم، أحد السبعة القراء ، وكان موسى يتنقل للتدريس في كثير من مدن اليمن ، وتهامة والسراة ، والحجاز ، وترك تلاميذ في كل هذه البلاد ، وله آثار طيبة فيها (١) .

٢ - **الحديث** :

كذلك وجه بعض رجالات جنوب الجزيرة عنايتهم إلى جانب التفسير بعلم الحديث النبوي وتدوينه ، ومن أقدم علماء الحديث ، وبخاصة في بلاد اليمن ، همام بن منبه ، المتوفى عام (١٣١ هـ / ٧٤٨ م) الذي روى الأحاديث عن أبي هريرة ، وصنف همام ((الصحيفة الصحيحة)) (٢) . كما أخذ عنه معمر بن راشد الأزدي ، ومعمر يعد من الرواد الأول في جمع الحديث وتدوينه ، ومن كتبه ((الجامع المشهور في السنن)) ، وهو من أقدم كتب الحديث (٣). ومن أصحاب علي بن أبي طالب ، ومن رجال الطبقة الأولى من التابعين حجر بن قيس المدري ، نسبة إلى مدرات بوادي الجند، وهو الذي قصده الشافعي للأخذ منه (٤) .

---

(١) انظر ابن سمرة ، ص ٦٩ ، ٧٠ . لم يذكر أن هذا العالم ذهب إلى نجران ، لكن يذكر أنه كان يتنقل للتدريس ما بين لحج ، وعدن ، ومكة ، وزبيد ، فلا يستبعد أنه وصل إلى نجران ، أو بعض طلبة العلم في نجران وما حولها تتلمذوا على يديه سوى في اليمن أو الحجاز .

(٢) ابن سمرة ، ص ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٦ .

(٣) يعتبر هذا الكتاب أقدم من كتاب " الموطأ " للإمام مالك بن أنس ، ولمعمر بن راشد كتاب آخر عن (المغازي) مروياً عن شيخه الزهري ، ابن سمرة ، ص ٦٦ .

(٤) ابن سمرة ، ص ٦٠ ، وللمزيد انظر الفقي ، ص ٢٧٥ .

ونجد أن حواضر اليمن الكبرى كصنعاء ، وعدن ، وصعدة ظهر فيها علماء أجلاء برزوا في علوم الدين ، كالفقه والحديث ، وارتحلوا إلى مراكز علمية عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، فتعلموا على أيدي علماء مشاهير وأئمة كبار ، أمثال : الأوزاعي ، وسفيان بن عيينة ، وسفيان الثوري ، والإمام مالك بن أنس ، والإمام أبو حنيفة النعمان ، والإمام الشافعي ، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم كثير ، ثم عاد بعضهم إلى بلاد اليمن ليعلم الناس ويفقههم في دينهم ، ومنهم من اشتهر بالتأليف والتدوين إلى جانب التدريس فكتبوا مؤلفات عديدة في العلوم الشرعية المختلفة ، بل إن بعضهم اشتهر حتى أصبح طلاب العلم يفدون إليهم من أقطار بعيدة كي ينهلوا من علومهم الغزيرة [(١)] .

وإذا ما حاولنا معرفة من ظهر من علماء الدين النجرانيين وبخاصة في علم الحديث ، فإننا لا نجد فيهم من اشتهر وظهر صيته في التدريس والتأليف ، ولكننا نجد منهم من روى الأحاديث ، وسوف نورد أسماء أولئك الرواة ، كل حسب عشيرته التي ينتمي إليها في قبائل مذحج والأزد ، وهم على النحو التالي :

أ – من أهم رواة بني الحارث بن كعب هاني بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان ابن الضباب ، واسمه سلمة بن الحارث بن ربيعة بن الحارث بن كعب الحارثي ، وقيل هاني بن يزيد بن كعب المذحجي الحارثي [(٢)] . ويذكر ابن الأثير أنه وفد مع قومه على رسول الله ﷺ ، فسمعهم يكنونه بأبي الحكم فدعاه الرسول ﷺ ثم قال

---

(١) للمزيد عن علماء بلاد اليمن ، وعن الحياة العلمية والفكرية هناك خلال القرون الإسلامية الأولى ، انظر . ابن سمرة ، ص ١٥ وما بعدها ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢٥ وما بعدها ، الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، (الثلاثة الأجزاء الأولى) ، انظر أيضاً ، أحمد أمين ، فجر الإسلام (طبعة بيروت / ١٩٦٩ م) ، ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) انظر ترجمته ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ٥٢ – ٥٣ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ ، جـ ٦ ، ص ٢٨٧ – ٢٧٩ .

له : ((**إن الله هو الحكم فلم تكنى أبا الحكم ؟ قال لأن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين ، فقال : رسول الله ﷺ ما أحسن هذا ، فمالك من الولد ؟ قال : شريح ، ومسلم ، وعبد الله ، قال : فمن أكبر ، قال : شريح ، قال : ﷺ فأنت أبو شريح**)) [١] .

ومن رواة بني الحارث بنجران عبده بن مسهر الذي يذكر عنه أنه أدرك النبي ﷺ ، وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد عن أبي زرعة بن عمر ، وابن جرير عن عبده بن مسهر أنه قال ، قال رسول الله ﷺ أين مترلك يا ابن مسهر قال : قلت بكعبة نجران ، رواه ابن أبي زائدة ومنصور بن أبي الأسود وغيرهما عن إسماعيل [٢] .

ب – ومن رواة قبيلتي مراد وزبيد المذحجيتين المجاورتين والمخالطتين لعشائر بني الحارث وغيرهما في نجران وما حولها فروة بن مسيك المرادي [٣] روى عنه كثير من الرواة الثقاة ، عن فروة قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله سبأ رجل هو أم امرأة ؟ فقال : هو رجل من العرب ، ولد عشرة ، تيامن منهم ستة [٤]، وتشأم منهم أربعة [٥] ، فأما الذين تيامنوا ، فالأزد ، وكندة ، ومذحج ، والأشعرون [٦] ، وأنمار ، ومنهم بجيلة . وأما الذين تشأموا ، فعاملة (بطن من كهلان) ، وغسان ، ولخم ، وجذام ، وهم الذين أرسل عليهم سيل العرم [٧] .

---

(١) المصدران نفسهما .

(٢) ابن الأثير ، اسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٣٣٧ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج٢ ، جـ ٤ ، ص ١٩٥ .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن ترجمة فروة المرادي انظر ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٠٩ ، ٢٢١ .

(٤) أي ذهبوا إلى اليمن واستقروا بها .

(٥) أي قصدوا بلاد الشام واستقروا بها .

(٦) الأشعرون : هم بني الأشعر بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، انظر عمر كحالة . معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، د.ت) ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(٧) انظر الميداني ، كتاب مجمع الأمثال (طبعة بيروت / ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ، ص ٧٦ وللمزيد انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد (جزءان) ، الأشعري القرطبي ، التعريف في الأنساب ، ص ١٤٤ وما بعدها .

وأيضاً نافع بن عمرو بن معد كرب الزبيدي الذي روى حديثه محمد بن إسحاق ابن إبراهيم بن أبي نافع بن معد كرب عن جده أبي عن أبيه نافع بن معد بن كرب أنه قال : ((**كنت أنا وعائشة ، إذ سألت رسول الله ﷺ عن لاية ، يعني ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ قال : يار ب مسألة عائشة ، فأنزل الله جبريل عليه السلام فقال الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ، وهو يقول: هذا عبدي الصالح بالنية الصادقـــة، وقلبه نقي يقول: يارب، فاقول: لبيك فأقضي حاجته**))[١] .

جـــ – ومن قبيلة الأزد أو بلاد جرش (منطقة عسير الحالية) المجاورة لبلاد نجران من الناحيتين الشمالية والغربية ، عدد من رواة الحديث نذكر منهم زهير بن أبي جبل الأزدي[٢] ، الذي روى عنه أنه قال : ((**قال رسول الله ﷺ من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له ، ومن بات على ظهر بيت ليس عليه اجار**[٣] **، فمات فلا ذمة له**))[٤] . وكذلك ربيعة بن الغاز الجرشي ، وقيل ربيعة بن عمرو ، والاسم الأول هو الأصح[٥]، روى عنه عدد من الرواة مثل : عطية بن قيس ، وعلي بن رباح ، وبشير بن كعب ، وابنه الغاز بن ربيعة، كما روى عنه الحارث بن يزيد الذي يقول أنه قال ، قال رسول الله ﷺ :((**استقيموا ونعما إن استقمتم ، وحافظوا على الوضوء وخير عملكم الصلاة**))[٦] . ومن رواة الجرشيين يزيد بن عبد الله بن الشخير العامري الجرشي ، ويكنى أبا العلا[٧]، الذي يذكر أنه روى عن الرسول ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ : ((**إن الله تعالى يبتلي العبد فيما أعطاه ، فإن رضي بما قسم له بارك له فيه ، وإن لم يرض بما أعطاه لم يبارك له ، ولم يسعه**))[٨] .

---

(١) ابن الأثير ، اسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ١١.

(٢) لمزيد عن ترجمة زهير بن أبي جبل ، وقيل اسمه زهير بن عبد الله ، وقيل محمد بن زهير بن أبي جبل ، انظر ابن الأثير ، اســد الغابة ، جـــ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٣) اجار : أي ليس حوله شيء يحميه من السقوط ، ويقصد بذلك حاجز مثل : الحائط أو السور وما شابهه .

(٤) انظر ابن الأثير ، المصدر السابق ، جـــ ٢ ، ص ٢٠٧ .

(٥) انظر ترجمته ، ابن الأثير ، اسد الغابة ، جـــ ٢ ، ص ١٧٠ – ١٧١ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه ، جـــ ٥ ، ص ١١٦ .

(٨) المصدر نفسه .

هذه نماذج من بعض رواة الأحاديث الذين ينتسبون إلى بلاد نجران وما حولها من عشائر مراد وزبيد المذحجية ، أو من بعض بلاد جرش (منطقة عسير الحالية) المجاورة لأرض نجران من الناحية الشمالية والغربية ويتضح من هذه النماذج عدة أمور نذكر منها :

١ -أن هؤلاء الرواة ليسوا إلا نماذج قليلة جداً من الذين رووا الأحاديث وينتسبون إلى بلاد نجران وما جاورها من البلدان ، مع العلم أن هناك علماء ومحدثين عاشوا ، وربما ولدوا في نجران ثم انتقلوا إلى مواطن عديدة في العالم الإسلامي ، منهم من كان على دين النصرانية ثم دخل الإسلام ، أو منهم من كان يدين بدين الإسلام منذ بداية حياته ، ومن أمثال النصارى الذين اعتنقوا الإسلام ، عبد الله بن عبيد الله بن نجران البصري ، وعبد الرحمن بن أبي نجران الكوفي ، وهما من نصارى نجران اللّذين استوطنا الكوفة منذ عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ ، وقد دخل هاذان العالمان الإسلام على مذهب الشيعة ، وصارا من علمائها في بلاد العراق [(١)] .

أما علماء المسلمين الذين ولدوا أو عاشوا في نجران لبعض الوقت فهم أيضاً كثر يأتي من بينهم أبو عبد الملك محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، الذي ولد في نجران عام (١٠ هـ / ٦٣١ م) ، وكان من المحدثين ، وقد روى عنه كثير من العلماء . وكذلك عبيد الله بن عباس بن الربيع النجراني ، الذي يعد أيضاً من رجال الحديث ، وقد روى عنه محمد ابن بكر بن خالد النيسابوري ، ومن أولئك العلماء أيضاً بشر بن رافع النجراني [(٢)] .

---

(١) انظر المسري ، ص ٧٩ نقلاً عن قايماز الذهبي ، المشتبه في الرجال اسمائهم وأنسابهم ، جـ ٢ ، ص ٦٣٢ .

(٢) للمزيد انظر المسري ، ص ٧٩ ، نقلاً عن الأكوع ، البلدان اليمانية ، ص ٢٧٦ .

٢ - أن هؤلاء العلماء من المحدثين وغيرهم والذين لهم صلة بالمنطقة موضوع الدراسة لم نعثر لهم على مدونات أو مصنفات تنسب إليهم ، ومن ثم لا يمكن إدراجهم ضمن العلماء من أصحاب الكتب والتصانيف . وللأسف فإن المصادر لم تسعفنا بذكر أحد من علماء نجران يمكن إدراجه ضمن العلماء المصنفين ، ورغم ذلك فهذا لا يعني عدم وجود علماء في الفقه والحديث وغير ذلك من العلوم الشرعية بنجران خلال الفترة موضوع الدراسة ، فقد كان بها من يقوم بالتدريس والتعليم والإفتاء ، وإن كانت أخبارهم لم تصلنا لعدم اهتمام مدوني التراث بتدوينها والتعريف بأشخاصها لانشغالهم بتسجيل ما يدور في الحواضر الإسلامية الكبرى . ولكن مواكبة الأحداث السياسية التي مرت على نجران منذ دخولها الإسلام حتى عصر بني العباس ، ثم استقراء تراجم العلماء وأرباب السياسة والإدارة والقلم الذين قدموا أو خرجوا من نجران خلال تلك العهود إلى جانب وقوع هذه البلاد بين حواضر اليمن في الجنوب والحجاز في الشمال ، وما كان بين تلك الحواضر من علاقات وصلات حضارية متنوعة ، كل هذا يجعلنا واثقين أن بلاد نجران لم تكن في معزل حضاري وفكري وعلمي ، وما نوهنا إليه من أسماء بعض المحدثين ، وإن كان معظمهم عاشوا وقضوا حياتهم خارج نجران ، إلا دليل على أن هذه البلاد لا تخلو من الخصوبة العلمية والفكرية ، والتي اوجدت أو انتسب إليها ، حتى ولو بالنسب ، أمثال هؤلاء العلماء والمحدثين .

٣ - أن أمثال هؤلاء المحدثين الآنفي الذكر نستطيع احتسابهم على بلاد نجران وما جاورها ، وإن كان لم يعش كثير منهم طوال حياتهم في هذه البلاد ، إلا أنهم ينتمون إليها إما بالمولد أو النسب أو المواطنة ، وهذا يجعلنا نضعهم ضمن منظومة علماء هذه البلاد

٣ - الفقه والاتجاهات المذهبية في نجران وما حولها :

الفقه من العلوم الشرعية الهامة التي أخرجت لنا عدداً من المذاهب والاتجاهات العقدية . وعندما نقرأ التاريخ العلمي لجنوب الجزيرة العربية منذ عصر الرسالة إلى نهاية العصر الراشد نجد أن الرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين من بعده كانوا حريصين على سير الأمور السياسية والحضارية تحت مظلة الشريعة الإسلامية السمحة وكان جميع عمال وقضاة ومحتسبي الدولة الإسلامية الذين أرسلوا إلى نجران وما جاورها من بلدان اليمن ، وتهامة والسراة يؤدون أعمالهم على ما يرام دون أي عقبات تقف في وجوههم ، ولا حوادث تتعرض سبيلهم ، باستثناء فتنة الأسود العنسي التي ظهرت قبيل وفاة الرسول ﷺ ، ثم ما لبثت أن أخمدت ، كذلك بعض العشائر أو الأفراد الذين ارتدوا ، ولكن سرعان ما قضي عليهم أثناء خلافة الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ [١] .

ومع أن النشاطات الحزبية والعقدية التي ظهرت حول الخلافة أيام الخليفة عثمان بن عفان ، وبخاصة خارج شبه الجزيرة العربية ، وعلى وجه التحديد في مصر والعراق ، والتي أدت في نهاية المطاف إلى حصار الخليفة وقتله ، لكننا لم نجد ذكراً ولا نشاطاً ملموساً لمثل هذه الأعمال في نواحي جنوب الجزيرة العربية [٢] . وهناك بعض الروايات التاريخية التي تشير إلى أن كثيراً من أفراد الجيش الإسلامي في تلك الأمصار الإسلامية قد اشتركوا في معاداة الخليفة عثمان ثم قتله ، وإذا سلمنا بصحة هذه الأقوال مثلاً ، فإن ذلك لا يعني انعكاساً للإحساس الداخلي في جميع أنحاء جنوب الجزيرة العربية ، بل نستطيع القول بأنها كانت في منأى عن معترك تلك

---

(١) للمزيد انظر ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٨٥ وما بعدها ، البلاذري ، فتوح ، ص١١٣ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٦ وما بعدها ، المقدسي ، البدء ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ وما بعدها ، السهيلي ، الروض ، جـ ٧ ، ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، الكلاعي ، تاريخ الردة ، ص ٨ .

(٢) للمزيد انظر الطبري، جـ ٤، ص ٣٣٠ وما بعدها ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ – ٣٤٦ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٤٩ وما بعدها ، البري ، القبائل العربية في مصر ، ص ٧٥ وما بعدها ، الحديثي ، ص ١٤٥ – ٢٠٢ .

الآراء والفتن التي ابتدأ شرها من مصر والعراق حتى عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ببلاد الحجاز [١] .

وعندما جاء عهد الخليفة علي بن ابي طالب ، وحدث التزاع بينه وبين معاوية ، نجد أن أهل نجران ، واليمن ، وتهامة والسراة لم ينحازوا بكليتهم إلى أي طرف من الأطراف المتنازعة ، وإنما ظهر فيهم من ناصر علياً ، ومنهم من ناصر معاوية. وكان جل من ناصر علي بن أبي طالب أهل مذحج ، وهمدان، وأرحب ، ويام وجميع هؤلاء كانوا يقطنون نجران وأجزاء أخرى عديدة من بلاد اليمن ، بينما انحازت قبائل يمانية أخرى إلى معاوية ، وحاربت معه في معركة صفين ، ومنها : كندة ، ولخم ، وذو الكلاع ، وعك ، والأشعريون ، وهكذا اشتبكت عشائر وقبائل يمانية مع أخرى مثلها من بلاد اليمن [٢] ، وفي ذلك يقول راجز عك :

يَا وَيْلَ أُمِّ مَذْحِجٍ مِنْ عَكِّ

هَاتِيْكَ أُمُّ مَذْحِجٍ تَبْكِي [٣]

وكان شأن تلك القبائل في ذلك شأن غيرهم من القبائل العربية في الشام ، والعراق ، ومصر كنتيجة لظروفهم وأوضاعهم التي عاشوها أيام تلك الفتن .

وكما كانت بلاد نجران وغيرها من ديار تهامة والسراة واليمن بعيدة عما ذكرناه خلال العقود الإسلامية الأولى ، كانت أيضاً في معزل عن الاضطرابات التي تمخضت بعد ذلك عن أفكار غلاة الشيعة ، ومارقة الخوارج ، وفلسفة الزنادقة ، والرافضة ، والشعوبية ، والمرجئة وغير ذلك من الفرق التي لم يعرفوها ، ولم تصلهم

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) للمزيد عن تلك الفتن والأحداث ، انظر ، الطبري ، جـ ٤ ، ص ٤٤٢ وما بعدها ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٤١١ – ٤١٨ ، ابن العربي ، ص ٦١ – ١١٠ ، ابن أعثم ، جـ ٤ ، ص ٥٣ – ٦٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٩٨ وما بعدها .

(٣) انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣٦ .

آراؤها السياسية ، واتجاهاتها المذهبية إلا في قرون تالية للعصر الأموي ، وبخاصة عندما نقل إليهم علم الكلام خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي (١) .

ولهذا فإن بلاد نجران وما حولها بقيت بعيدة إلى حد ما عن الصراعات المذهبية التي ظهرت في بعض أجزاء العالم الإسلامي ، كما أن تأثرها المذهبي والفقهي بقيا أيضاً خالصاً من الخلط الذي ساد معظم أنحاء العالم الإسلامي آنذاك ، وبخاصة خلال القرنين الأولين من عصر الإسلام . وكانوا يستخدمون أحكامهم وفقههم الشرعي من تلك الأسس التي رسخها لهم الرسول ﷺ في خطابات عديدة ، ومن أهمها ذلك الكتاب الذي أرسله الرسول ﷺ إليهم مع والي نجران عمرو بن حزم الأنصاري ، الذي أرسله ﷺ خلف وفد نجران (٢) ، والذي يقول عنه ابن خلدون : ((**ثم أتبعهم- يقصد وفد نجران - عمرو بن حزم ، من بني النجار ليفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ، وكتب إليه كتاباً عهد إليه في عهده ، وأمره بأمره ... وهذا الكتاب وقع في السير مروياً ، واعتمده الفقهاء في الاستدلالات**)) (٣) . كما أن الفقهاء والقضاة ورجال العلم الدين رسخوا قدم الإسلام في بلاد نجران ، كانوا جميعهم خريجي مدرسة رسول الله ﷺ .

وعندما بدأت المذاهب الفقية تتشكل ، كان أول مذهب وصل بلاد نجران بحكم التسلسل الزمني هو مذهب أبي حنيفة ، وكذلك مذهب الإمام مالك (٤) . وهذان المذهبان انتشرا في أجزاء عديدة من العالم الإسلامي ، ولكن عند مجيء معمر بن راشد الأزدي إلى بلاد اليمن ، وألف جامعهُ المشهور في السنن ، فصار مستند فقهاء أجزاء كثيرة من جنوب الجزيرة العربية (٥) ، ثم جاء بعده أبو قرة موسى اللحجي الذي كان له

---

(١) انظر شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٢٥ وما بعدها ، الشامي ، تاريخ اليمن الفكري ، جـ ١ ، ص ٩ وما بعدها ، شمسان ، ص ١١٨ وما بعدها .

(٢) البلاذري ، أنساب ، جـ ١ ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ ، وللمزيد انظر أبو يوسف ، ص ٧٢ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

(٤) انظر ، ابن سمرة ، ص ٧٤ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣٦ ، ٤٠ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٦ ، وللمزيد انظر ، الشامي ، تاريخ ، اليمن الفكري جـ ١، ص ٢٤ .

الفضل في توسيع علوم السنة وانتشارها في أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وربما أرض نجران والسروات حتى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وبالإضافة إلى هؤلاء العلماء فقد ظهرت في جنوب الجزيرة العربية مذاهب ثلاثة أخرى هي : المذهب الشافعي ، والمذهب الإسماعيلي ، والمذهب الزيدي (١) .

فأما المذهبان الإسماعيلي ، والزيدي فقد ظهرا في أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وبخاصة في صعدة ، وصنعاء ، وبلاد رازح، وأجزاء من بلاد همدان (٢) ، وبالتالي لم يكن لهما ذلك الانتشار الواسع في منطقة نجران وما حولها ، وإنما اقتصر نشاطهما على الأجزاء اليمنية الواقعة إلى الجنوب من نجران ، وكان الأئمة الزيديون من عهد الإمام الهادي إلى الحق في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وخلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وما بعده من قرون حاولوا نشر مذهبهم بالقوة في بلاد نجران ، ولكنهم لم يفلحوا ، رغم نجاحهم في مد نفوذهم السياسي إلى نجران لبعض الوقت لكنه لم يقدر لهم النجاح الفكري العقدي . ومن الأسباب التي نرجحها والتي وقفت حاجزاً دون انتشار هذين المذهبين الإسماعيلي والزيدي في نجران ربما يعود ذلك إلى بعض الأسباب مثل :

أ - انحراف المذهب الإسماعيلي عن جادة الصواب ، لما سلك دعاته الأوائل في اليمن أمثال : علي بن الفضل ، الذي أعلن الكفر بعد سيطرته على أجزاء عديدة من بلاد اليمن ، وكذلك استباحته كثير من المحرمات ، وخرب الكثير من المساجد ، بل وصل به الأمر إلى أن ادعى النبوة ، وهذه السلوكيات

---

(١) شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٣٦ وما بعدها ، الجندي ، الامام الشافعي ، ص ٧٨ ، الزهراني ، بلاد اليمن ، ص ١٨٣ – ١٨٦ .

(٢) شرف الدين ، المصدر السابق ، ص ٣٦ وما بعدها ، الشامي ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٧ ، البلادي ، ص ٢٣٧ وما بعدها .

جعلت كثير من رجال اليمن يقفون في وجهه حتى قتل على يد أمراء بني يعفر [١] . وهذا التصرف من هذا المؤسس لهذا المذهب جعل معظم الناس ينفرون من توجهاته ، فضلاً على أهم أعلنوا حربه والتصدي له وإن كنا لا نجد دلائل على اتصاله بأهل نجران ونشر معتقداته بينهم ، وذلك ربما يعود إلى البعد الجغرافي بين إقامته في صنعاء وما حولها ، ثم إلى ظهور الأئمة الزيديين في صعدة فكانوا حائلاً بينه وبين أهل نجران .

ب - أما المذهب الزيدي فقد وصل إلى نجران مع الأئمة الزيدية ، ولكن الصراع القبلي بين همدان الذين اعتنقوا وتبني هذا المذهب ، وبين بني الحارث الذين كانوا سادة نجران ، ربما جعل بنو الحارث يقفون في وجه همدان والأئمة الزيدية معهم فيحاربوهم سياسياً وعقدياً ، وإن كان الأئمة الزيديون – كما ذكرنا – استطاعوا مع رجالات همدان أن يدخلوا نجران، وأن تكون الحرب بينهم سجالاً مع بني الحارث ، إلا أهم لم يرسخوا مذهبهم في نجران ، وإن كانت هناك إشارات تدل على اعتناق بعض النجرانيين للمذهب الزيدي فذلك يعود إلى مصلحة ذاتية وفائدة شخصية قصدوا أن يحصدوا ثمارها من وراء اعتناق هذا المذهب ، ومن ناحية أخرى دخل بعض النجرانيين تحت لواء الدولة الزيدية بالقوة ، لكن هذا الأمر لم يدم طويلاً ، وإنما سرعان ما تنفلت عرى الحزم والشدة من قبل الأئمة الزيديين فتعود الحروب مستمرة بين الطرفين [٢] .

---

(١) للمزيد عن المذهب الإسماعيلي في اليمن ، انظر ، ابن سمرة ، ٧٥ ، الجرافي ، ص ١١١ – ١١٤ ، الواسعي ، ص ١٦٩ – ١٧١ ، شرف الدين ، اليمن ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .

(٢) للمزيد عن الدولة الزيدية وائمتها في صعدة ، وصنعاء ، ونجران ، انظر ، الواسعي ، ص ١٧٩ وما بعدها ، شرف الدين ، اليمن ، ٢٤٥ – ٢٦٢ ، الفقي ، ٣٧٨ وما بعدها .

أما المذهب الشافعي فهو المذهب الذي نال القدح المعلى ، والنصيب الأكبر في الانتشار في نجران بل في عموم بلاد اليمن [(١)] ، ومن أسباب انتشاره في نجران وما حولها ما يلي :

أ - وسطية هذا المذهب الذي جمع بين المذاهب في الأقوال والآراء والاتجاهات، وبخاصة ، فيما ورد عن الإمامين أبو حنيفة النعمان ، ومالك بن أنس ، وهذه ساعدت على انتشار هذا المذهب في أصقاع كثيرة من بلاد المسلمين [(٢)]

ب - فَسَاد المذهب الإسماعيلي وعدم اتفاقه مع هوى أهل نجران الذين لا زالوا وبخاصة في الفترة الزمنية موضوع الكتاب يتسمون بصفاء المعتقد الذي تعلموه من صحابة رسول الله ﷺ الأول ، أمثال : علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من الصحابة الأجلاء الذين ورد ذكر بعضهم في ثنايا هذا البحث .

ج - أن المذهب الزيدي يعد أقرب المذاهب الشيعية إلى مذاهب أهل السنة ، ولهذا إذا دققنا مسائل الخلاف بين المذهبين الزيدي والشافعي ، فإننا نجدها يسيرة ، وهي في مجموعها تقريباً مسائل فرعية اجتهادية لا تمس جوهر الدين في شيء ، ولكن — كما ذكرنا — مسائل العداء المتأصل بين قبيلة همدان في صعدة ، وبني الحارث في نجران يكاد يكون من الأسباب الرئيسة لعدم التوافق والتآلف ، ولهذا فإن النجرانيين كانوا يميلون إلى المذهب الشافعي أكثر من أي مذهب غيره .

---

(١) للمزيد عن الامام محمد بن ادريس الشافعي وانتشار مذهبه في اصقاع عديدة من الأرض ، انظر ، أبو حاتم الرازي ، ص١٢٩ وما بعدها ، الحسين ، غاية ، جـ١ ، ص١٤٤ ، الجندي ، الامـام ، ص٧٨ — ٨٠ ، شرف الدين ، تاريخ الفكر ، ص ٤١ وما بعدها ، الفقي ، ص ٣١٨ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

د - مكوث الشافعي في نجران لبعض الوقت والياً ، وقاضياً ومعلماً ، ربما كان من الأسباب القوية التي جعلت النجرانيين لا يميلون إلى غيره من المذاهب خلال القرون الإسلامية الأولى [١] .

ثالثاً : العلوم اللغوية والأدبية :

١ - اللغة :

مما لا شك فيه أن المستوى اللغوي عند أهل نجران كان جيداً ، وذلك لأن سكان هذه البلاد كانوا من القبائل العربية التي تتكلم العربية الفصحى ، وحتى إن كان يعيش بين ظهرانيهم بعض العناصر غير العربية ، كالفرس ، والأحباش وغيرهم ، إلا أنه لم يكن لهم ذلك التأثير القوي على لغة سكان البلاد الأصليين [٢] ، وربما كثير من تلك العناصر سعوا إلى تعلم اللغة العربية كي تتكيف أمورهم ، ويستطيعوا العيش مع سكان البلاد الرئيسين ، وهم العرب .

ومن يستقرئ مستوى شعراء ، وأدباء ، وحكماء ، وخطباء ، وقادة بلاد نجران ، قبيل وأثناء ظهور الإسلام ، فإنه - بلا شك - سوف يلاحظ مستواهم اللغوي الرفيع [٣]. وهذا المستوى في اعتقادنا استمر خلال العصور الإسلامية المبكرة

---

(١) انظر ، البيهقي ، مناقب ، جـ ١ ، ص ١٠٦ - ١٠٧ ، أبو نعيم ، جـ ٩ ، ص ٧٦ - ٧٧ ، أبو حاتم الرازي ، ص ٣٢ - ٣٣ ، دلال ، ص ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٢) وليس كما نشاهد اليوم في بلاد نجران وغيرها من أجزاء المملكة العربية السعودية ، حيث أصبحت اللغة العربية ضعيفة عند عموم الناس ، حتى الطبقة المتعلمة ، وذلك لما دخل عليها من اللحن واللهجات المختلفة التي بعضها يكون محلية وأخرى قادمة إلى هذه البلاد من الخارج ، إلى جانب انفتاح العالم بعضه على بعض وتأثير وسائل الاعلام كل هذا اثر على تدهور مستوى اللغة العربية ، وإذا لم ينتبه لمثل هذه الأمور ، وبخاصة في المؤسسات التعليمية ، والا فالأمور سوف تزداد سوءاً نحو التقهقر والإنحدار ، انظر ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٣١٩ ، حاشية (٦٠) .

(٣) وسوف نذكر نماذج من أولئك الخطباء ، والشعراء ، والحكماء في الصفحات التالية من هذا الفصل .

والوسيطة ، وينهض دليلاً على صحة هذا القول ما حفظه لنا لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني من معلومات عن الحياة العلمية والفكرية في البلاد الممتدة من نجران جنوباً حتى الطائف شمالاً ، والتي أطلقنا عليها اسم السراة أو السروات [1] ، ويشير فيها إلى الجانب اللغوي عند سكان تلك البلاد في عصره ، ثم يقارنه بالجوانب اللغوية الأخرى عند أهل اليمن والكثير من مناطق شبه الجزيرة العربية ، ويخلص إلى أن أهل هذه البلاد أكثر فصاحة في القول ، وسلامة في اللغة ، حيث يقول : ((... **الفصاحة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد ، فبني الحارث مما اتصل ببلد شاكر من نجران إلى أرض يام ، فأرض سنحان ، فأرض نهد وبني أسامة فعتز ...**)) [2] ، ويعدد المواطن الواقعة بين نجران والطائف ، ثم يقول : ((**غير أن أسافل سروات هذه القبائل ما بين سروات خولان والطائف دون أعاليها في الفصاحة ...**)) [3] .

ورغم ما ذكره الهمداني من معلومات جيدة عن رقي المستوى اللغوي لأهل نجران وما حولها حتى الطائف خلال القرنين (٣ - ٤ هـ / ٩ - ١٠ م) ، إلا أنه للأسف لم يمدنا بمعلومات عن نشاطهم اللغوي والعلمي في بلادهم بصفته عالماً يمنياً كان يمر عبر بلادهم ذاهباً آيباً ما بين الحجاز واليمن ، ولكن في اعتقادنا أنهم لم يصلوا إلى المستوى اللغوي الجيد الذي وصفهم به ، إلا من خلال نشاط علمي وفكري متميز . ونجزم بذلك من خلال مراجعة تاريخ دخول نجران في الإسلام ، وما تعاقب عليها من القوى السياسية ، وما قدم إلى بلادها من الصحابة ﷺ ، ومن العلماء الأجلاء ورجال الدولة الإسلامية خلال القرون الإسلامية الأولى ، فإنه بالتأكيد يدرك مدى ما لهؤلاء

---

(١) للمزيد عن بلاد السروات ، انظر ، الهمداني ، صفة ، ص ١٠٥ وما بعدها ، ابن جريس " بلاد السراة من خلال كتاب صفة ... " ، ص ٧٦ وما بعدها ، للمؤلف نفسه ، دراسات ، جـ ١ ، ص ١٢٩ - ١٦٤ .

(٢) الهمداني ، صفة ، ص ٢٧٩ .

(٣) المصدر نفسه . وعن مستوى الجانب اللغوي والنحوي في بلاد نجران ، انظر : محمود فجال " نظرات نحوية في لغة بني الحارث بن كعب " مجلة العرب ، مج (٢٤) (١٤٠٩ هـ - ١٤١٠ هـ) ، ص ١٦٦ - ١٨٤ .

الرجال من الأثر الطيب على الحياة الحضارية في شتى مناحي الحياة بتلك البلاد ، بما تميزوا به وتفردوا من مواهب علمية وفقهية ولغوية وإدارية .

٢ - الخطابة والخطباء :

إن الخطابة من الفنون الأدبية التي عرفها الإنسان منذ القدم ، وهي أكثر انتشاراً من الشعر ، لسهولة ممارستها وبخاصة من أوتي الجرأة إلى جانب حسن البيان والثروة اللغوية التي يستخدمها الخطيب ، بعكس الشعر الذي لا يستطيع قوله إلا من عنده القريحة الشعرية ، والقدرة على قرض الشعر (١) .

وإذا حاولنا معرفة أهمية الخطابة والخطباء في بلاد نجران خلال فترة دراستنا ، فإننا نحتاج إلى صفحات مطولة لنحصر جميع الرسل ، والولاة الذين أرسلوا إلى نجران منذ عهد الرسول ﷺ ، وكذلك العلماء ، والفقهاء ، وأرباب القلم الذين كانوا يفدون إلى بلاد اليمن ، قادمين من الحجاز ، أو من خارج الجزيرة العربية ، وكذلك بعض الأمراء والقادة والثوار الذين ظهروا في نجران أو في بلاد اليمن ، أو السروات، أو الحجاز ، أو قدموا من حواضر الإسلام الكبرى ليقيموا أو يجتازوا بلاد نجران . وكذلك الوعاظ والأئمة والحكماء ، والمرشدين وغيرهم من أصناف المجتمع الذين يحتاجون إلى الاحتكاك بجمهور الناس لإبلاغهم رسالة ، أو نشر مبدأ ، أو إعلان خبر، أو تنفيذ خطة . كل هؤلاء جميعاً يحتاجون إلى الوقوف بين يدي الناس لإيصال ما يهدفون إليه ، وذلك عن طريق الخطابة ، والحديث إلى الناس كي يصل كل خطيب أو متحدث إلى مآربه وهدفه الذي يريد الوصول إليه .

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن فن الخطابة ، انظر محمد عبد المنعم خفاجي ، الحياة الأدبية في عصر بني أمية (القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، د . ت) ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، على محمد حسن ، وزكي سويلم . الأدب وتاريخه في العصرين الأموي والعباسي (القاهرة ، ١٩٨٥ م) ، ص ٤٥ ، اشرف محمد موسى . الخطابة وفن الإلقاء (القاهرة مكتبة الخانجي د . ت) ص ٧ .

إن مثل هؤلاء الأصناف جميعاً ظهروا في نجران طوال فترة دراستنا ، وإن عملنا على تقصي أخبار هؤلاء جميعاً كل في موقعه الاجتماعي وضمن هدفه الذي يهدف إليه ، فإننا بلا شك نحتاج إلى سِفْرٍ كبير يحتوي تفاصيل هذا الموضوع . وكي نتحاشى مثل هذا الإسهاب ، فإننا نقتصر على ذكر أربعة أمثلة لخطباء وخطيبات عرفتهم بلاد نجران وما حولها ، حتى ذاع صيت بعضهم إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، وهؤلاء الأربعة هم :

أ - قس بن ساعدة الإيادي :

قس بن ساعدة ، أسقف نجران ، وكان من القساوسة الذين اعتادوا التردد على أسواق العرب في الجاهلية ، أدركه الرسول ﷺ قبل النبوة ، ورآه بعكاظ ، ومات قبل دخول أهل نجران الإسلام [(١)] . ويعد قسٌ من أشهر الخطباء ذِكراً ، وأرفعهم قدراً ، حيث روى رسول الله ﷺ من كلامه ، وفي الحديث ((**يرحم الله قساً ، إني لأرجوه يوم القيامة أن يبعث أمة واحدة**)) [(٢)] . وكان قس من الذين يقفون في الأسواق فيعظون ، ويبشرون ، ويذكرون البعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ، وذكر الأصفهاني أن قساً كانت له كثير من الأمور العجيبة [(٣)]. ويذكر أنه كان له باع طويل في الشعر والخطابة وسائر فنون الكلام [(٤)]، وقد اجتمع له ما لم يجتمع لغيره من فنون الفصاحة والحكم ، فكان شاعراً ، وخطيباً ، بل يعد خطيب العرب قاطبة [(٥)] ، ويذكر الأصفهاني ((**أنه أول من علا منبراً وخطب عليه ، وأول من قال في كلامه: أما بعد، وأول من أتكأ عند خطبته على سيف أو عصا**)) [(٦)] . وكان قس يبشر بالدين

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار احياء التراث ، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية) جـ ١٥ ، ص ٢٤٦ ، الألوسي ، بلوغ ، جـ ٣ ، ص ٥٥ .

(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ ، الألوسي ، جـ ٣ ، ص ٥٥.

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، انظر الألوسي ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

(٥) الأصهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٦ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٦ .

الإسلامي ويدعو إلى الإيمان به . ويذكر الأصفهاني أنه قال : ((**ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه ، وأدرككم أوانه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه))** [١] ، ثم أنشد يقول :

فِي الذَّاهِبِـيْنَ الأوّلِـينَ   مِنَ القُرونِ لَنَا بَصَـائِرْ
لَمَّـا رَأَيْـتُ مَـوَارِدَاً   لِلْمَوتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرْ
وَرَأَيْـتُ قَومِي نَحْوهَا   يَمْضِي الأَصَاغِرُ والأَكَـابِرْ
أَيْقَنْـتُ أَنّي لا مَـحَالَةَ   حَيْثُ صَارَ القَومُ صَائِرْ [٢]

ونتيجة لذلك ظل أثر قس ماثلاً في نفس الرسول ﷺ بعد بعثته .

ولعل من أهم خطب قس بن ساعدة خطبته التي جاء فيها ((**أيها الناس اسمعوا وعوا ، انظروا ، أذكروا من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليلٌ داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات أبراج ، ألا إن أبلغ العظات السير في القلوب ، والنظر إلى محل الأموات ، وإن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لعبرا ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام ؟ ام تركوا هناك فناموا .**

يا معشر إياد ، أين الأباء والأجداد ؟ أين المريض والعُوَّاد ؟ وأين الفراعنة الشداد، أين من بنى وشيَّد وزخرف ونجَّد، وغرَّه المال والولد ؟ وأين من طغى وبغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً ؟ وأطول منكم آجالاً)) [٣] .

ومن هذه العبر والحكم يتضح لنا مستوى فكر قس بن ساعدة العلمي والأدبي ، إلى جانب جزالة اللفظ في عباراته ، واستقامة بيانه ، ووضوح أفكاره ومبادئه الرامية لتذكير الناس بيوم الحساب .

---

(١) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٤٧ ، وللمزيد انظر ، إيليا حاوي . فن الخطابة وتطوره عند العرب (بيروت : دار الثقافة ، د . ت) ، ص ٥٣ - ٥٤ .

ب - الحارث بن كعب المذحجي :

الحارث ، وقيل الحرث ، كقس بن ساعدة لم يدرك الإسلام ، وينتمي إلى قبيلة مذحج ، وإلى بني كعب بن الحارث في نجران ، وكان من أفصح خطباء زمانه [١] . ومن أهم خطبه تلك الخطبة التي قالها عندما حضرته الوفاة فنادى بنيه ، حتى اجتمعوا عنده ، ثم قال لهم : ((**يا بنيَّ قد أتت علي ستون ومائة سنة ، ما صافحت بيميني يمين غادر ، ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ، ولا بحت لصديق بسر ، وإني لعلى دين شعيب النبي** عليه السلام **فاحفظوا وصيتي ، وموتوا على شريعتي ... إلهكم فاتقوه يكفيكم المهم من أموركم ، ويصلح لكم أعمالكم** [٢] .

يا بني كونوا جميعاً ، لا تفرقوا فتكونوا شيعاً فتضعفوا ، وإن موتاً في عز ، خير من حياة في ذل وعجز ، وكل ما هو كان كائن ، وكل جمع إلى تباين ، والدهر دربان ، فدرب رخاء ، ودرب بلاء، واليوم يومان ، فيوم حبرة [٣] **، ويوم عبرة ، والناس رجلان ، فرجل معك ، ورجل عليك ، وتزوجوا الأكفاء ، وليستعملن في طيبهن الماء ، وإياكم والورهاء ، أي الحمقاء فإنها أدوا الداء ، وتجنبوا الحمقاء فإن ولدها إلى أفن ما يكون** [٤] **. وإذا اختلف القوم مكنوا عدوهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الكلمة ... وقطيعة الرحم تورث الهم ، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة ، وعقوق الوالدين، يعقب النكد ، ويمحق العدد ، ويخرب البلد**)) [٥].

---

(١) الألوسي ، بلوغ ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) حبرة : فرح وسرور ، الألوسي ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ .

(٤) الأفن : النقص ، ورجل أفين ومأفون ، أي ناقص العقل . وفي حديث علي رضي الله عنه ((اياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن)) وفي حديث عائشة قالت لليهود : ((عليكم اللعنة والسام والأفن))، انظر ، ابن منظور ، جـ١ ، ص١٦٧، فعل (أفن) ، وللمزيد انظر، جواد علي ، جـ٤ ، ص٦٤٠ ، العلي ، محاضرات ، جـ١ ، ص١٤٢.

(٥) الألوسي ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ .

جـ - عمرو بن معد كرب الزبيدي المذحجي [١] :

عاش عمرو ، الملقب بأبي ثور ، في الجاهلية ما بين منطقتي نجران وجرش (منطقة عسير حالياً) ، أدرك الإسلام ودخله ثم ارتد عنه وانضمَّ إلى الأسود العنسي، ثم عاد إلى الإسلام مرة أخرى ، وحسن إسلامه ، وانضمَّ إلى الجيوش الإسلامية التي ذهبت لفتح بلاد فارس ، فكان مجاهداً وخطيباً وشاعراً مع المسلمين هناك ، بل كان في بعض الأحيان مستشاراً لقائد جيش القادسية ، سعد بن أبي وقاص ﷺ [٢] .

يعد عمرو من أشهر فرسان العرب وشعرائهم المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، ومن سادات جنوب الجزيرة العربية ، كان يفد على الملوك قبل الإسلام ، والخلفاء بعد الإسلام ، وقد هيأت له خلائقه الجسمانية ذلك ، حتى كان عمر بن الخطاب إذا رآه يقول : ((الحمد الله الذي خلقنا وخلق عمراً !)) تعجباً من عظم خلقته [٣] .له أخبار وخطب وأشعار كثيرة حوها كثير من كتب الأدب [٤] .

---

(١) عمرو بن معد كرب الزبيدي لا يعد من أهل نجران ولكن أدرجناه ضمن خطباء وشعراء أهل نجران لأسباب عديدة منها :

أ- عمرو من مشاهير فرسان وشعراء جنوب الجزيرة العربية وينتمي إلى عشيرة زبيد المذحجية المجاورة لأهل نجران من الشمال ، وكان لقبيلتي بنو الحارث في نجران وزبيد في بلاد تثليث وما حولها حروب وأخبار عديدة في كتب التراث الإسلامي . وكان له مشاركاته الفاعلة في هذه الأعمال سواءً في الجاهلية والإسلام .

ب- كما أن عمرو في فترة الإسلام ، وأثناء انضمامه للأسود العنسي ، عينه الأخير نائباً له على البلاد الممتدة من نجران إلى عسير إلى أجزاء أخرى من بلاد السراة ، وله أقوال وأشعار أثناء تلك الفترة ، لكنه لم يبق طويلاً في ارتداده وعاد إلى الإسلام وخرج مع المجاهدين إلى بلاد فارس فكان له أشعار وحكم وخطب عديدة يحث فيها قومه من مذحج ومن عموم المسلمين على محاربة الفرس والعمل على هزيمتهم .

(٢) للمزيد عن ترجمة عمرو بن معد كرب الزبيدي ، انظر ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٢٤٠ – ٢٤٢ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٨٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ – ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٣٦ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٨ . المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٣٢٤، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٥٧٦ ، ابن أعثم ، جـ ١ ، ص ٢٧١ وما بعدها ، الأصفهاني ، المصدر السابق، جـ ١٥ ، ص ٢٠٨ وما بعدها، الجاسر، التعليقات ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ ، ٧٧٣ ، ٨٣٦ ، ٩٨٤ .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٥ ، ص ٢١٣ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ ١٥ ، ص ٢٠٨ – ٢٣٠ ، وللمزيد انظر ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٤٠ – ٢٤٢ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ١٠٩ – ١١٠، ٢٧٥، ٢٨٦، ٣١٨، ابن أعثم ، جـ ١ ، ص ٢٧١ وما بعدها ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٢ ، الجاسر ، التعليقات ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ . كما قام بجمع شعره هاشم الطعان في بغداد . وكذلك مطاع الطرابيشي من دمشق، قام هو الآخر بجمع شعره، وطبع في كتاب بمجمع اللغة العربية في دمشق ، عام (١٣٩٤ هـ) .

ونحن في هذه الدراسة نكتفي بإيراد أربعة أمثلة من خطبه التي قالها في مناسبات مختلفة ، مع العلم أن فروسيته ، وموهبته الشعرية جعلته مشهوراً بهاتين الصفتين أكثر من أي صفة أخرى .

المثال الأول : يذكر أن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن معد كرب : صف لنا الحرب ، فقال عمرو بن معد : ((**هي مُرّةُ المذاق ، إذا كشفت عن ساق ، ومن صبر فيها عُرف ، ومن نكل عنها تلف ، ثم يقول :**

الحَرْبُ أوَّلَ مَا تَكُونُ فَتِيّةً ... تُسْهِى بِزِيْنَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ
حَتَّى إِذَا حَمِيَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا ... عَادتْ عَجُوزاً غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ جَزَّتْ رَأْسَهَا وَتَنَكَّرَتْ ... مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ)) [1]

المثال الثاني : كان عمرو بن معدي كرب يحث المسلمين على مقاتلة الفرس ، ويرفع من معنوياتهم ، وله خطب وأقوال عديدة ذكرتها كتب التاريخ [2] ، فمن خطبه في إحدى المعارك أن قام بين جيش المسلمين وقال : ((**يا معشر المسلمين لعله قد هالتكم هذه الكتيبة ؟ قالوا : نعم والله يا أبا ثور لقد هالتنا ! وذلك أنك تعلم أنا نقاتل هؤلاء القوم من وقت بزوغ الشمس إلى وقتنا هـذا ، فقد تعبنا وكلت أيدينا ودوابنا ، وكاعت رجالنا ، وقد والله خشينا أن نعجز عن هذه الكتيبة ، إلا أن يأتينا الله بغياث من عنده ، أو نرزق عليهم قوة ونصراً ، فقال عمرو يا هؤلاء إنكم إنما تقاتلون عن دينكم ، وتذبون عن حريمكم ، وتدفعون عن حوزة الإسلام ، فصفوا خيولكم بعضها إلى بعض ، وانزلوا عنها ، والزموا الأرض واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، فإنكم بحمد الله صبراء في اللقاء ، ليوث**

---

(١) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٨٦ .

(٢) للمزيد عن كثير من خطب عمرو الزبيدي وتشجيع المسلمين على محاربة الفرس، انظر ، الطبري ، جـ٣ ، ص٥٧٦ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص٣٢٤ ، ابن اعثم ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص٧٦ – ٧٧ ، ٨٩ – ٩٠ .

عند الوغى ، وهذا يوم كبعض أيامكم التي سلفت ، ووالله اني لأرجو أن يعز الله بكم دينه ويكبت بكم عدوه ...)) (١) .

المثال الثالث : لما فتحت القادسية على يد سعد بن أبي وقاص ، أبلى فيها عمرو بن معد كرب بلاءً حسناً ، فأوفده سعد على الخليفة عمر بن الخطاب ، وكتب إليه معه يبشره بالفتح ، وأثنى في الكتاب على عمرو ، فلما قدم على عمر بن الخطاب سأله عن سعد ، فقال ((**أعرابي في نمرته ، أسد في تأمورته ، نبطي في جبايته ، يقسم بالسوية ، ويعدل في القضية ، وينفل في السرية ، وينقل الينا حقنا نقل الذرة ، فقال عمر بن الخطاب : لشد ما تقارضتما الثناء ...))** (٢) .

المثال الرابع : وفي باب الجبن والفرار قال عمرو بن معد كرب : ((**الفزعات ثلاث : فمن كانت فزعته في رجليه فذلك الذي لا تُقله رجلاه ، ومن كانت فزعته في رأسه فذلك الذي يفر من أبويه، ومن كانت فزعته في قلبه فذلك الذي يقاتل ...))** (٣) .

د - كذلك كان للمرأة النجرانية دورها في الحياة الفكرية ، فقد أمدتنا المصادر بأسماء بعض النجرانيات اللائي أدلين بدلوهن في مجال الأدب ، وحفظت لنا كتب التراث بعض نتاجهنّ ، ومن بين من برعن في الخطابة والشعر مثل :

(*) أم سنان بنت خيثمة المذحجية :

فأم سنان المذحجية جاءت إلى مروان بن الحكم والي معاوية بن أبي سفيان على المدينة ، فطلبته إطلاق حفيدها من جناية قد جناها فرفض طلبها ، وأغلظ لها في القول فخرجت إلى الشام لمقابلة الخليفة معاوية ، وعند مقابلته انتسبت فعرفها ، فقال

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٣١٨ ، ذكرت هذه الرواية عند الأصفهاني مع تغيير طفيف في الألفاظ ، انظر ، الأغاني (طبعة احياء التراث) جـ ١٥ ، ص ٢٢٣ .

(٣) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

لها : ((**مرحباً يا بنت خيثمة ، ما أقدمك أرضنا ، وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأعلاماً ظاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت ، قال صدقت ، نحن كذلك فكيف قولك** : [(١)]

عَــزَبَ الرُّقَادُ فَمُقْلَتِي لاَ تَرْقُدُ   واللَّيلُ يَصْدُرُ بِالهُمُومِ ويُورِدُ
يَا آلَ مَذْحِجَ لاَ مُقَامَ فَشمّرُوا   إنّ العَدُوَّ لآلِ أَحْمَــدَ يقْصِدُ
هَذَا عَليٌّ كَالهِــلالِ تَحُفُّــهُ   وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الكَوَاكِبِ أسعُدُ
خَيرُ الخَلائقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّد   إنْ يَهْدِكُمْ بِالنُورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَازَالَ مُذْ شَهِدَ الحُرُوبَ مُظَفَّراً   وَالنّصرُ فَوقَ لِوائِهِ مَا يُفْقَدُ [(٢)]

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وأرجوا أن تكون لنا خلفاً بعده)) .

ودارت نقاشات أخرى عديدة بين أم سنان المذحجية والخليفة معاوية ، وعلى إثرها أعطاها طلبها ، ثم أمر بإطلاق حفيدها وأعطاها بعض الأعطيات ، وزودها براحلة تعود عليها إلى بلادها [(٣)].

ويتضح لنا من ذكر هؤلاء النماذج الأربعة في فن الخطابة ، عدد من الأمور نذكر منها :

١ - انتماء أصحاب هذه النماذج إلى بلاد نجران وما حولها ، ومنهم من عاش في فترة ما قبل الإسلام ، ولم يدرك ظهوره ، ومنهم من عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ، وشارك في الفتوحات الإسلامية أمثال ، عمرو بن معدي كرب الزبيدي . وظهور هؤلاء الأشخاص يعطينا دليلاً قوياً على وجود مناخ علمي وفكري جيد ساعد على إخراج مثل هذه المستويات الراقية

---

(١) ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص٣٤٩ .
(٢) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢٥٠ .
(٣) المصدر نفسه ، جـ١ ، ص ٢٥٠ – ٢٥١.

العلمية واللغوية والخطابية ، ناهيك عن تربة بعضهم الدينية وبخاصة من عاش في الجاهلية أمثال : قس بن ساعدة الإيادي ، والحارث بن كعب المذحجي ، فلقد لاحظنا صفاء معتقداهما ، وبعدهما عما كان يعبد أهل عصرهما من أصنام وأوثان وغير ذلك من المعتقدات الوضعية .

٢ - رقي المستوى اللغوي في عبارات واستشهادات وأقوال أصحاب هذه النماذج ، مما جعلنا ندرجهم أمثلة لمستوى الخطابة والخطباء الذين عرفتهم بلاد نجران ، مع العلم أنهم لا يمثلون إلا شريحة بسيطة من أصحاب القول والفكر والثقافة الذين قدموا إلى بلاد السروات ، وتهامة ، ونجران ، وعموم بلاد اليمن . فهناك كثير من الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين الذين جاءوا وعاشوا بين ظهراني أهل نجران وغيرهم من سكان جنوب الجزيرة العربية . وقد حفظت لنا كتب التراث الإسلامي كثير من أقوالهم وخطبهم وأفعالهم في نجران وغيرها من أجزاء العالم الإسلامي ، وتأثر هذه المناطق التي قدموا وعاشوا بها فترة من الوقت فكرياً وعلمياً بهم [(١)] .

٣ - ربما لكون نجران موطناً للعديد من الديانات السماوية والوضعية ، وكذلك استيطان العديد من الأقوام البشرية العربية وغير العربية بها فقد أثر ذلك في مستوى الناس وفكرهم ، وبخاصة أصحاب العلم والثقافة منهم . وهذا يتضح في أقوال وعبارات قس بن ساعدة ، والحارث بن كعب المذحجي ، اللذين كانا يخطبان في الناس ناصحين لهم باتباع المنهج القويم في عبادة الله وحده لا شريك له . وهذا لا يتم إلا من خلال مجتمعاتهم التي كانوا يعيشون فيها ، ونجران كانت تعج بالصراعات السياسية والتيارات العقدية المختلفة ، مما ساعد على ازدهار البيئة الفكرية بها ، وقد استقرت أحوالها بظهور الإسلام ،

---

(١) للمزيد عن براعة هؤلاء الرجال في أقوالهم وخطبهم وحكمهم ، انظر ، كتب التراجم المبكرة والرئيسة التي حفظت الكثير من تاريخهم ، بالإضافة إلى كتب التاريخ والأدب والأنساب التي لا تخلو هي الأخرى من بعض التفصيلات عنهم .

ودخول معظم أهل نجران فيه ، فازداد تآلفهم الفكري والعقدي بهذه الديانة السماوية الخاتمة بعد أن كان الجدل الفكري والعقدي يحتدم بينهم لكونهم على عقائد ومذاهب دينية شتى ما بين سماوية ووضعية .

٣ - الشعر والشعراء :

يعد الشعر موهبة إنسانية عامة ، لا تختص بقوم دون قوم ، ولا بأمة دون أمة ، بل هي نتاج قرائح كل موهوب من القبائل (١) . والشعر شعور ، وتعبير عن عواطف تخالج النفس ، فكل إنسان يكون عنده حس مرهف واستعداد طبيعي ، يمكن أن يكون شاعراً (٢) .

وقد اشتهرت بلاد نجران وما جاورها من البلدان بطائفة من الشعراء ، قبل الإسلام وبعده (٣) ، ولا تزال آثارهم حتى اليوم تشهد على ما بلغ الأدب من منزلة جيدة في هذه البلاد . ومع أننا لن نستطيع الإلمام بجميع ما خلفته لنا المصادر على تنوعها وتعددها عن شعر وشعراء نجران خلال فترة البحث فهذا الأمر يحتاج لدراسة قائمة بذاتها لنوفي الموضوع حقه ، وقد يمد الله في العمر (بإذن الله تعالى) فنقوم بجمع شعر وشعراء بلاد نجران خلال عصري الجاهلية والإسلام . أما ما سوف نذكره في هذا الفصل ، فهو بعض النماذج من شعر وشعراء فترتنا ، مع الحرص على التنويع في إبراز الأهداف والغايات التي قصدها الشعراء أثناء قرضهم أشعارهم ، حيث نظموا في أبواب

---

(١) جواد علي ، جـ ٩ ، ص ٣٥٠ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) هناك عدد من الشعراء المشاهير الذين ظهروا في نجران وما حولها في العصر الجاهلي ولم يدركوا الإسلام ، أمثال : الأفوه الأودي المذحجي ، وعبد يغوث بن الحارث بن وقاص بن صلاءة ، ويزيد بن مخرم الحارثي ، وغيرهم كثير . انظر ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص ١٣٤ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ١١ ، جـ ٦ ، ٧٩ وما بعدها ، وللمزيد انظر فواد سزكين ، تاريخ التراث العربي ، مج ٢ (الشعر) ، جـ ٢ (الشعر الجاهلي . نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٢٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، ٣٣٧ – ٣٤٩ .

عديدة ، مثل : المدح ، والهجاء ، والرثاء ، والحنين ، وتبادل الرسائل الأخوية أحياناً بواسطة الشعر ، وأبواب أخرى سوف يرد معنا نماذج لها .

وقد قسمنا الشعراء ونماذج الشعر الذي قرضوه وورد في هذه الدراسة إلى قسمين أو فترتين زمنيتين ، هما :

القسم الأول : فترة ما قبل الإسلام بقليل ، ثم أثناء عصر الرسالة ، وخلافة أبو بكر الصديق ﷺ . ونلاحظ على النماذج الشعرية التي أوردناها رغم قلتها أنها تعكس لنا بعض الملامح التاريخية لبلاد نجران وما حولها منذ جاهليتهم إلى آخر عصر الردة .

القسم الثاني : شعراء نجران في فترة الفتوحات الإسلامية إلى (ق٣ هـ) ويمكننا ملاحظة التنوع من خلال النماذج الواردة في مقاصد الشعر وغاياته في تلك الفترة .

أولاً : نماذج من شعر وشعراء القسم الأول :

ويأتي على رأس قائمة شعراء هذه الفترة :

١ – **الأعشى** : وهو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، المعروف بأعشى قيس ، ويقال له الأعشى الكبير ، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، كان غزير الشعر ، وكان يُغني بشعره فسمي ((صنّاجة العرب)) . لقب بالأعشي لضعف بصره ، وعمي في أواخر عمره ، ووفاته في عام (٧ هـ / ٦٢٩ م) ، ولم يدخل الإسلام ، ودفن في بلدته " منفوحة " باليمامة قرب مدينة الرياض ، وفيها داره، وبها قبره [١] . وهذا الشاعر كان من الوافدين على بني الحارث بن كعب في نجران فيجالسهم ، ويمدحهم ، ويحصل على أعطياتهم . ومما قال فيهم من الشعر قوله :

---

(١) للمزيد عن حياة الأعشى وشعره ، انظر ، الجمحي ، طبقات ، جـ١ ، ص ٦٥ وما بعدها ، الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار احياء التراث) جـ ٩ ، ص ١٠٨ – ١٢٩ ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص ١٥٩ – ١٦٥ ، الزركلي ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ . وقد جمع بعض شعر الأعشى في ديوان سمي ((الصبح المنير في شعراء ابي بصير)) ، وترجم المستشرق الألماني ، جاير (Geyer) بعض شعره إلى اللغة الألمانية . الزركلي ، المرجع نفسه ، جـ ٧ ، ص ٣٤١ .

وَكَعْبَةُ نَجْرانَ حَتْمٌ عَلَيكَ حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوابِهَا
تَزُورُ يزِيداً وَعَبْدَ المسِيحِ وَقَيْساً هُمُ خَيرُ أَرْبَابِهَا
إِذَا الحِبَرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَا
وَشَاهِدُنَا الوَرْدُ وَاليَاسَمِيـ ـنُ ، والمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا
وَبَرْبَطُنَا مُعْمِلٌ دَائِمُ فَأَيُّ الثلاثةِ أَزْرَى بِها ؟ (١)

٢- **عبد الله بن قيس بن عدي القرشي السَّهمي** ، المعروف بابن الزِّبَعْرَى ، **وهبيرة بن أبي وهب المخزومي** (٢) وهذان الرجلان قرشيان ، عاديا رسول الله ﷺ وبخاصة ابن الزبعري ، الذي يعد من أشهر شعراء قريش ، وكان شديداً على المسلمين . وعند دخول الرسول ﷺ مكة المكرمة هرباً حتى دخلا نجران ، ويقول الواقدي عنهما: ((**فلم يأمنا من الخوف حتى دخلا حصن نجران ، فقيل لهما ما وراءكما ؟ قالا : أما قريش فقد قتلت ، ودخل محمد ﷺ مكة ، ونحن والله نرى أن محمداً سائر إلى حصنكم هذا !**)) .

وقد بقي هاذان القرشيان في نجران حتى أرسل ، شاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت أبياتاً إلى ابن الزبعري يهجوه بها ، وفيها يقول :

لا تَعْدَمَنْ رجلاً أَحَلَّكَ بُغْضهُ نَجْرانَ في عَيشٍ أَحَذَّ لَئيمِ (٣)
بَلِيَتْ قَناتُكَ في الحُروبِ فأُلقِيَتْ خَمانةً خَوفاءَ (٤) ذاتَ وُصُومِ (٥)
غَضَبُ الإلهُ عَلَى الزِّبَعْرَى وابنِه وَعَذَابُ سُوءٍ في الحياةِ مُقِيمِ (٦)

---

(١) ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٥٣٨ – ٥٣٩ ، جـ ٥ ، ص ٢٦٨ .

(٢) هبيرة بن أبي وهب زوج أم هاني بنت أبي طالب ، الواقدي جـ ٢ ، ص ٨٤٧ ، وللمزيد عن ترجمة هـذين الـرجلين ، انظر ، الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٧ – ٨٤٩ ، البلاذري، أنساب ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ ، ابن هـشام ، الـسيرة ، جـ ٤ ، ص ٦١ – ٦٢ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٢ ، جـ ٤ ، ص ٦٨ .

(٣) الأحذ : هو القليل المنقطع .

(٤) خَوفاء : أي ضعيفة .

(٥) الوصوم : وهو العيب في الحسب .

(٦) انظر الواقدي، جـ ٢ ، ص ٨٤٧ ، والبيت الأول ذكر عند كل من ابن هشام، جـ ٤ ، ص ٦١ ، والطبري ، جـ ٣ ، ص ٦٤ .

وعندما وصل ابن الزِّبَعْرَى شعر حسان ترك بلاد نجران وعاد إلى الحجاز معلناً إسلامه بين يدي الرسول ﷺ . أما هبيرة بن أبي وهب فلقد فاجأه ابن الزبعري عندما عزم على الرجوع إلى الحجاز ، وقال له : ((**ياليت أني رافقت غيرك ، والله ما ظننت أنك تتبع محمداً أبداً ! قال ابن الزبعري : هو ذاك ، فعلى أي شيء نقيم مع بني الحارث بن كعب ، وأترك ابن عمي وخير الناس وأبرهم**)) [١] .

وبقي هبيرة بن أبي وهب في بلاد نجران حتى مات على كفره ، وقد بلغه أن زوجته هند بنت أبي طالب ، والملقبة بـ ((أم هاني)) ، دخلت الإسلام يوم الفتح ، فقال فيها شعراً وهو في نجران ، منه [٢] :

أَشَاقَتْكَ هندٌ أَمْ ناكَ [٣] سُؤالُها ... كَذَاكَ النَّوى أَسْبَابُها وانفتالُهَا [٤]

وَقد أَرَّقَتْ [٥] في رَأسِ حِصْنٍ مُمَنَّعٍ ... بنَجرانَ يَسري بَعْدَ لَيْلٍ خَيالُهَا

وإنِّيَ مِنْ قَومٍ، إذَا جَدَّ جِدُّهمْ ... عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ اليَومَ حَالُهَا

وَإنِّي لَحَامٍ مِنْ وَرَاءِ عَشيرَتِي ... إذَا كَرِهَتْ نَحْوَ العَوالي فحالُها [٦]

وَإنَّ كَلامَ المرْءِ في غَيرِ كُنْهِهِ ... لَكَالنَّبْلِ تَهْوي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا

وَإنْ كُنْتِ قَدْ تَابَعْتِ دِينَ محمدٍ ... وَقطَّعَتِ الأَرْحَامَ مِنْك حِبالُهَا

فَكُونِي عَلَى أَعْلَى سَحِيقٍ بِهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمةٍ [٧] حَمْراءَ يَبْسٍ تِلالُهَا [٨]

---

(١) الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٨٤٩ . في حين أن الطبري ذكر البيت الأول فقط ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، أما ابن هشام فقد أورد من قصيدة هبير يذم فيها زوجته أم هاني اثنى عشر بيتاً ، السيرة ، جـ٤ ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٣) نآك : أي بعد عنك

(٤) انفتالها : تقلبها من حالة إلى حالة .

(٥) أرقت : أزلت النوم .

(٦) الفحال : جمع الفحل .

(٧) الململمة : المستديرة .

(٨) انظر الواقدي ، جـ ٢ ، ص ٨٤٩ .

٣ – **عبد الله بن الحرث الحارثي** ، وهو عبد الله بن الحرث بن الريان الحارثي من بني الحارث بن كعب ، دخل هو وقومه الإسلام ، وعملوا على التمسك بالحلال والابتعاد عن الحرام ، يذكر ذلك شعراً فيقول :

وَنَحْنُ بَحَمْدِ اللهِ هَامَةُ مَذْحِجٍ   بَنو الحَرْثِ الخَيرِ الذَّيْنَ هُمُ مَدَرْ [١]

وَنَحْنُ عَلى دِينِ النَّبِيِّ نَرَى الَّذِي   نَهَانا حَرَاماً مِنْهُ وَالأَمْرُ مَا أَمَرْ [٢]

٤ – **كرز ويقال : (كوز) بن علقمة النجراني** ، وكرز بن علقمة الحارثي النجراني أخو أبو الحارث بن علقمة أحد قساوسة نجران ، بل أسقف نصارى نجران وزعيمهم الروحي [٣] . وكان كرز عضواً في وفد نصارى نجران الذين قابلوا الرسول ﷺ ، ولكن في الطريق حدثت بينه وبين أخيه أبو الحارث خلافات حول صدق نبوة الرسول ﷺ ، وبالتالي تبين له صحة رسالته ﷺ ، بشهادة أخيه أسقف نصارى نجران (أبو الحارث) فانفصل عن بقية الوفد وذهب في رحلته متجهاً نحو المدينة [٤] وهو يرتجز ويقول :

إِلَيْكَ يَغْدُو قَلِقاً وَضِينُهَا   مُعْتَرِضاً في بَطْنِهَا جَنِينُهَا

مُخالِفاً دِينَ النّصَارى دِينُهَا [٥]

٥ – **راشد بن عبد ربه السلمي** ، أورد ابن حجر ترجمته ، وذكر نقلاً عن المرزباني في معجم الشعراء أنه كان اسمه ((غويا)) فسماه الرسول ﷺ راشداً [٦] . ويذكر ابن

---

(١) مدر : أي أنهم أهل حواضر .

(٢) السومحي ، جـ ١ ، ص ٨٦ – ٨٧ .

(٣) انظر ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٤ – ١٦٥ ، ٣٥٧ ، ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٤٧ .

(٤) المصادر نفسها ، وللمزيد عن مسيرة وفد نصارى نجران ، وما حدث بين أسقف نجران ، وأخوه كرز ، انظر ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، الذهبي ، تاريخ ، جـ ١ ، ص ٥٨٧ .

(٥) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٥ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٢٩٩ .

(٦) ابن حجر ، الإصابة ، مج ١، جـ ٢ ، ص ١٨٥ .

عبد ربه أن الرسول ﷺ استعمل أبو سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب ، ووجه راشد بن عبد ربه السلمي أميراً على القضاء والمظالم [(١)] ، وكان بدوره شاعراً موهوباً ، فمن شعره الذي نظمه وهو قائم على أمر القضاء والمظالم بنجران ما يلي :

ضَحَا الْقَلبُ عَنْ سَلْمَى وأقْصرَ شَأْوهُ وَرَدّتْ عَلَيْـــه مَا نَفَتْهُ تُمَاضِرُ
وَحَكَّمهُ شَيْـــبُ القَذَالِ عَن الصِّبَا وَللِشَّيبُ عَنْ بَعْضِ الغَوَايَة زاجِرُ
فَأقْصرَ جَهْلي الْيومَ وارتَدّ بَاطِلي عَنْ الجَهْلِ لما ابْيَـــضّ منِّي الغَدَائرُ
عَلَى أَنَّهُ قَـــدْ هَاجَهُ بَعْدَ صَحْوَةٍ بمَعْرِض ذي الآجَامِ عِيسٌ بَواكِرُ
وَلَمَّا دَنَتْ منْ جَانبِ الغُوط أَخصَبَتْ وَحَلَّتْ وَلاَقَــاهَا سَليمٌ وَعَامِرُ
وَخَبَّرَها الرُّكْبانُ أَنْ لَيْسَ بَيْنَها وَبَيْن قُرَى بُصْرَى وَنَجْرانَ كَافِرُ
فَأَلْقَتْ عَصاَهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عيْناً بالإِيَـــابِ الْمُسَافِرُ [(٢)]

٦ - عمير بن الحصين النجراني ، أحد رجالات نجران ، ويذكر عن ابن إسحاق أنه لما مات الرسول ﷺ وتسارع الناس ومنهم بعض أهل نجران إلى الردة قام عمير في قومه ، وأخذ يحثهم على التمسك بهدى الله ، وينـــصحهم ألا يعـــودوا إلى الشرك بعد اليقين والإقرار بالتوحيد ، ثم قال: ((**إنكم لأن تزدادوا من هذا الأمر أحوج إلى أن تنقصوه ، فإن في الإنكار الشك بعد اليقين ، ودينكم اليوم دينكم بالأمس ، فكونوا عليه حتى تخرجوا به إلى رضى الله تعالى ونــوره ...**)) [(٣)] ، ثم أنشدهم قائلاً :

---

(١) ابن عبد ربه ، جـــ١ ، ص ٣٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ، النوى : أي الترحال والبعد . ويذكر ابن حجر أن بيته الأخير اصبح مشهوراً بين الناس ، الإصـــابة ، مج ١ ، جـــ ٢ ، ص ١٨٥ .
(٣) انظر ابن حجر ، الاصابة ، مج ٣ جـــ ٥ ، ص ١٢٢ .

أَهْلَ نَجْرَانَ أَمْسِكُوا بِهَدْيِ اللهِ ... وَكُونُوا يَداً عَلَى الكُفَّارِ
لاَ تَكُونُوا بَعْدَ اليَقِينِ إِلى الشَكِّ ... وَبَعْدَ الرِضَا إِلَى الإِنْكَارِ
وَاسْتَقِيمُوا عَلَى الطَرِيْقَةِ فِيهِ ... ثُمْ كُونُوا كَهَيْئَةِ الأَنْصَارِ [١]

ويتضح لنا مما أوردناه عن الشعراء ونماذج من أشعارهم عدة أمور نذكرها على النحو التالي :

أ - تفاوت مستويات هؤلاء الشعراء الذين ذكرناهم فمنهم شعراء مشاهير عرفهم القاصي والداني أمثال : الأعشى ، وابن الزبعري ، حيث نجد لهما أشعاراً كثيرة متناثرة في بطون كتب الأدب . وهناك شعراء آخرون ممن ذكرنا ، وبخاصة النجرانيون منهم ، لا نجد لهم ذكراً كثيراً ، وإنما مواقف الأحداث السياسية ، وما مرت به بلادهم من تحولات اجتماعية وفكرية جعلتهم يعبرون عن وجهة أنظارهم بالشعر ، وكان من الأسلحة ذات التأثيرات القوية .

ب - ما تم إيراده من شعر وشعراء لا يعد حصراً كلياً لشعراء وأدباء أهل نجران وما حولها خلال فترة الرسالة ، وعصر الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ ، وإنما هي أمثلة تعكس لنا بعض الملامح التاريخية والحضارية لتلك الفترة المهمة في تاريخ شبه الجزيرة العربية خاصة ، بل في تاريخ البشرية جمعاء .

ج - تنوع الصور التي وصلتنا من خلال هؤلاء الشعراء وشعرهم ، فقد شاهدنا الأعشى يذهب من بلاد اليمامة حتى يفد على بني الحارث بن كعب في نجران كي يجالسهم ، ويمدحهم ، وينال أعطياهم ، ويصف ما كانوا فيه من ترف ونعيم ، وما يمارسون من طقوس وممارسات اجتماعية وعقدية تحت ظل كعبتهم الشهيرة ، والتي أطلقوا عليها ((كعبة نجران)) . أما ابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب فقد هربا من المسلمين إلى نجران ربما لبعدها، وربما لاعتقادهما أنها موطن لبعض النصارى المدعومين من امبراطورية الروم، وبالتالي فإنهما سوف يكونا في منأى عن أيدي المسلمين ، لكن بعد وصولهما إلى هناك ، ثم استخدام حسان

---

(١) المصدر نفسه ، للمزيد ، انظر ، السومحي ، جـ١ ، ص ٩٤ .

ابن ثابت سلاح الشعر في هجائه لابن الزبعري ، رأى الأخير أنه على خطأ وعاد إلى الحجاز وأعلن إسلامه، ثم سَخَّرَ شعره في خدمة الإسلام . أما ابن هبيرة فبقي على غيه ، ولم يكن لديه إلا أن يهجو زوجته أم هاني عندما سمع أنها تركت ملتها ودخلت دين الإسلام .

أما بقية الشعراء الذين ذكرناهم فنلاحظ أنهم سَخَّروا قريحتهم الشعرية للتعبير عن اعتناقهم الإسلام ، وحبهم لهذا الدين الخالد ، ودفاعاً عنه ، ومدحهم له وما جاء به من القيم والمثل العليا ، وحث أقوامهم على التمسك بهذه الرسالة الربانية التي تقود من تمسك بها إلى الفوز والرضوان بالجنة . ويظهر ذلك واضحاً في شعر عمير بن الحصين النجراني حيث نجده يدعو قومه إلى الثبات على الإسلام ، أثناء عصر الردة ، متخذاً أسلوباً إرشادياً في نغمة الإيمان الصافي ، وروح المسلم الصادق الذي تذوق حلاوة الإيمان ، فتعمق في نفسه ، وأسر لبه .



ثانياً : نماذج من شعر وشعراء القسم الثاني :

١ - عمرو بن معدي كرب الزبيدي

عمرو بن معدي كرب ، الذي ورد معنا ذكره في باب الخطابة والخطباء ، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام ، وشارك في الفتوحات الإسلامية ، ومات في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عام (٢١ هـ / ٦٤٢ م) ، له من الأشعار في الجاهلية والإسلام الشيء الكثير ، ومن الصعب أن نلم بأشعاره في هذه الدراسة ، وسوف نورد بعضاً من نماذج شعره في فترة الفتوحات الإسلامية [١] .

---

(١) للمزيد عن ترجمة وأشعار عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص٢٤٠ – ٢٤٢ ، ابن عبد ربه ، جـ ١ ، ص ٨٦ ، ١٠٥ ، ١٠٩ – ١١٠ ، ١٣٦ ، ٢٧٥ ، ٣١٨ ، المسعودي ، مروج ، جـ١ ، ص ٣٢٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص٥٧٦ ، ابن أعثم ، جـ١، ص٧١ وما بعدها ، الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار إحياء التراث) جـ ١٥ ، ٢٠٨ وما بعدها ، الجاسر ، التعليقات ، جـ ٢ ، ص ٧٦٨ ، ٧٧٣ ، ٩٨٤ .

ونجد عمرو بن معدي كرب الزبيدي يقول أشعاراً كثيرة ، مثال ذلك ما قاله في حروب المسلمين مع الفرس والتي سجل فيها فخره بموقف قومه (مذحج) في معركة القادسية ، قوله :

وَالقَادِسِيَّةُ حَيْثُ زَاحَـمَ رُسْتُمُ ... كُنَّا الحُمَاةُ بِهِـنَّ كَالأَشْـطَـانِ

الضَّارِبِينَ كُلَّ أَبْيَضَ مِخْـدَمٍ ... والطَّاعِنِينَ مَجَـامِـعَ الأضغَانِ

وَمَضَى رَبِيْعٌ بِالجُنـودِ مُشَرِقاً ... يَنْوِي الجِهَادَ وَطَاعَـةَ الرَّحمانِ

حَتَّى اسْتَبَاحَ قُرىَ السَوادِ وفَارِسٍ ... وَالسَّهْلُ وَالأَجْبَـالَ مِـنْ مَكْرَانِ

قَوْمٌ هُمُ ضَرَبُوا الجَبابرَ إِذْ بَغَوا ... بِالمشْرِفيَّـةِ مِـنْ بَنِي سَاسَانِ [١]

ويذكر أن عمر بن الخطاب ﷺ كتب إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ في يوم القادسية ، وأمره أن يعطي الناس أعطياتهم على قدر ما معهم من القرآن ، فقال سعد لعمرو بن معدي كرب ، ما معك من القرآن ؟ قال : ما معي شيء ، قال : إن أمير المؤمنين كتب إلى أن أعطي الناس على قدر ما معهم من القرآن فأنشد قائلاً :

إِذَا قُتِلْنا وَلا يَبْكِي لَنَا أَحَـدٌ ... قَالَتْ قُرَيْشٌ ألا تِلْكَ المَقَادِيرُ

نُعْطِي السَّوِيَّة من طعن له نَفَذٌ ... وَلاَ سَوِيَّةَ إِذْ تُعْطَى الدَّنَانِيرُ [٢]

فعندما سمع عمر بن الخطاب بشعر عمرو بن معدي كرب ، كتب إلى سعد بن أبي وقاص وأمره أن يُعْطي على مقاماته في الحرب [٣] .

---

(١) السومحي ، جـ١ ، ص ١٠٦ ، وللمزيد ، انظر ، النعمان عبد المتعال القاضي . شعر الفتوح الإسـلامية في صـدر الإسلام (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ص ٢١٥ .

(٢) ابن عبد ربه ، جـ١ ، ص ٣١٨ .

(٣) المصدر نفسه .

ومن الهجاء الشخصي الذي يدخل تحت لون الهجاء السياسي وما يقال للأمراء والولاة في شكل عتاب أو تأنيب أو خلافه من المعاني التي فيها جفوة وحدة ، ولعل من هذا القبيل مخاطبة عمرو بن معدي كرب الزبيدي للأمير سعد بن أبي وقاص ﷺ في يوم القادسية ، حيث يقول :

ألا أبْلِغْ أَميرَ الناسِ سَعْــداً ... فَقَــدْ كَذبــتْ أليتهُ وَجَــارَا

وَحرق نابه ظُلماً وَجَهْــراً ... عَلى فَقْدٍ أَتَى دَمــاً وَعَّــارا

هَبِلْتَ لَقَدْ نَسِيتَ جِلادَ عَمرو ... وَأَنْتَ كَــخامِع تَلــجُ الْوِجَــارَا

أُطَاعِنُ دُونَكَ الأعَدَاءَ شَزْرَاً ... وأَغْشَى البِيضَ والأسل الحِرَارا

بِبَابِ القَادِسِيَّــةِ مُسْتَميتَاً ... كَليثِ أَرِيــكَــة يَأَبى ألفِــرَارا

أَكرُ عَليهِمُ مهْــرِي وَأَحمِي ... إِذَا كَرِهُوا الحَقَائِقَ والذّمَارَا [١]

٢ - النجاشي :

هو قيس (وقيل سمعان) بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب بنجران ، ويكنى أبا الحارث ، أو أبا محاسن ، عرف بالنجاشي : بسبب أدمة بشرته ، أو بسبب أمه الحبشية ، كان من الشعراء المخضرمين ، عرفه الناس وهابوه لأبيات له في الهجاء . وكان هجاؤه لبني العجلان ، أو بمعنى آخر للشاعر ابن مقبل ، مما جلب عليه اللوم (والعقوبة فيما يبدو) من جانب عمر بن الخطاب ﷺ [٢] .

---

(١) انظر ، مطاوع الطرابيشي . شعر عمرو بن معد كرب الزبيدي (دمشق ، د . ن ، ١٩٧٤ م) ، ص ١٠٠ .

(٢) انظر ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص٢٠٩ – ٢١١، ابن عبد ربه ، جـ ٢ ، ص٣٣٢ ، جـ ٥ ، ص٩٢ ، جـ ٦ ، ص٢٣٧ ، ابن حجر ، الإصابة ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص٢٧٩ ، الزركلي ، جـ ٥ ، ص٢٠٧ ، فـؤاد سـزكين ، تاريخ التراث العربي ، مج (٢) ، جـ (٢) ، ص ٣٤٥ ، ياسين الأيوبي . معجم الشعراء في لسان العرب (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٧ م) ، ط (٢) ، ص ٢٩١ .

فلقد هاجم النجاشي قريشاً ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وابن مقبل وكان دونه في المنزلة . كما كان من أنصار علي بن أبي طالب ﷺ ، وحارب في صفين ، وهجا معاوية بن أبي سفيان ﷺ في شعره ، وتوفي في بلاد اليمن عام (٤٠ هـ/٦٦٠ م)[١]، ويذكر أنه دفن بنجران [٢] .

وإلى جانب براعته في الهجاء ، كان بارعاً أيضاً في شعر الوصف لا سيما وصف الحروب وويلاتها ومن أشعاره في هذا المقام ، عندما اشتدت الحروب في معركة صفين بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ ، وأدى الأمر في النهاية إلى رفع المصاحف على أسنة الرماح مطالبين بالتحكيم ، قال النجاشي شعراً صور فيه بلاء القبائل اليمانية في هذه الحروب حتى الجأت أهل الشام إلى رفع المصاحف [٣] :

حَسِبْتُمْ طِعَانَ الأَشْعَرِيْن وَمَذْحِجٍ ... وَهَمْدَانَ أَكْلُ الزُّبْدِ بالصَّرِفَـــانِ

فَمَا قُـــتِلَتْ عَكٌّ ولَخْم وحِمْيَرٌ ... وَعَيْلانُ إلاَّ يَـــوْمِ حَرْبِ عَوَانِ

وَمَا دُفِنَتْ قَتلَى قُرَيْشٍ وَعَامِــرٍ ... بِصِفين حَتى حُكِّـــم الحكَمَـــانِ

غَشَيْنَاهُمُ يَومَ الهرِيْــرِ بِعُصْبَةٍ ... يَمَانِيةٍ كَـــالسَيلِ سَيْـــلِ عِــرَانِ

فَأَصْبَحَ أَهْلُ الشَامِ قَدْ رَفَعُوا القَنَا ... عَليهَا كِتَـــابُ اللهِ خَيرُ قُـــرَانِ [٤]

وتبدو في هذه الشعر صورة العصبية القبلية والتمايز القبلي وإن أدخل الشاعر ذلك تحت مظلتي الشام والعراق .

ثم يصور هول هذا الصراع وبشاعة مخلفاته فيقول [٥] :

---

(١) المصادر والمراجع نفسها .

(٢) انظر ، البغدادي ، خزانة الأدب (مطبعة بولاق) ، جـ ١ ، ص ١١٧ .

(٣) انظر ، ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ٥٢٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

وَمَا زَالَ مِنْ هَمْدَانَ خَيْلٌ تَدُوسُهُمْ سِمَانٍ وَأُخْرَى جِـدُّ غَيْرِ سِمَانِ

فَقَامُوا ثَلاثاً يَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُمُ عَلى غَيرِ نَصْفٍ والأنُوفُ دَوانِ

وَمَا ظَنُّ أَولادِ الإمَاءِ بَني اسْتِهَا بِكُلِّ فَتى رِخْـوِ النِّجَادِ يَمَانِ

فَمَنْ يرَ خَيْلَيْنا غَدَاةَ تَـلاقِيَـا يَقُـلْ جَبَلا جَـيْلاَنِ يَنْتَطِحَـانِ

كَأنَّهُمَا نَارَانِ في جَـوفِ غَمْرَةٍ بِلا حَطَبٍ حَدَّ الضُحَى تَقِدَانِ

وَعَارِضَـةٍ بَرَّاقَـةٍ صَوبُهَا دَمٌ تَكشَّفَ عَنْ بَرْقٍ لَهَا الأُفُقَانِ [(١)]

أما في الهجاء فمنه هجاؤه قبائل بني العجلان ، فاستعدوا عليه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : وما قال ؟ فأنشدوه : [(٢)].

إِذا اللهُ عَادَى أَهْلَ لُؤْمٍ وَرِقَّةٍ فَعَادَى بَني العَجْلاَنِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ

فقال عمر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا : إنه قال :

قُبَيِّلَـةٌ لاَ يَغْـدُرونَ بِذِمَّـةٍ وَلاَ يَظْلِمُونَ النَاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فقال عمر ﷺ : ليت آل الخطاب كذلك ، قالوا فإنه قال :

وَلاَ يَرِدُونَ المَـاءَ إِلاَ عَشِيَّـةً إِذَا صَدَرَ الـوُرّادُ عَنْ كُلِ مَنْهَلِ

فقال عمر : ذلك أقل للسكاك يعني الزحام ، قالوا فإنه قال :

تَعَافُ الكِلاَبُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بنَ عَوْفٍ وَنَهْشَلِ

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) انظر ، ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢١٠ ، وللمزيد انظر ، ابن رشيق ، القيرواني العمدة في محاسن ، الشعر ونقـده (بيروت : دار الجيل ، ١٩٧٢ م) ، جـ١ ، ص ٥٢ .

فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا إنه قال :

وَمَا سُمِّيَ العَجْلاَنُ إِلاَّ لِقَولِـهِمْ   خُذْ القَعْبَ واحْلِبْ أَيُّهَا العَبْدُ وَاعْجَلِ

فقال عمر : كلنا عبد وخير القوم خادمهم .

وقد سأل عمر حسان بن ثابت (رضي الله عنهما) عن هذا الشعر لا لعدم معرفته بالمعاني وإنما لما يحتمله الشعر من مدح أو ذم بالنسبة للجاهلية والإسلام ، فقال حسان إنه سلح عليهم ملاحظاً في ذلك القيم الجاهلية ، بينما عمر ﷺ نظر إلى الأبيات من ناحية القيم الإسلامية [٢] .

على أن عمر قد أخذ آخر الأمر بحكم حسان فسجن الشاعر أو هدده بقطع لسانه مما أثار حفيظة النجاشي على حسان فاستعر الهجاء بينهما فيما بعد .

وكان من هجاء النجاشي العام الذي لا يخص به قبيلة أو قبائل معينة ، وإنما يهجو فيه مجتمع مدنياً ، ما قال في هجاء أهل الكوفة عندما حده الإمام علي بن أبي طالب ﷺ لشربه الخمر في شهر رمضان ، حيث يقول : [١]

إِذَا سَقَى اللهُ قَوماً صَوْبَ غَادِيَةٍ   فَلاَ سَقَى اللهُ أَهْلَ الكُوفَةِ المَطَرَا

التَّارِكِينَ عَلَى طُهْرٍ نِسَاءَهُمُ   وَالنَّاكِحِينَ بِشَطَّي دِجْـلَةَ البَقَرَا

وَالسَّارِقِينَ إِذَا مَا جَنَّ لَيْلُهُمُ   وَالدَارِسِينَ إِذَا مَا أَصْبَحُوا السُّوَرَا

أَلْقَى العَدَاوة وَالبَغْضَاءَ بَيْنَهُمُ   حَتَّى يَكُونُوا لِمَنْ عَادَاهُمُ جَزَرَا [٢]

---

(٢) المصدران نفسهما ، وللمزيد انظر ، السومحي ، ص ١٥٥ – ١٥٦ .

(١) ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٤ ، ص ٤٩٢ – ٤٩٣ .

(٢) المصدران نفسهما .

وفي هذه الأبيات من الهجاء المقذع ما فيه ، فقد وصفهم بالشذوذ حيث ينصرفون عن النساء التي أحلها الله إلى إتيان البهائم ، كما وصفهم بالرياء ، والنفاق، والشقاق ، وهي صفات يبدو أنها عرفت عنهم في ذلك العهد . ويبدو أن مجتمع الكوفة قد ثار على الشاعر لشربه الخمر في رمضان ولخروجه على شريعة الإسلام وأنه أوذى ، وأهين ، وضرب ، ولهذا نجده يقول لهم [1] .

ضَرَبُونِي ثُمَّ قَالُوا قَدَرٌ قَدّرَ اللهُ لَهُمْ شَرَّ القَدَرْ [2]

وفي باب المدح والإعجاب نظم النجاشي أيضاً بعض الأشعار ، منها ما مدح به الأشتر النخعي ، أحد قادة الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ في معركة صفين ، حيث قال :

رَأَيْتُ اللّوَاءَ لِواءَ العُقَابِ يُقَحّمه الشَّانِىءُ الأَخْزَرُ
كَلَيثِ العَرِيْنِ خِلالَ العُجَاجِ وَأَقْبَلَ فِي خَيْلِهِ الأَبْتَرُ
دَعَوْنَا لَهَا الْكَبْشَ كَبْشَ العِرَاقِ وَقَدْ خَالَطَ العَسْكَرَ العَسْكَرُ
فَرَدَّ اللّوَاءَ عَلَى عَقْبِهِ وَفَازَ بِحَظْوَتِهَا الأَشْتَرُ
كَمَا كَانَ يَفْعَلُ فِي مِثْلِهَا إِذَا نَابَ مُعْصَوصَبٌ مُنْكَرُ
فَإِنْ يَدْفَعِ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ فَحَظُّ العِرَاقِ بِهَا الأَوفَرُ
إِذَا الأَشْتَرُ الْخَيرُ خَلَّى العِرَاقَ فَقَدْ ذَهَبَ العُرْفُ وَالْمُنْكَرُ [3]

---

(١) ابن قتيبة ، الشعر ، ص ٢١٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) انظر ، ابن مزاحم ، وقعة صفين ، ص ٣٩٦ .

وفي باب الرثاء قوله في رثاء أبي عمرة عمرو بن محصن الأنصاري ، الذي قتل في حروب صفين في جيش الإمام علي بن أبي طالب ﷺ [١] ، حيث تعبر أبياته عن عاطفة جياشة ووفاء ظاهر تجاه أبي عمرة فيقول :

لَنعْمَ فَتَى الحَيَّينِ عَمْرو بنُ مِحْصَنٍ إذَا صَائِحُ الْحَـيِّ الْمُصَبِّحُ ثَوَّبَا

إذَا الخَيْلُ جَالَتْ بَيْنَهَا قَصَدَ القَنَا يُثِرْنَ عَجَاجَـاً سَاطِعَاً مُتَنَصِّبَاً

لَقَدْ فُجِعَ الأَنْصَارُ طُرَّاً بِسَيِّـدٍ أَخَا ثِقَةٍ فِي الصَّالِحِـيْنَ مُجَرَّبَا

فَيَارَبَّ خَيْرٍ قَـدْ أَفدتُ وَجَفْنَةٍ مَـلأتُ وَقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُخَيَّبَا

وَيَارُبَّ خَصْمٍ قَدْ رَدَدْتُ بِغَيْظِهِ فَآبَ ذَلِيْلاً بَعْدَ مَا كَانَ مُغْضَبَا

وَرايةِ مَجْدٍ قَدْ حَمَلْـتُ وَغَزْوَةٍ شَهِدتُ إذَا النِّكْسُ الْجَبَـانُ تَهَيَّبَا

حَوُوطاً عَلَى جُلِّ الْعَشِيرَةِ مَاجِدَاً وَلَمْ يَكُ فِي الأَنْصَارِ نِكْسَاً مُؤَنَّبَا

طَوِيلَ عَمُودِ الْمَجْدِ رحباً فِنَاؤُهُ خَصِيْبَاً إذَا مَا رَائِدُ الْحَيِّ أَجْدَبَا

عَظِيْمُ رَمَادِ النَّارِ لَمْ يَكُ فَاحِشَاً وَلاَ فَشِلاً يَوْمَ القِتَـالِ مُغَلَّبَـاً

وَكُنْتَ رَبِيْعَاً يَنْفَعُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفَاً جِرَازَاً بَاتِكَ الْحَدِّ مُقْضَبَاً

فَمَنْ يَكُ مَسْرُورَاً بِقَتْلِ ابْنِ مِحْصَنٍ فَعَاشَ شَقِيَّاً ثُمْ مَاتَ مُعَذَّبَاً [٢]

ويجب ألاَّ يخدعنا النجاشي بما أورده من ألفاظ ومعانٍ قوية ، وبما أضفاه من أوصاف على مرثيته ، فهو إما مبالغ أو متكلف ، ونلمس هذه المبالغة وهذا التكلف في التكرار والإعادة في المعاني ، والناظر في هذه الأبيات يلاحظ أن الشاعر قد أضفى على

---

(١) ابن مزاحم ، ص ٣٥٧ .

(٢) المصدر نفسه .

أبي عمرة كثيراً من الصفات منها ، الشجاعة ، والكرم ، ولولا كلمة " فجع " في البيت الثالث لظننا أن هذه القصيدة مدحاً لا رثاءً .

ومن مراثي النجاشي أيضاً مرثيته في الحسن بن علي بن أبي طالب ، وجاء فيها : [(١)]

جَعْدَةُ [(٢)] بَكّة ولاَ تَسْأَمِي ... بَعْدَ بُكَـاءِ المعُـولِ الثَّاكلِ

لَمْ يُسْبَلِ السِّتْرَ عَلَى مِثْلِهِ ... فِي الأَرْضِ مِنْ حَافٍ وَمِنْ نَاعِلِ

كَانَ إِذَا شُبَّتْ لَـهُ نَـارُه ... يَرْفَعُهَـا بِالسَّنَـدِ الفَاتِـلِ

كَيمَا يَرَاهَا بَائِسٌ مُرمِـلٌ ... وَفَـرْدُ قَـوْمٍ لَيْـسَ بِالآهِـلِ

يَغْلِي بَنِيَّء اللَّحْمِ حَتَّى إِذَا ... أَنْضَجَهُ لَـمْ يُغل مِنْ آكِـلِ

أَعْنِي الَّذِي أَسْلَمَنَا هُلْكُه ... لِلزَّمَنِ الْمُستَحْرَجِ المَاحِـلِ [(٣)]

ومن شعر اللوم والعتاب ما قاله النجاشي الحارثي يلوم اليمنيين ويعاتبهم على تفرقهم في بلاد الشام وغيرها من بلدان المسلمين ، وعلى سكوقم على الضيم ، معتقداً أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان يرسلهم في غزوات البحر ، ويرسل قبائل قيس في البر فقال : [(٤)] .

ألاَ أَيُّهَا النَّاسُ الَّذِينَ تَجَـمَّعُوا ... بِعَكَّا أُنَـاسٌ أَنْتُـمُ أَمْ أَبَاعِـرُ

أَيُتْرَكُ قَيْسٌ آمِنِينَ بِـدَارِهِمْ ... وَنَرْكَبُ ظَهْرَ البَحْرِ وَالبَحْرُ زَاخِرُ

(١) انظر ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ١ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٢) جعدة : يقال انها بنت للأشعث بن قيس الكندي وكانت زوجة للحسن بن علي بن أبي طالب ، انظر ، المسعودي ، مروج ، مج ١ جـ ٢ ، ص ٤٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٧ - ٤٢٨ .

(٤) البغدادي ، خزانة ، جـ١ ، ص ٤٦٧ (ط . بولاق) .

فَوالله مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلٌ أَهَمْدَانُ تَحْمِي ضَيْمَهَا أَمْ يُحَابِرُ
أَم الشَّرَفُ الأَعْلَى مِنْ أَوْلَادِ حِمْيَرٍ بَنُو مَالِكٍ أَنْ تَسْتَمِر المَرَائِرُ
أَأَوصَى أَبُوهُمْ بَيْنَهُمْ أَن تَوَاصَلُوا وَأَوصَى أَبُوكُمْ بَيْنَكُمْ أَنْ تَدَابَرُوا [٢]

ويظهر من هذا الشعر اشتداد الشاعر في لومه وعتابه لليمنيين ، حيث مزج شعره بالسخرية ، فهو يتساءل إن كان هؤلاء القوم أناساً يشعرون ويحسون أو أنهم جمال لا احساس لهم ولا شعور ، وهو يرجح أن يكونوا كالأباعر لا إحساس لهم ، ولو لم يكونوا كذلك لما ركبوا المخاطر ، وتعرضوا للمهالك ، وغيرهم ينعم بالأمان ، ويختار الأسلم من الأمور .

٣ جعفر بن علبة الحارثي :

هو جعفر بن علبة بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد المدان ، ينتهي نسبه إلى مذحج [٣] . ولد ونشأ في نجران في قبيلة بني الحارث بن كعب ، وكان فارس قومه وشاعرهم ، كما كان أبوه (علبة بن الحارث) شاعراً أيضاً . وكغيره من شعراء عصره لم نجد تحديداً لميلاده ، أو أخباراً عن نشأته الأولى ، وكل ما نعرفه من أخبار هذا الشاعر تلك الحادثة التي أودت بحياته ، ولكنها حفظت لنا بعض أخباره ،

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) للمزيد عن ترجمة لهذا الشاعر وأشعاره ، انظر ، الأصفهاني ، الأغاني (طبعة دار حياء التراث العربي) جـ١٣ ، ص٤٥ وما بعدها " جعفر بن علبة الحارثي – حياته وما تبقى من شعره "، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور / شوادفي أحمد علام . مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة (جامعة الأزهر)، العدد (١٢) عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ، ص ٣٤١ – ٤٢٩ ، محمد بن حبيب . أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام (القاهرة : طبعة لجنة التأليف والترجمة ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م) جـ ٢ ، ص ٢٠٧ ، شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي (بيروت ، د . ن ، د . ت) جـ١ ، ص٤٦ ، ياقوت ، معجم ، جـ٣ ، ص ١٩٤ – ١٩٥ ، البغدادي ، خزانة الأدب ، جـ ٤ ، ص ٤٢٢ ، الزركلي ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

وهي حادثة قتله لأحد العقيليين ورفع أمره لوالي مكة ثم حبسه في مكة المكرمة والقَوَدُ منه بقتله . وقد اضطربت الروايات حولها واختلفت ، ولعل أبا الفرج الأصفهاني ، خير من يعطينا صورة لهذا الاضطراب ، وذاك الاختلاف حيث يقول : ((**وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل : قيل : إنه قتله في شأن أمة كانا يزورانها فتغايرا عليها . وقيل : بل في غارة أغارها عليهم . وقيل : بل كان يحدث نساءهم فنهوه فلم ينته ، فرصدوه في طريقه إليهن فقاتلوه فقتل منهم رجلاً فاستعدوا عليه السلطان فأقاد منه**)) [١] .

ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف فإن الشاعر قد رفع من نجران وحبس بمكة في القرن الثاني للهجرة ، وتردد الوالي في قتله لخؤولة أبي جعفر المنصور في بني الحارث ابن كعب ، ولكن العقيليين أقاموا القسامة عليه وهددوا الوالي إن لم ينصفهم ليقدمن على الخليفة المنصور ، ويجيب الوالي بعد هذا التردد فيقيد لهم منه بقتله [٢] .

وكما اختلفت الروايات في تحديد أسباب الحادثة التي أدت إلى مقتل الشاعر اختلفت في تحديد زمان ومكان القَوَد منه ، فبينما نجد أبا الفرج الأصفهاني يذكر أن الحادثة كانت في عهد أبي جعفر المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي ، وأنه نسخ ذلك من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني بأثره عن أبيه [٣] ، إذ به ينقل عن ابن الكلبي أن الحادثة كانت في عهد إبراهيم بن هشام المخزومي ، ومن ثم فإن الرواية تقرر أنه قتل في عهد هشام بن عبد الملك بن مروان . وإذ به يعود وينسخ من كتاب للنضر بن حديد يقرر فيه أنه قتل في عهد المنصور وأن الوالي على مكة كان السرى بن عبد الله الهاشمي . وبعد نقل صاحب الأغاني لهذه الروايات نجد التبريزي في

---

(١) انظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٩ وما بعدها ، " جعفر بن علبة الحارثي " ، ص ٣٤٦ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ – ٢٧٢ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٣) محمد بن حبيب ، أسماء المغتالين ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ .

شرحه على حماسة أبي تمام يقرر وبدون تردد أن القتل كان في عهد الوالي إبراهيم بن هشام المخزومي [(١)] .

ويبقى بعد ذلك أن نقف عاجزين عن تحديد السنة التي قتل فيها الشاعر ، فلم يذكر أحد ممن ترجموا له تحديداً لهذه السنة ، وقد حزن عليه أبوه حزناً شديداً ، بل نجران كلها بكت مقتله ، فيذكر أبو الفرج أن أباه عندما علم بمقتله عمد إلى كل ناقة وإلى كل شاة ونعجة فذبح ابنها ورماه أمامها وقال : ابكين معنا على جعفر [(٢)] .

وقد وصف أبو الفرج جعفر بن علبة بأنه شاعر مقل غزل فارس مذكور في قومه، وهذه الصفات في الواقع تنطبق على الشاعر ، فأما كونه غزلاً فله أبيات في غاية الجودة ، وحادثة قتله ربما أفصحت عن هذه الصفة ، وأما كونه فارساً مذكوراً في قومه فيظهر ذلك من خلال شعره ، وتبقى صفة القلة في شعره فهذا مالا نستطيع أن نثبته أو ننفيه ، لا نستطيع أن ننفيه لأن ما بين أيدينا من شعره قليل ، ولا نستطيع أن نثبته لأن شعر أهل نجران وبلاد اليمن في هذه المدة قد أصيب بالإهمال وعدم التسجيل .

ومهما يكن من الأمر فإن الذي نلاحظ على شخصية الشاعر هو أنه كان مستهتراً رقيق الدين ، يظهر لنا من حادثة قتله كما يظهر لنا من شربه الخمر ، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن جعفر بن علبة شرب خمراً حتى سكر فأخذه السلطان وحبسه ، فأنشد يقول : [(٣)]

---

(١) انظر ديوان الحماسة للتبريزي ، جـ١ ، ص ٤٦ ، " جعفر بن علبة ... " ، ص ٣٥٢ وما بعدها .

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٦ ، " جعفر بن علبة " ، ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٣) انظر ، الصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٥ ، " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٧ .

لَقَـدْ زَعَمُوا أَنِّي سَكِـرْتُ وَرُبَّمَا يَكُونُ الفَتَى سَكْرَانَ وَهُوَ حَلِيمُ
لَعَمْرُكَ مَا بِالسُّكْرِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى وَلَكِـنَّ عَـاراً أَنْ يُقَـالُ لَئِيـمُ
أَسِجْنٌ ، وَقَيْدٌ ، وَاغْتِرَابٌ ، وَعُسْرَةٌ وَذِكْـرُ حَبِيْـبٍ ؟ إِنَّ ذَا لَعَظِيـمُ
وَإِنَّ أَمْـرَءاً دَامَـتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ عَلَـى دُوْنَ مَـا لاَقَيْتُهُ لَكَرِيْمُ [(١)]

فهو يقرر هنا أن العار ليس في السكر ، وإنما في اللؤم ، ويظهر لنا في هذه الأبيات شخصية أخرى فيها الوفاء ، وفيها الكرم والرجولة والكبرياء . وهذا الكبرياء يبرر في موقف القود منه قال ابو الفرج :

((فلما أخرج جعفر للقود قال له غلام من قومه : أسقيك شربة من ماء بارد ؟ فقال له : أسكت لا أم لك ، إنّي إذاً لمهياف . وانقطع شسع نعله فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : أما يشغلك عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أَشُـدُّ قُبَـالَ نَعْلِي أَنْ يَرَانِي عَدُوِّيِّ لِلْحَـوَادِثِ مُسْتَكِيْـنَا [(٢)]

ويذكر أنه حصل مشادات بين بني الحارث في نجران والعقيليين في نجد ، وعرفت تلك التراعات بـ (يوم سحبل) [(٣)] ، الذي على أثره قتل الحارثيون رجلاً من بني عقيل فشكاهم العقيليون إلى والي مكة المكرمة ، في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، الذي اقتاد للعقيليين من الحارثيين ، وقتل جعفر بن علبة قصاصاً ، وفي هذه الحادثة يقول جعفر شعراً قبل أن يقتل : [(٤)]

---

(١) المصدر والمرجع نفسهما .
(٢) الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٥٣ ، ابن جريس ، دراسات ، جـ١ ، ص ٢٧٢ .
(٣) سحبل : موضع في ديار بني الحارث بن كعب في نجران ، انظر ، ياقوت ، معجم ، جـ ٣ ، ص ١٩٤.
(٤) " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٩ وما بعدها .

أَلاَ لاَ أُبالِي بَعْدَ يَوْمٍ بِسَحْبَلٍ إِذَا لَمْ أُعَذَّبْ أَنْ يَجِيءَ حِمَامِيَا
تَرَكْتُ بِأَعْلَى سَحْبَلٍ وَمَضِيْقِه مُرَاقَ دَمٍ لاَ يَبرَحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا
شَفَيْتُ بِهِ غَيْظِي وَجُرِّبَ مَوْطِنِي وَكَانَ سَنَاءً آخِرَ الدَّهْرِ بَاقِيَا
أَرَادُوا لِيَثْنُونِي فَقُلْتُ تَجَنَّبُوا طَرِيْقِي فَمَالِي حَاجَةٌ مِنْ وَرَائِيَا
فِدَى لِبَنِي عَمٍ أَجَابُوا لِدَعْوَتِي شَفَوا مِنْ بَنِي القَرْعَاءِ عَمِّي وَخَالِيَا
كَأَنَّ بَنِي القَرْعَاءِ يَوْمَ لَقِيْتُهمْ فِرَاخُ القَطَا لاَ قَيْنَ صَقْراً يَمَانِيَا
تَرَكْنَاهُمُ صَرْعَى كَأَنَّ ضَجِيْجَهُمْ ضَجِيْجَ دَبارَى النِّيب لاَقَتْ مُدَاوِيَا
أَقُولُ وَقَدْ أَجَّلتُ مِن اليَومِ عَرْكَة لِيَبْكِ العَقِيلَينِ مَنْ كَانَ بَاكِيَا
فِإنّ بِقُرّىْ سَحْبَلٍ لأمَارَة وَنَضْحَ دِمَاءٍ مِنْهُمُ وَمُحَابِيَا
وَلَمْ أَتْرِكْ لِيَ رِيْبَةً غَيْرَ أَنَّنِي وَدِدتُ مُعَاذاً كَانَ فِيْمَنْ أَتَانِيَا
شَفَيْتُ غَلِيْلِي مِنْ خَشِينَة بَعْدَ مَا كَسَوْتُ الْهُذَيْلَ الْمُشْرَفِّي اليَمَانِيَا [١]

وفي هذه الأبيات تظهر لنا صورة من صور عصبيات الجاهلية ، وما كان بين العشائر والقبائل من نزاعات وصراعات أودت بحياة كثير منهم ، وقد تكون لأسباب تافهة ، ولكن العصبيات القبلية والجهل جعلهم لا يتورعون عن خوض تلك الحروب الدامية ، مع أن ذلك كان في العهد الإسلامي .

ومما قال جعفر من شعر يفتخر بنفسه وقومه يوم سحبل ، واستعراضه لما كان في ذلك اليوم من بلاء لقومه ، أن قال : [٢]

---

(١) المصدر نفسه ، وللمزيد ، انظر ، كتاب الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٧ .
(٢) انظر ، الأصفهاني ، الأغاني ، جـ ١٣ ، ص ٤٨ – ٤٩ .

وَسَائِلَةٍ عَنَّا بِغَيْبٍ وَسَائِلٍ ... بِمَصْدَقِنَا فِي الْحَرْبِ كَيفَ نُحَاوِلُ

بِعَيْشَة قُرّىْ سَحْبَلٍ إِذْ تَعْطَّفَتْ ... عَلَيْنَا السَّرَايَا والْعَدُّو الْمُبَاسِلُ

فَفَرَّجَ عَنَّا اللهُ مَرْحَى عَدِّونَا ... وَضَرَّبَ بِبيضُ المشرَفِيَّةِ خَابِلُ

إِذَا مَا رَصَدْنَا مَرْصَداً فَرَّجَتْ لَنَا ... بِأيْمَانِنَا بِيْضُ جِلَتْهَا الصَّيَاقِلُ

وَلَمَّا أَبَو إِلاَّ الْمُضِيَّ وَقَدْ رَأَوا ... بِأَنَّ لَيْسَ مِنَّا خَشْيَةَ الْمَوتِ نَأَكِلُ

حَلَفْتُ يَميناً بَرَةً لَمْ أُرِدْ بِهَا ... مَقَالَةَ تَسْمِيْعٍ وَلاَ قَوْلَ بَاطِلُ

لَيَخْتَصِمَنَّ الْهُنْدِوَانِيِّ مِنْهُمُ ... مَعَاقِدُ يَخْشَاهَا الطَّبِيْبُ الْمُزاوِلُ

وَقَالُوا لَنَا ثِنْتَانِ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا ... صُدُورُ رِمَاحٍ أُشْرِعَتْ أَوْ سَلاَسِلُ

فَقُلْنَا لَهُمْ يُكْلِمْ إِذَاً بَعْدَ كَرَّةٍ ... تُغَادِرُ صَرْعَى نَهْضُهَا مُتَخَاذِلُ

وَقَتْلى نُفوسٍ فِي الْحَيَاةِ زَهِيدَةٍ ... إِذَا اشْتَجَرَ الْخَطِيّ وَالموتُ نَازِلُ

لَهُمْ صَدْرُ سَيْفِي يَومَ بَطْحَاءَ سَحْبَلٍ ... وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيهِ الأَنَامِلُ [١]

ومن شعره في لوعة الفراق وهو يصوره تصويراً فاجعاً ، قوله :

أَشَارَتْ لَنَا بِالكَفِ وَهِيَ حَزِيْنَةٌ ... تُوَدِّعُنَا إِذْ لَمْ يُوَدِّعْ سَلاَمُهَا

وَمَا أَنْسَ مَالأَشْيَاءَ لاَ أَنْسَ قَوْلَهَا ... وَقَدْ زَلّ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا لِثَامُهَا

أَمَا مِنْ فِرَاقِي الْيَوْمَ بُدٌّ وَلاَ النَّوَى ... بِمُجْتَمعٍ إِلاَ لِشَحْطِ لِمَامُهَا ؟

فَلَو كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِ صَبَابَةٍ ... لأَذْرَيتُ عَيْنِي دَمْعَةً لاَ أَلُومُهَا

---

(١) المصدر نفسه .

وَلَكِنَّ لِيْ عَيْنَاً كَتُومَاً بِمَائِهَا   جَمُودَاً بناءُ النَّاظِرِيْنَ انْسِجَامُهَا [(١)]

وكذلك من شعره في تصوير معاناته في السجن ، والظروف التي ألقته فيه ، وكيف أصبح يائساً من خروجه منه ، ثم تعزيته نفسه بالشجاعة ، ومؤاساتها بالصبر على الذل والهوان ، فقال :

إِذَا بَابُ دَوْرَانٍ [(٢)] تَرَنَّمَ فِي الْدُّجَى   وَشُدَّ بِإِغْلاقٍ عَلَيْنَا وَأَقْفَالِ
وَأَظْلَمَ لَيْــلٌ قَامَ عِلْجٌ بِجُلْجُلٍ   يَدُورُ بِهِ حَتَّى الْصَّبَاحِ بِأَعْمَالِ
وَحُرَّاسُ سُوءٍ مَا يَنَامُونَ حَوْلَــهُ   فَكَيْفَ لِمَظْلُومٍ بِحِيْلَةِ مُحْتَالِ
وَيَصْبِرُ فِيهِ ذُو الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى   عَلَى الْذُّلِّ لِلْمَأْمُورِ وَالْعِلْجُ وَالْوَالِي [(٣)]

ومن شعره أيضاً وهو في سجنه حين ألم به طيف محبوبته ، فيعجب من زيارتها له مع إغلاق السجن ، وأخذ يمزج حبه لها وشوقه إليها بموقفه ممن سجنوه ، فقال :[(٤)]

عَجِبْتُ لِمَسْرَاهَا وَأَنَّى تَخَلَّصَتْ   إِلَيّ وَبَابُ السِّجْنِ بِالْقُفْلِ مُغْلَقُ
أَلَمَّتْ فَحَيَّتْ ثُمَّ قَامَتْ فَوَدَّعَتْ   فَلَمَّا تَوَلَّتْ كَادَتِ النَّفْسُ تُزْهَقُ
فَلاَ تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَّعْتُ بَعْدَكُمْ   لِشَيءٍ وَلاَ أَنِّي مِنَ الْمَوتِ أَفْرَقُ

---

(١) انظر ، " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٨ ، السومحي ، ص ١٨٦ .

(٢) دوران : لعله اسم السجن ، ولم توضح القواميس معنى هذه الكلمة ، وإنما ذكرت (الدربان) ، وهو : البــواب ، فارسي معرب .

(٣) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٤٦ .

(٤) المصدر نفسه ، جـ ١٣ ، ص ٥١ .

وَكَيْفَ وَفِي كَفِّي حُسَامٌ مُذَلَّقٌ ... يَعَضُّ بِهَامَاتِ الرِّجَالِ وَيَعْلَقُ
وَلاَ أَنَّ قَلْبِي يَزْدَهِيْهِ وَعِيْدُهُمْ ... وَلاَ أَنَّنِي بِالْمَشْيِ فِي الْقَيْدِ أُخْرَقُ
وَلَكِنْ عَرَتْنِي مِنْ هَوَاكِ صَبَابَةٌ ... كَمَا كُنْتُ أَلْقَى مِنْكِ إِذْ أَنَا مُطْلَقُ
فَأَمَّا الْهَوَى وَالْوُدُّ مِنِّي فَطَامِحٌ ... إِلَيْكِ وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوثَقُ [(١)]

كما يذكر جعفر في بعض أشعاره ، وهو في سجنه بمكة ، شوقه وحنينه إلى موطن صباه ومرابع شبابه في نجران ، ثم يتساءل عن مصيره في السجن هل سيعود إلى موطنه يلهو ويلعب مع أقرانه ، أم أنها النهاية ، فيقول :

أَلاَ هَلْ إِلَى فِتْيَانِ لَهْوٍ وَلَذَّةٍ ... سَبِيْلٌ وتَهْتَاف الْحَمَامِ الْمُطَوَّقِ
وَشَرْبَةِ مَاءٍ مِنْ خَدُوراءَ [(٢)] بَارِدٍ ... جَرَى تَحْتَ أَظْلَالِ الأَرَاكِ الْمُسَوَّقِ
وَسَيْرِي مَعَ الْفِتْيَانِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... أُبَارِي مَطَايَاهُمْ بِصَهْبَاءَ سَيْلَقِ
إِذَا كَلَحَتْ عَنْ نَابِهَا مَجَّ شِدْقُها ... لُغاماً [(٣)] كَمُجِّ البَيْضَةِ الْمُتَرَقْرِقِ
وَأَصْهَبَ جَوْنِيٍّ كَأَنَّ بُغَامَهُ ... تَبَغُّمَ مَطْرُودٍ مَنَ الوَحْشِ مُرْهَقِ
بَرَى لَحْمَ دَفِيهِ وَأَدْمَى أَظَلَّه اجْـ ... ـتِيَابِي الْفَيافِي سَمْلَقاً بعد سَمْلَقِ [(٤)]

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) خدوراء : موضع في بلاد بني الحارث بن كعب في نجران ، انظر ، ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨- ٣٤٩ .

(٣) اللغام : زبد أفواه الإبل ، وهو من البعير بمنزلة بزاق أو لعاب الإنسان .

(٤) انظر ، الأصفهاني ، المصدر نفسه ، جـ ١٣ ، ص ٥٦ ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ ، وللمزيد ، انظر : حمد الجاسر " تحديد منازل القبائل القديمة على ضوء أشعارهم " مجلة العرب ، مج (٨) (١٣٩٣- ١٣٩٤ هـ) ص ٣٠ .

ومن أشعاره في الحماسة ، قوله :

لاَ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلاَ ابْنُ حُرَّة يَرَى غَمَراتِ الْمَوْتِ ثُمْ يَزُورُهَا
نُقَاسِمُهُمْ أَسْيَافَنَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَواشِيهَا وَفِيْهِمْ صُدُورُهَا [١]

وقد قيلت في مقتل جعفر أشعار رثاء وعتاب من والديّ جعفر ، وكذلك من بعض بني الحارث في نجران . فوالد جعفر (علبة الحارثي) ذكر بعض الشعر يرثي ابنه ، فقال :

لَعَمْرُكَ إنِّي يَوُمَ أَسْلَمْتُ جعفَراً وَأَصْحَابَهُ لِلْمَوْتِ لَمَّا أُقَاتِلُ
لَمُجْتَنَبٌ حَبَّ الْمَنَايَا وإِنَّمَا يَهِيْجُ الْمَنَايَا كُلُ حَقٍّ وَبَاطِــلُ
فَرَاحَ بِهِمْ قَوْمٌ وَلاَ قَوْمَ عِنْدَهُمْ مُغَلَّلَةٌ أَيْدِيْهُمُ فِي السَّلاَسِلِ
وَرُبَّ أَخٍ لِي غَابَ لَو كَانَ شَاهِدَاً رَآه التَّبَالِيُّــون لِي غَيرُ خَاذِلُ [٢]

كما قال أيضاً لامرأته قبل أن يقتل جعفر :

لَعَمْرُكِ إنَّ الَّليْلَ يَا أُمَّ جعْفَرٍ ، عَلَيَّ وإنْ عَلَّلتِنــي لطَويلُ
أُحَاذِرُ أَخْبَاراً مِنَ الْقَومِ قَدْ دَنَتْ وَرَجْعَةَ أَنْقَاضٍ لَهُنَّ دَلِيْلُ [٣]

---

(١) " جعفر بن علبة ... " ، ص ٤١٨ .
(٢) الأصفهاني ، المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٥٤ .
(٣) المصدر نفسه .

فأجابته زوجته :

أَبَا جَعْفَرٍ أَسْلَمْتَ لِلْقَومِ جَعْفَراً ... فَمُتْ كَمَداً أو عِشْ وَأَنْتَ ذَلِيْلُ [١]

وقالت امرأة من بني الحارث في حادثة جعفر :

وأَشْهَدُ أَنّ وَعْدَ الله حَقٌ ... وَأَشْهَـــدُ أَنّ عَبَّاساً جَبَانُ [٢]

٤ - **شعراء آخرون** :

وهناك شعراء وجدنا لهم بعض المقطوعات الشعرية ، وهم أصلاً من بلاد نجران ، وقد أوردوا أشعارهم في أبواب مختلفة ، خارج وداخل أرض نجران . كما أن هناك بعض الأعراب الذين قالوا أشعاراً أيضاً في نجران ، وأهميتها الحضارية ، وسوف نذكر بعض النماذج المختصرة لأمثال أولئك الشعراء .

من ذلك ما ذكره الأستاذ حمد الجاسر ، في جمعه وتحقيقه لكتاب : التعليقات والنوادر ، لهارون بن زكريا الهجري (الذي عاش في آواخر القرن الثالث الهجري ، وأوائل القرن الرابع الهجري) حيث ورد في القسم الثاني من الكتاب ((الشعر والرجز)) ، أسماء بعض الشعراء والقبائل التي ينتسبون إليها ، وقد ذكر سبعة شعراء من عشيرة بني الحارث بن كعب في نجران ، وذكر ((٦٠)) بيتاً من أشعارهم ، كانت قد وصلت إلى الهجري عنهم ، ودونها في كتابه آنف الذكر [٣] . منهم جعفر بن علبة

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الجاسر ، التعليقات والنوادر ، (المجلد الخاص بالشعر والرجز) ، ص ٥٠٥ .

الحارثي ، وقد أوردنا عند الحديث عنه ما ذكره الهجري عنه وأورده من شعره يوم سحبل ، وأورد له تسعة أبيات فقط ، قالها يوم سحبل ، ومطلع تلك الأبيات :

يَقُولُ العُقَيْلِيُّونَ إِذْ لَحِقُوا بِنَا سَتَرْجعُ مَقْرُوْناً بِإِحْدَى الرَّوَاحِلِ (١)

أما الستة شعراء الآخرون فلا نجد لهم تراجم واضحة ، وإنما في اعتقادنا أنهم كانوا مغمورين ، وحفظ لنا الهجري بعض أشعارهم ، وهم :

أ – **ابن العرقوب الحماس الحارثي** (٢) ، ولم يذكر الهجري له إلا بيتين فقط هما :

أَلاَ هَلْ أَتَى مَنْ حَلَّ بَطْنَ حَبَوْنَنٍ وَنَجْرَانَ أَخْبَارُ الأُمورِ الجَسَايِمِ
بِأَنَّا رَحَلْنَا العِيْسَ مِنْ ذِي بُوَانَةٍ وَثَجْرٍ عَلَى رَأْيٍ مِنَ القَوْمِ حَازِمِ (٣)

ب – **عفير بن جندل الحماسي الحارثي** ، الذي ذكر له عشرة أبيات ، يفخر فيها بقومه وشجاعتهم في الحروب ، ومطلعها قوله :

ذَاكَ مَمْشَى جِيَادِ قَوْمِي وَفِيْهِمْ كَوْكَبُ العِزِّ حَوْلَـهُ التَّأْيِيْـدُ (٤)

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٠٥ ، ٥٧٢ .

(٢) والحماسي نسبة إلى الحماس بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن مذحج ، المصدر نفسه ، ص ٧٢٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٢٩ ، انظر أيضاً حمد الجاسر ؟ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، د . ت) ، ص ٢٠٨ ، ٢٢٩ .

(٤) الجاسر ، التعليقات (المجلد الخاص بالشعر والرجز) ، ص ٧٤٢ – ٧٤٣ .

ج – وبقية الشعراء السبعة الذين ذكرهم الهجري ، محمد بن سويد العرياني الحاثي [(١)]، وأبو عمر نافع بن أصغر بن معاوية بن الحارث بن كعب [(٢)] ، ونيار بن عبد العزيز الحارثي المذحجي [(٣)]، والحارثي [(٤)] ، وقد ذكروا حوالي تسعة وثلاثين بيتاً في مقاصد وأبواب الشعر المختلفة كالمدح والهجاء والعتاب وغيرها .

د – ابن السلمان الأبناوي النجراني ، ولا نجد أي تفصيلات عن ترجمة هذا الشاعر ، إلا ما ذكر عنه الهمداني بقوله ((**ابن السلماني الأبناوي من ولد حرة بنجران ، وكان أشعر شعراء اليمن في عصره ، وقد وفد على الوليد بن عبد الملك فأوجهه وقدمه وأجزل له ...**)) [(٥)] .

أما شعره فلا نجد أيضاً إلا مقتطفات يسيرة منه حفظها لنا الهمداني ، والقرطبي. فالهمداني أورد عدة أبيات له في باب الرثاء منها رثائه لأحد سادات حمير ، فقال : [(٦)]

---

(١) ذكر له ثمانية أبيات فقط ، المصدر نفسه، ص٨٢٧، ومن تلك الأبيات في مدح بني الحارث ين كعب ، قوله :

أَنْتُمْ بنو الحَارِثِ الكَهْفُ المَلُوذُ به   إذ ا لأُمُوْرُ أعَضَّتْ بالأبَاهِيْمِ
والضَّارِبُوْنَ ونَقعُ الخَيْلِ مُخْتَلفٌ   وَأَنْفُسُ القَومِ تَنْزُوْ في الحَيَازِيْمِ

(٢) المصدر نفسه ، ص ٨٨٦ ، ذكر له خمسة عشر بيتاً يهجي فيها شعراء قيس ، ومطلع تلك الأبيات :

نَأَتْ دَارُ سُعْدَى منْ نَوَاكَ فَأَصبَحَتْ   بغَيْرِ التقالي لا تُدانيكَ دَارُهَا

(٣) وذكر الهجري له سبعة أبيات سمعها من شاعر حارثي آخر يدعى أبو الرديني ، المصدر نفسه ، ص٩١٣.

(٤) الحارثي : لم نجد له ترجمة ، ولكنه من شعراء بنو الحارث بن كعب كما ذكرها الجاسر في كتاب الهجري، وأورد له تسعة أبيات يعاتب في بعضها الشاعر محمد بن سويد العرياني ، قال في أولها :

ألاَ كيفَ إدْغَالُ الفَتَى برَفيقه   وَقَدْ شَرَعتْ في الزادِ أيديهما معاً

المصدر نفسه ، ص ٥٨٦ – ٥٨٧ .

(٥) انظر ، الهمداني ، الإكليل (طبعة بغداد) جـ ٢ ، ص ٣٥ .

(٦) المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٣٦ .

أَلاَ إِنَّ أَوْسَاً قَاتِلَ الْجُوعِ قَدْ مَضَى   وَأَرَّثَ مَجْـداً مَا تُنَالُ أَطَاوِلُـه
تَمَكَّنَ مِنْ فَرْعَي سَمَاوَةَ حِمْيَرٍ   فَعَزَّ جَمِيْعَ النَّاسِ طَوْلاً تَنَاوُلُه
لَهُ كَانَ مُلْكُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُ   وَمِنْهُمْ مُجِيْرُ الْجُوعِ جُودَاً وَقَاتِلُه [١]

كما يقول في رثائه في قصيدة أخرى :

مَا كُنْتُ لِلْمُكْثِ فِي حِجْرٍ بِمُرتَقِبٍ   مِنْ بَعْدِ أُوْسِ النَّدَى مَا هَبَّتْ الرِّيْحُ
أُمْسِي وَأُصْبِحُ فِي الأَحْدَاثِ مُرْتَهَنَاً   وَمِثْلُ أَوْسٍ فَمَرْثِيٌّ وَمَمْدُوحُ [٢]

كما يقول في أخيه كثير :

أَلاَ أَيُّهَا البَاكِي كَثْيراً أَخَا النَّدَى   لَقَدْ هُدَّ مَنْ يُنْعَى إِلَيْهِ كَثِيرُ
فَمَا وَخَدتْ عِيْسٌ وَلاَ ذَمِلَتْ بِه   كَمِثْلِ كَثِيرٍ فِي الْفَلاَةِ يَسِيْرُ
هُوَ السَّيِّدُ البَانِي الْمَعَالِي لِقَوْمِهِ   مَآثِرُ مَجْدٍ كُلُّـهُنْ كَبِيرُ [٣]

فهنا نجد الشاعر يقول وفاء للمرثي ، ومما لا شك فيه أنه قد مدحه في حياته ، إما لإعجاب وإما لنوال ، ولهذا ، فلولا بعض الألفاظ التي تدل على أن الشخص ميت لوجدنا صعوبة في التمييز بين هذا الرثاء والمدح .

---

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

كما أن الشاعر له أبيات أخرى ربط فيها بين معاناته النفسية ، وبين اعتـــداده بشخصيته ، فمعاناته تكمن في نقد الناس له على زهوه مع أنه مصر على اتبـــاع هـــذا المسلك رغم ما يقابل من الناس فقال : [١]

أَتِيْهُ عَلَى جِنِّ البِلاَدِ وَأُنْسِهَا وَلَو لَمْ أَجِدْ خَلْقَاً لَتُهْتُ عَلَى نَفْسِي

أَتِيهُ فَلاَ أَدْرِي مِنَ التِّيْهِ مَنْ أَنَا سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جِنْسِي

فَإِنْ زَعَمُوا أَنِّي مِنَ الإِنْسِ مِثْلَهُمُ فَمَالِيَ عَيْبٌ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الإِنْسُ [٢]

هـ – خديج (أخو النجاشي الحارثي) [٣]

له أبيات شعرية يظهر فيها الرثاء الصادق على أخيه النجاشي ، فيقول :

مَنْ كَانَ يَبْكِي هَالِكَاً فَعَلَى فَتىً ثَوَى بِلَوَى لَحْجٍ وَآبَتْ رَوَاحِلُهْ

فَتىً لاَ يُطِيعُ الزَاجِرِيْنَ عَنِ النَّدَى وَتَرْجِعُ بِالعِصْيَانِ عَنْهُ عَوَاذِلُــهْ

سَأَبْكِي عَلَيْهِ مَا بَقِيْتُ وَرَاءَهُ كَمَا كَانَ يَبْكِي سَاقَ حُرٍّ حَلاَئِلُهْ [٤]

ويظهر من جودة هذا الشعر ، أن الشاعر كان ينفطر ألماً في البيت الأول ، فهو فزع لعودة الرواحل بدون صاحبها ، وفي اعتقادنا لو أن القصيدة وصلتنا كاملة لعرفنا من خلالها مدى التأثير القوي الذي يختلج في نفس الشاعر [٥]

---

(١) انظر ، يوسف بن عبد الله القرطبي . بهجة المجالس (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ م) جـ١ ، ص ٤٤٠ .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) هو خديج بن عمرو بن مالك بن حزن بن الحارث بن خديج بن الحماس بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن وهلة بن خالد بن مالك بن أدد . انظ ، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي . المؤتلف والمختلف ، تحقيـــق عبد الستار أحمد فراج (طبعة دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦١ م) ، ص ١٥٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ١٥٨.
(٥) ذكر الأمدي أنها قصيدة طويلة وجيدة .

و – شريح بن هاني الحارثي

هو شريح بن هانئ بن يزيد بن نهيك بن دريد بن سفيان بن سلمه ، وهو الضباب بن الحارث بن كعب بن مذحج ، شاعر فارس مقدم في قومه ، كان من المعمرين ، وقد ذكره السجستاني ، وقال أنه عاش (١٢٠) سنة ، وقد شارك في فتوح فارس ، ثم سكن الكوفة ، وكان مع علي في حروبه ضد معاوية، وقتل في ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي (١) . ذكر بعض الأشعار التي يحث فيها أبا موسى الأشعريْ ﷺ على أن يكون حريصاً في التعامل مع عمرو بن العاص ﷺ في واقعة التحكيم ، ويحثه على أن يكسب الجولة لصالحه ولصالح علي بن أبي طالب ﷺ ، مع أن شعره فيه نوع من التجاوزات اللفظية والنيل من بعض الصحابة أمثال : عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) (٢) .

ز – عبيد الله بن موسى الحارثي :

هو عبيد الله بن موسى بن جار بن الهذيل الحارثي ، عاش في الكوفة ، وقال بعض الشعر في رثاء علي بن أبي طالب ﷺ عندما قتل في الكوفة ، فقال :(٣)

بَكَيْتُ عَلِيّاً جهْدَ عَيْني فَلَمْ أَجِدْ ... عَلَى الجَهْدِ بَعْدَ الجَهْدِ مَا أَسْتَزِيدُهَا

فَمَا أَمْسَكَتْ مَكْنُونَ دَمْعِي وَمَا شَفَتْ ... حَزِيْناً وَلاَ تُسْلَى فَيُرْجَى رُقَودُهَا

وَقَدْ حَمَلَ النَعْشَ ابنُ قَيس وَرَهْطُه ... بِنَجْرَانَ (٤) وَالأَعْيَانُ تَبْكِي شُهُودُهَا

عَلَى خَيْرِ مَنْ يُبْكَى وَيُفْجَعُ فَقْدُه ... وَيُضْرَبْنَ بِالأَيْدِي عَلْيهِ خُدُودُهَا (٤)

---

(١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤١٦ – ٤١٧ ، وللمزيد ، انظر ، السومحي ، جـ١ ، ص ١١٩ – ١٢٠ .
(٢) ابن مزاحم ، ص ٥٣٤ ، انظر أيضاً السومحي ، جـ١ ، ص ١١٩ – ١٢٠ .
(٣) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٦٩ .
(٤) المقصود بنجران هنا ، هو موضع على يومين من الكوفة ، وقد قطنه نصارى نجران عندما أخرجهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وسموه على أسم نجران الرئيسة في جزيرة العرب . انظر ، ياقوت ، المصدر نفسه ، جـ ٥ ، ص ٢٦٩ .
(٤) المصدر نفسه .

ح - وهناك أعرابي يذكر نجران وأهمية أسواقها ، ونشاط تجارتها فيقول في ذلك :

إِنْ تَكُونُو قَدْ غُبْتُمُ وَحَضَرْنَا وَنَزَلْنَــــا أَرْضَاً بِهَــــا الأَسْوَاقُ
وَاضِعَاً فِي سَرَاةِ نَجْرَانَ رَحْلِي نَاعِمَاً غَيْرَ أَنَّنِي مُشْتَاقُ [١]

ط - **ويتكلم عطارد بن قّران** ، أحد اللصوص [٢] ، الذين كان قد أخذ وحبس بنجران ، فقال فيها شعراً يصور حالته في السجن عند آل بني عبد المدان ، فقال : [٣]

يَطُولُ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى أَمَلّه فَأَجْلِسُ وَالنَّهْدِيُّ عِنْدِيَ جَالِسُ
كِلاَنَا بِهِ كَبْلاَنِ يَرْسُفُ فِيهِمَا وَمسْتَحْكِمُ الأَقْفَالِ أَسْمَرُ يَابِسُ
لَهُ حَلَقَاتٌ فِيهِ سُمْرٌ يُحِبُّهَا الــ ــعُنَاةُ كَمَا حَبّ الظِّمَاءَ الحَوَامِسُ
إِذَا مَا ابْنُ صَبَّاحٍ أَرَنّتْ كُبُولـــهُ لَهُنّ عَلَى سَاقِيَّ وَهْناً وَسَاوِسُ
تَذَكّرْتُ هَلْ لِي مِنْ حَمِيْمٍ يَهُمّهُ بِنَجْرَانَ كِبْلايَ اللّذَانِ أُمَارِسُ
فَأَمَا بَنُو عَبْدِ الْمَدَانِ فَإِنَّهُمْ وَإِنّيَ مِنْ خَيْرِ الْحَصِيْنِ لَيَائِـــسُ
رَوَى نَمِرٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ أَنَّكَمْ عَبِيدُ العَصَا لَوْ صَبَّحَتْكُمْ فَوَارِسُ [٤]

---

(١) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٧٠.
(٢) لم أجد له ترجمة أو أي معلومات تعرفنا على شخصيته .
(٣) ياقوت ، معجم ، جـ ٥ ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .
(٤) المصدر نفسه .

ويتضح لنا من نماذج شعراء الفترة التالية لحروب الردة بعض الأمور منها ما يلي :

١ - تفاوت الشعراء في مكانتهم الشعرية ، فبعضهم منهم ربما يأتون في تصنيف الشعراء الكبار ، لجودة شعرهم ، وانتشاره وتعدد أبوابه ، مثال: عمرو بن معدي كـرب الزبيدي ، مع أنه قد ساهم في الفتوحات الإسلامية ، ومساهمته لم تكن بالحروب فقط ، وإنما بالشعر أيضاً . كذلك النجاشي الذي عاصر الفتن التي حصلت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ ، ولبذاءة لسانه فإنه لم يتورع في شعره من هجـاء بعض الصحابة ﷺ وتجاوزه حدود الدين والأدب في بعض أشعاره .

٢ - تجاهلت كتب التراث الشعراء الذين ذكرنا خلاف ابـن معـدي كـرب ، والنجاشي ، وجعفر بن علبة الحارثي ، وهذا مما يدل علـى أنهـم كـانوا مغمورين سواءً في بلاد نجران أو خارجها ، والنتف التي وصلتنا من أشعارهم تؤكد لنا على وجود حياة علمية وأدبية حافلة في بلاد نجران وما حولها مـن بلاد اليمن والسروات ولكن عدم تدوين ذلك التراث هو الذي جعل أمثـال هؤلاء الشعراء يعدون في طبقات المجهولين أو المغمورين .

٣ - جعفر بن علبة يعد من الشعراء المغمورين رغم جودة أشعاره ، ولولا الحادثة التي حصلت له مع العقيليين ثم القصاص به في مكة المكرمة ، لما كان وصلنا شيء من شعره ، ولكن ما حدث من إجراءات حتى تم تنفيذ القصاص فيـه جعل الناس يتناقلون شعره حتى دون في بعض كتب التراث المبكرة [1] .

٤ - ذكر هذه النماذج الشعرية عن أولئك الشعراء لا يعد حصراً لكل ما قيل من شعر في نجران أو شعراء نجرانيين خلال القرون الإسلامية الأولى، وإنما لا زال هناك شعراء عدة ظهروا خلال القرنين الثالث والرابع الهجـريين / التاسـع والعاشر الميلاديين ، وبعضهم قال شعره داخل الجزيرة العربية ، وربما داخل

---

(١) أن ضعف الخلافة العباسية ، ثم ظهور قوى ودويلات سياسية مختلفة في اليمن ، مثل : الدولة الزيادية ، واليعفرية ، والاسماعيليـة ، والزيدية ، ثم تعدد المذاهب والتيارات الفكرية جعلت الحركة الفكرية والأدبية والشعرية تنشط في تلك البلاد .

بلاد نجران ، متأثراً بالأحداث السياسية التي سادت البلاد آنذاك ، وبعضهم الآخر قال شيئاً من الأشعار وهو خارج الجزيرة العربية، لكنه لا زال ينتسب إلى نجران وأهلها حتى وأن خرج أو ولد في الأمصار الإسلامية البعيدة عـــن مسقط رأس آبائه وأجداده (١)

رابعًا : علوم ومعارف أخرى :

وكانت بلاد نجران مثلها مثل غيرها من مدن وحواضر شبه الجزيرة العربية لا تخلو من وجود علوم ومعارف أخرى . فوجد بها في الفترة الزمنية التي نعالجها من كان عالماً بالتاريخ وأنساب القبائل ومواطنها ، وأعرافها ، وتقاليدها ، كما كان هناك أيضاً بعض العارفين بعلوم الفلك وخاصة ما يتعلق بمواسم الأمطار ، وأوقات الزراعة والحصاد وما شابه ذلك ، أيضاً كان من بين النجرانيين من يمارس مهنة الطب ، فقد ذكر أن الشمردل (٢) كان من أعظم أطباء بني الحارث بن كعب في نجران ، ويذكر أنه قدم على الرسول ﷺ في السنة العاشرة للهجرة ، وطلب من الرسول ﷺ وضع ميثاق لمهنة الطب (٣) . ومما يذكر أنه قال للرسول ﷺ : ((**يا رسول الله إني كنت كاهن (طبيب) قومي في الجاهلية ، وإني كنت الطبيب وما يحل لي ؟ فقال رسول الله ﷺ فصد العرق ، ومحبسة الطعنة إن اضطررت ، ولا تداوي أحداً حتى تعرف**

(١) واذا أمد الله في العمر فسوف نخصص دراسة مستقلة (بإذن الله) عن شعر وشعراء نجران خلال القرون الإسلامية المختلفة .

(٢) هو الشمردل بن قباب الكعبي النجراني ، انظر ، أحمد شوكت . الطب عند العرب (القاهرة : مؤسسة المطبوعات الحديثة ، د . ت) جـ ١ ، ص ٣٦ .

(٣) المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٥ – ٣٦ .

داءه)) [(١)] . وعندما سمع الشمردل قول الرسول ﷺ ، قال : ((**والذي بعثك بالحق أنت أعلم بالطب مني))** [(٢)] .

وتشير المصادر إلى أنه عندما طعن أبو لؤلؤة المجوسي الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في المدينة دُعي له بطبيب من بني الحارث بن كعب لأجل علاجه ، لكنه قضى نحبه على إثر تلك الطعنة الغادرة [(٣)] . ولعل ذلك ينهض دليلاً على علو كعب النجرانيين في مهنة الطب ، ووجود عديد من وجوه بني الحارث أصحاب نجران على دراية جيدة بعلوم الطب والتداوي .

ونستنتج من هذه النصوص بعض الدروس منها :

١ - علم الرسول ﷺ بمهنة الطب وأنه كان على درجة عالية بعلوم التطبيب، ويؤكد ذلك ما ذكره أصحابه ﷺ ، من أنه كان يديم التطبيب ، وكان يأمر بالحمية وينهى عما يؤذي ، ويصف الأدوية ، ويحدث في حفظ الصحة [(٤)] . وقد تعلمت منه الطب زوجته أم المؤمنين ، عائشة (رضي الله عنها) ، حتى قال هشام بن عروة : ((**ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة))** [(٥)] .

٢ - شهرة بعض رجالات بني الحارث بن كعب أصحاب نجران بالطب والتطبيب ، ولم تكن ممارستهم لهذه المهنة محدودة في بلاد نجران ، وإنما كانوا يخرجون إلى حواضر وأمصار أخرى لممارسة هذه المهن ، وأكبر دليل

---

(١) المرجع نفسه .
(٢) المرجع نفسه ، جـ ١، ص ٣٦ .
(٣) للمزيد انظر ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢٦ – ٢٧ .
(٤) أحمد شوكت ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٦ .
(٥) المرجع نفسه .

على ذلك ذكر الشمردل في عهد الرسول ﷺ ، وذلك الطبيب الآخر الذي أشرف على علاج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

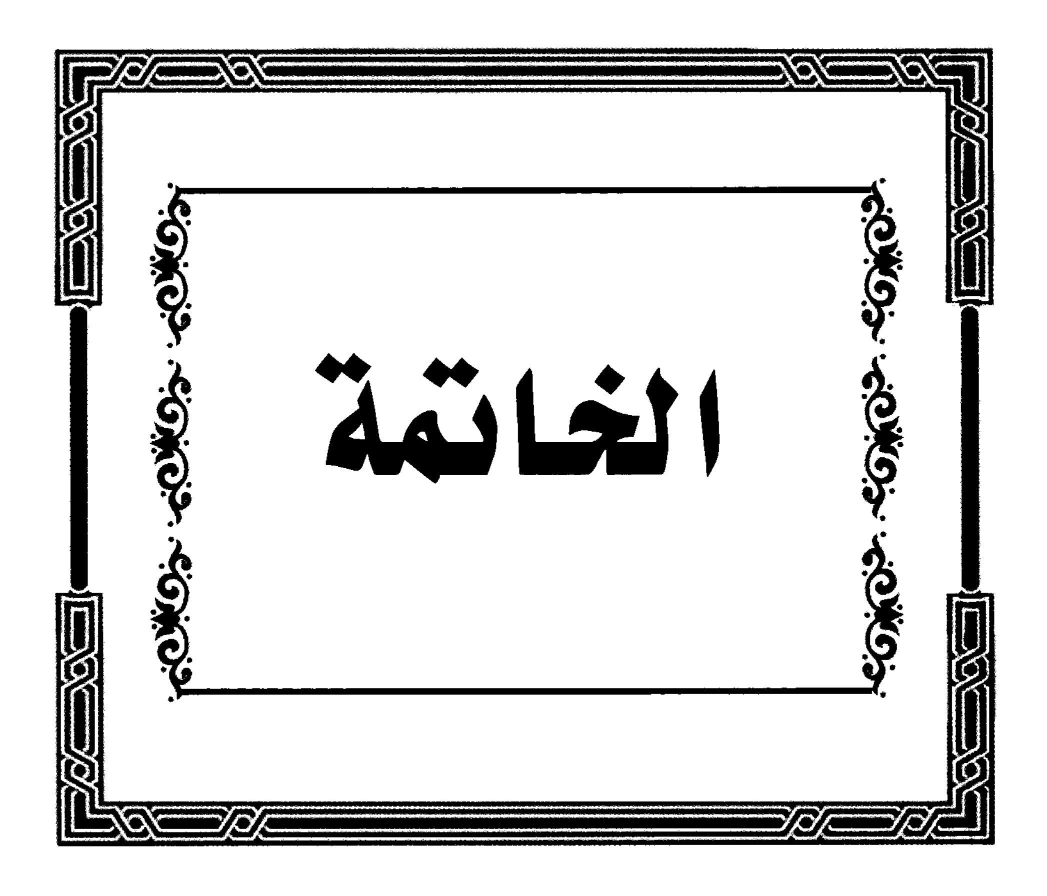
٣ - لا نستبعد ظهور أطباء آخرين مارسوا مهنة الطبابة خلال العصور التالية لعصر الخلفاء الراشدين . فقد كان هناك من الأمراض والأوبئة الكثيرة التي تصيب الإنسان ، والحيوان ، مما يجعل الناس يبحثون عمن يقوم على مكافحتها وإيجاد العلاج المناسب لها ، ونسمع إلى عهد قريب تعدد الأمراض المختلفة ، والقيام على علاجها بوسائل تقليدية قديمة تختلف عما نشاهده في المستشفيات والمراكز الصحية في وقتنا الحالي [1] .

وإلى جانب ما سبق عرفت بلاد نجران بعض العقلاء ، والحكماء ، منذ العهد الجاهلي وعبر العصور الإسلامية التالية ، فكان منهم من يسعى إلى الإصلاح بين الناس ، بل كان هناك من اتصف بالحكمة السديدة ، والرأي الثاقب في أقواله وأفعاله، سواءً داخل أسرته ، أو مجتمعه أو بين القبائل والبطون والعشائر المختلفة . كذلك لم تخل بلاد نجران وما جاورها من بلدان اليمن ، والسروات ، والحجاز من الرواة والسُمّار الذين كانوا يجالسون الناس ويروون لهم بعض الحكايات والأقاصيص التي مرت على الأجيال السابقة . ورغم أن المصادر التي بين أيدينا قد أحجمت عن ذكر أسماء أشخاص بعينهم عرفوا بذلك ، إلا أن هناك كثيراً من المصادر التي تناقلت أسماء بعض الرواة والقصاص في صنعاء ، ومكة المكرمة . ونظراً

---

(١) مقابلة الباحث للعديد من الرواة الذين نقلوا له روايات مختلفة عن الطب والتطبيب في العهود الماضية . ابن جريس ، عسير ، ص ١٠٥ - ١٠٨ ، آل زمانان وأخرون ، " دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران ... " ، ص ١٨ وما بعدها

لوجود نجران بين حواضر اليمن والحجاز الكبرى، بالإضافة إلى صلاتها التجارية والحضارية مع اليمامة والبحرين ، وبلاد العراق وفارس ، كل هذا بدون شك يجعلنا نرجح أن مثل تلك المعارف لا بد أنها وصلت إلى المجتمع النجراني وتأثر بها ، ووجد بينهم من يقوم براوية الأخبار والأقاصيص . ولكن نظراً لعدم الاهتمام بها واهتمام مدوني التراث بالحواضر الكبرى فقد أغفل ذكر مثل هذه الشخصيات .


الخاتمة

اهتمت هذه الدراسة بمناقشة ملامح التاريخ السياسي والحضاري لنجران خلال القرون الأربعة الأولى للهجرة ، وقد أوضحنا من خلالها ، كيف تمتعت نجران بحضارة زاهرة تضرب في أعماق التاريخ بآلاف السنين ، فكانت منذ القدم موطناً لأديان ومعتقدات عديدة قبل الإسلام ، وبعد أن أشرق عليها فجر الإسلام ، وأقبل النجرانيون على اعتناق الإيمان به قولاً وعملاً ، تغيرت أحوالهم ، وتبدلت أوضاعهم، فصارت بلاداً مسلمة تدين بدين الله وتحارب الشرك . وتتعامل بسماحة مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى ، حيث بقيت العقيدة النصرانية على سبيل المثال بعض الوقت وعاشت الأقلية النصرانية رعاياً ذميين تحت مظلة الإسلام والتزموا بأداء واجباتهم ، وتمتعوا بحقوقهم التي كفلها لهم الدين الإسلامي . وإن فقدوا سطوتهم التي كانوا عليها في الجاهلية .

ولن نستعرض في هذه الخاتمة ما تمتعت به نجران من ازدهار حضاري واضح في الفترة الزمنية موضوع الدراسة ، فسوف نترك ذلك للقارئ الكريم ليستشف بنفسه هذه النتائج من خلال القراءة المتأنية لفصول الدراسة المختلفة ، وسنكتفي هنا بذكر بعض المقترحات والتوصيات التي نرى أهميتها البالغة في حال الاهتمام بها ، حيث تساهم في كشف النقاب وإماطة اللثام عن كثير من الغموض الذي يكتنف تاريخ وحضارة العديد من مناطق شبه الجزيرة العربية لا سيما الحواضر الصغرى والمناطق التي عاشت فترات رقي حضاري عبر حقب التاريخ ، ولكنها أغفلت من جانب المؤرخين ومدوني التراث نظراً لاهتمامهم الذي انصب على العواصم والحواضر الكبرى ومنها نجران ، فانصرفوا لمعالجة حوادثها وتدوين ما يحدث في مقار الحكم بها ، حيث تصنع القرارات وتقرر المصائر . ومن أبرز هذه التوصيات ما يلي :

١ - إنَّ هذه لدراسة المتواضعة قد أوضحت – من وجهة نظرنا – أهمية بلاد نجران ، وأهمية الدور الذي لعبته في التاريخ على امتداد الحقب الإسلامية المختلفة ، مما ينهض دليلاً على أهمية دراسة تاريخها السياسي والحضاري ، فهي لا تزال أرضاً بكراً ، إن صح التعبير ، ومن يقوم على دراسة أي جانب من جوانبها التاريخية والحضارية

فسوف يظهر لنا جديداً عن أوضاعها السياسية والإدارية والحضارية المختلفة ، ورغم وجود بعض الدراسات المحدودة جداً عنها ، إلا أنها قاصرة ويعتور بعضها الخطأ والمعالجة غير العلمية . ومن ثم فلا زال الطريق طويلاً على جمهور الدارسين والباحثين في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها المهتمين بدراسة أوضاع شبه الجزيرة العربية ، والشيء المؤسف أنه حتى هذه اللحظة لم أجد أي قسم من الأقسام العلمية الأكاديمية في جامعاتنا العربية قد اهتمت ببلاد نجران فوجهت طلابها لدراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد وهي جديرة بالدراسة . ومن ثم فإنني أنادي من على هذه الصفحات الأخوة الزملاء في الاختصاص أن يلتفتوا لهذا الجانب . وأخص بذلك جامعة الملك خالد التي أصبحت تشرف حالياً على كلية خدمة المجتمع المنشأة حديثاً في بلاد نجران ، كما أنني على يقين تام أن أمير منطقة نجران ، **صاحب السمو الملكي الأمير / مشعل بن سعود بن عبد العزيز** ، وكذلك أعيان ووجهاء ورجال الأعمال هناك ، أنهم لن يألوا جهداً في الدعم والتشجيع والتوجيه بما يقوم ويساعد أي باحث أو دارس لأي جانب من جوانب هذه البلاد .

٢ - إنني أيضاً أهيب بالأخوة الزملاء الأثريين في المملكة العربية السعودية ، أو أي دارس من بلادنا العربية والإسلامية أن يولوا اهتماماتهم البحثية لمناطق جنوب شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة نجران ، وجازان وما حولها ، لما تتمتع به هذه البلاد من رصيد تاريخي وحضاري قد يثري من يتوجه بدراساته تجاه هذه البلاد . وإن كان هناك بعض المحاولات المحدودة والبسيطة من بعض الدارسين الغربيين أو العرب إلا أن ما تم إخراجه لا يشفي الغليل ولا زلنا بحاجة إلى من يقوم بالتنقيب والحفريات العلمية الأكاديمية الجادة ، وقد يعترض مثل هذه الدراسات بعض العقبات المادية وغيرها . ولكن الأمر جدير بالاهتمام والحاجة ملحة لإجلاء الغموض عن حقائق ووقائع تاريخ هذه المناطق ، ومن يعمل ويجتهد ويطرح أفكاره على صناع القرار في هذه المنطقة وعلى رأسهم أميرها ، ووجهائها ، فإنه (بإذن الله) سوف يصل إلى نتيجة

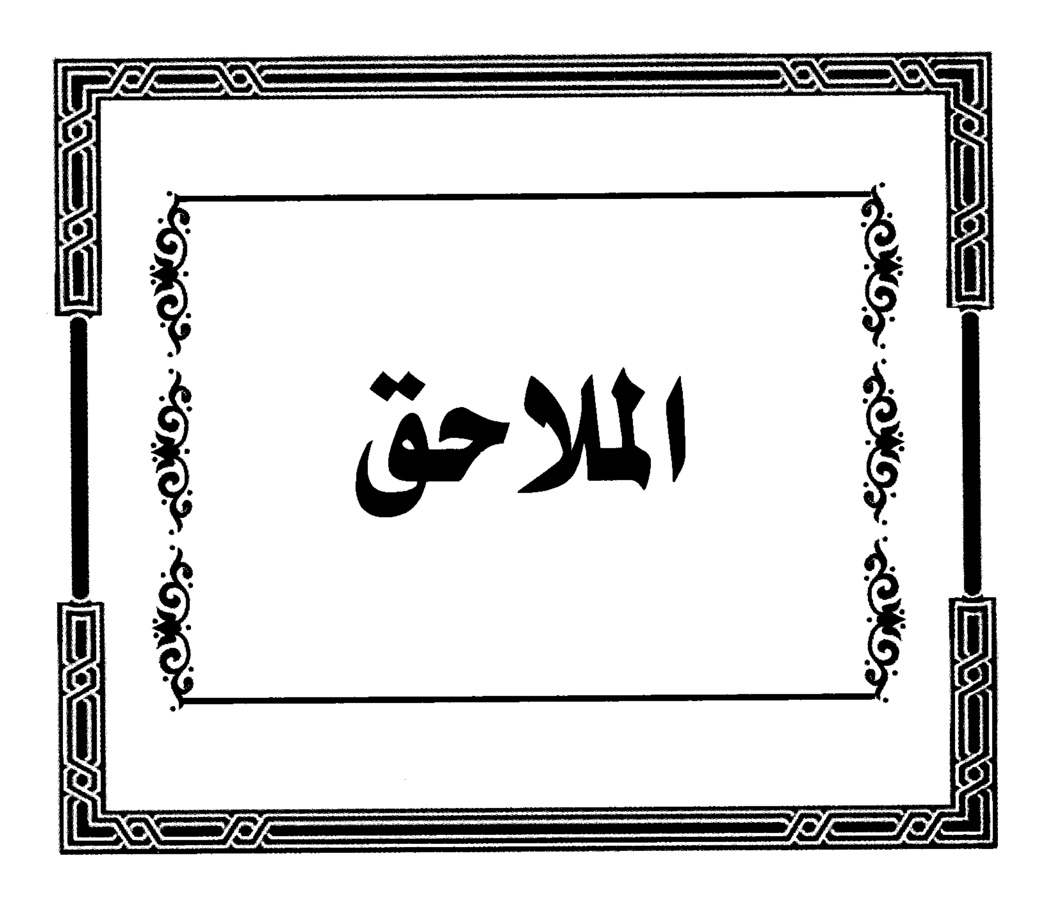
إيجابية موفقة تكتب في سجل حسناته ، ويكشف للأجيال القادمة حضارة وفكر بلاد عريقة بتراثها وحضارتها .

٣ - إنني أنادي شباب ورجالات نجران أن يعملوا بجد وإخلاص من أجل دراسة بلادهم وتاريخهم وأحوالهم الفكرية والحضارية ، ونحن على يقين تام أنه لا زال هناك موروث كبير جداً يحتاج إلى الجمع والتصنيف والدراسة والتحليل . وهذا التراث يمكن جمعه من مصادر مختلفة ، كالمخطوطات التي لم تر النور بعد ، أو من الكتب والمصادر التي نشرت ولا زالت تحتاج إلى الدراسة والتمحيص ، أو من الوثائق ، والعملات ، والروايات الشفهية وغيرها من المصادر الجديرة بالدراسة ، والتي تحتاج إلى فريق عمل يقوم على تصنيف وتبويب المادة العلمية الخاصة بهذه البلاد لإخراج دراسة تاريخية وحضارية متكاملة عنها ، والتي نعتقد أننا في أمس الحاجة إليها ، لإبراز الدور الزاهر التي قامت به بعد أن أسدل عليه ستار النسيان ، وبخاصة خلال العصور الإسلامية الوسيطة مثلها مثل غيرها من البلاد النائية عن مراكز الحضارة الإسلامية ومراكز صنع القرار في العالم الإسلامي .

٤ - لا ندعي الكمال في هذه الدراسة ، وإنما هذه محاولة أولية للتأريخ لبلاد نجران ، وسوف يتبعها - بإذن الله - دراسة أخرى أكثر استفاضة وعمقاً ، تتناول تاريخ وحضارة نجران منذ (ق٥هـ وحتى ق ١٤ هـ) . وأريد أن أقول : إن أصبت فمن الله ﷻ ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وإني أنادي كل دارس ومهتم بتراث وحضارة وتاريخ هذه البلاد ، أن يدلي بدلوه في هذا المجال بالدراسة أو النقد البناء والتصويب ، فالعلم رحم بين أهله ، وليس حكراً على أمة دون أخرى ، وإنما نحن نعمل لهدف سامٍ ، هو خدمة العلم والفكر بما فيه الصالح المفيد لديننا وبلادنا ومقدساتنا ووحدتنا ، والله من وراء القصد .

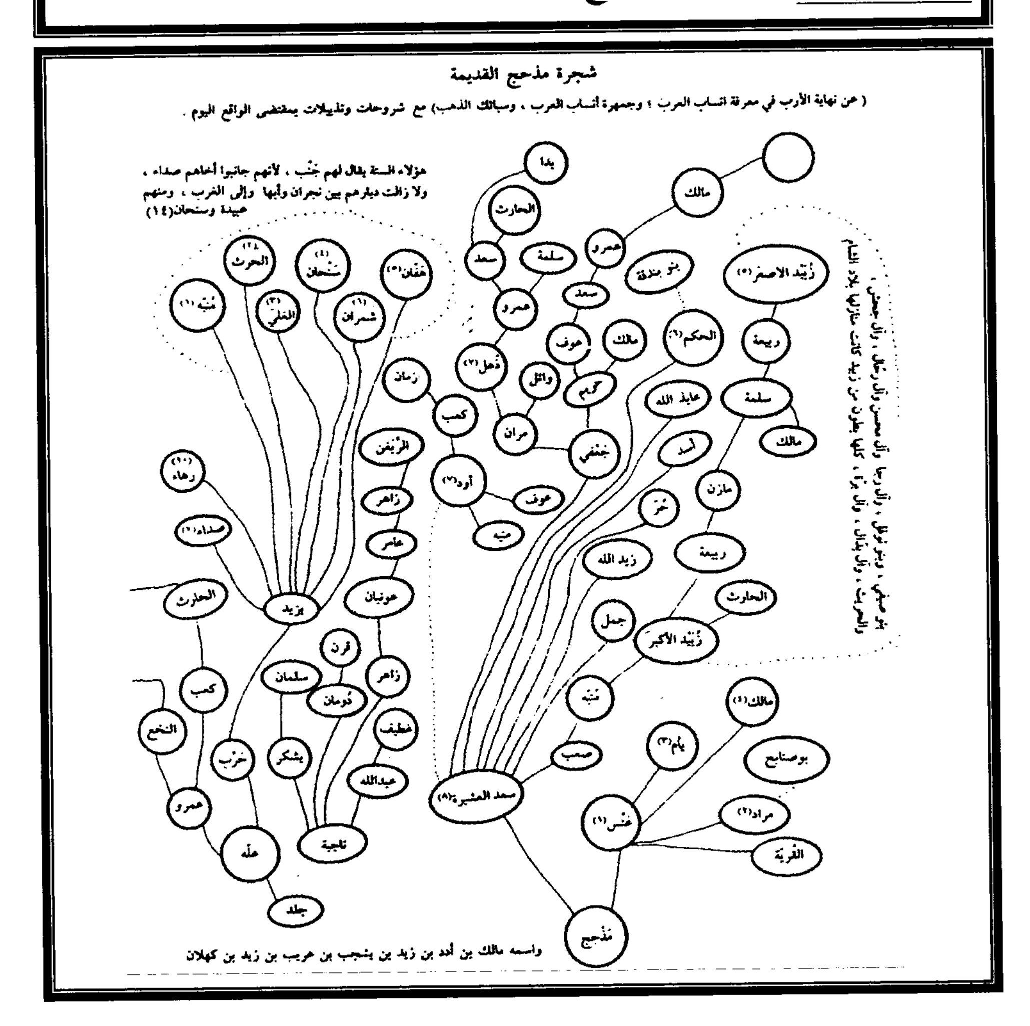
مع تحيات أخوكم ومحبكم :

غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الجبيري الشهري - **السعودية - أبها - ص . ب** (٩٠٥٠)


الملاحق

فهـــرس الملاحـــــق :

ملحق رقم (١): شجرة قبيلة مذحج القديمة (*)



(١) لا زالت لهم بقية قرب مأرب .

(٢) لا زالت معروفة قرب مأرب .

(٣) هي غير يأم همدان .

(٤) هم اليوم على ظهر السراة غرب نجران .

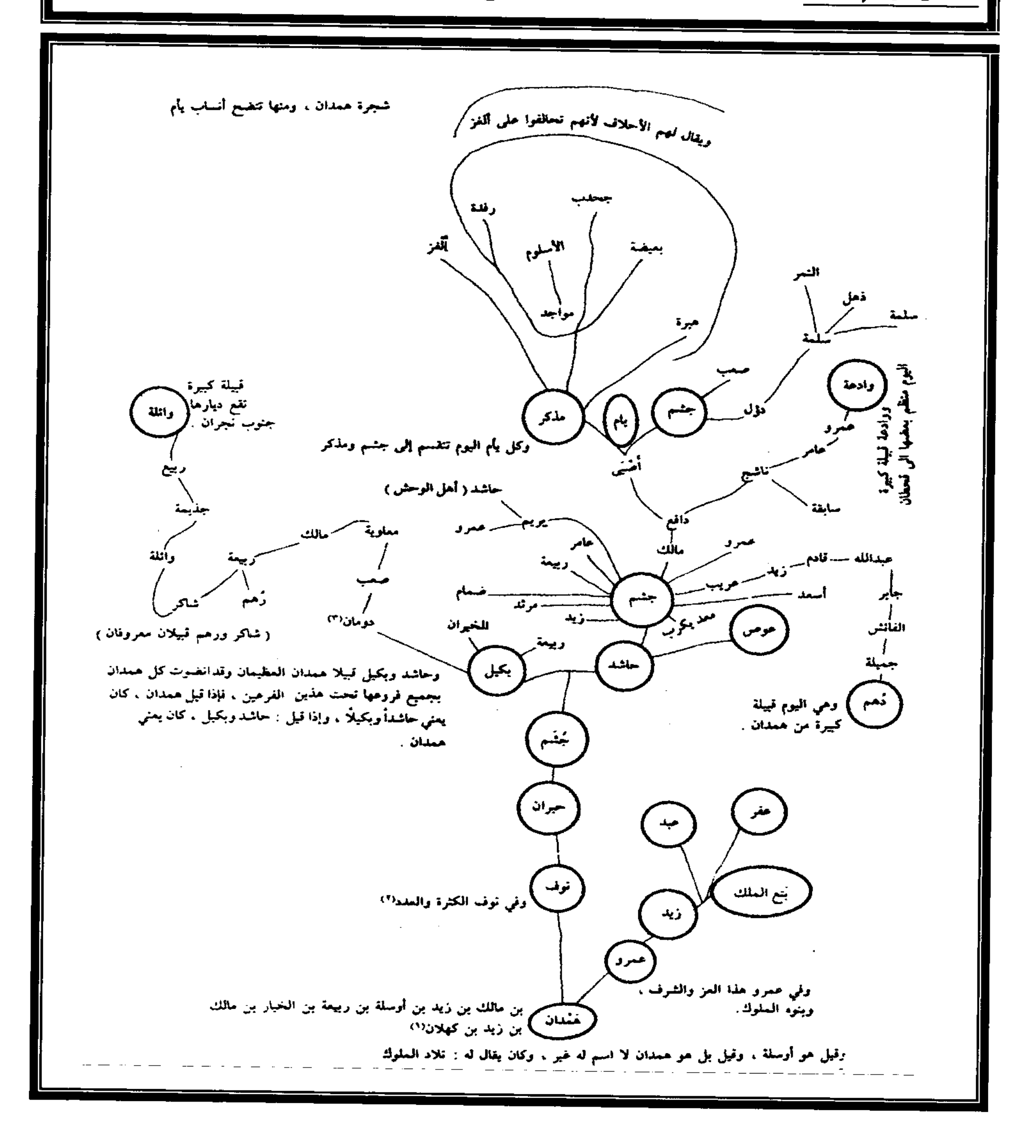
(٥) كانت وما زالت منازلهم بالشام .

(٦) كانوا ملوك المخلاف السليماني ، ولهم بقية اليوم هناك .

(٧) كانت منازلهم قرب نجران .

(*) البلادي ، ص٦٩ ، وللمزيد انظر ، ابن الكلبي ، نسب معد ، جـ١ ، ٢٦٧ – ٢٨٨ ، ابـن حـزم ، ص ١٩٨ ، ٢٠٦ – ٢٠٧ ، ٤٨٠ ، الأشعري القرطبي ، ص ١٩٨ – ٢٢٧ ، الوزير المغربي ، ص ٢٧٧ .

ملحق رقم (٢): شجرة همدان ، ومنها يتضح أنساب يام (*)



(*) البلادي ، ص ١٢٣ ، للمزيد عن نسب همدان التي تنسب اليها يأم ، أنظر ، الهمداني ، الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٦ – ٨ ، ٢٨ ، ابن جزم ، ٢٥٢ ، ٣٩٢ ـــ٣٩٥ ، ٤٧٥ ـــ٤٧٦ ، ٤٨٤ ، الأشعري القــرطبي ، ص ١٨٩ – ١٩٧ ، الوزير المغربي ، ص ٢٧٧ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٢٥٤ .

ملحق رقم (٣): رسالتان [١] : **الأولى** من خالد بن الوليد إلى الرسول ﷺ يخبره بإسلام بني الحارث بنجران بدون قتال . **والثانية** من الرسول ﷺ إلى خالد بن الوليد في نجران يخبره بوصول خطابه إليه ويأمره أن يعود إلى المدينة ويأتي معه وفد من أهل نجران .

الرسالة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

لمحمد النبي رسول الله ، من خالد بن الوليد :

السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ يا رسول الله : فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أُقاتلهم ثلاثة أيام ، وأدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قَبلتُ منهم ، وعلّمتهم معالم الإسلام ، وكتابَ الله وسنةَ نبيّه ، وإن لم يُسْلِموا قاتلتهم . وإنّي قدمتُ إليهم فدعوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثتُ فيهم رُكباناً : يا بني الحارث أسلموا تسلموا . فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمَرَهم الله به ، وأنهاهم عمّا نهاهم الله عنه .

---

(١) انظر نص الرسالتين في : ابن خياط ، ص ٩٤ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

الرسالة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمدٍ النبي رسول الله ، إلى خالد بن الوليد :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعدُ :

فإنّ كتابك جاءَني مع رسولك ، يخبرني أنّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم من الإسلام ، وشَهِدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهُداه . فبشِّرهم وأنذِرْهم ، وأقبِل وليُقْبِل معك وفدُهم .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ملحق رقم (٤): كتاب من رسول الله ﷺ موجه إلى الناس كافة ، يوضح فيه الميثاق الذي كتبه لنصارى نجران ، وجميع من في ملتهم من النصارى في مشارق الأرض ومغاربها . وقد بيّن فيه ﷺ ما التزم به لهم على المسلمين حتى تقوم الساعة ، وما المواثيق والعهود التي يجب عليهم (النصارى) الالتزام بها في تعاملاتهم مع المسلمين (١)

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا كتاب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، رسول الله إلى الناس كافةً ، بشيراً ونذيراً ، ومؤتمناً على وديعة الله في خلقة ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والبيان ، وكان عزيزاً حكيماً .

للسيد ابن الحارث بن كعب ، ولأهل ملته ، ولجميع من ينتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها ، قريبها وبعيدها ، فصيحها وأعجمها ، معروفها ومجهولها ، كتاباً لهم عهداً مرعياً ، وسجلاً منشوراً ، سنة منه وعدلاً ، وذمة محفوظة : من رعاها كان بالإسلام متمسكاً ، ولما فيه من الخير مستأهلاً . ومن ضيعها ونكث العهد الذي فيها ، وخالفه إلى غيره، وتعدى فيه ما أمرت ، كان لعهد الله ناكثاً ، ولميثاقه ناقضاً ، وبذمته مستهيناً ، وللعنته مستوجباً ، سلطاناً كان أو غيره ، بإعطاء العهد على نفسي ، بما أعطيهم عهد الله وميثاقه ، وذمة أنبيائه وأصفيائه وأوليائه من المؤمنين والمسلمين ، في الأولين والآخرين ، ذمتي

(١) انظر حميد الله ، ص ١٨٦ - ١٨٩ . وهناك كتاب آخر مطول لأهل نجران ومن على ملتهم من نصارى الأرض ، وضح فيه ما يجب على المسلمين من المعاملة والوفاء تجاه النصارى الملتزمين بالعهود والمواثيق . انظر المرجع نفسه ، ص ١٨٠ - ١٨٥ . وهذان الكتابان ربما كتبهما الرسول ﷺ لنصارى نجران الذين وفدوا عليه بالمدينة بناءً على طلبهم وحتى يكون بمثابة دستور وعهد لهم وعلى جميع النصارى الموجوين بالأراضي الإسلامية .

وميثاقي وأشدَّ ما أخذ الله على بني إسرائيل من حق الطاعة وإيثار الفريضة ، والوفاء بعهد الله ، أن أحفظ أقاصيهم في ثغوري بخيلي ورَجلي ، وسلاحي وقوّتي ، وأتباعي من المسلمين ، في ناحية من نواحي العدوّ ، بعيداً كان أو قريباً ، سلماً كان أو حرباً ، وأن أحمي جانبهم ، وأذب عنهم ، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ، ومواضع الرهبان ، ومواطن السّياح ، حيث كانوا من جبل ، أو وادٍ ، أو مغار ، أو عمران ، أو سهل ، أو رمل . وأن أحرس دينهم أو ملتهم أين كانوا ، من برٍّ أو بحر ، شرقاً وغرباً ، بما أحفظ به نفسي وخاصتي ، وأهل الإسلام من ملتي ، وأن أدخلهم في ذمتي وميثاقي وأماني ، من كل أذى مكروه، أو مؤونه ، أو تبعة . وأن أكون من ورائهم ، ذاباً عنهم كل عدو ، يُريدني وإياهم بسوء ، بنفسي ، وأعواني ، وأتباعي ، وأهل ملتي . وأنا ذو السلطنة عليهم ، ولذلك يجب عليَّ رعايتهم وحفظهم من كل مكروه . ولا يصل ذلك إليهم ، حتى يصل إليَّ وأصحابي الذابّين عن بيضة الإسلام معي . وأن أعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحملها أهل الجهاد من الغارة والخراج ، إلا ما طابتْ به أنفسهم . وليس عليهم إجبار ولا إكراه على شيء من ذلك، ولا تغيير أسقف عن أسقفيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا سائح عن سياحته ، ولا هدم بيت من بيوت بيّعهم ، ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد ، ولا منازل المسلمين . فمن فعل ذلك فقد نكث عهد الله ، وخالف رسوله ، وحال عن ذِمّة الله . وأن لا يحمل الرهبان والأساقفة ، ولا من تعبّد منهم ، أو لبس الصوف ، أو توحد في الجبال والمواضع المعتزلة من الأمصار شيأً من الجزية أو الخراج ، وأن يقتصر على غيرهم من النصارى ، ممن ليس بمتعبّد ولا راهب ولا سائح على أربعة دراهم في كل سنة ، أو ثوب حبرة ، أو عصب اليمن ، إعانة للمسلمين وقوةً في بيت المال . وإن لم يسهل الثوب عليهم طلب

منهم ثمنه ، ولا يقوّم ذلك عليهم إلا بما تطيب به أنفسهم . ولا تتجاوز جزية أصحاب الخراج ، والعقارات والتجارات العظيمة في البحر والأرض ، واستخراج معادن الجوهر والذهب والفضة ، وذوي الأموال الفاشية والقوة ممن ينتحل دين النصرانية ، اكثر من اثني عشر درهماً من الجمهور في كل عام ، إذا كانوا للمواضع قاطنين وفيها مقيمين . ولا يطلب ذلك من عابر سبيل ليس من قُطّان البلد، ولا أهل الاجتياز ممن لا تُعرَف مواضعه . ولا خراج ولا جزية إلا [على] من يكون في يده ميراث من ميراث الأرض ، ممن يجب عليه فيه للسلطان حق ، فيؤدّي ذلك على ما يؤدّيه مثله . ولا يجار عليه ، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها . ولا يكلف شططاً ، ولا يُتجاوز به حدّ أصحاب الخراج من نظرائه . ولا يكلف أحد من أهل الذمة منهم الخروج مع المسلمين إلى عدوهم ، لملاقاة الحروب ومكاشفة الأقران ، فإنه ليس على أهل الذمة مباشرة القتال . وإنما أعطوا الذمة عليّ، على أن لا يكلّفوا ذلك . وأن يكون المسلمون ذبّاباً ، وجواراً من دونهم . ولا يكرهوا على تجهيز أحد من المسلمين إلى الحرب الذين يلقون فيه عدوهم ، بقوة وسلاح أو خيل ، إلاّ أن يتبرعوا من تلقاء أنفسهم . فيكون من فعل ذلك منهم وتبرع به ، حمدٌ عليه وعرفٌ له ، وكوفئ به .

ولا يُجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرهاً على الإسلام . ولا تجادلوا [أهل الكتاب] إلا بالتي هي أحسن " . ويُخفض لهم جناح الرحمة ويُكفّ عنهم أذى المكروه حيث كانوا ، وأين كانوا من البلاد .

وإن أجرم أحدٌ من النصارى ، أو جُني جناية ، فعلى المسلمين نصره ، والمنع والذب عنه ، والغرم عن جريرته ، والدخول في الصلح بينه وبين من جني عليه . فإما مُنَّ عليه ، أو يفادى به . ولا يرفضوا ، ولا يخذلوا ، ولا

يتركوا هملاً ، لأني أعطيتهم عهد الله على أنّ لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين . وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام ، والذبّ عن الحرمة ، واستوجبوا أن يُذبّ عنهم كل مكروه ، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم ، وفيما عليهم .

ولا يحملوا من النكاح شططاً لا يريدونه ، ولا يُكره أهل البنت على تزويج المسلمين ، ولا يضارّوا في ذلك إن منعوا خاطباً وأبوا تزويجاً ، لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بطيبة قلوبهم ، ومسامحة أهوائهم ، إن أحبوّه ورضوا به . إذا صارت النصرانية عند المسلم ، فعليه أن يرضى بنصرانيتها ، ويتبع هواها في الاقتداء برؤسائها ، والأخذ بمعالم دينها ، ولا يمنعها ذلك . فمن خالف ذلك وأكرهها على شيء من أمر دينها ، فقد خالف عهد الله وعصى ميثاق رسوله ، وهو عند الله من الكاذبين .

ولهم إن احتاجوا في مرمّة بِيَعهِم وصوامعهم ، أو شيء من مصالح أُمورهم ودِينهم ، إلى رفد من المسلمين وتقوية لهم على مرمّتها ، أن يُرفدوا على ذلك ويعاونوا ، ولا يكون ذلك ديناً عليهم ، بل تقويةً لهم على مصلحة دينهم ، ووفاءً بعهد رسول الله موهبة لهم ، ومنّة الله ورسوله عليهم .

ولهم أن لا يلزم أحد منهم ، بأن يكون في الحرب بين المسلمين وعدوهم ، رسولاً ، أو دليلاً ، أو عوناً ، أو متخبراً ، ولا شيئاً مما يُساس به الحرب . فمن فعل ذلك بأحد منهم ، كان ظالماً لله ولرسوله عاصياً ، من ذمته متخلياً . ولا يَسَعه في إيمانه إلا الوفاء بهذه الشرائط التي شرطها محمدٌ بن عبد الله ، رسول الله لأهل ملّة النصرانية . واشترط عليهم أموراً يجب عليهم في دينهم التمسك والوفاء بما عاهدهم عليه . منها : ألا يكون أحد منهم عيناً ولا رقيباً لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته ، ولا يأوي منازلهم

عدوّ للمسلمين ، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة ، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عبادهم ولا غيرهم من أهل الملة ، ولا يوفدوا أحداً من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم ، ولا يصانعوهم . وأن يَقْرُوا مَن نزل عليهم من المسلمين ثلاثة أيام بلياليها في أنفسهم ودوابّهم ، حيث كانوا وحيث مالوا ، يبذلون لهم القِرى الذي منه يأكلون ، ولا يكلّفوا سوى ذلك ، فيحملوا الأذى عليهم والمكروه . وإن احتاج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم ، وعند منازلهم ، ومواطن عباداتهم ، أن يأووهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشوا به ما كانوا مجتمعين ، وأن يكتموا عليهم ، ولا يظهروا العدوَّ على عوراتهم ، ولا يخلوا شيئاً من الواجب عليهم .

فمن نكث شيئاً من هذه الشرائط وتعدَّاها إلى غيرها فقد برئ من ذمّة الله وذِمّة رسوله . وعليهم العهود والمواثيق التي أُخذت عن الرهبان وأخذها ، وما أخذ كل نبي على أُمته من الأمان والوفاء لهم وحفظهم به ، ولا ينقض ذلك ولا يغيّر حتى تقوم الساعة إن شاء الله .

وشهد هذا الكتاب الذي كتبه مُحمد بن عبد الله ، بينه وبين النصارى الذين اشترط عليهم ، وكتب هذا العهد لهم : عتيقُ بن أبي قحافة ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، علي بن أبي طالب ، أبو ذر ، أبو الدرداء ، أبو هريرة ، عبد الله بن مسعود ، العباس ابن عبد المطلب ، الفضل بن العباس ، الزبير بن العوام ، طلحة بن عبيد الله ، سعد بن معاذ ، سعد بن عبادة ، ثُمامة بن قيس ، زيد بن ثابت ، ولده عبد الله [؟] ، حرقوص بن زهير ، زيد بن أرقم ، أُسامة بن زيد ، عمار بن مظعون ، مصعب بن جبير ، أو الغالية (كذا) ، عبد الله بن عمرو بن العاص ، أبو حذيفة ، خوات بن جبير ، هاشم بن عتبة ، عبد الله بن خُفاف ، كعب بن مالك ، حسان بن ثايت ، جعفر بن أبي طالب ، وكتب معاويةُ بن أبي سفيان .

ملحق رقم (٥): نبذة تاريخية مختصرة عن نصارى نجران الذين استقروا في محلتهم المسماة بـ ((النجرانية)) في الكوفة بالعراق خلال القرون الإسلامية الأولى[(١)]

حاول نصارى نجران مع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ليعود عن قرار إجلائهم عن نجران ، ولكنه امتنع ، وتم إخراجهم إلى الشام والعراق . وعندما تولى الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ الخلافة وفد إليه في المدينة المنورة رهط من نصارى نجران بالكوفة ، يتقدمهم أسقفهم يشكون أوضاعهم الاقتصادية ، فأرسل من يطلع على أحوالهم ، ولما تأكد له سوء أوضاعهم ، كتب إلى الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، عامله على الكوفة بتخفيف الجزية السنوية عنهم ، وأوصاه بحسن معاملتهم إذا وقع عليهم ظلم من جماعة المسلمين بالكوفة وورد في كتابه ما يؤكد ذلك حيث يخاطب واليه قائلاً : ((**بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد بن عقبة ، سلام الله عليك ، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الأسقف والعاقب وسراة أهل نجران الذين بالعراق ، أتوني فشكوا إلى وأروني شرط عمر لهم وقد علمت ما أصابهم من المسلمين، وإني قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم تركتها لوجه الله تعالى جل ثناؤه ، وإني وفيت لهم بكل أرضهم التي تصدق عليهم عمر عُقبى مكان أرضهم باليمن ، فاستوصوا بهم خيراً ، فإنهم أقوام لهم ذمة ، وكانت بيني وبينهم معرفة ، وانظر صحيفة كان عمر كتبها لهم فأوفهم ما فيها ، وإذا قرأت صحيفتهم فارددها عليهم والسلام**)) . (أبو يوسف / ٧٤) .

---

(١) المادة العلمية المدونة في هذا الملحق تم جمعها من بعض المصادر التاريخية والحضارية الإسلامية المبكرة مثل : أبو يوسف ، ص ٧٣ – ٧٥ ، البلاذري ، فتوح ، ص ٧٧ – ٧٩ ، ابن سلام ، ٧٣ – ٧٦ .

ونجد البلاذري وابن سلام يذكران مضمون هذا الكتاب الذي أورده القاضي أبو يوسف ، إلا أن هناك اختلاف في عدد الحلل التي اسقطها الخليفة عثمان ابن عفان عنهم فقال : ((**أما بعد : فإن الأسقف ، وسراة نجران ، أتوني بكتاب رسول الله ﷺ ، وأروني شرط عمر ، وقد سألت عثمان بن حنيف عن ذلك فأنبأني أنه كان بحثَ عن أمرهم فوجده ضاراً للدهاقين ، لردعهم عن أرضهم وإني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله ، وعقبى لهم من أرضهم ، وإني أوصيك بهم ، فأنهم قوم لهم ذمة**)) (البلاذري / ٧٧ / ابن سلام / ٢٧٤) .

فلما استخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذهب إلى العراق ، جاء إليه أسقف نجران ومعه كتاب في أدم أحمر قال : ((**أسالك يا أمير المؤمنين خط يدك وشفاعة لسانك ، يعني لما رددتنا إلى بلادنا**)) ، فأبى علي بن أبي طالب أن يردهم وقال : ((**ويحك إن عمر كان رشيد الأمر**)) ، ويذكر أن عمر رضي الله عنه أجلاهم لأنه خشي خطرهم العسكري والعَقَدي على المسلمين ، وكانوا قد اتخذوا الخيل والسلاح في بلادهم فأجلاهم عن نجران اليمن وأسكنهم بنجران العراق (أبو يوسف / ٧٤) . ثم كتب لهم الخليفة علي بن أبي طالب كتاباً في العاشر من جمادى الأخر سنة (٣٧ هـ / ٦٥٧ م) قال فيه : ((**بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من عبد الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين لأهل النجرانية ، إنكم أتيتموني بكتاب نبي الله ﷺ فيه شرط لكم على أنفسكم وأموالكم ، وإني وفيت لكم بما كتب لكم محمد ﷺ وأبو بكر وعمر ، فمن أتى عليهم من المسلمين فليفِ لهم ولا يضاموا ولا يظلموا ولا ينتقص حق من حقوقهم**)) . (أبو يوسف / ٧٤) .

وبمرور الأيام فإن أعداد نصارى نجران الذين توزعوا في العراق والشام أخذت في التناقص بسبب دخول بعضهم في الإسلام ، وموت بعضهم الآخر ، فقل عددهم

وأحسوا بثقل الضريبة عليهم ، لأن عددهم الآخذ في التضاؤل لا يتناسب مع ما يدفعونه من جزية ، فلما قامت الدولة الأموية وذهبوا إلى معاوية بن أبي سفيان أو ابنه يزيد بن معاوية يشكون إليه أوضاعهم السيئة وما آلت إليه أحوالهم ، ثم أخرجوا إليه كتاب عثمان بن عفان ﷺ وما اسقط عنهم من الجزية ، وقالوا : ((**انما ازددنا نقصاً وضعفاً**)) ، فأسقط عنهم مائتي حلة أخرى ، فكان ما اسقط عنهم من عهد الخليفة عثمان بن عفان حتى أوائل عصر بني أمية أربعمائة حلة (البلاذري / ٧٨) . وقد نقض هذا الاتفاق زمن الخليفة عبد الملك بن مروان لتمويل جيشه الذي كان يحارب الثائر عبد الرحمن بن محمد الأشعث ، فهذه الثورة كلفت الحجاج كثيراً من المال ، فامر برفع الضريبة على نصارى نجران وإعادتها على ما كانت عليه قبل عهد الخليفة عثمان بن عفان ، وحتى يجد له تبريراً لهذا العمل ، فإنه اتهم الدهاقين بتعاطفهم مع نصارى نجران ، لذلك فقد أقر عليهم زيادة مائة حلة عما كانوا يدفعونه زمن الخليفة عثمان بن عفان (البلاذري / ٧٨) .

وقد كان لهذا القرار الذي أصدره الحجاج على نصارى نجران أثره السيئ ، وبخاصة على أوضاعهم الاقتصادية ، واستمروا على هذا الحال حتى زمن الخليفة عمر ابن عبد العزيز الذي كان متفهماً لأحوالهم ، وقد سمعوا عن عدله وحبه لرعيته ، فذهبوا إليه و ((**شكوا إليه فناءهم ونقصانهم ، والحاح الأعراب بالغارة عليهم ، وتحميلهم إياهم المؤن المجحفة بهم ، وظلم الحجاج اياهم ، فأمر فأحصوا فوجدوا على العشر من عدتهم الأولى ، فقال ارى هذا الصلح جزية على رؤوسهم ، وليس هو بصلح عن أرضهم ، وجزية الميت والمسلم ساقطة**)) ، ثم الزمهم مائتي حلة قيمتها (٨٠٠٠) درهم (البلاذري / ٧٨) .

ويبدوا أن هذه الإصلاحات التي سنها الخليفة عمر بن عبد العزيز مع أهل الذمة من نصارى نجران كان عمرها قصيراً فلم ينعموا بها طويلاً ، فقد انتهت بموته عام

(١٠١ هـــ / ٧١٩ م) حيث أعاد يوسف بن عمر والي العراق من قبل الخليفة الوليد بن يزيد الضريبة على نصارى نجران وألزمهم بأن يدفعوا ألف وثلاثمائة حلة ، و لم يكـــن ذلك بدافع حاجته إلى المال وإنما تعصباً للحجاج بن يوســـف الثقفـــي دون مراعـــاة لأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية (البلاذري / ٧٨ – ٧٩) .

وعندما جاء العصر العباسي واستخلف أمير المؤمنين أبو العباس الـــسفاح جاء نصارى نجران إلى طريقه يوم ظهر بالكوفة ، فألقوا فيها الرياحين والـــورود ونثروها عليه وهو منصرف إلى مترله من المسجد ، فأعجبه ذلك من فعلـــهم ، ثم رفعوا إليه في أمرهم وأعلموه قلتهم ، وما كان من عمر بن عبد العزيز ويوسف بن عمر وقالوا : ((**إن لنا نسباً في أخوالك بني الحارث بن كعب**)) ، وتكلم فـــيهم عبد الله بن الربيع الحارثي ، وصدقهم الحجاج بن أرطأة فيما ادعوا ، فردهم أبو العباس إلـــى مائتي حلة قيمتها (٨٠٠٠) درهم (البلاذري / ٧٩) .

وعند تولي الخليفة هارون الرشيد الخلافة وذهب إلى الكوفة في طريقه إلى الحج قابله نصارى نجران ورفعوا إليه أمرهم ، وشكوا تعنت العمال معهم أثنـــاء جباية الضريبة المفروضة عليهم ، فأمر فكتب لهم كتاباً بالمائتي حلة ، وأمر أن يعفوا من معاملة العمال وان تدفع ضريبتهم إلى بيت المال مباشرة (البلاذري / ٧٩) .

وقد أورد لنا القاضي أبو يوسف في كتابه الخـــراج بعـــض التفـــصيلات والتوجيهات حول أوضاع نصارى نجران بالنجرانية في الكوفة ، حتى يكون الخليفة هارون الرشيد على بينة بأحوالهم وكيفية التعامل معهم ، فقال : ((**وهذه الحلل المسماة هي الواجبة على أرضهم ، وعلى جزية رؤوسهم ، تقسم على رؤوس الرجال الذين لم يسلموا ، وعلى كل أرض من أراضـــي نجـــران ، وإن كـــان بعضهم قد باع أرضه أو بعضها من مسلم أو ذمي . والمرأة والصبي في ذلك سواء في أرضهم ، فأما جزية رؤوسهم فليسي على النساء والصبيان شـــيء ،**

وليس عليهم اليوم لنجران هذه ضيافة ، ولا نائبة للرسل ولا للوالي ، إنما كان ذلك على عهد النبي ﷺ وهم بنجران اليمن ، أما اليوم فلا . ولو اشترى نجراني أرضاً ، من أرض الخراج كان عليه فيها الخراج ، ولم يمنع الخراج الذي يجب عليه في الأرض النجرانية ، وما يجب عليه بجزية رأسه والأرض أن كانت له بنجران خاصة من الحلل ، لأن الحلل إنما تجب عليهم لجزية رؤوسهم في أرض نجران خاصة . وقد ينبغي أن يرفق بهم ويحسن اليهم ، ويفي لهم بذمتهم ، ولا يحملوا فوق طاقتهم ، ولا يظلموا ولا يعسروا ، ولا يخسروا ولا يكلفوا مؤنة ولا نائبة ، وأن يبعث إليهم من يجبيهم في بلادهم ، ولا يلزم نساءهم ولا صبياهم في رؤوسهم جزية من الحلل ولا من غيرها)) . (أبو يوسف / ٧٥) .

ملحق رقم (٦): رسالة أهل صنعاء في شكاية حماد البربري إلى الخليفة العباسي الأمين [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإنا نسأل الله لأمير المؤمنين إتمام ما أتاه ، وهنئة لما أعطاه ، في السرور الدائم ، والنعيم اللازم ، مع طول البقاء ، وحسن البلاء ، وتتابع الآلاء ، نخبر أمير المؤمنين مد الله لنا في عمره ، وبارك لنا ولجميع الرعية في ولايته ، أنّا منذ سنين في أمر لا يصفه الواصفون، ولا يبلغ كنهه المتكلمون ، من الجور والظلم والتعسف والاستهزاء ، قد خلق فينا الحق ومات العدل ، وضاع الحكم ، فلا يعرف شيء من الحق في بلادنا ، ولا يسمع بشيء من العدل في زماننا ، فنسأل الله من رحمته ، وسعة منّه ، وعظيم سلطانه ، وفضل كرامته ، أن يهب لك منهما للخير ، وعملاً به ولزوماً للحق وأثره له ، وأن يترع من قلبك نخوة المتجبرين ، وقساوة المتكبرين، وأن يسكن في قلبك رأفة للضعفاء ، ورحمة للفقراء ، وأن يختم عملك بالسعادة ، وأن يجعل وفاتك وفاة سلامة ومصيرك إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، ثم إن الله بمنه وحسن عائدته اختارك لهذه الأمة على مقنعة ، فأدى لك ملكها ، وقلدك أمرها ، وجعلك وليها ، فأنت أمينها ، وأبوك رشيدها ، وجدك مهديها ، وأنت ابن عم نبيها ، فليس أحد يا أمير المؤمنين أولاك الله حفظه وتابع عليك نعمه أحق بالرأفة ، والرحمة ، والعدل ، والشفقة منك ،

---

(١) المصدر : مؤلف مجهول : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ ، جمع وتحقيق محمد بن علي الأكوع ، ص ١١٩ وما بعدها ، وكان حماد البربري والياً للدولة العباسية على اليمن وربما بلاد ونجران والسروات وأجزاء من بلاد الحجاز .

وقد قالت العلماء والله أعلم وأمير المؤمنين أطال الله بقاءه بذلك غير معلم ، إن الله ليرحم برحمته الغفور فكيف برحمته إذا ضعيف مقهور . قد حال بينه وبين اللحوق بك يا أمير المؤمنين في إنهاء مظلمته وشكاية بليته ، بُعد الشقة ، ونأي المحلة ، والعوز عن النفقة مع الفقر المجحف ، والبلاء المصعد ، فاستمع يا أمير المؤمنين سمع الله دعاك ، وأحسن عن جميع الأمة جزاك ، كتاب قوم هلكا ضائعين ، مساغبين كلّما . كاظمين ، مغلوبين ، قد ضعضعتهم القوارع ، وأوهنتهم الزعازع، وأذلتهم الفجائع، وليهم الجهال ، وأذلهم العمال ، فهم بالله يا أمير المؤمنين وبك مستغيثون ، كان أول ما ابتدأ به حماد من ظلم المسلمين وخيانة أمير المؤمنين ، أن استعمل قوماً من أهل اليمن ومن أصحابه ، عُتاة ظلمة خونة ، جهالاً ضلالاً ، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً ، ولا يعرف أحدهم من الجهالة المشرق من المغرب ، ولا الصلاة التي لا بد لأحد من المسلمين منها. فضلاً عما سواء ذلك من وظائف الدين . فأوطأهم رقاب المسلمين دخولهم العباد وأمكنهم البلاد فكم يا أمير المؤمنين من دم حرام قد سفك ، ومن محرم قد انتهك ، ومن حق الله قد ترك ، ولم نزل منذ منّ الله علينا بخلافتك وأفرحنا بولايتك متوقعين لأفضالك ، متباشرين بإحسانك ، بمنزلة الفراخ الفاغرة بأفواهها إلى من يغيثها ، وكرجل جيعان غرقانٍ في آخر رمق من الحياة في أرض قفر في وسط فلاة قد أشرف على العطب ، وجهد من التعب وأضجره الكرب عن الطلب هو في مسقط ينتظر فيه وفاته أو طالع يطلع عليه بعنوان فيه حياته ، ليس له دون أحدهما مترل ولا عن وقوع أحدهما متحول ، فالله الله يا أمير المؤمنين لاستدراك أمة من المسلمين قد أذلها الظالمون وأوهنها المجرمون ، فأصبح خيارها ذاهبين ، وأغنياؤها مسلوبين ، وفقراؤها محرومين ، وأوساطها بكل

فج هاربين ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يتداركنا ببعض المشيخة المهديين من ولد عبد مناف الطيبين ، فإنهم من عنصر يهدون بالحق وبه يعدلون ، أو ببعض مشيخة العرب أهل الديانة والعفاف والحسب ، ونحن نسأل الله لأمير المؤمنين لباس العافية ، وطول البقاء ، والخير والسلامة ، وأن يحبوه بالعز والكرامة [١] .

(١) من هذه الرسالة يتضح لنا مدى ظلم وجور ولاة الدولة العباسية في بعض الأمصار والبلاد البعيدة عن مركز الخلافة . ولا نستبعد أيضاً أن أهل نجران قد نالهم بعض الاذاء والذل من ذلك الوالي (حماد البربري) وأشباهه . كما أن الولاة من بعد عصر الخليفة العباسي ، هارون الرشيد ، أصبحوا كثيري الأخطاء والتجاوزات في حقوق رعاياهم ، وذلك ربما يعود إلى بداية ضعف في أجزاء الدولة الإسلامية .

ملحق رقم (٧): رسالة من أهالي صنعاء لوزير الخليفة الأمين بن هارون الرشيد ، الفضل بن الربيع ، توضح رغبتهم أن يتوسط لهم عند الخليفة لعزل حماد البربري لتعسفه وجوره عليهم [١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

لأمير الأمراء وسيد الوزراء أبي العباس كاشف البلاء عن أهل صنعاء باليمن من جماعة الناس أما بعد :

فانه لما حالفنا البلاء ، وأدركنا الشقاء . بولاية حماد فظهر الفساد ، وهلك العباد ، تارك عهد الخلفاء ، ومبارز إله السماء ، وكنا بين ملهوف ومقهور ومنبوذ محروم ، ومستبعد مظلوم ، وهالك منكوب ومكذوب وضائع مغلوب ، قد كثرت في بلادنا المظالم ، وأجحفت بأموالنا المغارم ، وأعيتنا المذاهب ، وضاقت علينا المسالك ، وأحاطة بنا المهالك ، خرجنا إلى الله هاربين ، وبالكعبة والبيت الحرام عائذين ، وبدعاء أهل الموسم متضرعين وبالخليفة أطال الله بقاءه مستغيثين واليه هاربين ، نرجوا موافاته ونأمل مصادقته ونعد أنفسنا برؤيته ونمنيها بالذي نعرف من شفقته ، فحال من دون موافاته القضاء ، وأخلفنا من مصادقته الرجاء ، وأخطأنا الذي كنا نأمل من ذلك ، وسقط في أيدينا هنالك ، فاستشعرنا لذلك حزن اليمن ووقع بنا عند ذلك بلاء عظيم ، ونزل بنا لذلك خطب جليل وتداخلنا له هم عريض طويل فتصاعد علينا الغم وتظاهر لدينا الهم واشتد هناك الكرب وجل لذلك الخطب ، فبكت من رحمتنا العيون ورق لجماعتنا المسلمون وابتهل لنا بالدعاء الصالحون ، فأرشدنا عند ذلك العلماء

---

(١) المصدر : مؤلف مجهول : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ هـ ، جمع وتحقيق محمد بن علي الأكوع ، ص ٢٢٢ وما بعدها .

ونصح لنا الحكماء ، وأشار علينا أهل الخشية وقال لنا أهل الخبرة عليكم بسهل الخليفة حسن الطريقة ، وحاضر الخليفة ، ميمون النقيبة ، معروف النصيحة الفضل بن الربيع ذي الجناب المريح ، أمين الأمناء ، وكهف الضعفاء ، ذي المناقب الكريمة ، والصنائع العظيمة . فإنه مع كل ضعيف ، وملاذ كل ذليل وغياث كل ملهوف وملاذ كل مخوف ، من لم يزل تعده الخلائق ذا رأفة وإشفاق لجميع الآفاق ، فسوف ينالكم بإذن الله ورحمته ، ويعظم فيكم إلى الله رغبته فكل من استعنا به وكل من استغثنا به أحالنا عليك وعلى الأمر كله بعد الله إليك ، فكان الذي قصدنا من المسيرة والقدوم عليك في رفع العظائم ، وإنهاء المظالم بعد الشقة ، ونأي المحلة من المصائب ، وتتابع النكبات ، وإلحاح الغرامات، ولم نقدر على صاحب ندركه رحيم ، ولا صديق حميم ، يبلغ عنا حجة أو ينفي عنا كربة ، أو يفرج عنا غمة ، حتى قدم علينا صاحب السكة محمد بن عبد الله ذو الحنكة أتم الله عليه النعمة ، وجعل ثوابه الجنة ، فأوصلنا كتابنا إليه ، وحملناه أمانة الله في البعثة بها اليك ، وفي إيراد ما ينتهي الله عليك ، ولم نزل مد الله لنا في عمرك ومنّ الله علينا بطول بقائك وعافيتك ، نرجوا دفعك ، ونأمل نفعك ، ونشكر صنعك ، فإن رأيت ألهمك الله شكر النعم ، وأعاذك من نوازل النقم ، وأحلك منازل أهل الكرم ، أن ترحم ما بنا من الضعف والمسكنة وتحتسب في أكبادنا الجائعة ، وأطفالنا الضائعة ، وأبداننا الهالكة ، حسن ثواب الله في الآخرة ، بإيصال كتابنا إلى الخليفة جعل الله أنفسنا ، فدا نفسه وصفاح خدودنا وقا نعله ، بتحويل فلان عنا أهلكه الله ، وبتعجيل وال شفيق منتخب ذو حسب عتيق له مع الحسب دين ، ومع الديانة يقين ، يرتق ما فتق ، وينعش ما أرهق ، ويغير ما صنع ، ويفرق ما جمع ، ويصل ما حرم ، وينصف من كان ظلم ، ويقطع عوائد عماله

الظلمة ، وأعوانه الفجرة ، فإنه لا غنى لنا عن ذلـــك ، ولا راحـــة لنـــا دون استئصال أولئك ، ونتقرب إلى الله أن يكشف ما أصبحنا فيه من جـــور عتـــاة ظلمة ، قد سفكوا الدماء ، وتركوا الوفاء ، وارتكبوا العظام ، وانتهكوا المحارم ، وأهلكوا العباد ، وخربوا البلاد ، وليسوا يخافون عقاب ، ولا يرجون ثواباً ، يستهزئون بالمسلمين ، ويتعرضون لغضب رب العـــالمين ، أيـــديهم خاطئـــة ، وقلوبهم قاسية ، وأنفسهم لاهية ، لا ينثنون عن مجحفة ، فهم لحق الله تاركين ، فنتوسل إلى الله أن يقطع دابر أولئك . فإن الراحـــة لا تـــأتي للمـــسلمين إلا باستئصالهم، وأن العافية لا تصفوا للعامة إلا بالراحة منهم ، فابتغ ثواب الله في إدخال الفرح على الأرامل ، والضعفاء ، واليتامى ، الجياع الأشقياء ، فإنه ليس لنا بعد الله راحم غيرك ، ولا شافع دونك ، ولا أحد تسمو إليه الأبصار فوقك فعجل لنا بالفرج أحسن الله إليك ، فإنا إليك ضـــارعون ، وبـــك بعـــد الله مستجيرون ، فابتغ ثواب الله رب العالمين ، أرحم الراحمين فإنه لا يضيع أجـــر المحسنين)) [(١)].

(١) يبدو أن حماد البربري قد بالغ في معاقبة أهل اليمن منذ عينه الخليفة هارون الرشيد والياً عليها ، وعلى عموم بـــلاد نجران والسروات ، وأجزاء من بلاد الحجاز . وقد حاول اليمنيون منذ عهد الخليفة الرشيد في عزله ، لكنه لم يُسمع لندائهم ، وبقوا على هذا المنوال في عهد الخليفة الأمين حتى وصل بهم الأمر إلى طلب العون والمساعدة من الفـــضل بن الربيع ، وزير الخليفة وصاحب الحل والعقد في خلافة الأمين العباسي .

ملحق رقم (٨): صيغة الصلح الذي عقده الامام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين مع أهل الذمة من نصارى نجران عام (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) على أن يملكوا ما تحت أيديهم من الأملاك والعقار ، وعليهم دفع التسع مما يملكون صلحاً ليس عشراً [١] .

وهذه نسخة كتاب الصلح

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن رسول [٢] الله ﷺ بينه وبين أهل الذمة من أهل نجران وغيرهم من أهل الذمة ممن رضي بما رضي به أهل الذمة بنجران ، فكان أول ما ابتدأ به من ذلك أن قال [٣] : الحمد لله الذي لا إله غيره ولا شريك معه ، إله الأولين والآخرين ، وفاطر السماوات والأرضين الذي لا تراه أعين الناظرين ولا تحيط به أفكار المتفكرين ، ولا يصفه بتحديد الواصفون ، ولا ينطق فيه بوصف جارحة الناطقون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي رفع السماء فبناها وسطح الأرض فطحاها ، ((ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم)) ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المرتضى وأمينه المصطفى أرسله برسالته فبلغ رسالة ربه ، ونصح لأمته ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ﷺ، وعلى آله الطيبين الأخيار .

وبعد أيها الناس : فإن الله جل جلاله وتقدسة أسماؤه خلق خلقه بلا حاجة تلاحيه إليهم، ولا منفعة تناله منهم ، بل خلقهم لأنفسهم ، ودلهم على

---

(١) انظر العلوي ، سيرة الامام الهادي ، ص ٧٢ وما بعدها ، للمزيد انظر البلادي ، بين مكة وحضرموت ، ص ٢٤١ - ٢٤٧ .

(٢) هذا قول يتجوز فيه العلويون ، وقد قدمنا نسب السيد يحيى ، انظر ص (١١٠) في هذا الكتاب .

(٣) أي أن كل ما قيل (قال) ليس من إملاء الهادي ، إنما هو مديح من الراوي .

رشدهم ، وزجرهم عن غيهم ، وأسبغ عليهم بمنّه أرزاقه ، وأنالهم برحمته أرفاقه، وملّكهم الآفاق، فتبارك الله العليم الخلاق، ثم جعل لأرزاقهم أسباباً ، فجعلها تجري بهم على مشيئته وينال حلالها من أناله إياها بقدرته سياسة من الخالق إلى المخلوق ومنّاً منه سبحانه بالرزق ، فجعل للفقراء في أموال الأغنياء جزءاً نصف عشر يجري عليهم ، وعشراً على قدر سقي الأرضين ، وما منّ الله به على العالمين ثم سمّى ذلك في كتابه جل جلاله فقال لنبيه ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [١]. فأوجب عليه أخذ ذلك منهم وأوجب عليهم إخراج ذلك إليه من أيديهم بقوله عز وجل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [٢] . ثم أمر نبيه برد ذلك على من سمّى من الثمانية الأصناف : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ﴾ [٣] . فجعلها معونة للمؤمنين على الجهاد في سبيل رب العالمين ، ومعونة ورزقاً للمساكين .

فاجترأ على كثير من أموال المسلمين أهل الأموال من الذميين ، فاشتروها من أيدي المسلمين ، فملكوا جزءاً عظيماً من البلاد ، وحازوا منافعه من العباد ، فصار ما ملكوه من ذلك طلقاً من الأعشار التي كانت تجري عليهم في أيدي المسلمين، لأنه لا زكاة على الذميين في ناض [٤] . ولا غرض لتجارة ، ولا في أرض جاهلية في أيديهم ، ولا في غنم ولا ابل ولا بقر ، ولأن الزكاة

---

(١) سورة التوبة آية (١٠٣) .

(٢) سورة المزمل آية (٢٠)

(٣) سورة التوبة آية (٦٠)

(٤) النقود من دنانير ودراهم وما شابه به ذلك .

تطهرة للمؤمنين ، حكم بذلك رب العالمين دون غيره من الذميين ، وفي ذلك ما يقول أكرم الأكرمين لنبيه محمد خاتم النبيين : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ فلما اشتراها أهل الذمة من أيدي المسلمين أزاحوا بذلك ما جعل الله فيها من المعونة لعباده المؤمنين ، فكسروا بذلك على المؤمنين أموالهم وجباياهم ، فأذهبوا ما كان لهم من منافعهم التي جعلها الله لهم فيها فرضاً وحكم به على المسلمين حكماً .

فرأيت عند ذلك أن تركها في أيدي من لا زكاة عليه لا يجوز ، ولا يسعنا لما في ذلك من الضرر على الإسلام وإضعاف دين محمد عليه وعلى آله السلام ، فدعوت أهل الذمة وألقيت ذلك إليهم ، وأوقفتهم عليه ، وأعلمتهم أنه لا يجوز تركها في أيديهم ، فإنه لا يجوز لهم أن يكسروا بشراء أموال المسلمين الخراج الذي جعله الله تقوية في الدين ، ومعونة في جهاد الفاسقين ، ومعونة للفقراء المؤمنين ، فضجوا من ردها على المسلمين والخروج منها إلى المؤمنين ، وقالوا خُذ منا ما يجب على المسلمين في أموالهم ، فأعلمتهم أن ذلك لا يجوز لنا فيهم .

ثم رأيت عند ذلك أن أخيرهم بين التنحي عنها ، والتخلي منها ، أو أن أجري بينهم وبين المسلمين صلحاً في ذلك يرجع بمنفعته عليهم ، ويجوز بإجرائه للذميين شراء أموال المسلمين، والدخول فيما أحتووا من أرض المؤمنين ، والإقامة على ما في أيديهم مما اشتروه منهم ، وملكوه من أرضهم دونهم ، فخشيت إن أنا صالحتهم على العشر أن يتوهم أهل الجهالات من المتكمهين [1] في العمايات ، أنا عشرنا الذميين كما عشرنا المسلمين ، وأنا جهلنا أنه لا صدقة

---

(١) المتكمهين من يركب رأسه لا يدري أين يتوجه " القاموس "

على الذميين ، فأوقعنا بين المسلمين وبين الذميين صلحاً بائناً من اللبس والشبه ، يملكون به ما شاءوا ، ويقيمون على ما أرادوا من أموال المسلمين ، ويجب لأموالهم به الحياطة على المؤمنين، وهو التسع فيما سُقي سيحاً أو بماء السماء ، ونصف التسع فيما سُقي بالدوالي والحظارات والسواني [١] ، فرضي بذلك الذميون واختاروه ، وحسن موقعه منهم ، فأقررنا على هذا الصلح في أيديهم ما كانوا تَشَرّوه من أموال المسلمين ، وأجزنا لهم شراء ما أحبوا من أموال المؤمنين على تأدية هذا التُسع، مما سقي سيحاً أو بماء السماء، ونصف التسع مما سقي بالسواني والحظارات والدوالي ، وجعلنا لهم من بعد أداء ما سمينا من هذا الصلح على الحروث في النخيل والفواكه والقضوب وغير ذلك مما تجب فيه الزكاة على المؤمنين قليل ذلك وكثيره سواء ، يؤخذ منه على قدر سقي أرضه من كل ما سُقي بماء السماء التسع كان ذلك فرقاً أو فرقين ، أو عشرة أو عشرين ، ففي كل ما خرج من أموالهم قل ذلك أو كثر من الثمار تُسع مما سقت السماء ، ونصف التسع مما سقي بالسواني وغير ذلك من الأشياء .

وأجزنا لهم شراء ما أحبوا من جميع الأموال يؤدون عن ذلك ما سمينا من الصلح بينهم وبين المسلمين في هذا الكتاب ، فإذا أدوا ذلك إلى المسلمين ، فلعنة الله وسخطه ، ولعنة اللاعنين ، ولعنة الملائكة والناس أجمعين على من ازداد عليهم درهماً واحداً ، أو جار عليهم من خرص أموالهم [٢] ، أو كيلها ، أو قيمتها ، أو غير ذلك من أمرها ، من الولاة في حياتي أو بعد وفاتي ، أو أخذ منهم غير

---

(١) هذه كانت أدوات استخراج الماء بالدلاء أو الغروب ، بأيدي الناس أو البقر أو الجمال ونحوها .

(٢) الخَرْص : حَزْر الثمار وهي في أصولها .

ذلك ، أو ضرب عليهم ضريبة ، أو كلفهم كلفة ، أو جعل علـــيهم مؤونـــة ، أو جشمهم معونة .

وللذميين على المؤمنين إذا أدوا إليهم ما جعل الله سبحانه وتعالى من الجزية عن رؤوس رجالهم الأحرار دون نسائهم ، ومماليكهم وصبيانهم – تؤدّي ملوكهم ثمانية وأربعين درهماً قَفْلة على كل رجل منهم ، ويؤدي أوساطهم أربعة وعـــشرين درهما قَفْلة [1] ، ومتعيشتهم إثني عشر درهماً قَفْلـــة ، فـــإذا أدوا الجزيـــة عـــن رؤوسهم ، وأدى من كان في يده شراء من أموال المسلمين ما صولح عليه من هذا الصلح المسمى في هذا الكتاب – فقد حقنوا دماءهم بالجزية وحرَّموا أموالهم على من آمن بالله ، ونالوا بأداء هذا الصلح المسمى في هذا الكتاب شراء ما أحبوا مـــن أموال المسلمين، وقد وجب لهم على من آمن بالله أن لا يُخرج مـــا في أيـــديهم عنهم ، ولا يمنعهم من شراء غير ذلك ، وقد وجبت لهـــم الحياطـــة علـــى ولاة المسلمين ورعيتهم . ولا يجوز لأحد ظلمهم ولا التحامل في غـــير ذلـــك الحـــق عليهم ، فمن طلب منهم غير ذلك فبرئ من الله ، وبرئ الله منه وصالح المـــؤمنين والملائكة والناس أجمعين .

وأشهد لهم الهادي إلى الحق أمير المؤمنين ، يحيى بن الحسين بن رسول الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار ، الله سبحانه وملائكته بذلك ، وأشـــهده وملائكته وجميع من حضر من المؤمنين عليهم بما في هذا الكتاب ، فرضي جميع أهل الذمة بنجران بهذا الصلح الذي جرى بينه وبينهم ، وقرئ هذا الكتـــاب عليهم وعلى المسلمين وفهمه الكل ووقف عليه وشهد على رضا الهـــادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن رسول الله ﷺ وعلى أهل بيته وســـلم ،

---

(١) عملة كانت سائدة في اليمن ، والقفلة : عرض أصبع اليد .

ومن حضره من أهل الذمة ممن له مال بنجران بهذا الصلح الذي بين الهادي إلى الحق أمير المؤمنين يحيى بن الحسين بن رسول الله ﷺ وبين أهل الذمة من أرباب الأموال بنجران [٢] ، وهذا الصلح جائز بين المسلمين وبين من رضي به من جميع أهل الذمة بسائر البلدان ، لا يمنعهم من قبوله مسلم ، ولا يحول بينهم وبينه إلا آثم .

(٢) تكرار هذه الجمل من عمل الراوي ، وقد أدخل الركاكة على النص .



قائمة المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات

ثانياً : المصادر

ثالثاً : المراجع العربية

رابعاً : رسائل علمية وبحوث غير منشورة

خامساً : المراجع الأجنبية



أولاً : المخطوطات

- **الأشرف الرسولي** ، أبو العباس إسماعيل بن الأفضل عباس . فاكهة الزمان ومفاكهة ذوي الآداب والفطن في أخبار من ملك .(أو ولي) اليمن ، ويعرف بـ مرآة الزمان في تخالف أخبار اليمن .(مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٤٠٩ التيمورية تاريخ) .
- **الجَنَدي** ، بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب . السلوك في طبقات العلماء والملوك المعروف – بتاريخ وطبقات الجندي . (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم .(٥٣٠٤) تاريخ) ويوجد منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء .
- **الحسني** ، يحي بن الحسين بن القاسم بن محمد . أنباء أبناء الزمن في تاريخ اليمن.(مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم١٣٤٧/ تاريخ)،ومنه نسخة بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء .
- **الصنعاني** ، إسحاق بن يحي بن جرير . تاريخ صنعاء . يوجد منها صورة لدى الباحث ، وهي مصورة من صورة أخرى من مخطوطات محمد بن علي الأكوع .
- **الضمدي** ، عبد الله بن علي النعمان . العقيق اليماني في وفيات وحوادث المخلاف السليماني . (مخطوط) .(يوجد صورة من هذا المخطوط ضمن أوراق مكتبة الباحث)
- **مجهول المؤلف** ، تاريخ المغازي و الفتوح . .(مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٨٩ تاريخ . سنة ١٢٧٨ في ٢٢٠ ق).

ثانيًا : المصـــــادر

- **ابـــن الأثـــير** ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبـــدالكريم . الكامـــل في التاريخ . تحقيق نخبة من العلماء.(بيروت: دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) .
- -------------- ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم . أسد الغابـــة في معرفة الصحابة . (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، د.ت) .
- **ابـــن الأخـــوة** ، ضياء الدين محمد . كتاب معالم القربة في أحكـــام الحـــسبة . تحقيق محمد شعبـــــــان .(القـــاهرة ، د. ن ،١٣٩٦هـــــ /١٩٧٦م) .
- **الإدريـــــسي** ، محمد بن محمد بن عبد الله . كتاب نزهة المشتـــاق في اختـــراق الآفـــــاق.(بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩هـــ /١٩٨٩م) .
- **ابـــــن آدم** ، يحي .كتاب الخراج .صححه وشرحه ووضـــع فهارســـه أبـــو الأشبال ، أحمد محمد شـــاكر .(القـــاهرة : المطبعـــة الـــسلفية ومكتبتها ، ١٣٤٧هـــ) .
- **الأزرقـــــي** ، أبو الوليد محمد بن عبد الله . أخبار مكة وما جاء فيها . تحقيـــق رشدي ملحس .(مكـــة المكرمـــة ، مطـــابع دار الثقافـــة ، ١٤٠٣هـــ/ ١٩٨٣م) .
- **الأشعر القرطبي** ، أحمد بن محمد بن إبراهيم . التعريـــف في الأنســـاب والتنويه لذوي الأحســـاب . تحقيق سعد عبد المقصود ظلام .(القاهرة : دار المنار ، ١٩٨٦م) .

- **الأصطخري** ، أبو القاسم إبراهيم بن محمد . مسالك الممالك . .(بيروت : دار صادر ،د. ت) . مصور من النسخة التي حققها.(دي . غوي) ونشرت في مدينة .(ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٢٧م) .
- **الأصفهاني** ، أبو الفرج .كتاب الأغاني . مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .(القاهرة : دار إحياء التراث العربي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي .(المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) .
- -------------- ، أبو الفرج . كتاب الأغاني .(بيروت : د . ن ، ١٤١٢هـ /١٩٩٢م) .
- **الأصمعي** ، عبد الملك بن قريب . تاريخ العرب قبل الإسلام . تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .(بغداد : مطبعة دار المعارف ، منشورات المكتبة العامة ،١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م) .
- **ابن أعثم** ، أبو محمد أحمد الكوفي . كتاب الفتوح . (بيروت : دار الندوة الجديدة / مصور من طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، بالدكن ، الهند ، د . ت) .
- **الألوسي** ، السيد محمود شكري . بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . تحقيق محمد بهجت الآثري . (بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت) .
- **بامخرمة** ، أبو الطيب. تاريخ ثغر عدن.(ليدن: مطبعة بريل ، ١٩٣٦م) .
- **البُخاري** ، محمد إسماعيل بن إبراهيم . صحيح البخاري.(بيروت: دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت).

- **البسوي** ، أبو سيف يعقوب بن سفيان . كتاب المعرفة والتاريخ ، تحقيق أكرم ضياء العمري.(بغداد : ١٣٩٤- ١٣٩٦هـ / ١٩٧٤- ١٩٧٦م) .
- **ابن بطوطة** ، محمد بن عبد الله اللواتي رحلة إبن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . تحقيق علي المنتصر الكتاني.(بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- **ابن بَكَّار** ، أبو عبد الله الزبيري . جمهرة نسب قريش وأخبارها .تحقيق محمود شاكر.(القاهرة ، مطبعة المدني ، ١٣٨١هـ).
- ------------- ، أبو عبد الله الزبيري . الأخبار الموفقيات . تحقيق سامي مكي العاني. (بغداد : ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) .
- **البغدادي** ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب . تاريخ بغداد .(بيروت : دار الكتاب العربي ، د . ت)
- **البكري** ، عبد الله بن عبد العزيز . معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع . تحقيق مصطفى السقا . (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .
- **البلاذري** ، أبو الحسن أحمد بن يحي . أنساب الأشراف .(القدس : مطبعة الجامعة ، ١٩٣٦/١٩٣٨م ، ج٤،٥).
- ------------- ، أحمد بن يحي . كتاب النقود .(القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٣٩م) .
- ------------- ، أبو الحسن أحمد بن يحي . أنساب الأشراف . تحقيق محمد حميد الله (القاهرة : معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف ، د. ت) ج١ .

• **البلاذري** ، أبو الحسن أحمد بن يحي . فتوح البلدان . تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) .

• **البيهقي** ، أبو بكر أحمد بن الحسين . مناقب الشافعي . تحقيق السيد أحمد نصر.(القاهرة : دار التراث ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) .

• **الجاحظ** ، عمرو بن بحر . كتاب التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب .(القاهرة : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦م) .

• **ابن جبير** ، محمد بن أحمد. رحلة ابن جبير.(بيروت: دار صادر، د.ت).

• **الجمحي** ، محمد بن سلام . طبقات فحول الشعراء . قراءة وشرح محمود شاكر .(القاهرة : مطبعة المدني ، د . ت) .

• **ابن الجوزي** ، أبو الفرج عبدالرحمن . مناقب الإمام أحمد بن حنبل . تحقيق عبد الله ابن عبد المحسن التركي .(القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

• **ابن حبيب** ، أبو جعفر محمد . كتاب المحبر . تحقيق ايلزه ليختين ستينز . (بيروت : دار الآفاق ، ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م) .

• -------------- ، أبو جعفر محمد . كتاب المنمق في أخبار قريش . تحقيق خورشيد أحمد فاروق . (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .

• ابن حجر ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد . الإصابة في تمييز الصحابة .(بيروت : دار الكتب العلمية ، د . ت) مصور من النسخة الأصلية المطبوعة عام ١٨٥٣م في بلدة كلكتا بالهند) .

• ------------- ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد . أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ .(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .

• ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد . جمهرة أنساب العرب . راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر .(بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

• الحسين ، الهادي يحي . غاية الأماني في أخبار القطر اليماني . تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور .(القاهرة : دار الكاتب العربي ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) .

• الحكمي ، نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي . تاريخ اليمن . تحقيق المستشرق الفرنسي كاي سنة ١٨٩٢م ، وقد أعاد نشره د. حسن سليمان محمود عام ١٩٦٤م) .

• الحلبي ، علي برهان الدين بن إبراهيم بن أحمد بن علي. السيرة الحلبية . (بيروت : دار المعرفة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

• الحميري ، محمد عبد المنعم . الروض المعطار في أخبار الأقطار . تحقيق إحسان عباس .(بيروت : مكتبة لبنان ، ١٩٧٥م) .

• ابن حوقل ، أبو القاسم . كتاب صورة الأرض .(القسم الأول ، ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٣٨م) .

- **ابن خرداذبة** ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله . كتاب المسالك والممالك . تحقيق إم .جي .دي .غوي.(ليدن : مطبعة بريل، ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م).
- **الخزرجي** ، أبو الحسن علي بن الحسين . الكفاية والأعلام . تحقيق الفصول الخمسة من هذا الكتاب ، وهو نفس كتاب العسجد . (تونس : منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٩م).
- **خسرو** ، أبو معين الدين ناصر. جزيرة العرب كما رآها الرحالة ناصر خسرو. ترجمه من الفارسية أحمد خالد البدلي. مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض سابقاً { الملك سعود حالياً} ١٩٧٩).
- -------------- ، أبو معين الدين ناصر . سفرنامة . رحلة ناصر خسرو . ترجمه من الفارسية إلى العربية وحققه أحمد خالد البدلي .(الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- **ابن خلدون** ، عبد الرحمن . مقدمة بن خلدون .(بيروت : دار القلم ، ١٩٧٨م).
- -------------- ، عبد الرحمن . تاريخ ابن خلدون . تحقيق خليل شحادة ، وسهيل زكار .(بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م) .
- **ابن خلكان** ، شمس الدين أبو العباس . وفيات الأعيان .(بيروت : دار صادر ، ١٣٩٧هـ) .
- **ابن خياط** ، أبو عمرو خليفة الملقب بـ (شباب العصفري) . تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق أكرم ضياء العمري .(الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

- **ابن الديبع** ، عبد الرحمن بن علي بن محمد . قرة العيون بأخبار اليمن الميمون . تحقيق محمد بن علي الأكوع .(اليمن ، د . ن ، ١٩٨٨م) .
- **الدينوري** ، أبو حنيفة أحمد بن داوود . الأخبار الطوال . تحقيق عبدالمنعم عامر .(القاهرة ، د . ن ، ١٩٦٠م) .
- **الدينوري** ، أبو حنيفة أحمد بن داوود . كتاب النبات ، القسم الثاني من القاموس . تحقيق محمد حميد الله .(القاهرة : المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، ١٩٧٣م) . هذا المعجم مفهرس على الحروف الأبجدية ، والمادة الموجودة به من حروف (س - ي) . أما القسم الأول والمفهرس من حروف (أ) حتى (ز) فقد عثرنا على نسخة مترجمة إلى الإنجليزية بجامعة اريزونا في أمريكا واعتمدنا عليها ولم نستطع حتى الآن الحصول على النسخة العربية . أما النسخة الإنجليزية فهي ضمن مكتبة الباحث .(أنظر عنوان هذا الجزء في قائمة المصادر باللغة الإنجليزية في هذا الكتاب).
- ------------ ، أبو حنيفة أحمد بن داوود . كتاب النبات الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس . تحقيق برنهارد لفين .(المانيا : بفيسبادن ، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
- **الذهبي** ، الحافظ شمس الدين . العبر في خبر من غبر .تحقيق صلاح الدين المنجد .(لكويت : التراث العربي ، ١٩٨٤) .
- **الرازي** ، أحمد بن عبد الله . تاريخ مدينة صنعاء . تحقيق حسين عبد الله العمري .(بيروت ، د . ن ، ١٩٧٤م) .

- **الـــــرازي** ، ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد . آداب الشافعي ومناقبـه . تحقيق عبد الغني عبد الخالق .(بيروت : دار الكتـب العلميـة ،١٤٠٦هـ).
- **ابـن رجب** ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد . الاستخراج لأحكام الخراج . (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .
- **ابن رستـه** ، أبو علي أحمد بن عمر . المجلد السابع مـن كتـاب الأعـلاق النفسية . تحقيق ام . جي . دي . غوي .(ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م).
- **ابـن زبارة** ، محمد بن محمد بن يحي . مختصر أنبـاء الـيمن ونبلائهـا في الإسلام . ضمن مجاميع لكتاب بعنوان : الأنبـاء عـن دولـة بلقيس وسبـأ . (صـنعاء : مكتبـة الـيمن الكـبرى ، ١٤٠٤هـ /١٩٨٤) .
- **الزبيـــري** ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله . نسب قريـش . نشره أ . ليفي بروفنـسال .(القـاهرة : دار المعـارف ، ١٩٥١ – ١٩٥٣ م) .
- **الزرقانـــي** ، محمد بن عبدالباقي بن يوسف بن أحمـد . شـرح المــواهب اللدنيـة للقسطلاني .(بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .
- **الزمخشري** ، محمود بن عمر بن محمد . تفسير الكشـاف . تحقيق محمـد مرسي عامر .(القـاهرة : دار المـصحف ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .

- **ابن زنجويه** ، حميد بن مخلد بن قتيبه بن عبد الله . كتاب الأموال . تحقيق شاكر ديب فياض .(الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .
- **السبكي** ، تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي. طبقات الشافعية . (بيروت : دار المعرفة ، د . ت) .
- **ابن سعد** ، محمد بن سعد البصري . الطبقات الكبرى .(بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .
- **السلمي** ، عرام بن الأصبغ . كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه . تحقيق عبد السلام هارون . (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م) .
- **ابن سلام** ، أبو عبيد القاسم . كتاب الأموال . تحقيق محمد خليل هراس . (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .
- **ابن سمرة** ، عمر بن علي الجعدي . طبقات فقهاء اليمن. تحقيق فؤاد سيد . (بيروت : دار القلم ، د . ت) .
- **السهيلي** ، عبد الرحمن بن علي بن أحمد الخثعمي . الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لإبن هشام . تحقيق وشرح عبد الرحمن الوكيل . (القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- **ابن سيدة** ، أبو الحسن علي بن اسماعيل . المخصص .(بيروت : منشورات المكتب التجاري ، د . ت) .

- **السيوطي** ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد . الكنز المدفون والفلك المشحون .(القاهرة : دار الحلبي ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) .
- **الصابي** ، هلال بن إبراهيم بن هلال . رسوم دار الخلافة .(بغداد : مطبعة العاني ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) .
- **ابن طباطبا** ، محمد بن علي . الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية . (بيروت : دار صادر ، د . ت) .
- **الطبري** ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن . مجمع البيان في تفسير القرآن .(بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، د . ت) .
- ------------ ، أبو جعفر محمد بن جرير . تاريخ الأمم والملوك .(بيروت : دار سويدان ، د . ت) .
- **عبد البر** ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد . الإستيعاب في معرفة الأصحاب . تحقيق علي محمد البجادي .(القاهرة : مطبعة النهضة ، د . ت) .
- **ابن عبد الحكم** ، أبو محمد عبد الله . سيرة عمر بن عبدالعزيز . تحقيق أحمد عبيد .(بيروت : د . ت ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) .
- **ابن عبد ربه** ، أحمد بن محمد . العقد الفريد . تحقيق عبدالمجيد الترحيني .(بيروت : دارالكتب العلمية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م) .
- **ابن عبدالمجيد** ، تاج الدين أبو محمد عبد الباقي . بهجة الزمن في تاريخ اليمن . تحقيق ونشر عبد الله محمد الحبشي و محمد أحمد السفياني.(صنعاء: دار الحكمة اليمانية،١٩٨٨م) .

- **ابـــن العربي** ، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بـــن محمـــد بـــن العـــربي المعافري . العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الـــصحابة بعد وفاة النبي ﷺ . تحقيق محب الدين الخطيـــب.(القـــاهرة : المطبعة السلفية ،١٣٩٦هـــ).
- **العصامـــــي** ، عبد الله بن حسين . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائـــل والتوالي . (مصر : المطبعة السلفية ، د . ت) .
- **العلـــــوي** ، علي بن محمد بن عبيدالله العباسي . سيـــــرة الهـــــادي إلى الحـــق. تحقيق سهيل زكار .(بيروت ، د . ن ، ١٩٨١م) .
- **ابـــــن عمر** ، يحي.كتـــاب النظـــر والأحكـــام في جميـــع أحوال السوق . (تونس ، د . ن ، ١٣٩٥هـــ / ١٩٧٥م) .
- **العُمـــــري** ، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله . مســـالك الأبصـــار في ممـــالك الأمصـــار .(ممالك مصر ، والشام ، والحجـــاز واليمـــن . تحقيق أيمن فؤاد سيد .(القاهرة : المعهد العلمـــي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ، د . ن) .
- **الفاســـــي** ، تقي الدين محمد . العقـــد الثمين فـــي تاريخ البلد الأمـــين . تحقيق فؤاد سيد.(بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـــــ / ١٩٨٦م).
- ------------- ، تقي الدين محمد بن أحمد . شفاء الغرام بأخبـــار البلد الحرام . تحقيق لجنة من العلماء.(بيروت: دار الكتب العلمية،د.ت).
- **أبـــو الفداء** ، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر . تقويم البلدان . اعـــتنى بتصحيحه رينود ، والبارون ماك كوكين ديسلان .(طبـــع في مدينة باريس بدار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م) .

- **ابن الفقيه** ، احمد بن محمد الهمداني . مختصر كتاب البلدان . تحقيق أم . جي . دي . غوي .(ليدن : مطبعة أبريل ، ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م) .
- **ابن قتيبة** ، أبو محمد عبد الله بن مسلم . عيون الأخبار .شرح وتعليق يوسف علي الطويل .(بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م).
- ------------ ، أبو محمد عبد الله بن مسلم . الشعر والشعراء .تقديم ومراجعة حسن تميم و محمد عبدالمنعم العريان . (بيروت : دار إحياء العلوم ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .
- **قدامة** ، أبو الفرج قدامة بن جعفر . نبذ من كتاب الخراج و صنعة الكتابة ضمن كتاب المسالك والممالك لإبن خرداذبة . تحقيق ام . جي . دي .غوي .(ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٩م) .
- **القزويني** ، زكريا بن محمد بن محمود . آثار البلاد وأخبار العباد . (بيروت : دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
- **القلقشندي** ، أبو العباس أحمد بن علي . صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية .(القاهرة ، ١٩٦٣م) .
- ------------ ، أبو العباس أحمد بن علي . مآثر الآنافة في معالم الخلافة . تحقيق عبد القادر أحمد فرج .(مطبعة حكومة الكويت، طبعة مصورة ، ١٩٨٥م) .

- **ابن القيم الجوزية** ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر . أحكام أهل الذمة . (دمشق : مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦١م) .
- **ابن كثير** ، أبو الفداء إسماعيل . البداية والنهاية . تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون .(بيروت : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م) .
- ------------- ، أبو الفداء إسماعيل . تفسير القرآن الكريم . (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) .
- **ابن الكلبي** ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب . نسب معد واليمن الكبير . تحقيق ناجي حسن .(بيروت : عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م جزءان) .
- **الكندي** ، أبو عمر محمد بن يوسف . كتاب الولاة وكتاب القضاة . مهذب ومصحح بقلم رفن كَست .(القاهرة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، د . ت) .
- **الكلاعي** ، أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم . تاريخ الردة ، جزء مقتبس من كتابه : الإكتفاء بما تضمنه من مغازي المصطفى ومغازي الخلفاء . إقتبسه وحققه خورشيد أحمد فاروق . (الهند : معهد الدراسات الإسلامية د . ت).
- **مالك** ، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك التميمي الأصبحي الحميري . المدونة.(القاهرة ، طبعة ساسي، مطبعة السعادة ، ١٣٢٣هـ) .
- **الماوردي** ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب . الأحكام السلطانية في الولايات الدينية .(بيروت : دار الكتاب العربي ، د . ت).
- ------------- ، أبو الحسن علي بن محمد . أدب القاضي . تحقيق محي هلال السرحان . (بغداد ، د . ن ،١٩٧٢م).

- **ابن المجاور** ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز.(المسماة) تاريخ المستبصر . تحقيق أوسكر لوفغرين .(ليدن : مطبعة بريل ، ١٩٥١م) .
- **ابن مزاحم** ، نصر المنقري .وقعة صفين . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . (القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ، ومكتبة الخانجي ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م) .
- **المسعودي** ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. التنبيه والأشراف . إشراف لجنة تحقيق التراث .(بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٩٨١م) .
- ------------ ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي . مروج الذهب ومعادن الجوهر . ترتيب يوسف أسعد داغر ، ط٤. (بيروت : دار الأندلس ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .
- **المقدسي** ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تحقيق ام . جي . دي . غوي . (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٦م) .
- ------------ ، مطهر بن طاهر .كتاب البدء والتاريخ . تحقيق س . هورت ، طبعة باريس .(١٩١٦م) وصورته مكتبة المثنى ، بغداد .(د . ت)
- **المقريزي** ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر الشافعي . النقود الإسلامية القديمة . تحقيق انستانس ماري الكرملي البغدادي . (القاهرة ، د . ن ، ١٩٣٩م).
- ------------ ، تقي الدين أحمد . الذهب المسبوك بذكر من حج من الخلفاء والملوك . تحقيق جمال الدين الشيال .(القاهرة ، د . ن ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) .

- **ابن منظور** ، جمال الدين أبو الفضل . لسان العرب . نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه علي شيري .(بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .
- **مؤلف مجهول** ، الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢هـ . جمع وتحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي .(بغداد : دار النهضة للطباعة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .
- **أبو نعيم** ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .
- **النويري** ، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب . نهاية الأرب في معرفة أحوال العرب . تحقيق علي محمد البجادي .(القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .
- **ابن هشام** ، أبو محمد عبدالملك . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وآخرون .(بيروت : دار القلم د. ت) .
- **الهمداني** ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب .صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي .(الرياض : منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) .
- ------------ ، أبو محمد الحسن أحمد بن يعقوب . الإكليل . الجزء الأول ، والثاني، والثامن . تحقيق محمد علي الأكوع .(بيروت : د.ن ١٩٨٦م) .

- **الهمداني** ، أبو محمد الحسن أحمد بن يعقوب . الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها . حققه محب الدين الخطيب (بيروت : دار المناهل ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) (الجزء العاشر) .
- ------------- ، أبو محمد الحسن أحمد بن يعقوب .كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء . أعده حمد الجاسر للنشر بإيضاح بعض غوامضه وأعداد فهارسه، وأضافة بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب .(الرياض : المطابع الأهلية للأوفست ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م) .
- **الواقدي** ، محمد بن عمر . كتاب المغازي . تحقيق مارسدن جونس .(بيروت : عالم الكتب ، ١٩٦٥م) .
- **الوزير المغربي** ، الحسين بن علي بن الحسين . الإيناس في علم الأنساب .(الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .
- **وكيع** ، محمد بن خلف بن حيان . أخبار القضاة . تصحيح وتعليق عبد العزيز مصطفى المراغي.(القاهرة : مطبعة الاستقامة ، ١٣٦٦هـ /١٩٤٧م) .
- **ياقوت** ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله . معجم البلدان . (بيروت : داري صادر و بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .
- **اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب . كتاب البلدان . هذا الجزء ملحق بكتاب بن رستة .(الأعلاق النفسية) .(ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٩١م) .

- **اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب . مشاكل الناس لزمانهم .(بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٢م) .
- **اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب .تاريخ اليعقوبي .(بيروت : دار بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م) .
- **أبو يوسف** ، صاحب أبو حنيفة) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس . كتاب الخراج .(القاهرة : المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٣٨٢هـ) .

ثالثاً : المراجع العربية :

- **اطلس** ، سعيد . ((الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجري)) مجلة المجمع العلمي العراقي . (بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م) (مج ٢) ، ص٢٧٣- ٣٠٠ .
- **الأفغاني** ، سعيد . أسواق العرب في الجاهلية والإسلام .(دمشق : دار الفكر ، د. ت) .
- **الأكوع** ، محمد . اليمن الخضراء مهد الحضارة .(م. ن : مطبعة السعادة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١م) .
- **الألفي** ، أبو صالح . الفن الإسلامي .(القاهرة ، دار المعارف ، د . ت) .
- **الألمعي** ، يحي إبراهيم . رحلات في عسير ، نصوص ، وانطباعات ، ووصف ، ومشاهدات .(د . ن ، د. ت) .

- **أمـــين** ، أحمد. فجر الإسلام .(القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٥ م) .
- **الأهـــل** ، عبدالعزيز سعيد . شيخ الأمة أحمد بن حنبل .(بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٢ م) .
- **بـــدوي** ، عبده . الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ م) .
- **الـــبري** ، عبد الله خورشيد . القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة .(القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢م) .
- **بطاينـــة** ، محمد ضيف الله . ((الأطعمة والأشربة عند العرب في صدر الإسلام)) مجلة دراسات .(العلوم الإنسانية) .(عمان : الجامعة الأردنية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) مج .(١٣) جـ ٢ ص ١١٧ – ١٤٠ .
- **البكـــر** ، منذر . ((بحث تاريخي في جغرافية شبه جزيرة العرب)) مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة .(١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م) عدد .(٩) ص ٥١ – ٤٥ .
- **الـــبلادي** ، عاتق بن غيث . بين مكة وحضرموت رحلات ومشاهدات . (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م) .
- **البنـــدري** ، رأفت . ((دراسة لقطعتين نادرتين من المنسوجات الإسلامية)) . مجلة الدارة .(١٤٠٨ هـ) عدد .(٢٠) .
- **البيـومـي** ، محمد رجب . ابن حنبل .(القاهرة : دار الفكر، د. ت) .

- **الجاسـر** ، حمد . ((المعادن القديمة في بلاد العرب)) . مجلة العـرب . (الرياض : دار اليمامة للطباعـة والنـشر ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) جـ١١، ص ٧٩٨ – ٨٤٦ ، ٩٧٨– ١٠٠١ . (وقد نشرت معظـم هذه الدراسـة في نهايـة كتـاب الجوهرتين للهمداني) .
- ------------ ، حمد . التعليقات والنوادر ، عن أبي علي هارون بـن زكريـا الهجري. (دراسات ومختارات) .(الرياض: منـشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر،١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) .
- **الجبـوري** ، يحي . شعـر المخضرميـن وأثـر الإسلام فيـه .(بغداد : منشورات مكتبة النهضة ، د . ت) .
- **ابن جريس** ، غيثان بن علي . صفحـات مـن تـاريخ عسـير .(جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) جـ ١ .
- ------------ ، غيثان بن علي . ((بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني)). مجلة الدارة ، (ربيع الآخر والجماديان) . (١٤١٤هـ عدد (٣) سنة .(١٩) ، ص ٧٦ – ١١١ .
- ------------ ، غيثان بن علي .((بلاد تهامة والـسراة كمـا وصـفها الرحالـة والجغرافيون المسلمون الأوائل .(ق٣هـ–ق٨هـ)).مجلة المؤرخ العربي، مج .(١) العدد (٢) مارس١٩٩٤م) ص٧٣ – ١٠٠ .
- ------------ ، غيثان بن علي . ((تاريخ مخلاف جـرش خـلال القـرون الإسلامية الأولى)) . مجلة العصور ، مـج .(٩) ، جـ(١) رجب ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م . ص ٦٣ – ٧٨ .

- **ابن جريس** ، غيثان بن علي . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور /سعيد عبدالفتاح عاشور رئيس اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .(الأسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م)جـ ١ .
- ------------- ، غيثان بن علي . عسير دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .(١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨ - ١٩٨٠ م)، جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ ١٩٩٤ م) .
- ------------- ، غيثان بن علي . ((ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الإسلامية الوسيطة)) .بحث منشور في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة حصاد رقم .(٨) .(١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ١٥٧ - ٢٢٢ .
- ------------- ، غيثان بن علي . ((العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية .(دراسة تاريخية حضارية)) . مجلة المنهل ، العدد . (٥٧١) مج .(٦١) العام .(٦٦) شوال ، ذو القعدة . (١٤٢١هـ / ٢٠٠١ م) ص ٢٦ - ٤٩ .
- ------------- ، غيثان بن علي . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة .(ق ١ - ق ١٠ هـ / ق ٧ - ق ١٦ م) . الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م . (الجزء الأول) .

- **ابن جريس** ، غيثان بن علي . ((دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة في صدر الإسلام)) . مجلة الدارة . العدد (٤) . سنة (٢٠) (رجب وشعبان ورمضان ١٤٢٥ هـ) ص ٤٠– ٧٠ . كما أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادى أبها الأدبي.(جمادى الأول ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) العدد .(٣٩) ، ص ١٣ – ٣٤ .
- **الجندي** ، عبدالحليم . الإمام الشافعي .(القاهرة : دار المعارف ، د . ت) .
- **جودة** ، جودة حسنين . جغرافية اسيا الإقليمية .(الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٨٥ م) .
- **الحامد** ، عبد الله . ((الحياة الاجتماعية في الجزيرة العربية خلال قرنين من الزمان .(١١٥٠–١٣٥٠هـ)) مجلة العرب ، (جـ ٣–٤) . (سنة ١٤) .(١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ، ص ١٩٥ – ٢٠٨ .
- **الحداد** ، محمد يحي . تاريخ اليمن السياسي .(القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٦م) .
- **الحديثي** ، نزار عبداللطيف . أهل اليمن في صدر الإسلام . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، د . ت) .
- **الحرازي** ، حسين بن فيض الله الهمداني اليعربي . الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن .(القاهرة : مكتبة مصر ، د . ن) .
- **حسن** ، إبراهيم حسن ، و علي إبراهيم حسن . النظم الإسلامية . (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ،١٩٧٠ م) .

- **حسين** ، جميل حرب محمود . الحجاز واليمن في العصر الأيوبي . (جدة : تهامة للنشر والتوزيع ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- **الحشائشي** ، محمد عثمان . تاريخ جامع الزيتونة .(تونس : د .ن ،١٩٧٤ م) .
- **حمزة** ، فؤاد . في بلاد عسير ط٢.(الرياض : مكتبة النصر الحديثة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .
- **حميد الله** ، محمد . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة .(بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- **الخطيب** ، السيد محب الدين . اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب . ط٢ . (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٩٤ هـ) .
- **دلال** ، عبدالواحد محمد راغب . البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران . (القاهرة : مطابع دار التعاون للطبع والنشر، ١٤١٦ هـ /١٩٩٥م)
- **الدمياطي** ، محمود مصطفى . معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي .(القاهرة :الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) .
- **دوزي** ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب .ترجمة أكرم فاضل . (بغداد : مطبعة دار الحرية والطباعة ، ١٩٧١ م) .
- **رشدي** ، صبيحة رشيد . الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية . (بغداد: مؤسسة المعاهد الفنية التطبيقية ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م).

- **الرفاعـــي** ، أنــور . الــنظم الإسلاميـــة .(دمـــشق : دار الفكـــر ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م) .
- **الزركلـــي** ، خير الدين . الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين . ط ٦ . (بـــيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م) .
- **زغـــروت** ، محمد محمدإبراهيم . ((العلاقات التجاريـــة الدوليـــة خـــلال القرنين الثاني والثالث الهجريين)) مجلة الدارة .(١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) عدد (١) سنة .(١١) ، ص ١١٣ - ١٢٨
- **آل زلفـــة** ، محمد بن عبد الله . لمحات عن العمارة التقليديـــة في منطقـــة عسير .(الرياض ، د . ن ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .
- **الزيلعـــي** ، أحمد عمر . مكة وعلاقاتها الخارجيـــة .(٣٠١ - ٤٨٧ هـ . (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود .(الرياض سابقا) ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
- **الـــسامر** ، فيصل . ((ملاحظات في الأوزان والمكائيـــل الإسلاميـــة ، وأهميتهـــا)) مجلـــة كليـــة الآداب بجامعـــة بغداد .(بغداد : مطبعة المعارف ،١٩٧٠ - ١٩٧١م) عدد .(١٤) مـــج . (٢) ص ٦٩٣ - ٧١٥ .
- **الـــسامر** ، فيصل . ((نهضة التجارة العربية في العصور الوسطى الإسلامية)) مجلة المؤرخ العربي .(بغداد : الأمانة العامة لاتحـــاد المـــؤرخين ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م) عدد .(١٧) ص ٦١ - ٧٨ .
- **الـــسباعـــي** ، أحمد . تاريخ مكة .(مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنـــشر والتوزيع ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

- **سليمـــــان** ، سليمان السيد محمد .((العمران الجبلي في سراة عبيـــدة)) . جامعة عين شمس ، نشرة البحوث الجغرافية ، قسم الجغرافيا ، كلية البنات ، ١٩٩١ م) عدد .(١١) .
- **الـــسومحي** ، أحمد عبد الله . أدب اليمن في القرنين الأول والثـــاني الهجـــري . (جدة : المؤسسة العربية للطباعة ، ١٤٠٥هـــ / ١٩٨٥ م) .
- **الـــسيـــــف** ، عبد الله محمد . ((الصناعات في نجد والحجاز في العصر الأموي)). مجلة الدارة .(١٤٠٢ هــ / ١٩٨٢ م) عـــدد .(٣٨) الـــسنة السابعة ، ص ٢٣٩ – ٢٥٢ .
- ------------- ، عبد الله محمد . الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجـــاز في العـــــصر الأمـــوي .(بـــيروت: مؤســـسة الرســـالة ،١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م).
- ------------- ، عبد الله محمد . ((الزراعة في الحجاز في العصر العباســـي)) . مجلة الدارة . (محـــرم ١٤٠٤هــــ/١٩٨٣م)عـــدد .(٢) ، ص١٨٣– ٢٠٦.
- ------------- ، عبد الله محمد . ((الزراعة في اليمامة في العصر العباســـي)) . مجلة الدارة ، عدد .(٤)سنة .(٩) ١٤٠٤ هــــ/ ١٩٨٤ م) ص ١٠٦ –١٢١.
- ------------- ، عبد الله محمد . ((الصناعات في الجزيرة في العصر العباسي)) . مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود .(الريـــاض : عمـــادة شؤون المكتبات ، ١٩٨٥ م) مج .(١٢) عدد . (٣) ص ٣٢٥ – ٣٥٢ .

- **الشامي** ، أحمد محمد . تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي .(بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .
- **الشجاع** ، عبد الرحمن عبد الواحد . اليمن في صدر الإسلام .(دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) .
- ------------ ، عبدالرحمن عبد الواحد . النظم الإسلامية في اليمن .(دمشق : د . ن ، ١٩٨٩ م) .
- **شرف الدين** ، أحمد حسن . تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن . (الزيدية ، الشافعية ، الإسماعيلية) .(د . ن ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .
- ------------ ، أحمد حسن . اليمن عبر التاريخ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى القرن العشرين .(القاهرة : د . ن ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م) .
- **الشريف** ، عبدالرحمن صادق . جغرافية المملكة العربية السعودية . إقليم جنوب غرب المملكة .(الرياض : دار المريخ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) جـ٢ .
- **الشماخي** ، القاضي عبد الله بن عبد الوهاب . اليمن الإنسان والحضارة . (د . ن . د . ت) .
- **شمسان** ، إيمان أحمد . اليمن في العصر العباسي .(١٣٢ – ٢٠٣ هـ / ٧٥٠ – ٨١٨ م) .(الشارقة : دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع ، ٢٠٠١م) .
- **شيبان** ، فلاح. نجران الآثار والتاريخ .(نجران ، د . ن ، ١٤١٠هـ) .

- **الصالح** ، صبحي . النظم الإسلامية نشأتها وتطورها . (بيروت : دار العلم للملايين ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) .
- **الصالحي** ، عباس مصطفى . الصيد والطرد في الشعر العربي .(بغداد : مطبعة دار السلام ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) .
- **عابدين** ، عبدالمجيد . بين الحبشة والعرب .(القاهرة : دار الفكر، د . ت) .
- **عاشور** ، سعيد عبدالفتاح . بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته (القاهرة : عالم الكتب ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٧ م) .
- **عامر** ، فاطمة مصطفى . نجران في العصر الجاهلي وفي عصر النبوة . (القاهرة : دار الإعتصام ، ١٩٧٨ م) .
- **العبيدي** ، صلاح حسين . الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية الأثرية .(بغداد : منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠م) .
- **العقيلي** ، محمد بن أحمد . نجران في أطوار التاريخ .(جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م) .
- **علاقي** ، عبداللطيف طاهر . نجران الواحة والإنسان .(جدة : مطبعة الصلاح ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
- **العلي** ، صالح أحمد .محاضرات في تاريخ العرب .(بغداد : د . ن . د ت).
- ------------- ، صالح أحمد . ((الأنسجة في القرنين الأول والثاني)) ، مجلة الأبحاث .(بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م) (جـ ٤) سنة (١٤) ص ٥٥٠ – ٦٠٠ .

- **العـلـي** ، صالح أحمد . ((الألبسة العربية في القرن الأول الهجري ، دراسة أولية)) . مجلة المجمع العلمي العراقي .(بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٨٥هـ /١٩٦٦ م) ، مج (١٣) ، ص٤١-٦١ .
- ------------ ، صالح أحمد . ((إدارة الحجاز في العهود الإسلامية الأولى)) . مجلة الأبحاث ، سنة ٢١ .(بيروت : الدار الشرقية للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م) جـ ١- ٤ ، ص ٣ –٥٧
- ------------ ، صالح أحمد . ((طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب)) . مجلة العرب .(الرياض : دار اليمامة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م) جـ١١ ، ص ٩٦٣ – ٩٧٧ .
- **العـلـي** ، صالح أحمد . ((تنظيم جباية الصدقات في القرن الأول الهجري)). مجلة العرب . مج٣ سنة (٣) ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩ م ص ٨٦٥ – ٨٨١.
- ------------ ، صالح أحمد . ((الحمى في القرن الأول الهجري)) . مجلة العرب جـ ٧ .(١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ص ٥٩٤ .
- ------------ ، صالح أحمد . ((ملكيات الأراضي في الحجاز في القرن الأول الهجري)) .مجلة العرب .(١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)جـ١١، ص ٩٦١– ١٠٠٥ .
- ------------ ، صالح أحمد . ((العطاء في الحجاز ، تطوره ، تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى)) .مجلة المجمع العلمي العراقي . (بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي ،١٣٩٠هـ/١٩٧٠م ، مج٢٠ ، ص ٣٧ – ٨٧ .

• العلـــي ، صالح أحمد . ((الـــوان الملابـــس العربيـــة في العهـــود الإسلامية الأولى)) . مجلة المجمع العلمي العراقي .(بغـــداد : مطبعة المجمع العلمي العراقــي ، ١٣٩٥ هـــ / ١٩٧٥ م) ص ٧١ – ١٠٧ .

• ------------- ، صالح أحمد . ((منازل الطريق بين المدينة ومكـــة)) . مجلـــة الدارة . (١٣٩٧هــ / ١٩٧٧ م) مج١٣ ، جــ١ .

• علـــي ، جواد . المفصل في تـــاريخ العرب قبل الإسلام .(بيروت : دار العلم للملايين ، وبغداد : مكتبة النهضة ١٩٧٨م) ط٢ .

• فـــاروق ، أحمد . ((دباغـــة الجلـــود وتجارتهـــا عنـــد العـــرب في مستهل الإسلام)) . مجلة العرب .(الريـــاض : دار اليمامـــة للطباعة والنشر ، ١٣٩٦ هــ/ ١٩٧٦ م) جــ ٧ – ٨ ، ص٥٣٨ – ٥٥٥ .

• الفقـــي ، عصام الدين عبدالرؤوف . اليمـــــن في ظل الإســـــلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول .(القاهرة : دار الفكـــر العربي ، ١٤١٤ هــ / ١٩٩٤ م) .

• فهمـــي ، عبدالرحمن . النقود العربية ، ماضيها وحاضرها .(القاهرة : دار القلم ١٩٦٤ م) .

• فهمـــي ، عبدالرحمن . موسوعة النقود العربية وعلم النميات .(فجر السكة الإسلامية) .(القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٦٥ م) .

• كحالـــة ، عمر رضا . جغرافيـــة شبـــه جزيرة العرب . ط ٢ .(القـــاهرة : مكتبة النهضة الحديثة ، ١٣٨٤ هــ / ١٩٦٤ م) .

- **ليبنـــــز** ، فيليب . رحلة إستكشافية فـــي وسط الجزيـــرة العربيـــة . ترجمه من الفرنسية إلى العربية محمد محمد الحناش .(الرياض : دارة الملك عبدالعزيز ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) .
- **الماضــــي** ، سعد .نجران الأرض والناس والتـاريخ.(الريـاض : مطـابع الأوفست،١٣٩٦هـ)
- **متولـــي** ، محمد ومحمود أبو العلا . جغرافية شـبه جزيـرة العــرب . (القاهرة ، د . ن ، ١٩٧٨ م) .
- **محمــــد** ، سعاد ماهر . مخلفات الرسول في المسجد الحسيني .(القاهرة : مطابع الشعب ، ١٩٦٥م)
- **آل مريـــح** ، صالح بن محمد بن جابر . نجـــران .ضمن سلـسلة هـذه بلادنا التي تنشرها الرئاسة العامـــة لرعاية الشباب.(جدة : دارالبلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .
- **المـــري** ، حسين علي . ((نجران ودورها السياسي والاقتصادي)). مجلـة المؤرخ المصري . الصادرة من قسم التـاريخ ، كليـة الآداب ، جامعة القاهرة . العدد التاسع / يوليو ١٩٩٢م ص ٤١ – ٩٠ .
- **مغربــــي** ، محمد علي . ملامح الحياة الاجتماعيـــة في الحجــاز في القرن الرابع عشر الهجري .(جدة : دار العلـم للطباعـة والنـشر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م) .
- **المقحفـــي** ، إبراهيم بن أحمد . معجم المدن والقبائل اليمنيـة .(صـنعاء : منشورات دار الكلمة ، ١٩٨٥ م).

- **الملحم** ، فراج بن شافي . ((رحلة في بلاد يام)). مجلة العرب . مج (٢٢). (١٤٠٧هـ - ١٤٠٨هـ) ص ٨٠٦ - ٨١٩ .
- **الهاشمي** ، علي . المرأة في الشعر الجاهلي .(بغداد : مطبعة المعارف ، ١٩٦٠ م) .
- **هنتس** ، فالتر . المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري .ترجمة كامل العسلي .(عمان ، د . ن ، ١٩٧٠ م) .
- **الواسعي** ، عبدالواسع بن يحي . تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن . (صنعاء : الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ١٤١٤ هـ / ١٩٨٤ م) .
- **الوهيبي** ، عبد الله . ((الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب)) . مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود .(١٣٩٠هـ/١٩٧٠ م) جـ (١)، السنة الأولى) ص ٥٣ - ٧٠ .
- **اليوزبكي** ، توفيق سلطان . دراسات في النظم العربية الإسلامية .(الموصل : جامعة الموصل ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .
- **يوسف** ، السيد محمد . ((علاقات العرب التجارية بالهند منذ أقدم العصور إلى القرن الرابع الهجري)) . مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة . (القاهرة : مطبعة جامعة فؤاد ، ١٩٥٣ م) مج .(١٥) ، جـ (١) ص ١ - ٣٥ .

رابعاً : رسائل علمية وبحوث غير منشورة

- **آل زمانان** ، صالح بن سالم بن علي وآخرون . دراسة تاريخية مختصرة للحياة الصحية في منطقة نجران في القرن الرابع عشر الهجري . (العشرين الميلادي) بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس من قسم التاريخ، بفرع جامعة الملك سعود بابها ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م . (نسخة من هذا البحث ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (١٧٧) .
- **الزهراني** ، رحمة أحمد . بلاد اليمن في العصر العباسي الأول .(١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧م) . رسالة ماجستير من قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، بجامعة أم القرى . (مكة المكرمة : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)
- **آل سالم** ، محمد مهدي حسين . صور من تاريخ نجران خلال القرن الرابع عشر الهجري . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس من قسم التاريخ كلية التربية فرع جامعة الملك سعود بأبها .(١٤١٤هـ) .(نسخة من هذا البحث ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (٤٤)) .
- **العجمي** ، أحمد ظافر حمد آل فطيح .محافظة يدمة بمنطقة نجران دراسة تاريخية حضارية خلال القرن الرابع عشر الهجري . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس بقسم التاريخ كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية ، جامعة الملك خالد .(١٤٢١هـ/١٤٢٢هـ).(نسخة من البحث ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (٢٧٩).

- **الغامدي** ، خميس صالح محمد . العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول ﷺ . رسالة ماجستير من قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، بجامعة أم القرى (مكة المكرمة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
- **الغدير** ، علي بن محمد بن علي ، والحسن أحمد طالب الشريف . الأدب الشعبي في منطقة نجران . بحث تاريخي غير منشور لنيل درجة البكالوريوس من قسم التاريخ كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود بابها . (١٤١٧هـ) (نسخة من هذا البحث ضمن مكتبة الباحث تحت رقم (١٣٤)) .

خامساً : المراجع الاجنبية

- **Abu-Hanifah** *al-Dinwari* . *Book of Plants , An Annotated English Translaion of the Extant Alphabetecal Portion , by cathrine Alice Yff Breslin.(U.S.A, The Univ.of Arizona,*1986*)* .
- **Ahmad** , *S.Maqbul . ((Commercial Relation of India with the Arab World .(* 1000B*.C. up to Modern Times)) Islamic Culture* . *(vol*38,1964*) pp.* 141 – 155 .
- **Ahsan** , *M.M. Social Life Under the Abbasids* 170 – 289 *A.H /* 786-902A*.D .(London,* 1979*)* .
- **Akel,Nabih** , *Studies in the Social Histories of the Umayyad Period as revealed in the Kitab al-Aghani PH.D . thesis . (University of London ,* 1960*)*

- **Belyaev** ,E- A- Arabs , Islam and the Arabs Caliphate tr. Adolpe Gourevitch .(London , 1969).
- **Crone** , patricia , The Mawali in the Umayyad Period PH.D . thesis .(Univ . of London ,1973).
- **IDEM** , Slaves on Horses : the Evolution of Islamis Polity . (Cambridge,1980)
- **IDEM** , Meccan Trade in the Rise of Islam .(Oxford , 1987).
- **Dunlop**, D.M. ((Sources of Gold and Silver in Islam_ According to Al-Hamadni)) Studia Islamica . (VIII) 1957 PP. 29 – 49 .
- **Fariq** , K.A . ((Literature During the Rashidah Caliphate)). (11 – 40 A-H) Islamic Culture Vol. 37 .1963 PP. 1 – 15 .
- **Gibb** , H.A.R. ((The Fiscal Rscript of Umar II)) Arabica VOL .II . (1955).
- **Goitein**, S.D. ((Letters and Documents on the India Trade in Medieval Times)) Islamic Culture .VOLXXXVII. NoI . (1963).
- **Goitein** , S.D. ((From Adan to Andia)) Journal of the Economic and Social History of the Orient VOL . XXII ,Part .(1-2) . (Leiden ,1980) .
- **Goitein** , S.D. ((slaves and Slavegirls in the Cairo Geniza Records)) Arabica.(VOL.IX, 1962) PP .1 – 20 .
- **Guraya** , Muhammad Yusuf . ((Judicial System Under ' Umar The Great)) Islamic Culture .(VOL . Lviii , 1984) PP .98 – 135 .
- **Husaini**, Mawlawi S.A. Arab Administration .(Madras , 1949).
- **Jrais** , G.A . The Social Industrial and Commercial History of the Hijaz Under the Early Abbasids 132 – 232 A.H / 749 – 847 A.D .(Unpablished PH.D thesis , Victoria univ. of Manchester , 1989).

- **Kennedy**, *Hugh. ((Centeral government and Provincial elites in the early Abbasid Caliphate)) Bulletin of the School of Oriental and African Studies.(VOL .* 44,1981 *)PP* 26 – 38
- **Lane** , *Edward William . Arabian Society in the Middle Ages. (London , Curzon press* ,1987*)*.
- **Lassner** , *Jacob ((Provincial Administration Under the Ruling Family and the Amsar of Iraq)) Studia Islamica . (VOL.* 50 , 1979 *)PP* . 21 – 35 .
- **Philpy** , *H.S.T.J.B. Arabian HighLand .(New York, Dacapo Press* ,1976 *)*.
- **Salem** , *Elie . ((Muslim Administration)) Islamic Culture . (VOL*33,1959 *)PP*.19-30 .
- **Samadi** , *S.B. ((Some Aspects of the Theory of State and Adminstration under the Abbasids)) Islamic Culture .(VOL. XXIX ,No* . 2 , 1955 *)PP*.120-150 .
- **Serjeant** , *R.B. Islamic Textiles ,Material From Mongal Conquest . (Beirut , Riad Solh Square* , 1972 *)*.
- **Tritton** , *A.s . ((Notes and Communications Notes on the Muslim System of Pensions)) Bulletin of School of Oriental and African Studies .(VOL. XVI* , 1954 *)PP* . 170-2 .
- **Varisco** , *(D . M) . Rasulid. Agricalutre and Almanac Tradition .(in Yamen ,* 3000 *years of art and civilization) in Arabia felix .(ed) Werner Daum ,Amesterdam* ,1989, *)*.


كتب
وبحوث للمؤلف

أولاً : الكتب المنشورة :

١- **افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية**.(جدة–دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، أربع طبعات ، أولى وثانية وثالثة ورابعة ، (والطبعة الأولى من منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) (**٨٠ صفحة**) .

٢- **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين** (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) (**١٩٢ صفحة**) .

٣- **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣ – ١٤هـ/١٩ – ٢٠ م)** (**الطبعة الثانية**) . تم إضافة أكثر من (٤٠٠) صفحة على الطبعة الأولى التي صدرت عام (١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م) (**٥٥١ صفحة**).

٤- **صفحات من تاريخ عسير**، الجزء الأول (جدة ، دار البلاد للطبع والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) (طبعتان أولى وثانية) (**١٩١ صفحة**) .

٥- **بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية** ، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، رئيس اتحاد المؤرخين العرب (الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) (**الجزء الأول**) (**٣٣٤ صفحة**) .

٦- **عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠-١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨-١٩٨٠م)** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) (**٢٥٥ صفحة**) .

٧- **تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م)** ، (جدة:دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) (**الجزء الأول**) (**٣٤٨ صفحة**) .

٨- **الهجرات العربية إلى ساحل شرقي إفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري.** دراسة نشرت في هيئة كتيب بمركز بحوث كلية التربية بأبها وتم تصويره وتجليده في مطابع جامعة الملك سعود بالرياض (عام ١٤١٦هـ /١٩٩٥م) (**٥٢ صفحة**) .

٩- **أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية).** (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) (الطبعه الأولى).كما أعيد طبعه للمرة الثانية (الرياض:مطابع الحميضي ،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) (**٥٨٤ صفحة**)

١٠- **الأقليات الإسلامية في العالم (١) إفريقيا الجزء الأول.** (أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م) (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور/السر سيد أحمد العراقي). وقد أخرجت الطبعة الثانية في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). كما خرجت الطبعة الثالثة بمطابع العبيكان في الرياض ، خلال عام (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) (**٢٠٦ صفحة**) .

١١-**بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية.** (الإسكندرية : دار السماح للطباعة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) (**الجزء الثاني**) (**٤١٨ صفحة**) .

١٢-**عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) (**٢٩٠ صفحة**) .

١٣-**دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)) الطبعة الأولى ، الجزء الأول. (**٣٢٦ صفحة**)

١٤-**دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٢ م) . الجزءآن الأو ل والثاني في مجلد واحد . (**٦٥٣ صفحة**)

١٥-**بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر** (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان، (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) .(**٤٤٤ صفحة**)

١٦-**تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢-١٤٢٢هـ / ١٩٨٢-٢٠٠٢م)** تم طباعته ونشره على نفقة وزارة التعليم العالي وجامعة الملك خالد، بمطابع جامعة الملك سعود بالرياض،(١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) . وأعيدت طباعته عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (جدة:وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) (**٤٥١ صفحة**).

١٧-**دراسة عن قسمي التاريخ بفرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها (١٣٩٦-١٤٢٣هـ /١٩٧٦-٢٠٠٢م) (النشأة – التطور– الإلغاء)** (جدة :وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) (**٢٠٥ صفحة**).

١٨-دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ - ق١٠هـ/ ق٧م - ق١٦م) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) . (الجزء الأول) (**٤٣٧ صفحة**) .

١٩-نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق ١ هـ- ق ٤هـ/ ق ٧ - ق ١٠م). (**الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م) (الجزء الأول)** (**٥٣١ صفحة**)، **كما أعيد طباعته ، طبعة ثانية ، مع بعض الاضافات والتصويبات** (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م) (**٥٦٢ صفحة**) .

٢٠-دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري / السابع الميلادي إلى السادس عشر الميلادي (مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي والأدبي،١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) (**٣٥١ صفحة**) .

٢١-صفحات من تاريخ عسير.(الرياض:مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م) **(الجزءان الأول والثاني في مجلد واحد)** (**٤٧٥ صفحة**).

٢٢-القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) (**الجزء الأول**) (**٥٦٧ صفحة**) .

٢٣-دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية (جازان : نادي جازان الأدبي ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) (**٢٠٨ صفحة**) .

٢٤-الوجود الإسلامي في أرخبيل الملايو (إندونيسيا وماليزيا أنموذجاً (ق ١ - ق١٠ هـ / ق ٧ - ١٦ م) (دراسة تاريخية حضارية) . (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٠-١٤٣١هـ/ ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م) (**٤٨٥ صفحة**) .

٢٥-**من رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية: محمد أحمد (أنور). (دراسات، وشهادات، ووثائق)** (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠ م) (**٦٠٦ صفحة**).

٢٦-**دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ – ق١٠هـ/ق٧ – ١٦م).** المسمى: **تاريخ الجنوب (الباحة وعسير ، جازان ونجران).** (الرياض:مطابع الحميضي، (١٤٣١ – ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١٠ – ٢٠١١ م) (**الجزء الثاني**) (**٦١٩ صفحة**) .

٢٧- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير والقنفذة)** . (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م) . (**الجزء الثاني**) (٥٢٥ صفحة).

٢٨-**بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠ – ١٥ هـ / ق ١٦ – ٢١م) (دراسة تاريخية حضارية)**.(الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) (**٥٢٧ صفحة**).

٢٩- **القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران)** (الرياض : مطابع الحميضي ، (١٤٣٢ - ١٤٣٣ هـ / ٢٠١١ - ٢٠١٢ م) (الجزء الثالث) (**٦٢٥ صفحة**).

٣٠-**عبد الوهاب أبو ملحة في جنوب البلاد السعودية (١٣٤٠ – ١٣٧٤ هـ/١٩٢١–١٩٥٤م) (دراسة تاريخية وثائقية). (الرياض : مطابع الحميضي،(١٤٣٣هـ/٢٠١٢م)(٥٩٤ صفحة**).

٣١-**القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير وجازان والقنفذة)**. (الجزء الرابع) ، (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) (**٥٧٤ صفحة**).

٣٢-القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الباحة وعسير). (الجزء الخامس) ، (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م) (**٦١٦ صفحة**).

٣٣- تهامة عسير في العصر الحديث والمعاصر (رجال المع، محائل، بارق ، المجاردة) ، (تحت البحث والدراسة) .

٣٤-من ذكريات طالب مبتعث في كل من أمريكا وبريطانيا (مخطوط) .

٣٥-رحلات في جنوبي شبه الجزيرة العربية (مخطوط) .

ثانياً : تحقيقات ومراجعات كتب ومجلات وغيرها :

- ❖ دراسة وتحقيق مذكرة الشيخ / عبد الله بن عبد الرحمن بن إلياس حول تاريخ عسير وأجزاء من جنوبي المملكة العربية السعودية ، تم نشرها عام ١٤١٨هـ /١٩٩٧م.
- ❖ راجع وقدم : المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (منطقة عسير) . (١٤١٧ –١٤١٨هـ)(٣ مجلدات) للأستاذ/علي بن إبراهيم بن ناصر الحربي.
- ❖ راجع وحقق وقدم لكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية . لهاري سانت جون فيلبي (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م) . (جزءان) .
- ❖ تولى رئاسة تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، وكتب مقدمة أعدادها من عام ١٤١٥ ـ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٥ ـ ١٩٩٩م) .

❖ تولى رئاسة تحرير كتاب : عسير تاريخ وحضارة . وهو عبارة عن مجموعة دراسات علمية قدمت في اللقاء الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية الذي عقد في مدينة أبها (منطقة عسير) في (١٧ – ١٩/٥/١٤٣٠ هـ الموافق ١٢ – ١٤/٥/٢٠٠٩ م) .

ثالثاً : البحوث والدراسات المنشورة :

٣٦- **"بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني"** مجلة الدارة ، ربيع الآخر والجماديان (١٤١٤هـ) ، العدد الثالث ، السنة (١٩) ، ص٧٦-١١١ . كما أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي،عدد (٢٧) جمادى الأولى ، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)،**ص١٤-٤٤** .

٣٧- **"بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط"** مجلة العرب (جـ٩-١٠) سنة (٢٧) (الربيعان) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، **ص٦٠٧-٦٢٤** .

٣٨- **" بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل"**، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس (١٩٩٤م) ، ص٧٣-١٠٠ . وقد أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي، عدد (٢٩) (محرم/١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، **ص٦٣-٩٤** .

٣٩- **"تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مجلة العصور**. مج٩، جـ١، (رجب ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص٦٣-٧٨ . وقد تم إعادة نشره مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي، عدد (٢٤) (ربيع الثاني /١٤١٩هـ) ، **ص٦٦-١٠٠**

٤٠ - "بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة " مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد (٣٨) لعام ١٩٩١- ١٩٩٥م ، ص٤١-٦٥ . وقد أضيف معلومات جديدة على هذه الدراسة، ثم أعيد نشرها في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي،عدد(٣١) (رمضان/١٤٢١هـ/ ٢٠٠٢م) ،**ص١٧-٤٧**.

٤١ - "أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (**١٥٨هـ /٧٧٤م - ١٦٩هـ /٧٨٥م**) "مجلة الدارة (رجب ، وشعبان ، ورمضان، ١٤١١هـ) العدد الرابع ، سنة (١٦) ، **ص١١٣-١٢٩**.

٤٢ -"الأوضاع السياسية والحضارة في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (**١٣٦هـ/٧٥٣م-١٥٨هـ /٧٧٤م**)" ، منشور ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، القاهرة ، رقم السلسلة (٩٦) (١٤١١هـ/١٩٩١م)،ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب، وعلى جزئين في العددين المتتالين (رجب وشعبان) و (رمضان وشوال) ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م،سنة (٢٩)من ص(٥١-٦٣) ثم في الجزء الآخر من(**١٧٥-١٨٤**).

٤٣ - "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام" مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .العدد الثامن. (رجب ١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ص٤١٢-٤٣٣ ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب، وعلى جزئين في العددين المتتالين(ذو القعدة وذو الحجة،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ص٣١١- ٣٢٤ ، و(محرم وصفر ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، سنة (٢٩) ، **ص٤١١-٤٥٠**.

٤٤ - "تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس" مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد السادس (المحرم ١٤١٣هـ /١٩٩٢م)

ص٥٨٨-٦٠٩ وقد أعيد نشرها في مجلة المنهل، العدد (٥١٢) (شعبان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، **ص٨٢-٩٠** .

٤٥ - **"صور من تطور نظام العيون (الاستخبارات) خلال القرون الإسلامية المبكرة"** منشورة ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بالقاهرة، ورقم السلسلة (٨٩) (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة مع بعض الإضافات في مجلة المنهل العدد (٥١٦) عام (٦٠) المحرم ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ، **ص٦٦-٧٥** .

٤٦ - **"صور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس "** مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة (١٨) (شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ، ١٤١٢هـ) ، **ص٨٤-١٠١** .

٤٧ - **"الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز"** مجلة العرب،جـ ٧ و ٨ سنة (٢٦) (محرم وصفر / ١٤١٢هـ / ١٩٩١م) ، ص٤٤٧-٤٦٢ .

٤٨ - **"أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة"**مجلة المنهل، العدد (٤٩٢)، مج٥٣ ،جمادى الأول والآخرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ، **ص٨٢-٩٦** .

٤٩ - **"مواقف خلفاء بني العباس الخيريـــة تجاه أهل الحجاز"** (١٣٢-٢٣٢هـ) ، مجلة المنهل ، العدد (٤٩٧) ، مج ٥٤ ، (المحرم ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، **ص٨٢-٨٨** .

٥٠ - **"علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس (١٣٢ -٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م)** "مجلة المنهل ، العدد (٥١٠)،مج (٥٥)جمادى الآخرة (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص٥٠-٥٦ ، وسبق أن نشرت في نفس مجلة المنهل العدد(٥٠٢) مج (٥٤) ، (شعبان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص٢٥-٣٠ .

٥١- "**أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى**" مجلة المنهل ، العـــدد (٤٩٨) ، مج٥٤ (صفر ١٤١٣هـــ / ١٩٩٢م) ، **ص٧٨-٩٥** .

٥٢- "**العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام**" مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول، المجلد الأول ، مارس (١٩٩٣م) **ص ١٢٨-١٥٨** . ثم أعيد نشرها مع التطوير والإضافة في مجلة المنهل ، عدد (٥١٤) مج٥٥ ، شوال ، ذو القعدة (١٤١٤هـــ / ١٩٩٤م) ص٤٨-٥٩ ، كما أضيف عليها بعض التفصيلات والتعديلات ونشرت في مجلة العرب، سنة (٣٠) (رمضان ، شوال ١٤١٥هـــ، (١٩٩٥م)، **ص١٨٥-٢٠٥** .

٥٣- "**المدينة المنورة .... ورقات من ذاكرة التاريخ ١٣٢-١٦٩هـــ**" مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (٤٩٩) مج ٥٤ (الربيعان/١٤١٣هـــ/١٩٩٢م) **ص ١١٢-١٢٠** .

٥٤- "**القدس الشريف خلال القرون الإسلامية المبكرة** " مجلة المنهل (العدد السنوي الخاص) عدد (٥٠٨) مج ٥٥ (الربيعان / ١٤١٤هـــ/١٩٩٣م) ، **ص٤٠-٤٥** .

٥٥- "**الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢-٢٣٢هـــ / ٧٤٩-٨٤٦م**" مقالة نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة العصور ، المجلد السابع ، الجزء الأول (١٤١٢هـــ / ١٩٩٢م) ، ص ١٣ – ٢١ (**pp . 13 - 21**).

٥٦- " **العمائم تيجان العرب** " مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العـــدد (٨) ، محرم ١٤١٣هـــ، **ص٦٦-٧١** .

٥٧- " **المستشرقون ونشاطهم تجاه دراسة التراث الإسلامي** "، مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد (٦) (محرم ، ١٤١٢هـــ) ، **ص٦٢-٧٧** .

٥٨- **"الدونمة بين اليهودية والإسلام"** مجلة المنهل ، العدد (٤٩٦) مج ٥٣ ، ذو الحجة (١٤١٢هـ /١٩٩٢م) **ص٩٠-٩٦** .

٥٩- **"يهود الدونمة في الميزان"** مجلة التضامن الإسلامي ، السنة (٤٧) ، الجزء الثامن (صفر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) **ص٢٤-٣٠** .

٦٠- "**آراء حول التاريخ وكيفية تدريسه في الجامعة**" مجلة المنهل ، العدد (٥٠٧) مج ٥٥ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص١٢-١٧ ، ثم أجري عليه بعض التعديلات ونشرت في مجلة القافلة العدد (١١) مج٤٢ (ذو القعدة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، **ص٤٤-٤٧** .

٦١- **"كيف نبني ثقافتنا"** مجلة المنهل ، العدد (٥٠٦) مج ٥٥ (المحرم ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، **ص٣٠-٣٦** .

٦٢- **"المخطوطات العربية بمكتبة كلية التربية بأبها (فرع جامعة الملك سعـــود)"** مجلة المنهل ، العدد (٤٨٧) مج٥٢، (رمضان وشـــوال ١٤١١هـ / ١٩٩١م) **ص١٩٠-١٩٣** .

٦٣- **"صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية"** مجلة العرب، جـ٧ ،٨، سنة (٢٧) محرم وصفر(١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، **ص٤٤٥ -٤٦١** .

٦٤- **"من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود ورجال حكومته إلى بعض الشيوخ والعشائر العسيرية"** مجلة العرب ، جـ١١، ١٢، سنة (٢٧) (الجمادتان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، **ص٧٣٥-٧٥١** .

٦٥- **"ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبد العزيز"**، مجلة العرب ، جـ ١ ،٢، سنة (٢٧) (رجب وشعبان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، **ص٢٧-٤٤** .

٦٦- **"أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية"** مجلة العرب ، جـ ٩ ،١٠ ، سنة (٢٦) (الربيعان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، **ص٥٩٤-٦١١** .

٦٧- **"وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ)"** مجلة العرب ، جـ٣، ٤ ، سنة (٢٨) (رمضان وشوال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٥٤-١٧٠ القسم الأول . وقد نشر هذا البحث في كتابنا : **صفحات من تاريخ عسير** . الجزء الأول ، **ص ٦٧-٩٠** .

٦٨- **"من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة"** ، مجلة العرب ، جـ ٥، ٦ ، سنة (٢٨) (ذو القعدة وذو الحجة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، **ص٣٤١-٣٥٩**

٦٩- **"العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق"** مجلة العرب ،جـ ٧، ٨ ، سنة (٢٨) (محرم وصفر / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، **ص٤٨٦-٤٩٨** .

٧٠- **"صور من الاحتفالات الرمضانية عبر العصور الإسلامية"** ، مجلة المنهـل (ضمن العدد (٥١٣) مج ٥٥ ، رمضان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، **ص١١٣-١١٧** .

٧١- **"دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة"**، مجلة الدارة، العدد (٤) سنة (٢٠) رجب وشعبان ورمضان ١٤١٥هـ،ص٤٠-٧٠ . ثم أضيف إلى هذا البحث بعض التفصيلات وأعيد نشره في مجلة بيادر الصادر من

نادي أبها الأدبي العدد (٣٩) جمادى الأولى عام (١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣م) ، **ص١٣-٣٤** .

٧٢- **"الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق إفريقية في العصور الوسطى"** مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣) مجلد رقم (١) مارس ١٩٩٥م، **ص٦٧-٨٥** .

٧٣- **"جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥-٢٧ جمادى الآخرة ١٤١٥هـ / ٢٨-٣٠/١١/١٩٩٤م) ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب "الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول" (منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة) (القاهرة : المطبعة الإسلامية الحديثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، **ص٢٢٧-٢٧١** .

٧٤- **"مهنة الطب في ضوء شريعة الإسلام "** مجلة المنهل، العدد (٥٢٣) المجلد (٥٧) العام (٦١) المحرم ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، **ص٤٦-٥١** .

٧٥- **"مكانة شعر اللحية والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة"** مجلة الحرس الوطني ، عدد (١٣٧) سنة (١٥) رجب ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، **ص١٠٨-١٠٩** .

٧٦- **"ملامح الحياة الاجتماعية في العراق خلال عصر بني العباس"** مجلة المنهل العدد (٥٢٥) مج ٥٧ عام (٦١) الربيعان ١٤١٦هـ (١٩٩٥م) ، ص ١٦٨-١٧٤ .

٧٧- **"زي الطيلسان": دراسة تاريخية حضارية"** ملف بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (١٨) ربيع ثاني ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ، **ص٦٥-٧٤** .

٧٨- **"سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى" (٦٠٠-٩٠٠هـ / ١٢٠٠-١٥٠٠م)** في مجلة المؤرخ المصري ، العدد السادس عشر ، يوليو ١٩٩٦م (الصادرة من قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) **ص١٥٣-١٨٩**.

٧٩- **"ظاهرة السمل بين التشريع والتسييس في العصور الوسطى"** نشر في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس،مسلسل رقم (١٨٦) (القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، **ص١-٣٧** .

٨٠- **"الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمالي وغربي إفريقيا في العصور الوسطى"** مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية . المجلد (٤٥) (العام الجامعي ١٤١٧هـ / ٩٦/١٩٩٧م) **ص١٣١-١٦١** .

٨١- **"سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي وعلاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط"** مجلة كلية البنات بجامعة عين شمس عدد (١٩) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) وقد نشرت هذه الدراسة في كتاب للمؤلف بعنوان : **بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية** (الإسكندرية : دار السماح للطباعة والنشر ، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧م) (الجزء الثاني) **ص ١٥٥ - ١٨١** .

٨٢- **"التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)"** .مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . عدد (٢٠) محرم (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، **ص٢٩-٤٦** .

٨٣- **"الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصور الوسطى"** ، مجلة المؤرخ العربي بالقاهرة ، مجلد (١) العدد (٥) (مارس ١٩٩٧م) ص١٦٥-١٩١ .

٨٤- **"أهم مراكز صناعة السيوف الإسلامية"** مجلة الحصاد (رجب ١٤١٤هـ / ديسمبر / ١٩٩٣م) ، **ص١٦-١٨** .

٨٥- **" أوراق من تاريخ عسير خلال عهد الملك عبد العزيز كما أملاها الشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس)"** (دراسة وتحقيق) . مجلة بيادر الصادرة من النادي الأدبي بأبها ، عدد (٢٢) (رمضان / ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٥٣-٨٥ . كما أجرينا بعض التصويبات والإضافات على هذه المخطوطة، وقدمناها محاضرة في مؤتمر المملكة العربية السعودية الذي أقيم في شهر شوال عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بالرياض بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية . وكان عنوان تلك المحاضرة : **(ابن إلياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبد العزيز)** ونشرت جميع أعمال المؤتمر في (١٥) مجلد ، وبحث صاحب هذا الكتاب منشور في المجلد الرابع ، **ص٧ – ٤٥** .

٨٦- **"قراءة في مخصصات مقاطعة جيزان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبد العزيز "** نشرت هذه المقالة في مجلة بيادر عدد (٢٥) (رمضان/١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، وهو عدد خاص بمرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، **ص١١٥-١٣٩** .

٨٧- **"إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٨-١٠ شعبان/١٤٢٠هـ الموافق ١٦-١٨نوفمبر ١٩٩٩م) . ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب:**العرب وأوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات)**.منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص٤٠٩-٤٥٩ . كما أضيف عليه بعض المعلومات وألقيت محاضرة في (سمنار) قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم

الاجتماعيـة والإدارية، جامعة الملك خالد في ١٨/٧/١٤٢٠هـ ، الموافق ١٥/١٠/٢٠٠٠م .

٨٨- **"بلاد السراة في العصر الأموي ... دراسة لبعض مظاهر الحضارة" بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر الأموي** (الأحد - الثلاثاء ٧-٩ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ / ١٣-١٥ من فبراير ٢٠٠٠م) بجامعة الملك سعود - كلية الآداب ، وقد نشر هذا البحث في الكتاب الرابع من هذه الدراسات والخاصة بالعهد الأموي، **ص ١٤٩ - ١٦٤** .

٨٩- **"العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)"** . مجلة المنهل العدد (٥٧١) المجلد (٦١) العام (٦٦) شوال - ذو القعدة (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) **ص٢٦-٤٩** .

٩٠- **"وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩ - ١٣٣٧ هـ / ١٨٧٣-١٩١٩م)"** . (القسم الثاني) تم نشره ضمن الجزأين الأول والثاني ، (الرياض ، مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) الأعمال المجموعة في كتابنا : **صفحات من تاريخ عسير . الجزء الثاني ، ص ٩١ - ١٢٠ ، ٢٣٥ - ٢٧٤** .

٩١- **"التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، تطوره ، آفاقه المستقبليـة (١٣٩٦-١٤٢١هـ/ ١٩٧٦-٢٠٠٠م)"** . بحث مقدم في ندوة التعليم العالي في عسير: ربع قرن من الإنجاز والعطاء ، المنعقدة بمدينة أبها تحت إشراف جامعة الملك خالد في الفترة الممتدة من (٢-٣/٨/١٤٢١هـ/٢٩ -٣٠/ أكتوبر ٢٠٠٠م) . وقد تم نشر هذه الدراسة في الكتاب الذي أصدرته الجامعة بخصوص هذه الندوة تحت **"سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمرات (١)"** (المركز

الإعلامي بالجامعة /١٤٢٣هـ)، ص١٥٥-٢٢٦ ، كما نشر هذا البحث أيضاً في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : "**بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر**" ، (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص١٨٥-٢٧٧ . كما تم الاستفادة من هذا البحث ، وأجري عليه العديد من التعديلات والإضافات وقدم ورقة عمل ضمن المؤتمر العالمي عن خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبد العزيز بمناسبة مرور عشرين عاماً على توليه مقاليد الحكم ، والذي عقدته جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة الممتدة من (٢٦-١٤٢٢/٨/٢٩ هـ - ١١-٢٠٠١/١١/٢٤ م) ، وكان عنوان هذه الورقة : ((**التعليم العالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢ - ١٤٢٢ هـ / ١٩٨٢ - ٢٠٠٢ م)**)) . وقد نشرت ضمن أعمال المؤتمر الذي صدر في ستة مجلدات ، وهذه الدراسة توجد في المجلد الخاص " **بالمحور التربوي** " ، الجزء الأول ، **ص ٤٥٩ - ٥٣٥** .

٩٢- "**ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى**" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥-١٤٢١/٨/٢٧هـ الموافق ٢١-٢٠٠٠/١١/٢٣م) ، ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** (حصاد (٨)). منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .ص١٥٧-٢٢٢، كما نشرت هذه الدراسة أيضاً مع دراسات أخرى في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١-١٠هـ/ ق٧-١٦م)** (الجزء الأول) . **ص٣٣٥-٤٢٢** .

٩٣- **"ملامح التطور الصحي في جنوبي المملكة العربية السعودية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)"** . مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبـــي . عدد (٣٣) جمادى الأولى (١٤٢٢هـــ/٢٠٠١م) **ص٥١-٨٣** .

٩٤- **"أبها مدينة المستقبل ، مقترحات ووجهات نظر"** نشرت هذه المقالة في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣٥) (المحرم /١٤٢٣هـــ / مايو ٢٠٠٢م) **ص١٣-٣٤** .

٩٥- **"بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبتز"** طبع هذا البحث ضمن أعمال الملتقى العلمي الثالث بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والذي عقد بمدينة عمان في رحاب جامعة السلطان قابوس في (المحرم عام ١٤٢٢هـــ/٢٠٠١م). **ص٥٢٣-٥٩٤** .

٩٦- **"ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة "** . بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين بالقاهرة في الفترة الممتدة من (١٣-١٥/٨/١٤٢١هـــ الموافق ٣٠ أكتوبر – أول نوفمبر / ٢٠٠١م) ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب : **المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصـــــور** . حصاد (٩) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٢هـــ / ٢٠٠١م) ص١٩٥ ـــ ٢٥٦ . كما نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات الخاصة بصاحب هذه السيرة في كتاب له بعنوان " **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطـــة (ق١هـــ – ق١٠هـــ/ ق٧م – ق١٦م)** ، (الجزء الأول) **ص٢٤٩ ـ ٣٣٤**.

٩٧- **" صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة "** .طبع هذا البحث ضمن أعمال اللقاء العلمي الرابع لجمعية التاريخ

والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والذي عقد في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في شهر (صفر /١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) **ص ، ٣٤٧-٣٩٦.**

٩٨- **" مخلاف جرش في الفترة الأولى من عصر الإسلام ــ دراسة تاريخية تحليلية "** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة مـن (١٦ ــ ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ / الموافق ٢٢ ــ ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٢م " . ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب " **الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية** حصاد (١٠) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ، **٤٨٥ –٥٠٧** .

٩٩- ((**لماذا تستهدف السعودية بدعوى الإرهاب تحديداً منطقة عسير**)) **دراسة منشورة في ملحق الرسالة ، بجريدة المدينة عدد (١٤٥٤٨) السنة (٦٨) الصفحة السابعة، (يوم الجمعة ٢٠/ذو الحجة / ١٤٢٣هـ الموافق ٢١/ فبراير/ ٢٠٠٣ م)**

١٠٠- ((**التعليم في منطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز**)) **بحث منشور في كتاب : شرف الانتماء إلى مهنة التعليم . وهو عبارة عن فعاليات ولقاءات تربوية نظمتها ونشرها إدارة التعليم في محافظة سراة عبيدة خلال العام الدراسي (١٤١٩ – ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م – ٢٠٠٠ م) ، ص ١٩-٤٠ .**

١٠١- ((**أضواء على مصادر تدوين تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي**)) **مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي عدد (٤١) شهر المحرم (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)** ، ص **١٧ – ٢٩** . وقد أعيد نشرها

باختصار في رسالة آفاق الجامعة التي تصدرها جامعة الملك خالد . وكان نشرها في عدد (٤٦) شهر ربيع الأول (١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م) **ص ١٥** .

١٠٢- ((**نجران في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة**)) . بحث تمت المشاركة به في : موسوعة المملكة العربية السعودية . تحت إشراف : مكتبة الملك عبد العزيز العامة . منشور في المجلد الخامس عشر الخاص بمنطقة نجران . (الرياض، ١٤٣١هـ/٢٠١٠ م) **ص ١٢١ - ١٤٠**.

١٠٣- ((**عسير في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة**)) . بحث تمت المشاركة به في : موسوعة المملكة العربية السعودية . تحت إشراف : مكتبة الملك عبد العزيز العامة . منشور في المجلد العاشر الخاص بمنطقة عسير . (الرياض، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م) **ص ١٤٥ - ١٦٠**.

١٠٤- ((**الباحة في العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة**)) . بحث تمت المشاركة به في : موسوعة المملكة العربية السعودية . تحت إشراف : مكتبة الملك عبد العزيز العامة . منشور في المجلد السادس عشر الخاص بمنطقة الباحة. (الرياض، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م) **ص ١٣٣ - ١٥١** .

١٠٥- ((**التاريخ ودوره في الحفاظ على الهوية الإسلامية في عصر العولمة**)) . مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي عدد (٤٥) شهر المحرم (١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) ص ١٣ - ٣٨ ، كما أعيد نشر هذا البحث مع بعض الإضافات في الإصدار السنوي الخاص من مجلة المنهل ، بعنوان : التاريخ والمؤرخون . المنهل ، العدد (٥٩٩) المجلد (٦٧) العام (٧١) ذو القعدة وذو الحجة (١٤٢٦هـ/ ديسمبر / ٢٠٠٥م يناير ٢٠٠٦م) **ص ٣٠ - ٣٩** .

١٠٦- **صور من الصلات الحضارية بين مكة المكرمة وبلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة** . تم نشر هذا البحث ضمن أعمال اللقاء العلمي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في الدوحة بدولة قطر الشقيقة في شهر صفر (١٤٢٥هـ) الموافق شهر مارس عام (٢٠٠٤م) **ص ١٨٥ - ٢١٧** .

١٠٧- " **جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية** " . لهاري سانت جون فيلبي ... (دراسة تاريخية تحليلية) . بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من ١١ ـــ ١٢/شوال / ١٤٢٥هـ الموافق ٢٤ ـــ ٢٥/نوفمبر / ٢٠٠٤م . ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب : **العالم العربي في الكتابات التاريخية المعاصرة** . حصاد (١٢) (منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م) ص ٢٤١ ـــ ٢٧٦ . وقد أعيد نشر هذه الدراسة في : مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . عدد (٤٨) شهر المحرم (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، **ص ١٥ - ٦١** .

١٠٨- ((**الصلات الدعوية بين الرسول ﷺ وأهل تهامة والسراة (دراسة تاريخية)**)) . تم نشر هذا البحث ضمن مداولات اللقاء العلمي السادس بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في مدينة الكويت بدولة الكويت الشقيقة في (١١ ـــ ١٢ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠- ٢١ أبريل ٢٠٠٥م) . **ص ١٥٧ - ٢١١** .

١٠٩- **عسير في قلوب ملوك آل سعود** . نشرت معظم هذه الدراسة في رسالة : آفاق الجامعة التي تصدرها شهرياً جامعة الملك خالد ، وكان نشرها في عدد (٤٤) شهر ذي الحجة (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) .

١١٠- رسائل الإمام القاسم بن علي العياني إلى أهل عثر ونجران في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) (٣٨٨ – ٣٩٣ هـ / ٩٩٨ – ١٠٠٢٣ م) (دراسة تاريخية وتحليلية) . نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي السابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة من (٢٠ – ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ الموافق ١٨ – ٢١ ابريل ٢٠٠٦ م) ، **ص ١٩٧ – ٢٥٠** .

١١١- "تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى". نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي. والذي عقد في مدينة المنامة بدولة البحرين الشقيقة من (٧-١٠/ ربيع الآخر/١٤٢٨هـ الموافق ٢٤-٢٧/ أبريل/٢٠٠٧م) **ص١٧٩-٢١٥.**

١١٢- "التعليم في حاضرة أبها في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز(١٣٧٣-١٣٨٤هـ/١٩٥٣-١٩٦٤م). بحث منشور في الكتاب الذي أصدرته دارة الملك عبدالعزيز في خمسة مجلدات عن الملك سعود .وعنوان الكتاب العام : الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود (بحوث ودراسات) (الرياض : دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٩هـ) وهذا البحث منشور في المجلد رقم (١) ، **ص ٢١٩ – ٢٧٤** .

١١٣- " بيشة خلال العصر الاسلامي المبكر والوسيط (ق ١ – ق٩ هـ / ق٧-ق١٧ م) (دراسة تاريخية حضارية). نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي التاسع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية . والذي عقد في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية من (١٦ – ١٩ /٤/١٤٢٩هـ-٢٢-٢٥/٤/٢٠٠٨م) **ص٢٩١-٣٣٤.**

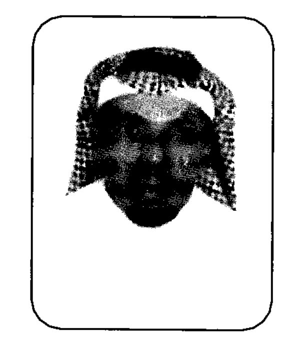
١١٤- **" الدراسات التاريخية في مجلة المنهل (جنوب الجزيرة العربية أنموذجاً "** . وهذه الدراسة مشاركة من المؤلف في إصدارات العدد الخاص والمتميز بعنوان : الاصدار الماسي لمجلة المنهل بمناسبة دخول عامها الخامس والسبعين من عمرها العلمي والأدبي . وصدور هذا العدد الخاص في عام (١٤٣٢هـ/ ٢٠١١ م).

١١٥- **" تاريخ سروات عسير (مخلاف جرش وتبالة) بين المكتوب والمأمول "** . نشر هذا البحث في كتاب : عسير تاريخ وحضارة (الرياض ، ١٤٣١هـ/٢٠١٠ م) . وجميع مادة الكتاب قدمت على هيئة أوراق علمية في اللقاء الثاني عشر للجمعية التاريخية السعودية الذي عقد في مدينة أبها (منطقة عسير) في (١٧ – ١٩/٥/١٤٣٠هـ/ الموافق ١٢ – ١٤/٥/٢٠٠٩ م) ، **ص ٦٣ – ٨٠** .

١١٦- **" بلاد السراة في كتاب : سيرة الأميرين الجليلين الفاضلين القاسم ومحمد ابني جعفر بن الإمام العياني من عام (٤٥١ – ٤٥٩ هـ/ ١٠٥٩ – ١٠٦٦ م) (دراسة تاريخية تحليلية)** " بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية السادسة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر العباسي الثاني ، خلال الفترة من (٢٨ – ٢٩ /١٠/١٤٢٧ هـ الموافق ١٩ – ٢٠ /١١/٢٠٠٦ م) بجامعة الملك سعود – كليتي الآداب والسياحة والآثار . وقد نشر هذا البحث في الكتاب السادس الخاص بالعصر العباسي من القرن الخامس حتى نهاية القرن السادس الهجري ، **ص ١٢٩ – ١٥٦** .

سيرة ذاتية مختصرة :

أولا : معلومات عامة :



الاسم : غيثان بن علي بن عبدالله بن جريس الجبيري الشهري

- من مواليد محافظة النماص بلاد بني شهر عام (١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) .

- تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي في محافظة النماص وتخرج في الثانوية عام (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .

- تلقى تعليمه الجامعي في مدينة أبها بفرع جامعة الملك سعود ، قسم التاريخ، وتخرج بمرتبة الشرف الأولي في عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

- ذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ودرس درجة الماجستير في جامعة أوستن تكساس (Austin Texas)، ثم أنتقل إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومينجتون (university of Indiana) وتخرج فيها عام (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) .

- ذهب إلى بريطانيا وحصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي عام (١٤٠٩هـ - ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ -١٩٩٠م)

- عاد إلى جامعته في أبها وعمل في العديد من الأعمال الإدارية والأكاديمية بالإضافة إلى رئاسة القسم حوالي ثلاثة عشر عاماً.

- حصل على درجة الأستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).



ثانياً: عضوية المجالس والمؤسسات المحلية والعربية والعالمية :

- رئيس تحرير مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي في الفترة من عام (١٤١٥هـ - ١٤١٩هـ / ١٩٩٥م -١٩٩٩م) .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية السعودية التاريخية .
- عضو جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي.
- أول مشرف لكرسي الملك خالد للبحوث العلمية بجامعة الملك خالد.

ثالثاً : المحاضرات العامة ، والمؤتمرات ، والندوات ، والحوارات المحلية والإقليمية والعالمية ، بالإضافة إلى حصوله على بعض الجوائز والتكريم:

- قدم أكثر من ستين محاضرة عامة ، وشارك وقدم أوراقاً علمية في أكثر من (٦٠) ندوة ، أو مؤتمر ، أو لقاء علمي .
- حصل على جائزة عبد الحميد شومان على مستوى العالم العربي ، في العلوم الإنسانية عام (١٤١٧ هـ / ١٩٩٦م) .
- تم تكريمه من قبل نادي أبها الأدبي في (١٤١٨/٢/٥هـ / ١٩٩٧م) وذلك بمناسبة حصوله على درجة الأستاذية بتميز .
- تم تكريمه في ملتقى قبائل بني شهر والمنعقد في الرياض برعاية صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة عسير ، وذلك يوم الخميس (١٤٣٣/١١/٢٥ هـ الموافق ٢٠١٢/١٠/١١م).

رابعاً: النتاج العلمي :

١- تم تأليف وطباعة ونشر (٣٢) كتاباً .

٢- قام بتحقيق ومراجعة وتقديم العديد من الكتب والمجلات .

٣- نشر أكثر من (٨٥) بحثاً علمياً في مجلات وكتب علمية ، معظمها باللغة العربية وبعضها باللغة الانجليزية .



A Study of History and Civilization

(1^{st} - 4^{th} Centuries *Hijra* / 7^{th} - 10^{th} A.D.)

Part 1

Prof .

Ghithan bin Ali bin Jrais

Department of History
College of Human Sciences
King khalid University

(1434 **AH** – 2013 **AD**)

Riyadh: Al Homaidhi Press